دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء الثالث

تأليف: ج. ج لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

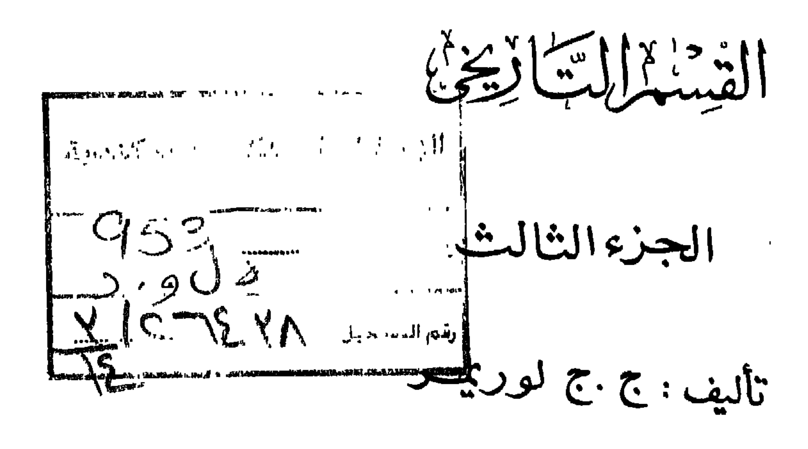






دليل الخليج

القسم التاريخي



الجزء الثالث

تأليف : ج. ج لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر



مقدّمة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية مؤكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة « دليل الخليج » الذي يعتبر من اضخم المؤلفات واهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها.

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو
أمير دولة قطر

« ملاحظـــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المـاضى وتضـمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل رأى المؤلف وحده ، وهى بذلـك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهـات نظرها .

الفصل الرابع

تاريخ قطر (١)

« قطر مقر آل خليفة ، وهم قسم من العتوب ١٧٦٦ ـ ١٨٧٢ (٢) »

استقرار العتوب في الزبارة سنة ١٧٦٦ :

يبدأ التاريخ الحديث لقطر باستقرار كل آل خليفة ـ وهم قسم من العتوب على وجه التحديد ـ هاجروا من الكويت واستقروا في الزبارة على الساحل الغربي لهذا الاقليم الممتد في البحر . وقد ذكر أنه حين استقر العتوب في قطر سنة ١٧٦٦ كانت الحويلة هي أكبر مكان على الساحل

(١) ماعدا سجلات حكومة الهند ، هناك مصادر قليلة فقط تخبر عن تاريخ قطر ، وهذه المصادر بدورها تنسيق وتبويب لسجلات حكومة الهند ، والمراجع الاساسية لتاريخها القديم هي : « مختارات بومباى » ٠٠ مجلد ٢٤ سنة ١٨٥٦ ، وتلخيص المراسلات التى تتناول شئون الخليج من سنة ١٨٠١ الى سنة ١٨٥٣ ، وكتاب مستر ج٠ أ٠ سالدنها المطبوع سنة ١٩٠٦ ٠ وعن التاريخ الحديث هناك كتاب مستر ج٠ أ٠ سالدنها « مختصر أحوال نجد من ١٨٠٤ الى ١٩٠٤ ٠٠ » ، المطبوع سنة ١٩٠٤ ، وكذلك « مختصر أحوال نجد من ١٨٠٤ الى ١٩٠٤ ٠٠ » ، المطبوع سنة ١٩٠٤ ، وكذلك « مختصر البحرين ٠٠ » لنفس المؤلف ، و « مختصر تاريخ قطر ٠٠ » له أيضا ، وهذان مطبوعان في ١٩٠٤ ، ثم هناك التقارير الادارية السنوية لمقيميه الخليج ٠ وكتاب بالجريف عن « وسط وشرق الجزيرة » يلقى بعض الضوء على حالة قطر في سنة ١٨٦٣ ، والكتاب مطبوع سنة ١٨٦٥ ، كما يذكر كتاب لو عن « تاريخ البحرية الهندية ٠٠ » سنة ١٨٧٧ ـ بعض التفاصيل عن عمليات البحرية البريطانية التى لا تتيسر في مرجع آخر، والاتفاقية الوحيدة المتعلقة بقطر تستطيع أن تجدها في « معاهدات اتشيسون ٠٠ » ٠

(٢) انظر مقارنة السنوات الميلادية بالهجرية ـ أول المجلد ٠

وكان يقيم بها آل مسلم المتصلو النسب ببني خالد . وكان هناك الفويرط والدوحة وفي الاولى المعاضيد وسواهم من آل بني علي ، وبالأخرى لاجئو السودان من ساحل القراصنة . وقد تبع آل خليفة إلى الزبارة عقب وقت قصير أقرباؤهم الجلاهمة وهم فرع آخر من نفس القبيلة استقبلهم آل خليفة بترحاب وكرم ضيافة في بادئ الأمر ، ثم لم تلبث ان انفجرت الخلافات بينهم ، وكان من نتيجتها ان انفصل الجلاهمة ورحلوا الى قرية الرويس المجاورة حيث اخذوا يتعاطون القرصنة ، لكنهم ابيدوا بعد ذلك على يدي آل خليفة وأنصارهم . ويبدو ان من بقي من الجلاهمة بعد هذه الحادثة انتقلوا من الرويس الى ميناء خور حسان المجاور (١) .

نمو الزبارة يهدد المصالح الايرانية :

وقد أدى احتلال ايران للبصرة الذي استمر من سنة ١٧٧٦ حتى ١٧٧٩ الى سرعة نمو الزبارة ، فخلال هذه الفترة هاجر اليها عدد من تجار البصرة الى جانب الهاربين إليها من الكويت ممن استقروا فيها بصورة موقتة ، وتركزت في الزبارة وحدها تقريبا تجارة اللؤلؤ والتجارة عامة بين شرق الجزيرة العربية والهند .. وفي سنة ١٧٧٩ ارسل إمام عمان سفينة الى الزبارة في مهمة ودية كما أصبح إخضاع الزبارة في تلك الظروف هدفاً هاماً من أهداف الحكومة الإيرانية . وبتعليمات منها بدأت عدة محاولات قام بأولها شيخ بوشهر في سنة ١٧٧٧ لكنه فشل . وفي ١٧٨٠ —ونتيجة الأسباب نفسها وربما على الأرجح لتكرر حوادث القرصنة التي كان يقوم بها بعض بني كعب من عربستان— نشبت الحرب بين بني كعب وبين العتوب في الزبارة والكويت معاً . وأخيراً في سنة ١٧٨٢ غامر العتوب في الزبارة، وربما حفزتهم على ذلك المشاكل المتزايدة التي كانت تواجه حكام الزند في شيراز ، فقاموا بهجوم انتقامي وغزوا جزيرة البحرين وأحدثوا خسائر كبيرة في مدينة المنامة ، ومن هناك

(١) هو المعروف حاليا باسم الخوير .

ساقوا معهم سفينة كانت قادمة من بوشهر تطلب الجزية السنوية التي تدفعها البحرين لايران . وهكذا وضح تماماً الخطر العسكري القائم في الزبارةعلى وجود ايران في البحرين .

هجوم ايراني فاشل على الزبارة ١٧٨٢ :

وأصدر علي مراد خان حاكم شيراز اوامره مباشرة للشيخ ناصر(١) في بوشهر بأن يعد حملة قوية ضد الزبارة مستعيناً بالحكام الصغار في ريق وجنابة ودشتسان وسواها من البقاع على الساحل ، وأعدت قوة قوامها ألفا رجل لهذا الهدف يقودها محمد ابن شقيق الشيخ ناصر . وحاصر الاسطول الإيراني الزبارة في بادئ الأمر ، ثم بدأت مفاوضات نتيجة وساطة راشد بن مطر الشيخ القاسمي السابق في رأس الخيمة ، لكن أقصى ما رضي العتوب بالتنازل عنه هو أن يعيدوا الأسلاب التي غنموها في البحرين ، ورفض الايرانيون هذا العرض وأنزلوا قواتهم لمهاجمة قلعة الزبارة ، لكنها التقت بقوات برية أضخم مما توقعته بكثير ، وهزمت القوات الإيرانية وتراجعت إلى سفنها متكبدة خسائر جسيمة . وكان ممن لقي مصرعه في هذه الكارثة الشيخ محمد قائد الحملة ، كذلك ابن شقيق الشيخ راشد بن مطر وسواهما من وجهاء هرمز الذين صحبوا الحملة ، والتقى الشيخ ناصر شيخ بوشهر بعد ذلك بالشيخ راشد في عسالو على الساحل الإيراني ، وحاولا إعداد حملة أخرى لكنهما فشلا .

العتوب يفتحون البحرين ، وينقلون مقر حكمهم من قطر اليها ١٧٨٣

وبعدها بشهر او شهرين ، استسلمت الحامية الإيرانية في البحرين لعتوب الزبارة الذين جاء إخوانهم من الكويت لنجدتهم في نفس الوقت . وهكذا أصبحت جزر البحرين تحت سيطرة آل العتوب ، وأصبحت هي –لا الزبارة– مقر شيوخهم . وكان أحمد بن خليفة هو أول شيخ من العتوب يحكم البحرين .

---

(١) هو الذى يسميه العرب « نصور » .

الحالة في قطر خلال سيادة رحمة بن جابر عليها ١٧٨٣ - ١٨١٦

استقرار رحمة في خور حسان سنة ١٧٨٣ او بعدها :

لقد اشترك الجلاهمة - بقيادة أبناء شيخ منهم يدعى جابر - مع بقية آل العتوب في فتح البحرين ، لكنهم ظنوا - بعد النصر - أنهم ظلموا ولم يكافأوا مكافأة تليق بجهدهم ، ويبدو انهم ارتحلوا لبعض الوقت الى جزيرة خارج وبوشهر ثم عادوا الى قطر واستقروا في خور حسان حيث وقع خلاف على الزعامة بين عبدالله الابن الاكبر لجابر ورحمة شقيقه الأصغر ، وحسم هذا الخلاف أخيراً لصالح رحمة . وفر عبدالله إلى مسقط في وقت ما قبل سنة ١٨١٠ ومات قبل ان يطلب عون السيد سعيد ضد شقيقه . غير ان سيطرة رحمة على قطر لم تكن أبداً سيطرة كاملة ، بل إنها لم تمتد في البداية إلى الزبارة التي تقع إلى جوار مقره مباشرة وفي سنة ١٨٠٥ اتصل شيخ من شيوخ العتوب في الزبارة غير رحمة ابن جابر بشيخ العتوب في الكويت يلتمس عون الانجليز ضد الوهابيين .

غارات بحرية يشنها رحمة ١٧٨٣ - ١٨٠٩ :

وكانت الزبارة في ذلك الوقت قاعدة أكبر من القطيف وأكثر أهمية ، وفي ١٧٩٠ كان التجار الأجانب يلقون فيها الحماية الكاملة ، ولم تكن بها أيضاً عوائد جمركية ، وكان نصيب عرب قطر في ذلك الوقت من صيد اللؤلؤ ضئيلا .

وسرعان ما ذاع اسم رحمة بن جابر كقاطع طريق جسور ومظفر ، عانى من إغاراته الايرانيون وباقي العتوب غير الجلاهمه . وفي سنة ١٨٠٩ - وقبيل ارسال الحملة البريطانية الأولى على رأس الخيمة بزمن قصير - حاول اسطول ايراني من بوشهر القيام بعمل انتقامي ضد خور حسان ،

لكن رحمة وأنصاره من القواسم استطاعوا أن يهزموا الحملة .. بل انهم استولوا على بعض سفنهم . وحوالي نهاية سنة ١٨٠٩ تردد أن رحمة قد استولى على ٢٠ قارباً للعتوب وهي في البحر في طريقها من الكويت إلى مسقط ، وقتل في هذه العملية ابن لشيخ الكويت عبدالله بن صباح كان مسئولا عن حراسة الاسطول الصغير . وانتقاماً لابنه الذي لقي مصرعه هدد شيخ العتوب في الكويت بشن هجوم بحري على خور حسان .. لكن التهديد لم ينفذ على ما يبدو . وكانت غزوات رحمة ، على ما في بعضها من طابع القرصنة تتخفى دائماً تحت ستار الحرب المشروعة . اما بالنسبة لمسلكه تجاه الرعايا والمسئولين البريطانيين فقد ظل سليماً لا غبار عليه حتى في وقت لم يكن فيه البريطانيون يلقون أي احترام من جانب القواسم . بل انه في إحدى المرات أبدى كثيراً من التحمل حيـــال مضايقات الطراد البريطاني « اوجستا » له وهو على رأس اسطوله في الخليج .

وضع رحمة السياسي ومعاملة السلطات البريطانية له :

وفي سنة ١٨٠٩ دخل رحمة بن جابر في علاقات وثيقة مع سلطات الوهابيين وأصبح يحكم بالاشتراك مع مبعوثهم حتى مدينة الزبارة أيضاً . ويبدو أن هذه الظروف الأخيرة كانت تدل على تزايد قوته ، فبين عامي ١٨٠٠—١٨٠٢ استطاع بعض شيوخ العتوب الذين طردهم السيد سلطان مسقط من البحرين ان يلجأوا الى الزبارة — رغم عدائهم لرحمة بن جابر وأن يبدأوا منها بمفاوضات مع الوهابيين لالتماس عونهم في استعادة البحرين ، ونتيجة لتقارب رحمة تقارباً وثيقاً من الوهابيين الذين كانت الحكومة البريطانية تتحاشى الصدام معهم ، ولموقف رحمة الذي لا مأخذ عليه تجاه المصالح البريطانية فقد تقرر فيما يتعلق بالحملة البريطانية على رأس الخيمة سنة ١٨٠٩ الامتناع عن القيام بأي عمل مباشر ضد رحمة بن جابر كلما أمكن ذلك . وحدث مرة أن تقرر أن تطلب السلطات البريطانية من أي من الاخوين الجلاهمة تجده على حكم خور حسان

تعهداً كتابياً بأن ينقطع على الاقل عن تقديم العمل أو العون الفعال الى القواسم الذين تردد أنهم استقروا في خور حسان بعد هربهم من رأس الخيمة ، وفي حالة الرفض «سيدمر خورحسان بما فيه من المعدات البحرية وادوات القرصنة تدميراً تاماً » ولكن يبدو ان هذه الشروط تم التنازل عنها في النهاية اذعاناً لرأي القادة البحرين والعسكريين للحملة البريطانية الى جانب رأي جنرال مالكولم .. الذي كان آنذاك سفير بريطانيا في إيران . ولو كان الامر بيد مستر ن. ه. سميث المقيم السياسي في بوشهر الذي لم يكن على علم بالقرار لارسل قوة الى خور حسان لتدمير سفن رحمة بن جابر ، لكن حكومة بومباي أوقفت هذه المحاولة بموافقة حكومة الهند .

سيادة الوهابيين على قطر ١٨٠٩ — ١٨١١ :

وفي ١٨٠٩ استطاع الوهابيون بدعم من رحمة بن جابر — كما أشرنا — ان يخضعوا قطر لحكمهم اخضاعاً كاملا ، وسرعان ما استسلمت البحرين أيضاً لقوى الوهابيين المتعاظمة والمتجهة نحوها آنذاك من الزبارة والقطيف ، وفي سنة ١٨١٠ أنشئت حكومة وهابية تضم القطيف وقطر والبحرين — ومقرها البحرين — وعهد بها الى عبدالله بن عفيصان. وبفضل حماية الوهابيين ، وبمعونة القوارب من ساحل القرصنة ، بدأ رحمة بن جابر يرتكب فظائع متزايدة الخطورة ، فاستولى على ١٨ سفينة محملة للعتوب في الزبارة والبحرين ، كما استولى على سفينة كبيرة وعدد من السفن الصغيرة التابعة لمسقط وكانجون وبوشهر وغيرها من الموانى ، وفي كل الحالات — إلا ما ندر — كان رحمة يأمر باعدام بحارة السفن التي يستولى عليها .. وباختصار .. فانه قد بسط حكم الارهاب على الخليج كله . وفي مايو سنة ١٨١١ قام رحمة بعملية قرصنة على جانب من الاهمية كان يصحبه فيها اسطول من بلدة عجمان ، لكن نجم مؤيديه الوهابيين كان في هبوط ، وسرعان ما ارغمته الأحداث التاليةعلى ان يكون أكثر حرصاً وأشد حذراً .

طرد الوهابيين من قطر ١٨١١ :

وفي سنة ١٨١١ ضعفت قوة الوهابيين في شرق الجزيرة ضعفاً شديداً نتيجة الاحداث على الحدود الغربية لإمبراطوريتهم ، فقد هاجمهم السيد سعيد سلطان مسقط في قطر بحملة بحرية وطرد حامياتهم من الزبارة وخور حسان ، وأحرق الزبارة ودمرها تدميراً تاماً . ويبدو ان النتيجة كانت إجلاء الوهابيين لا عن قطر وحدها بل وعن البحرين أيضاً التي أسر فيها الحاكم الوهابي لإمارة الحسا وقطر والقطيف وعادت البحرين الى سيطرة آل خليفة. وقاتل رحمة –الذي كان يمثل سلطة الوهابيين البحرية في هذه المنطقة من الخليج – ضد اسطول العتوب قتال اليائس ومني بفشل محقق وفي هذا الوقت ، او بعده مباشرة ، نقل رحمة مقره من قطر الى الدمام على ساحل الاحساء .

وفي سنة ١٨١٣ ارتكب رحمة –الذي ظل احترامه للبريطانيين راسخاً رسوخ كراهيته للعتوب في البحرين– ارتكب خطأ فادحاً باستيلائه على سفينة كانت محملة بخيول لشركة الهند الشرقية في طريقها من البصرة الى بومباي ، وحين تبين خطأه اتخذ فوراً تدابير نقل الدواب جميعاً الى بومباي ، حيث وصلتها كاملة وسالمة .



انتقال رحمة بن جابر من قطر وأعماله حتى الحملة البريطانية الثانية على رأس الخيمة ١٨١٦ – ١٨٢٠

هجرة رحمة من الدمام إلى بوشهر ١٨١٦ :

في سنة ١٨١٦ – وربما قبلها بقليل – تحلل رحمة بن جابر فجأة من الولاء للوهابيين واتصل بحاكم مسقط . ويبدو ان هذا الانتقال من جانب لآخر لم يكن ينجم عن تناقض في مسلك رحمة ، بل الى

ضراوة عدائه للعتوب في البحرين ممن نشب الخلاف بينهم وبين حليفهم السابق السيد سعيد لما كان يعتزمه ، لو نجح هجومه على البحرين سنة ١٨١٦ ، من إحلال رحمة بن جابر مكان شيخ آل خليفة في البحرين . وأصبح الوهابيون والقواسم -بحكم صداقتهم لآل خليفة- هم أعداء رحمة وضحاياه ، وقام أمير الوهابيين - الذي أسخطه انقلاب رحمه عليه- باضطهاده بكل الوسائل التي ملكتها يداه . ففي يوليو سنة ١٨١٦ أمر بتدمير قلعة كان رحمة قد شيدها في الدمام على ساحل الاحساء ، وتمكن هذا بجهد شديد من انقاذ أسرته وممتلكاته ونقلها الى خور حسان ، وكان امير الوهابيين قد أمر بأن تنقل هذه جميعاً الى الدرعية ، وأخيراً . في أكتوبر سنة ١٨١٦ وصل رحمه الى بوشهر لاجئاً منفياً ، تصحبه حوالي ٥٠٠ أسرة ، وكان معه عدا عن القوارب الصغيرة سفينتان كبيرتان وأخرى متوسطة ، وعدد من السفن الصغيرة ، وما زالت السواحل الغربية والشمالية تحتفظ حتى اليوم بآثار قلاع تنسب الى رحمة ابن جابر .

علاقات رحمة بمسقط والحرب مع القواسم ١٨١٧ :

أما أعمال هذا المغامر القلق في السنتين التاليتين فهي خارج نطاق تاريخ قطر .. وكذلك أيضاً لا تدخل نطاق تاريخ أي اقليم آخر . ففي بوشهر ظل رحمة يلقى استقبالا حسناً من حاكمها الشيخ محمد الذي أمر بتخصيص حي مستقل لسكنى أقاربه ومن جاء معه ، ولم يهمل رحمة زيارة المقيم البريطاني في بوشهر ، واعترف له بصداقته للحكومة البريطانية ، واستعداده للعمل لحسابها في حرب القواسم التي حان أوان التفكير فيها .

وكان السيد سعيد يتلهف لان يصبح رحمة مواطناً من مسقط ، يستقر في أي جزء من أجزاء عمان ، لكن القرصان - الذي كان ما يزال يخفي ازدراءه لحاميه بسبب فشل هجومه على البحرين سنة ١٨١٦-

رفض العرض . وفي سنة ١٨١٧ زار رحمة (مسقط) ، وكان يستهدف إغراء السلطان على تجديد محاولاته ضد البحرين لكنه وجد السيد مشغولا بمشاكل داخلية عديدة .

وفي سنة ١٨١٧ قام رحمه بجولة ناجحة ضد القواسم ، فاستولى على ١٢ قارباً من قواربهم كانت تنقل الإمدادات من البحرين إلى رأس الخيمة ، وعاد بأربعة من هذه القوارب إلى بوشهر ، ودمر الثمانية الباقية أو أغرقها -لافتقاره إلى رجال يسيرونها- بعد أن نقل ما يستطيع من حمولتها .

هجرة رحمة من بوشهر إلى الدمام ١٨٦٩ ؟ :

وفي سنة ١٨١٨ انتقل رحمة مرة أخرى من بوشهر إلى الدمام .. ومن هذا الوقت يرتبط تاريخ رحمة بن جابر بتاريخ إقليم الأحساء أكثر من ارتباطه بتاريخ قطر .

أعمال بريطانيا مع رحمة فيما يتعلق بالحملة البريطانية على رأس الخيمة ١٨١٩ - ١٨٢٠ :

وكان متوقعاً في سنة ١٨١٩ أن ينضم رحمة -سواء بمبادرة من جانبه أو بتحريض من سلطان مسقط- إلى الحملة البريطانية على رأس الخيمة ، وتقرر قبول خدماته اذا عرضها ، لكن رحمة -الذي لم يغفل لحظة واحدة عن هدفه الحقيقي في إذلال شيوخ العتوب ، والذي كان يعتبر عقاب القواسم بالنسبة لهذا الهدف شيئاً ثانوياً ، لم يتقدم خطوة واحدة في هذا الطريق . لكنه - بدل ذلك- قام في فبراير سنة ١٨٢٠ - حين كان الامير الحاكم في فارس يتجهز للقيام بحملة على البحرين ليستبق بها خطط السيد سعيد سلطان مسقط في هذا الجزء من الخليج - بعبور الخليج الى بوشهر ، ووضع نفسه ومعه ثلاث سفن تحت أوامر الإيرانيين .

وفي ١٠ فبراير أبحر رحمة من بوشهر إلى طاهري للحاق بالأمير الحاكم ، لكن أكبر سفنه غرقت أثناء الرحلة في مكان ضحل المياه بالقرب من بادرستان ونجا هو ورجاله بعد أن شارفوا على الهلاك . ووضع هذا الحادث حداً للمشروع كله من حيث دور رحمة بن جابر فيه . وخلال هذه التطورات أصدر الجنرال سير و. جرانت كير ــقائد عام الحملة البريطانيةــ أوامره بتدمير سفن رحمة بن جابر ، ولكن تقرر تأجيل التنفيذ نظراً لأنه كان في ذلك الوقت يعمل في خدمة حاكم شيراز . وفي ١٣ إبريل سنة ١٨٢٠ كان رحمة في بوشهر مرة أخرى ، فقد دعاه المقيم البريطاني هناك ليكون طرفاً في معاهدة السلم الشامل ، ورفض متعللا بأنه كان حينذاك يعمل في خدمة الحاكم العام بشيراز ، وقد قبلت السلطات البريطانية هذا الاعتذار ــالذي ايده أيضاً شيخ بوشهر متعهداً بأن يكون مسئولا عن سلوك رحمة في المستقبل .



العلاقات البريطانية ١٨٢١ ـ ١٨٢٣

عقاب القرصنة ١٨٢١ :

كان من نتائج بعض حوادث القرصنة التي ارتكبها الاهالي قيام المدمرة « فستال » التابعة لشركة الهند الشرقية بتدمير مدينة البدع (الدوحة الآن) في سنة ١٨٢١ وقد هاجر بضع مئات من اهلها إلى الجزر الممتدة بين قطر وساحل القراصنة .

زيارة المقيم البريطاني لقطر ١٨٢٣ :

وفي يناير سنة ١٨٢٣ قام الملازم ماكلاود المقيم البريطاني في الخليج عندئذ بزيارة الدوحة (البدع وقتذاك) أثناء جولته على طول الساحل العربي كما يرد وصف ذلك تفصيلا في تاريخ عمان المتصالحة ، ووجد هذا المكان الذي كان يعترف بتبعيته للبحرين ، وخاضعاً

بالتالي لمعاهدة السلم الشاملة لسنة ١٨٢٠ ، تحت حكم شيخ من آل بوعينين . وكانت الدوحة في ذلك الوقت هي الميناء الوحيد في قطر الذي كانت به بعض السفن التجارية لكن الأهالي لم يكونوا يراعون التعليمات الخاصة بالأعلام وتسجيل السفن المنصوص عليها في معاهدة السلم .. وكان يبدو أيضاً أنهم لايعرفون شيئاً عن بنود تلك المعاهدة وحصل الملازم ماكلاود –على أي حال– على قائمة بالسفن الموجودة في الميناء ، وحين عاد إلى البحرين بعد ذلك بعدة أيام اتصل بالشيخ الذي كان يتوسم فيه القدرة على الالتزام بالمعاهدة الشاملة التزاماً دقيقاً في قطر (١) . وفي ذلك الوقت كان البريطانيون يقومون باجراء عملية مسح بحرية لساحل قطر ومياهها الشرقية ، وكان الشيوخ على طول الإقليم الساحلي يقدمون ما بوسعهم من عون لإتمام هذه العملية .



التاريخ العام في قطر من زيارة المقيم العام لها سنة ١٨٢٣ حتى جلاء القوات المصرية عن الاحساء في سنة ١٨٤٠

خلال الفترة التي انقضت من زيارة المقيم العام لقطر سنة ١٨٢٣ الى جلاء القوات المصرية عن إقليم الاحساء سنة ١٨٤٠ لم يلق تطور الأحداث في قطر اهتماماً يذكر ، وكان كل ما يستحق الملاحظة من امورها هو

(١) ثبت – من تاريخ عمان المتصالحة – أن عملية تسجيل السفن بهذه الطريقة غير عملية وقد توقف العمل بها بعد ذلك . ولكن لا يسعنا نظرا للوضع السياسى الغامض المفعم بالمشاكل السياسية الذى انتهت اليه قطر الا أن نأسف لان ضباطنا لم يصروا – كما حدث في عمان المتصالحة – على ضرورة استعمال قطر علم الامارات المتصالحة . وما كان لمثل ذلك أن يتضمن أية صعوبة حقيقية ما ظلت قطر تابعة لشيخ البحرين ، ولو استعملت مثل تلك الاعلام لتأكد امتداد سيطرة البحرين – وبالتالى سيطرة بريطانيا بشكل أساسى – على قطر .

ما اختص بسيادة شيخ البحرين على الإقليم الساحلي ، أو الهجمات التي يقوم بها بعض السكان أو لاجئو ساحل القراصنة على قوارب مملوكة لموانئ أخرى في الخليج .

علاقات قطر بالبحرين :

ورغم ان سلطة شيخ البحرين في قطر لم تكن موضع تساؤل عندئذ ورغم أنه كان يستطيع عموماً أن يخمد أصوات من ينازعونه إياها إلا أن هذا لا يعني القول بأن سلطاته لم تجد من ينازعها .

سنة ١٨٢٨ :

ففي سنة ١٨٢٨ قتل محمد بن خميس شيخ آل بوعينين في الدوحة رجلا من البحرين ، فأمر شيخ البحرين بالقبض عليه وسجنه لكن قبيلته رفضت أن تسلمه وتمردت ، وفي مايو سنة ١٨٢٨ استطاع الشيخ عبد الله – بعد أن دمر حصني آل بوعينين في الدوحة – أن ينقلهم منها إلى قريتي الرويس والفويرط حيث أصبحوا تحت سيطرته المباشرة .

سنة ١٨٣٣ :

وفي سنة ١٨٣٣ –وربما قبلها ببعض الوقت– استقر الشيخ عبدالله ومعه ولداه مبارك وناصر على ساحل قطر لمراقبة تحركات الوهابيين الذين كان يفكر في القطيعة معهم .

سنة ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣٥ – وكما هو مذكور في تاريخ البحرين بالتفصيل .. تمرد أهالي الحويلة على سلطة شيخ البحرين وبدأوا يراسلون الوهابيين ، وكان يؤيدهم في هذا التمرد أحمد بن شيخ البحرين وواحد آخر من أبنائه غير المخلصين له ، وبعد توسط السيد هلال –بن السيد سعيد سلطان مسقط – أمكن الوصول الى تسوية بين شيخ البحرين ورعاياه المتمردين . وكانت شروط هذه التسوية أن يستبقي كل فريق لنفسه ما غنمه في الحرب ، وأن تهجر الحويلة وتقوض تماماً وينتقل

سكانها إلى البحرين ليستقروا فيها على أن يضمن سلطان مسقط سلامتهم الشخصية ، لكن الذي حدث أن أبناء أشقاء الشيخ عبد الله وعدداً من مشايعيهم خرقوا الاتفاقية فور عقدها فأغروا بعضا من قبيلة آل بوكواره بالإغارة على الحويلة . وفي هذا العمل غرق قارب وقتل قريب لعيسى بن طريف — وهو زعيم ذو نفوذ بين أهل الحويلة — ورفض شيخ البحرين دفع التعويضات مما أدى إلى انسحاب عيسي بن طريف ومعه عدد من آل بني علي وآل بوعينين إلى أبو ظبي في عمان المتصالحة . لكن المقيم البريطاني في الخليج إستطاع أن يمنع هوٌلاء المهاجرين من اتخاذ أبو ظبي قاعدة لأعمال عدائية ضد البحرين إلا بشرط واحد هو ان يعلن شيخ أبو ظبي وقوفه الى جانبهم ويعلن الحرب على شيخ البحرين .. وبالطبع لم يتحقق هذا الشرط ، أما الأعمال التالية من جانب هوٌلاء المهاجرين فأمر يتعلق بتاريخ البحرين ، ولم يعد له علاقة بمجرى الأحداث في قطر .

١٨٣٦ — ١٨٣٧ :

وفي سنة ١٨٣٦ و ١٨٣٧ —كما أشرنا في تاريخ البحرين— كانت تساوز شيخ البحرين على ما يبدو فكرة الخلاص من الجو المشحون بالصراعات العائلية في البحرين وفكر في أن يلجأ إلى مقر هادىء في خور حسان بقطر ، واتخذ الترتيبات فعلا لهذا الانتقال ، لكنه لم ينفذه بالفعل إلا بعد فترة طويلة .

١٨٣٩ — ١٨٤٠ :

وفي سنة ١٨٣٩ ، ونتيجة للعلاقات التي أقامها شيخ البحرين موٌخراً بقائد القوات المصرية في الاحساء ، تعرض أهل قطر لمحاولات ابتزاز جديدة . وبلغ سخطهم حداً جعل آل بوكواره — وكانوا مستقرين في الفويرط — يطلبون السماح لهم بالانتقال من قطر ليعيشوا آمنين في أي مكان آخر تحت الحماية البريطانية . وفي نهاية سنة ١٨٣٩ أو أوائل ١٨٤٠ — ونتيجة رفض بعض بني نعيم في قطر أن يدفعوا الزكاة التي طلبها

منهم شيخ البحرين باسم المصريين — أرسل محمد أفندي الحاكم المصري في الاحساء بعض قواته النظامية يعاونها بدو المخضبة من بني هاجر — لهدم بلادهم ، لكن اغتيال الحاكم الذي تبع ذلك مباشرة بالقرب من الهفوف أرغم الحملة على الرجوع فوراً دون ان تعمل شيئاً .

بعض المقيمين في قطر يسببون اضطرابات بحرية :

وخلال الجزء الاول من الفترة التي نحن الآن بصددها ، أدت أعمال بعض لاجئي بني ياس من أبو ظبي الى قطر إلى اختلال أمن البحر ، وكان اول من وصل من هؤلاء محمد بن شخبوط الذي عزل هو نفسه عن مشيخة أبو ظبي في سنة ١٨١٨ ثم تبعه سويدان بن زعل .. وهو عضو ساخط من فرع المحاربة بقبيلة بني ياس كان هاجر من ابو ظبي في سنة ١٨٢٢ ولكن يبدو انه لم يستقر في قطر إلا بعد هذا التاريخ بمدة طويلة ، وفي يناير سنة ١٨٢٣ تردد أن سويدان —الذي كان يعيش وقتذاك في جزيرة بني ياس— يخضع لإمرته ألف رجل مسلح ، وأن عنده سفينة كبيرة لا بأس بها وخمسين قارباً من القوارب الصغيرة . وكان من بين أتباعه سيف بن ضحيكان ، وعبيد بن سعدون اللذان يرتبط اسماهما بعد ذلك بقليل بعمليات القرصنة .

١٨٢٣ — ١٨٢٤ :

وقرب نهاية سنة ١٨٢٣ قام محمد ن شخبوط — الذي كان مقيماً آنذاك في الدوحة — بمحاولة فاشلة لاستعادة الحكم في أبو ظبي ، وقد ذكرنا بالتفصيل حملته هذه في القسم الخاص بتاريخ مشيخة أبو ظبي ويبدو أنه حين عاد الى قطر بعدها نقل مقره من الدوحة الى حويلة . وفي اوائل سنة ١٨٢٤ ، ترددت أخبار عملية قرصنة قام بها محمد بن شخبوط على سفينة لدبي — حليفة أبو ظبي عندئذ — وبادر المقيم البريطاني في الخليج فطلب من الشيخ عبدالله شيخ البحرين — بصفته حاكماً

لقطر – باتخاذ عمل ما ضد محمد ، وعرض ان تساعده قوة بحرية بريطانية .. ولكن ثبت أخيراً أن هذه العملية لم تحدث بالفعل .

١٨٢٦ – ١٨٢٨ :

وفي سنة ١٨٢٦ انطلقت من الدوحة عدة عمليات قرصنة مذكورة في تاريخ عمان المتصالحة ارتكبها عبيد بن سعدون وسيف بن ضحيكان وهما من اتباع سويدان بن زعل ، وكانت غنائمهما تحمل في بداية الأمر إلى الدوحة ، لكنهما هجراها بعد ذلك . وكان النفوذ البريطاني يجد صعوبة كبيرة في كبح جماح شيخ أبو ظبي عن إعلان الحرب على شيخ البحرين لهذه الحوادث التي ذكرنا ، ولا يبدو ان السلطات السياسية البريطانية قامت من جانبها بأية تدابير لتصحيح الوضع ، وفي سنة ١٨٢٨ حين رجع سويدان واتباعه إلى أبو ظبي توقفت غزوات هذه العصابة .

وفي نفس الوقت تقريباً –في مايو سنة ١٨٢٧– ارتكب عبيد (أو عبدالله) بن مهنا – وهو رجل من قبيلة المناصير استقر مؤخراً في الدوحة بقطر – حادثة قرصنة فظيعة ، فقد هاجم ومعه بعض رفاقه بينهم حسين بن جاسم من البحرين سفينة تابعة لميناء بوشهر خارج جنافه كانت في طريقها الى ديلم ، وقتل بعض من كانوا على ظهرها ، وألقى ببقيتهم بعد ضربهم ضرباً مبرحاً على البر بالقرب من بوردخان . وتم استرداد جزء صغير مما نهبه القراصنة ووجد في البحرين ، أما بالنسبة لطلب المقيم البريطاني تسليم عبيد وحسين فقد رد الشيخ عبدالله بأنهما استطاعا الهرب خارج حدوده ، ويبدو أن هذا كان ما حدث بالفعل ، وظلت التحريات مستمرة على أية حال .

وفي إبريل سنة ١٨٢٨ قابل المقيم العام الشيخ عبدالله وأقنعه بضرورة القيام بعمل ضد هؤلاء المعتدين ، وأخيراً في سبتمبر ١٨٢٨ استأنف عبيد بن مهنا أعمال القرصنة – خارجاً من مأوى مجهول ومعه عدد من

المناصير – إلى جوار بوشهر ، لكنه حين رسا بميناء «زيارات» على شاطىء إيران أثار الشكوك حوله بتحرياته عن مواعيد قيام السفن الصغيرة الراسية في الميناء ووجهات سفرها ، فألقى الأهالي القبض عليه بعد مقاومة يائسة من جانبه . ومن زيارات حمل عبيد الى المقيم البريطاني في بوشهر ، وسلمه هذا بدوره – بعد ان تحقق من هويته – الى الشيخ عبد الرسول ليسأله عن الغارات التي ارتكبها على سفن بوشهر ، وعن رعاياها الذين قتلهم ، غير ان عبيد استطاع في النهاية مغافلة حراسه والهرب من سجنه أثناء اجتياح تيمور ميرزا لبوشهر في نوفمبر ١٨٢٨ ، ولدى عودة قارب عبيد من زيارات إلى الشاطيء العربي نهب بحارته اربع سفن تابعة لميناء عسالو كما ذكرنا في تاريخ عمان المتصالحة .

١٨٣١ – ١٨٣٢ :

وفي سنة ١٨٣١ وقعت عملية قرصنة عادية في مكان قريب من بوشهر يسمى الحليلة ، ارتكبه رجل اسمه حسوم كان يقيم في الفويرط بقطر ضد قارب صيد تابع لميناء كانجون ، ولم يتم القاء القبض على هذا المجرم الا في العام التالي . وتأكد بعد ذلك أن حسوم بعد أن غادر الحليلة عبر الخليج الى العقير وحاول هناك أن يباغت قارباً تابعاً للبحرين لكن بحارة القارب وحراسه كانوا متيقظين له فاستطاعوا ان يأسروه هو وثمانية من رفاقه ، وبعد أن حجزوهم عدة أيام في العقير ، أعد السجناء عدتهم للهرب الى حويلة ، ومن هناك استطاعوا استعادة القارب الذي سبق استيلاؤهم عليه في حليلة .

وبعد ايقاع العقاب على بني ياس لارتكابهم أعمال القرصنة في سنة ١٨٣٥ ، هاجر جزء من القبيلة غرباً الى خور العديد ، هرباً من دفع نصيبهم في الغرامات التي فرضتها عليهم السلطات البريطانية من ناحية ، وحتى يستطيعوا الاستمرار في حياتهم القائمة على القرصنة من الناحية الاخرى ، وقد عاضدهم أهل الساحل الشرقي في قطر ، ولم يقفوا عند

حد عدم ردعهم عن عمليات النهب بل كانوا يمدونهم بالماء وغيره من الضروريات . لهذا تقرر ارسال قوة بحرية لضمان إمداد السفن البريطانية بهذه المياه ، ولتذكير أهل قطر بمسئولياتهم عن تلك الأعمال . وحققت الحملة –التي كانت مكونة من قاربين مسلحين وطراد صغير – نجاحاً كاملا ، ونتج عنها فرض تعهد على شيوخ الدوحة والوكرة والعديد بالاستيلاء على قوارب القراصنة أو دفع الغرامات ، كما اسفرت عن القاء القبض على بعض اتباع جاسم بن جابر الرقراقي – وهو زعيم من زعماء القراصنة ، وأحرقت سفينة من سفن القراصنة على الشاطيء بحضور المقيم العام .

وفي سبتمبر سنة ١٨٣٦ وجه المقيم العام إنذاراً شخصياً لشيخ الدوحة الذي كان يظن أن له علاقة وثيقة بالرقراقي بأن يمتنع عن إيوائه فيما بعد .

العلاقات البريطانية :

ودخلت قطر بوصفها آنذاك تابعة للبحرين ضمن الهدنة البحرية المبرمة سنة ١٨٣٥ . وفي سنة ١٨٣٦ مدّد الخط الحاجز من جزيرة صبر بو نعير باتجاه حالول بحيث يتجاوز عشرة أميال شمال الطرف الأقصى لإقليم قطر الساحلي .

★ ★ ★

تاريخ قطر العام من جلاء القوات المصرية عن الاحساء سنة ١٨٤٠ الى هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي عليها سنة ١٨٦٧

ظلت أعمال جابر بن جاسم العدائية مستمرة ، وفي فبراير سنة ١٨٤١ –ونتيجة نهب جابر سفينة تابعة لرأس الخيمة– ارسل أسطول بريطاني . يضم الفرقاطة البخارية « سيروستريس » ، والسفينة «دجلة» ، بإمرة القائد بروكس ليطلب الى شيخ الدوحة تسليم سفينة القرصان ودفع

غرامة قدرها ثلاثة آلاف روبية بالإضافة للتعويض عن الأموال المنهوبة. وبعد أن ضربت الدوحة بمدافع عيار ٨ بوصة من الفرقاطة «سيزستريس» سلمت سفينة جاسم -التي كانت موجودة في الميناء لحظة وصول الأسطول البريطاني لكنها لم تأل جهداً في الهرب إلى الداخل- وأحرقت علناً ، كما تمت مصادرة بعض الأملاك التي خلفها وراءه ، ومضى الاسطول بعد ذلك الى حيث تنتظره مهمة مماثلة في دبي .

وفي أوائل صيف سنة ١٨٤١ رسا على ساحل قطرقارب من لنجة عليه تمور وحصير من القطيف الى البحرين وفيما هو على حالته تلك استطاعت خمسة قوارب صغيرة أن تغتصب من حمولته ما قيمته ٢٤٠ روبية شاهية وتولي الادبار . واشتكى المعتدى عليهم الى ناصر أحد أبناء شيخ البحرين لكنه أهمل شكواهم ، وأخيراً وبطلب من شيخ لنجة تدخل المقيم البريطاني لتسوية القضية وتقرر اعتبار شيخ البحرين مسئولا عن هذا العمل . وزعم أهل قطر أن هذه الكمية من التمر قد اعطاها لهم صاحب القارب المنكوب طواعية كأجر لهم على إنقاذ القارب ، وأصروا جميعاً على التمسك بهذه الرواية ، وأقسموا على صحتها أيمان الطلاق ، بحضرة القاضي ، فأعيدت اليهم قيمة التعويضات التي تم الحصول عليها منهم .

الحالة في قطر أثناء الحرب الاهلية في البحرين ١٨٤٠-١٨٤٣ :

وسرعان ما أصبحت قطر بعد ذلك ميداناً للصراع الذي كان قائماً بين عبدالله بن أحمد ومحمد بن خليفة الشيخين المتنافسين في البحرين ، وقد وصفنا التطور العام لهذا الصراع في الجزء الخاص بتاريخ البحرين ، وبمجرد حدوث الصراع بين هؤلاء المشايخ في سنة ١٨٤٠ انسحب محمد -وهو الأصغر فيهما- الى قطر حيث أقام لنفسه حكماً هناك كان في بعض الأحيان أقوى من حكم عمه الكبير شيخ البحرين . وفي سنة ١٨٤٢ حين زار خالد - الأمير السابق للوهابيين - الشيخ عبد الله قادماً من

الدمام استقبله الشيخ الكبير في خور حسان بقطر حيث كان يقيم ، وفي هذه الأثناء عاد محمد إلى البحرين ، وبعدها بقليل حدثت الاشتباكات الفعلية بين الاقارب ، وكان اول ما عمله الشيخ عبدالله هو ان عبر المضيق مسرعاً ونزل الى البحرين ، واستطاع أن يطرد منها الشيخ محمد في يونيو التالي . ولا بد أن أهل خور حسان في قطر قد وقفوا إلى جانب الشيخ محمد في هذا الصراع لأن الشيخ المنتصر أباح القرية لنهب القراصنة . وربما بهدف القضاء على نفوذ الشيخ محمد —وكان يبدو أن له نفوذاً كبيراً في البر— اتخذ الشيخ عبدالله الخطوات اللازمة لإعادة احتلال القاعدة المهجورة في الزبارة . وسبق الشيخ محمد —الذي كان قد استقر في قطر منذ طرده من البحرين سنة ١٨٤٢— عمه الكبير فاستولى على حصن مرير بالقرب من الزبارة ، ولم يمض وقت طويل حتى كان قد استولى على الفويرط أيضاً ، وأكمل هجومه هذا بأن وجه حملة على جزيرة البحرين من الفويرط استطاعت أن تحقق النجاح في نهاية الأمر . وفي إبريل سنة ١٨٤٣ وعقب الاستيلاء على المحرق مباشرة اضطرت مفرزة قطرية كانت تحارب الى جانب الشيخ محمد إلى العودة مباشرة لقطر بسبب هجوم المناصير على أحيائهم ، لكن رحيلهم لم يضعف من قوة الشيخ محمد الذي كانت مكانته آنذاك في البحرين قد رسخت تماما.

الحالة في قطر أثناء استمرار الصراع بين شيخ البحرين القائم وشيخها السابق ١٨٤٣ — ١٨٤٩ :

وفي خريف سنة ١٨٤٣ نقل عيسى بن طريف حليف الشيخ محمد من آل بني علي مقر إقامته من جزيرة قيس الى الدوحة في قطر ، ورحبت السلطات البريطانية بهذا الانتقال لأنه نقل احتمال قيام الحرب الى ذلك الجانب من الخط المانع الذي يمكن ان يشبع على أرضه رغبته في القتال في ظروف معينة ، وأيضاً لأن انتقاله هذا قد انتزع الدوحة من أيدي شيخ قبيلة السودان التي كانت أدمنت القرصنة واشتغلت بها أكثر من اشتغالها بالحرب النظامية .

وفي سنة ١٨٤٤ أبحر الشيخ عبدالله شيخ البحرين السابق من نابند على ساحل إيران ليباغت عيسى بن طريف في الدوحة لكن محاولته باءت بالفشل واضطر للبحث عن مجال آخر لعملياته . وفي سنة ١٨٤٧ انتهى الصراع على مشيخة البحرين بمعركة حاسمة حدثت في البر بالقرب من فويرط في قطر ، وفي هذه المعركة قتل عيسى بن طريف -الذي كان قد غير موقفه وأصبح الدعامة الأساسية بين أنصار الشيخ عبدالله - وماتت معه آمال الشيخ السابق في استرداد المشيخة .

زيارة أمير الوهابيين لقطر سنة ١٨٥١ :

وفي أوائل سنة ١٨٥١ وصل فيصل بن تركي أمير الوهابيين -خلال رحلة كان يقوم بها في أقاليم حكمه- على بعد مرحلتين من الدوحة ، وأبدى أهل الدوحة وكذلك الوكرة والفويرط مباشرة عقب زيارته رغبتهم في التخلي عن ولائهم لشيخ البحرين والانضمام إلى رعايا الامبراطورية الوهابية ، لكن هدنة مواتية عقدت في يوليو سنة ١٨٥١ جنبت آل خليفة المخاطر التي كانوا معرضين لها بفقد أملاكهم في قطر كما فقدوا بالفعل الدمام على شاطىء الأحساء .

الوضع السياسي لقطر ١٨٦٦ - ١٨٦٧ :

وفي سنة ١٨٦٦ أفاد تقرير للرائد بيللي ، المقيم البريطاني في الخليج أقرته حكومة الهند لاحقاً سنة ١٨٦٧ بأن ولاء شيخ البحرين للوهابيين كان مقصوداً للمحافظة على أملاكه في قطر ، أما ضمن بلده في البحرين فكان الشيخ مستقلا عنهم كل الاستقلال . أما الجزية التي يدفعها شيخ البحرين للوهابيين كل سنة وقدرها أربعة آلاف روبية فهو ينظر اليها على أنها ضريبة لحماية رعاياه في قطر من هجوم أي قبيلة أخرى على البر . وفي وقت ما بين سنتي ١٨٥٢ و ١٨٦٦ يبدو أن أمير الوهابيين كان له ممثل في الدوحة ، ولكن من المحتمل أن وكيله هذا انما كان شيخاً من شيوخ قطر .

هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي على قطر وما تلاه من نتائج ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨

أسباب وملابسات الهجوم :

حدث هجوم غادر ومدمر على الدوحة والوكرة معاً في أكتوبر سنة ١٨٦٧ وهما الموقعان الرئيسيان على الساحل الشرقي لقطر واشترك في الهجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي معاً . وكان الدافع اليه من جانب شيخ البحرين رغبته في معاقبة الأهالي بسبب تمرّدهم ضدة وتجد تفصيل هذه الأحداث ضمن تاريخ البحرين . ولسنا بالتالي في حاجة الى ذكرها هنا . ويكفينا القول بأن مدينتي الدوحة والوكرة كانتا في نهاية سنة ١٨٦٧ قد ازيلتا تماماً من الوجود ولو إلى حين ، فهدمت المنازل وهجرها أهلها ، وقدرت الخسائر بمبلغ يزيد عن مائتي ألف روبية . وفي يونيو ١٨٦٨ — وبعدإخفاق القبائل المنكوبة في الحصول على ترضية عن طريق الاستغاثة بأمير الوهابيين شنت غارة انتقامية على البحرين لكنها لم تحقق نجاحاً محدداً .

التدخل البريطاني وما تبعه في الوكرة ١٨٦٨ :

وأدى تدخل السلطات البريطانية في الخليج —وبعد ان ارجىء لظروف خارجة عن سيطرتها— إلى نتائج حاسمة كما هو مبين في تاريخ البحرين . وكانت هذه النتائج أوضح ما تكون في البحرين . حيث عزل شيخ وولى آخر . لكنها امتدت أيضاً الى قطر التي زارها الكولونيل بيللي من البحرين مباشرة في أوائل سبتمبر سنة ١٨٦٨ تصحبه سفينة صاحبة الجلالة «فيجيلانت» والقارب المسلح « هيو روز » والباخرة « سند » . وفي الوكرة اجتمع المقيم العام بكبار الشيوخ فيقطر على ظهر سفينته ، وأبلغهم استياء الحكومة البريطانية الشديد من حملتهم على

البحرين ، وقال ان الحكومة تفهم حجتهم في أنها لم تكن سوى حملة انتقامية ، وتعتبر ذلك سبباً يهدىء من الاضطراب الذي اثارته الحملة ، وفي النهاية ، وكما ذكرنا في مكان آخر- أمكن الحصول على ترضية معقولة لهؤلاء من شيوخ البحرين وأبو ظبي .

اتفاقية مع محمد آل ثاني شيخ قطر ١٢ سبتمبر ١٨٦٨ :

وتوصلت بريطانيا الى عقد اتفاقية مع الشيخ محمد بن ثاني شيخ آل ثاني وأكثر رجال قطر كلها نفوذاً وهي مؤرخة في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٨ تعهد فيها بأن يعود الى الدوحة التي هجرها ، وان يقيم فيها في سلام ، وألا يرتكب أي عمل عدواني في البحر ، بل عليه أن يحيل كل الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بينه وبين جيرانه إلى المقيم البريطاني للفصل فيها ، وألا يساعد شيخ البحرين السابق ، بل عليه أن يسلمه للسلطات البريطانية لو وقع يوماً في قبضته ، وأخيراً أن يقيم مع الشيخ الجديد في البحرين نفس العلاقات التي كانت قائمة بينه وبين الشيوخ السابقين لهذه الجزر ، وأن يخضع لقرار المقيم البريطاني فيما يتعلق بأي خلاف في وجهات النظر يقوم حول مشاكل مثل الجزية ، وربما كان المقصود بالجزية هنا ذلك المبلغ الذي يدفعه شيخ البحرين كل سنة باسم قطر لامير الوهابيين . ونحن لا نعرف شيئاً عن الطريقة التي وصل بها آل ثاني إلى أن يكونوا أصحاب السيادة المطلقة في قطر سنة ١٨٦٨ ، وهم من المعاضيد ، وبالتالي من آل بني علي — قبيلة عيسى بن طريف .

اتفاقية تتعلق بجزية البحرين :

وبعدها عقد الشيخ محمد بن ثاني وشيوخ البدو في قطر اتفاقية جديدة ، أصبحت بمقتضاها أية جزية ، إن وجدت ، قابلة للدفع من قطر للبحرين تدفع عن طريق المقيمية البريطانية أيضاً ، ووجه كولونيل بيللي عقب

ذلك خطاباً إلى « كل الشيوخ في قطر .. » يبلغهم فيه هذه الاتفاقية ، ويحذرهم من ارتكاب أي عمل يؤدي إلى الإخلال بالسلم في البحار .

تعويض عن سرقة الرعايا البريطانيين :

وقبل ان يغادر المقيم العام الوكرة فطن إلى حادثة سرقة كان قد ارتكبها بعض الاهالي على ممتلكات بعض رعايا بريطانيا من الهنود المقيمين في البحرين ، فطلب من الشيوخ المسئولين دفع مبلغ ١٨ الف غران كتعويض ، وتمت الموافقة فوراً ، فدفع ثلث المبلغ المطلوب نقداً ، والثلثان في صك بضمان تاجر لؤلؤ ثري في لنجة وقدم الرائد بيللي حقيبة مليئة بحبات اللؤلؤ ضماناً من جانبه لدفع المبلغ على أن تسلم اليه حقيبته عند دفعه ، وبلغ ما حصل فعلا ١٨,٦٩٩ غران دفع منه ١٦,٢٠٠ غران لاثنين من أصحاب الشكاوى بعد ان قدما الادلة على صحة دعواهما



تاريخ قطر من هجوم شيوخ البحرين وأبو ظبي عليها في سنة ١٨٦٧ الى احتلال الاتراك للدوحة سنة ١٨٧١

خلال السنوات الاربع التالية على هذه الغارة الكبيرة التي شنها شيوخ البحرين وأبو ظبي على قطر ، ظلت الحالة السياسية فيها كما هي دون تغيير ، ولم يحدث بها حادثة مهمة تستحق الذكر .

★ ★ ★

التاريخ العام في قطر من احتلال الاتراك للدوحة الى التمرد على سلطة تركيا ١٨٧١ ـ ١٨٩٣

احتلال تركيا للدوحة ١٨٧١ ـ ١٨٧٢ :

في يوليو سنة ١٨٧١ ــ ولم يكد يمضي شهر على احتلال الأتراك للقطيف ــ ارسل قائد القوات التركية حملة يقودها شيخ الكويت الى

الدوحة في قطر ، وهناك استطاعت اقناع جاسم بن محمد بن ثاني شيخ الدوحة وأكثر الرجال في قطر نفوذاً بقبول رفع العلم التركي . وكان والده الشيخ الكبير في ذلك الوقت قد شاخ وأعوزه الحزم — فلم يوافق على هذه الخطوة ، واستمر يرفع العلم العربي على بيته زمناً ما . وحين وصلت هذه الأخبار الى الرائد بيللي — المقيم السياسي في الخليج — بادر بإرسال مساعده ميجور جرانت على سفينة صاحبة الجلالة « ماجباى » الى الدوحة حيث وجد حالة الامور فيها كما ذكرنا . وقد قدم الشيخ تبريراً لخضوعه للاتراك أنه يعيش في البر ، وتركيا قوة برية عظيمة ، هذا الى جانب أن الحكومة البريطانية قد أخفقت في تحقيق العدالة لرعاياه في غير حادثة واحدة من حوادث القرصنة . وفي نفس الوقت حاول الكولونيل بيللي التأكد مما اذا كانت الحكومة التركية هي التي أمرت باتخاذ هذه الاجراءات في الدوحة أم لا ، فاتصل تلغرافياً بالرائد نيل هربرت المقيم البريطاني في بغداد ، ورد هذا عليه —نقلا عن والى بغداد— بأنه لا يعرف شيئاً عما اذا كانت الحكومة التركية قد أمرت بارسال اعلامها الى قطر أو لم تأمر ، لكن الوالي أضاف أيضاً زعمه أن تأكيد تركيا بعدم التدخل في شئون البحرين أمر لا يشمل قطر . وفي أغسطس .. وفي نفس الوقت الذي كان الاتراك فيه قد تملكوا واحات الاحساء — أصبحت قطر قاعدة لحشود قبائل البدو الرحل التي بدأت تضايق القوات العثمانية من الغرب ، وبعدها بشهرين او ثلاثة تراجع سعود أمير الوهابيين بنفسه ومعه حشد كبير من البدو الى قطر وزعموا ان على أهالي المنطقة المقيمين فيها إمدادهم بما يحتاجون ، وإلا فستنهب أملاكهم . وخلال هذه الأزمة أرسل المقيم العام في الخليج إنذاراً الى رعايا الهند البريطانية في قطر ، يحملهم فيه نتيجة المغامرة ببقائهم حيث هم . وفي يناير سنة ١٨٧٢ جاءت قوة تركية يصحبها عبدالله بن الصباح شيخ الكويت على الباخرة التركية « آشور » وغيرها لزيارة الدوحة . ونزلت إلى البر بين سخط الشيوخ والأهالي قوة تركية قوامها مئة جندي مزودين بمدفع من

مدافع الميدان الكبيرة ، وأقامت هذه الحامية في قلعة آل مسلم واكتمل احتلال الاتراك للدوحة ، ويبدو ان هذه الاجراءات جميعاً اتخذت بأمر مدحت باشا نفسه الذي قام بزيارة الاحساء في نهاية سنة ١٨٧١ استجابة لطلب قدم اليه من مشايخ الدوحة بحمايتهم من بدو سعود أمير الوهابيين .

سحب القوات النظامية التركية ١٨٧٣ :

وفي سنة ١٨٧٣ يبدو ان تركيا قد سحبت قواتها النظامية التي كانت في الدوحة ، وأبدلتها بثلاثين رجلا من رجال الضبطية أو الشرطة .

الحالة الداخلية ١٨٧٤ :

وباستثناء التدخل في شئون قطر الداخلية ، خاصة حكم مدينة الدوحة وضواحيها القريبة ، لم يكن لوجود الموقع التركي فيها أي أثر ، وظلت العلاقات القبلية في قطر كما كانت من قبل ، وظل شيوخ آل ثاني في الدوحة هم أقوى العناصر في الحياة السياسية .

سنة ١٨٧٤ :

وفي سنة ١٨٧٤ حدث قتال بالقرب من الزبارة بين بني نعيم وبني هاجر هزم فيه بنو هاجر . وفي نفس السنة اتهم الشيخ جاسم من شيوخ الدوحة بني هاجر بارتكاب عملية قرصنة بالقرب من خور شقيق على قارب لتاجر اسمه عبدالكريم من البحرين ، وقد نهبوا نقوداً للشيخ جاسم تزيد على الفي روبية عدا عن بضائع رعايا من الهند البريطانية ، وقام القارب التركي المسلح « اسكندرية » بجولة على طول الساحل لتحري عدوان بني هاجر ، وكشفت نتيجة هذا التحري عن أن الشيخ جاسما نفسه يتحمل قسطاً من اللوم على اضطراب حبل الأمن .

سنة ١٨٧٥ :

وقد وجد الملازم فريزر ، مساعد المقيم الذي زار الدوحة في

سنة ١٨٧٥ بناء على تكليف من حكومته أن شيوخ آل ثاني الذين رحبوا بالاحتلال التركي في البداية كوسيلة لمناوأة سيطرة بريطانيا على شئون البحر قد أصبحوا الآن ضائقين كل الضيق بهذا الاحتلال ، لكنهم يخفون ضيقهم به خشية نفيهم إلى القسطينطينية. وكان ممثل تركيا — قاسم آغا — رغم ضآلة قواته التي لا تزيد عن خمسين رجلا من رجال الشرطة مصراً على ان يستشيره الشيوخ في كل كبيرة وصغيرة ، إضافة لما كان يحصّله من مبالغ كثيرة من أموال أهل الدوحة .

سنة ١٨٧٦ :

وفي خريف سنة ١٨٧٦ كان الكابتن جثري قائد سفينة صاحبة الجلالة « ماي فرير » في مهمة في الدوحة للتحقيق في حادث قرصنة ومن هناك عرف معلومات هامة هي أن مدينة الدوحة تدفع كل سنة مبلغاً يتراوح بين ٩ آلاف و ١٠ آلاف غران كعوائد للحكومة التركية ، وأن هذا المبلغ لم يكن كافياً لتغطية نفقات الحامية التركية الصغيرة التي كانت تقوم بأعمال الشرطة لا بمهمات عسكرية . وكانت أخطر أحداث القرصنة التي حدثت في قطر هذه السنة حادثة وقعت في الدوحة بالقرب من بيت الشيخ جاسم نفسه ، حين داهم سبعة من بني هاجر سفينة تابعة لأبو ظبي في الليل وبحارتها نائمون ، فقتلوا اثنين منهم ، وأسروا عبداً وحملوا كمية كبيرة من البضائع ، وقدرت الخسائر كلها بمبلغ ٢٦٧٩ روبية ، ولكن لم يمكن تحصيلها رغم أن الحكومة البريطانية قدمت مذكرة بهذا الموضوع الى الباب العالي . وفي نفس السنة عينت تركيا الشيخ جاسم ليكون قائمقاماً — أو نائباً للحاكم في قطر ، وبعدها لم يعد لأبيه الشيخ محمد بن ثاني الذي كان أميل للتفاهم مع بريطانيا منه مع تركيا صوت في الحياة العامة حتى مات بعدها بسنتين في ١٨٧٨ .

١٨٧٩ — ١٨٨١ :

وفي مايو سنة ١٨٧٩ ، جاء متصرف الاحساء الى الدوحة على ظهر

السفينة « اسكندرية » وقابل عدداً من المسئولين فيها بينهم الشيخ جاسم الذي سبق أن عينه حاكماً لمدينة الدوحة ، وفي نوفمبر من نفس السنة حدثت عملية هجرة ضخمة قام بها آل بوكواره المقيمون في الدوحة الى الفويرط ، وقيل أنها نتيجة الغيرة من وضع الشيخ جاسم الجديد ، وتردد أيضاً أنها بايعاز من شيخ البحرين ، وأسرعت السفن المسلحة التركية والبريطانية إلى الساحل لتتحرى الأمر .

وفي سنة ١٨٨٠ نهب القرصان زايد بن محمد من بني هاجر قارب لؤلؤ للشيخ جاسم ، كذلك استولى على سفينة للوكرة ، وقام المناصير والعوامر بغارات متكررة بالقرب من الدوحة . وفي سنة ١٨٨١ لحق بعض بني نعيم بآل بوكواره في الفويرط ، وحمل أفراد قبيلة عجمان معهم ٤٥٠ بعيراً من قطر . وفي ديسمبر سنة ١٨٨١ نزل الشيخ احمد ـ شقيق شيخ البحرين ـ على الساحل الغربي لقطر بهدف الرياضة فقط ومعه حوالي مائتين من الاتباع ، وأرسل الشيخ جاسم مبعوثاً عنه من الدوحة للترحيب بالشيخ أحمد ودعوته إلى الاستراحة قليلا في داخل البلاد ، لكن الشيخ أحمد أصر على أن يأتي الشيخ جاسم بنفسه اليه كي يحييه ويرحب به حيث هو ، ونفذت أوامره هذه ، وبعدها اصطحب شيخ الدوحة إلى معسكره ، وكانت الحامية التركية الموجودة في الدوحة وقتئذ ـ بما فيها من رجال الجاندرمه أيضاً ـ تبلغ ١٣٠ رجلا .

١٨٨٤ :

وفي إبريل ١٨٨٤ أغار بدو بني هاجر على ساحل قطر ، وقتل في هذه الإغارة أحد أبناء شيخ الوكرة ، وفي الشهر التالي بدأ الشيخ جاسم يعد حملة بحرية على بني هاجر في البحرين . وتقدم إلى المسئولين البريطانيين مؤكداً أنه حصل على موافقة الحكومة التركية وهو ايضاً بحاجة لموافقة السلطات البريطانية على هذا العمل .. لكن طلبه رفض ، فتخلى بدوره عن رغبته في الشغب . وفي يوليو التقت قبيلة عجمان ، وكانت لا تفتأ تهدد سكان الدوحة بحيث منعتهم تماماً من الخروج لصيد

اللؤلؤ ، بفرقة من أعدائهم المناصير بالقرب من آبار بانيان في صحراء جافورة وهزمت في هذا القتال وتكبدت خسائر جسيمة وهي نتيجة سر لها الشيخ جاسم سروراً عظيماً ، وفي هذا القتال انقسم آل مرة وبنو هاجر فقاتل بعضهم ضد بعض .

سنة ١٨٨٥ :

وفي إبريل ١٨٨٥ أغرق أهل الفويرط قارباً لاهل الوكرة ونهبوا ما فيه . وفي أكتوبر من نفس السنة هاجر أكثر من مائة شخص من الوكرة على عشرة قوارب إلى الغارية بعد شجار مع الشيخ جاسم الذي قام في ديسمبر بهجوم على الغارية وقتل اربعة من أهلها . وخلال هذه السنة أيضاً قام القارب التركي المسلح « المريخ » بجولة على طول الساحل .

المنافسة بين الشيخ جاسم ومحمد بن عبدالوهاب١٨٨٦–١٨٨٧ :

وفي العام التالي ظهر منافس للشيخ جاسم في السيادة على قطر وهو محمد بن عبدالوهاب ، وهو من الرعوية التركية وإن كان ابن وزير البحرين ، وكان زعيم الغارية . ويبدو انه كان متآمراً مع الاتراك لإزاحة الشيخ جاسم عن قائمقامية قطر ، واقترح الضابط المسئول عن القارب التركي المسلح أن يسمح لاهل الغارية بالإقامة في سلام تحت حكم محمد بن عبدالوهاب ، وأسخط هذا الاقتراح الشيخ جاسم حتى قام مرة أخرى بهجوم على هذا المكان لكنه مني بالفشل .

وسافر محمد إلى الإحساء – بعد ان اقترح إقامة دار تركية منظمة للعوائد في الدوحة– ثم عاد في مايو ومعه خمسون رجلا من رجال الضبطية قيل إن ثلاثين منهم سيتخذون موقعهم في الغارية . وغضب الشيخ جاسم لهذه الإجراءات غضباً شديداً وهدد بأن ينسحب من الدوحة ، ويبدأ هجومه على محمد بن عبدالوهاب .. ولكن تم التوصل إلى إتفاقية في يوليو من نفس السنة . وفي شتاء سنة ١٨٨٦ – ١٨٨٧ قام محمد الذي ظل محافظاً على مراسلات منتظمة بالمسئولين الأتراك في الأحساء والعراق

بزيارة للبحرين ، والتقى هناك بأهل الغارية وأقام بموافقة من الاتراك على ما يبدو في دارين بجزيرة تاروت ، وأصبحت الغارية مهجورة من السكان تقريباً .

الاضطرابات ١٨٨٧ :

وتميز العام التالي باضطراب شديد في قطر . فقد ظن الشيخ جاسم – الذي كان يخشى إقامة دار منظمة للعوائد التركية في قطر والذي كان بوجه عام على علاقات سيئة بالأتراك– أن أفضل طريقة لمقاومة خطط الأتراك هي أن يقضي على أهمية الدوحة ، وبدأ بالفعل يخصص جهده كله لإتمام هذا الغرض ، فانسحب إلى الظعاين ، وأعلن أنه قد قطع كل علاقة له بالدوحة ، وأنه لم يعد مسئولا بعد عن أمور قطر التي يتركها مستقبلا « بين يدي الله ومن بعده الحكومة التركية » . وعمت الاضطرابات –التي يحتمل ان تكون بايعاز من الشيخ جاسم– الدوحة وضواحيها ، وفي يونيو أو يوليو من هذه السنة قام بدو بني هاجر بنهب سوق الدوحة ، وكان معظم من لحقت بهم الخسارة هذه المرة بعض التجار الايرانيين ممن يسخط عليهم الشيخ جاسم . وفي أغسطس امتد هذا الاذى إلى الرعايا البريطانيين باتخاذ الإجراءات التي سنأتي على ذكرها ، وفي منتصف أكتوبر من نفس السنة آب كل شيء إلى هدوء في قطر .

زيارة والي البصرة للدوحة – وإعادة وضع حامية عسكرية تركية فيها ١٨٨٨ :

استهلت سنة ١٨٨٨ بزيارة قام بها نافذ باشا والي البصرة للدوحة ، والتقى أثناء زيارته بالشيخ جاسم ووعده بلقب ووسام ، وأنشيء في الدوحة مخزن للفحم ، وبعدها بقليل وضعت حامية تركية قوامها سريّة من جنود المشاه –أو ٢٥٠ جندياً– في الدوحة ورسا زورق بخاري تركي في مينائها . وقد تكون هذه الاجراءات راجعة لاحتجاجات الحكومة البريطانية على أعمال القرصنة في المياه التركية ، أو للاضطرابات

التي شهدتها الدوحة في العام السابق ، لكن السلطات البريطانية اشتبهت في كونها بداية تقدم الاتراك باتجاه عمان ، وكانت سيطرة أمير حائل على حاكم الوهابيين في الرياض أيضاً توحي بتقدم سياسة تركيا في شبه الجزيرة.

محاولة الاتراك إحكام قبضتهم على قطر ١٨٨٩ ــ ١٨٩١

وفي يوليو سنة ١٨٨٩ قام عاكف بك متصرف الإحساء بزيارة للدوحة ، ربما كانت ترتبط بمشروع ــقد يكون هو الذي وضعهــ لاقامة ادارة تركية مباشرة في قطر . وكان لقاؤه الأول بالشيخ جاسم ــ في دار محمد بن عبدالوهابــ لقاء لا يخلو من الخطر ، ففي الوقت الذي لم يكن يصحب المتصرف فيه سوى حرسه الشخصي ، ظهر الشيخ جاسم على رأس أكثر من ٦٠٠ رجل مسلح من المشاة ، عدا ستين أو سبعين من راكبي الخيل والجمال ، ومعظمهم مسلح ببنادق حديثة ، وتبع ذلك لقاء آخر أكثر سرية اقترح فيه المتصرف إقامة إدارة تركية منظمة ودار للعوائد ، لكن الشيخ جاسماً عارض هذا الاقتراح معارضة عنيفة ، وأصر على أن يقدم استقالة كتابية من قائمقامية قطر .

وفي العام التالي عرفت اقتراحات عاكف بك لإصلاح الحكم في قطر بشيء من التفصيل ، فقد اوصى بأن يعين وكيل للقائمقامية مع الشيخ جاسم نظراً لكثرة تغيبه ، وان يقام مبنى حكومي في الدوحة ، وان توضع بها قوة من الفرسان وأخرى من المشاة ، وأن تحصل الضرائب من تجار اللؤلؤ وغيرهم من التجار ، وان يعين مدير للميناء مسئول عن تحصيل العوائد من سفن الاهالي ، ويجب ان تفتح مكاتب بريدية في الزبارة والعديد ، وان تسير سفينتان بخاريتان بشكل منتظم بين الدوحة والعقير والقطيف ، وان يقام مسجد في العقير . وفي خريف سنة ١٨٩٠ وصل إلي البحرين من البصرة مديرا الناحية التركيان اللذان عينا لمديريتي الزبارة والعديد لكنهما لم يستلما وظفتيهما بالفعل ، ويبدو ان العقدة نشأت عن

رحيل عاكف بك فجأة عن الأحساء في اجازة مرضية في أوائل سنة ١٨٩١ .

وفي نفس الوقت أي في سنة ١٨٩٠ أذاع الشيخ جاسم بأن حكم قطر قد انتقل من بين يديه إلى أيدي المسئولين الأتراك ، لكن والي البصرة لم يقبل هذه الاستقالة ونصحه في اوائل سنة ١٨٩١ بالمضي في تأدية واجباته بحماسه .

القرصنة واحداث شتى ١٨٨٩ – ١٨٩٢ :

وفي ١٨٨٩ ارتكب بنو هاجر عملية قرصنة صحبتها خسائر في الارواح على سفينة تابعة للبحرين خارج ساحل قطر ، واستطاع الشيخ جاسم استعادة المسروقات لكنه فشل في القاء القبض على المعتدين . وفي ١٨٩٠ منع آل مرة –بأمر من متصرف الأحساء– من دخول الدوحة ، وفي بداية ١٨٩١ حدث قتال بين عجمان من ناحية وآل مرة وبني هاجر والمناصير من الناحية الأخرى . وخلال موسم اللؤلؤ استولى بعض من بني هاجر على سفينة في الوكرة ، وحملوا ستة قوارب للقبيسات من بني ياس في جزيرة مجاورة ، وحين عم السخط بسبب هذه الحادثة أعلن الشيخ جاسم أنه لا يستطيع تقديم ترضية عنها . وفي سنة ١٨٩٢ حدثت عمليات اضطراب خطيرة في البحار ، فقد تم الاستيلاء على قارب بجوار الوكرة ، ثم سحب بعيداً ، وترك بالقرب من الزبارة ، كما هوجم قارب آخر للشيخ جاسم بالقرب من الظعاين وحمل بعيداً بما فيه من لؤلؤ بعد ان قتل اثنان من بحارته وجرح واحد . ومرة أخرى هوجم قارب ايراني من جازه في شبكوه بالقرب من الوكرة ، وقتل عشرة من بحارته وجرح ثلاثة عشر وتم الاستيلاء على كمية من اللآلىء كانت فيه ، واخيراً تم الاستيلاء على قارب من قوارب اللؤلؤ

لأناس من الشارقة ونقل إلى خور شقيق لكن الشيخ جاسماً استطاع استعادته وأطلق سراح بعض من كان سجنهم بسبب الحادث نزولا عند شفاعة رجالات من البلد . هذا وكان الأمير عبد الرحمن الوهابي المنفى من نجد يقيم في حماية الشيخ جاسم خلال المدة من أغسطس الى نوفمبر عام ١٨٧٢ .



العلاقات البريطانية مع قطر خلال نفس المدة
١٨٧٢ ـ ١٨٩٣

حادثة قرصنة وشكاوى من الابتزاز ١٨٧٤ :

أشرنا فيما سبق الى حادثة القرصنة التي ارتكبها بنو هاجر في صيف سنة ١٨٧٤ بالقرب من خور شقيق على قارب لتاجر من البحرين اسمه عبدالكريم ، وذكرنا أيضاً ان بعض خسائر الحادثة وقعت على بعض رعايا الهند البريطانية فضلا عن الشيخ جاسم نفسه . وقد اتخذ الشيخ من جانبه اجراءات حازمة عوضت خسارته هو ، لكن مضت سنة كاملة دون ان يقدم للرعايا أي تعويض . وفي سنة ١٨٧٥ استطاع الرائد روس المقيم السياسي البريطاني الحصول لهم على تعويضات بعد ان ارسل مساعده الثاني — الرئيس فريزر — ليسوي هذه المسألة مع الشيخ محمد بن ثاني

وفي نفس الوقت تسلمت السلطات البريطانية التماساً من رعايا الهند البريطانية في الدوحة يشكون فيها من ابتزاز الشيخ أموالهم ويعربون عن الرغبة في مغادرة البلدة . ولكن ثبت أن ما يشكو منه هؤلاء التجار لم يكن سوى الضرائب المعتادة التي تجبى منهم لحمايتهم ورد المقيم العام على أصحاب الالتماس —بتعليمات من حكومة الهند— بأنهم أحرار في أن يغادروا المكان او يظلوا فيه . لكنهم إن ظلوا فيه فعليهم الخضوع لقوانينه ونظامه الضريبي .

تشدّد الأتراك في معاملة سفينة بريطانية ١٨٦٧ :

وقد لقي القبطان جوثري قائد سفينة صاحبة الجلالة « ماي فرير » شيئاً من الفظاظة أثناء زيارته للدوحة في سنة ١٨٧٦ من المسئولين عن الموقع التركي فيها . فقد تجمعوا وراءه أثناء خروجه من الميناء الى سفينته يصيحون به إن الدوحة ميناء تابع لتركيا . وان عليه ان يغادره قبل غروب الشمس . وقد حرص جوثري كما روى بعض من شهدوا الحادثة على أن يبقى في الدوحة اربعاً وعشرين ساعة أخرى رغم التهديدات التركية .

سوء معاملة التجار الهنود ١٨٧٦– ١٨٧٩ :

وفي سنة ١٨٧٦ استغل الشيخ جاسم الذي كان عين مؤخراً قائمقاماً لقطر من قبل الحكومة التركية فصب جام غضبه على تشيلا وراما وهما تاجران من رعايا الهند البريطانية من الذين حصل لهم كابتن فريزر على تعويضات في العام السابق ، فدبر استدعاءهما إلى عاصمة الإحساء البعيدة، الهفوف ، وزعم ان نفيهما إلى هناك كان أمراً تستدعيه الضرورة .

وفي سنة ١٨٧٩ وقعت حادثة جديدة ، فقد اعتدى المسئول التركي في الدوحة على تاجر هندي بالضرب وسوء المعاملة لاتهامه بأنه يصدر تموراً ، ولم يكن معروفاً أن هذه جريمة يعاقب عليها . ورغم توصية حكومة الهند لحكومة صاحبة الجلالة بضرورة المطالبة بتعويض للتاجرين الهنديين تشيلا وراما فان حادثة ١٨٧٦ الأسبق من ذلك لم تكن سويت. وبالنظر لتأثير مثل هذه الاحداث تأثيراً سيئاً على سمعة بريطانيا في الخليج كان الرائد روس ميالاً للتوصية بسحب جميع الرعايا البريطانيين من الدوحة . لكن حكومة الهند رأت من الافضل الضغط من أجل تنحية المسئول التركي في الدوحة شخصياً – وهو محمد آغا – واستطاعت التوصل الى ذلك أخيراً .

إنذار موجه لشيوخ قطر ومحادثات مع تركيا ١٨٧٩–١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٧٩ أصدر المقيم العام انذاراً لشيوخ قطر بألا يرتبطوا بقراصنة بني هاجر ممن كانوا في ذلك الوقت يحدثون اضطراباً كبيراً على طول الساحل العربي . وقد سلم هذا الانذار إليهم الكابتن وود روف يصحبه وكيل المقيمية في البحرين وذلك عقب حادثة ارتكبها قرصان بني هاجر زايد بن محمد حين استولى على سفينتين للمهاندة في خور شقيق ، واستخدمهما لنهب سفينة صيد كانت راسية خارج رأس لفان وبلغت قيمة الخسائر أكثر من الفي غران بالإضافة إلى قتل واحد من البحارة .

ويجب أن نلاحظ هنا أنه في مارس سنة ١٨٨١ ادعى الشيخ جاسم للمقيم البريطاني بأن سلطته لا تمتد إلى كل ساحل قطر وأنه مسئول فقط عن الدوحة والوكرة حسب اتفاقية سنة ١٨٦٨ ، وطلب بالتالي ان يرغم أهل الموانى الاخرى كالفويرط والرويس على الهجرة والاستقرار في إقليمه وبعدها يصبح مسئولا عن سلوكهم .

وتبعت ذلك محادثات مع الباب العالي بشأن حوادث القرصنة على الساحل العربي عامة ، واستمرت دائرة من سنة ١٨٧٩ الى ١٨٨١ كما هو مذكور بالتفصيل في تاريخ الاحساء .

مشكلة التعامل مع شيوخ الدوحة والعلاقات السياسية معهم ١٨٨١ — ١٨٨٢ :

وفي سنة ١٨٨١ ثار التساؤل حول مدى استطاعة الحكومة البريطانية التدخل في شئون قطر بمناسبة تهديد ناصر بن مبارك بغزو البحرين بمساعدة الشيخ جاسم في الدوحة ، ثم ثانياً بسبب مشروعات الشيخ جاسم نفسه في القيام بعمل بحري ضد قبيلة عجمان بالقرب من القطيف وضد فرع القبيسات من بني ياس وفي سائر هذه الحالات نصحت السلطات البريطانية في الخليج للشيخ جاسم بأن يتوقف عن نشاطه فأخذ بنصيحتها . لكن حكومة الهند كانت ترى أن الاتفاقية التي عقدت سنة ١٨٦٨ مع والد الشيخ جاسم والتي تعهد بمقتضاها بألا يثير الاضطراب في البحر إنما هي اتفاقية ذات طابع شخصي إلى حد كبير ، ولذلك لا يمكن اعتبارها ملزمة للشيخ جاسم وقد رفعت الأمر الى حكومة صاحبة الجلالة التي ردت في اوائل سنة ١٨٨٢ بأن الشيخ — وان يكن قد ارتضى لنفسه التبعية للعثمانيين على البر — فانه يجب تشجيعه على اقامة علاقة وثيقة ومباشرة مع المسئولين في حكومة الهند وان يرجع اليهم — الى الحد الذي يرغب فيه —

في كل الامور التي تتعلق بالأمن في البحار . وفيما يتعلق بما يجب ان يحدث في حالة قيام شيخ الدوحة او غيره من الشيوخ الذين في مكانته بعمل عدائي في البحر دون إشارة بذلك للمقيم العام ، أو إهمال لتحذير صدر منه — فقد قصرت حكومة صاحبة الجلالة في تقديم نصائح ا و تعليمات دقيقة وبقي على حكومة الهند ان تقرر ، وفق ما تقتضيه الضرورة ، ما اذا كان يتعين استخدام القوة ، في كل حالة من تلك الحالات بذاتها أم لا .

وقد أبلغ الباب العالي في يوليو سنة ١٨٨١ —في نهاية المفاوضات التي أشرنا اليها في الفقرة السابقة— بأنه ما دام العثمانيون يرفضون الموافقة على سياسة مشتركة في البحر ، فان حكومة صاحبة الجلالة مضطرة لان تتكفل وحدها « بحرية مطلقة ودون إشارة لمزاعم السلطان بالفصل في كل المنازعات الإقليمية في هذه المياه .. » ، وخولت لقادة السفن البريطانية التي تطوف بالخليج سلطة العمل حسب مقتضيات الضرورة لمنع اضطراب السلم في البحار او عقاب مرتكبي هذا الاضطراب وان يتجنبوا —بقدر الامكان— إثارة مشاكل لا داعي لها مع السلطات التركية في المكان الذي قد توجد به هذه السلطات ، وان يتجنبوا ايضاً بقدر الامكان الاقتراب من حدود الارض التابعة للسلطان، على أن تسري هذه التعليمات أيضاً على الساحل شمالي العديد .

وعد الشيخ جاسم بالالتزام باتفاقية سنة ١٨٦٨ :

وحوالي نفس الوقت تقريباً ، اقترح الرائد روس المقيم السياسي البريطاني ان يرغم الشيخ جاسم —الذي ظل خلقه وسلوكه كما كان دائماً— على الاعتراف الكتابي بصحة الاتفاقية التي عقدت مع أبيه في سنة ١٨٦٨ ، لكن حكومة الهند — التي كانت تخشى أن تؤدي هذه الاعمال لإثارة مشاكل مع الحكومة التركية— أمرت بأن مجرد الضمان الشفوي يكفي . وقد تم هذا بالفعل ، وتجدد بالتالي التزام الشيخ جاسم بأن يحافظ على السلم

في البحر ، وان يرفع كل الخلافات التي تقوم بينه وبين جيرانه إلى المقيم البريطاني ، ووضح لوقت ما أن هذه الالتزامات كانت لها آثارها في كبح جماح ذلك الشيخ العنيد الصعب المراس .

طرد تجار الهند البريطانية من الدوحة وما عمله البريطانيون بعدها ١٨٨١ – ١٨٨٣ :

وفي أكتوبر سنة ١٨٨١ بدأ الشيخ جاسم يضايق تجار الهند البريطانية لأن أعمالهم في تجارة اللؤلؤ كانت تتدخل في أعماله هو ، وقد صمم بالتالي على أن يجردهم من كل مكانة أو حماية ، لكن زيارة لسفينة صاحبة الجلالة « وود لارك » قامت بها للدوحة وضعت الامور في نصابها زمناً ما ، غير أن الشيخ عاد اخيراً في سنة ١٨٨٢ فأغلق محلات التجار الهنود بالقوة وارغمهم على مغادرة الدوحة ، وقدم اسباباً غير حقيقية لعمله هذا . وفي مايو سنة ١٨٨٢ أرسل مساعد من المقيمية البريطانية الى الشيخ جاسم ومعه خطاب إنذار له بحمله المسئولية كاملة عن كل الخسائر التي لحقت برعايا الهند البريطانية . لكنه كان متحجر القلب فلم يأبه بشيء . وفي نوفمبر ١٨٨٢ قام وكيل موثوق به من المقيمية البريطانية بزيارة الدوحة على سفينة صاحبة الجلالة « وود لارك » وقدم طلباً للتعويض باسم هؤلاء التجار .. وللمرة الثانية أهمل الشيخ جاسم مطالبه . واخيراً .. في ديسمبر ١٨٨٢ ، وبعد استصدار اذن حكومة صاحبة الجلالة ، قام الرائد روس المقيم البريطاني في الخليج بنفسه بزيارة الدوحة على سفينتي صاحبة الجلالة « وود لارك » و « العربي » ، وأصر –في وجه هذه العدائية المتكررة– بأن يقدم الشيخ جاسم اعتذاره للحكومة البريطانية ، ويدفع التعويض لتجار الهند البريطانية ، ويسمح لهم بالعودة للاستقرار في الدوحة . ووجد الشيخ جاسم نفسه مرغماً على قبول تلك المطالب ، وتم بالفعل تحصيل مبلغ ٨ آلاف روبية دفعت للتجار الهنود الذين كانوا قد لجأوا إلى البحرين .

احتجاج الباب العالي على أعمال بريطانيا ١٨٨٣ :

وبمجرد ان عرف الباب العالي بأمر التحصيل المباشر لتعويض الخسائر ممن يسميه قائمقامه بعمل من جانب البحرية البريطانية في الدوحة ، تقدم باحتجاج الى سفير الحكومة البريطانية في القسطنطينية ورفع الامر الى حكومة صاحبة الجلالة . ويبدو ان الشيخ جاسم كان قد نقل ما حدث إلى السلطات التركية مع بعض المبالغة ، كما هدد بالاستقالة من القائمقامية إذا لم يسترد مبلغ الثمانية آلاف روبية الذي دفعه . وصدرت التعليمات لسفير الحكومة البريطانية بأن يحاول — في البداية — المراوغة من مناقشة هذا الموضوع . واذا تعذر ذلك فعليه أن يذكر بوضوح أن الحكومة البريطانية لا تعترف لتركيا بأي حق من حقوق السيادة على ساحل قطر . وأخيراً ، والمشكلة ما تزال قائمة ، أبلغ لورد جرانفيل سفير تركيا في لندن — كتابة — « أن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بزعم تركيا في حقوق السيادة على ساحل قطر » .

وباستثناء هذا التبليغ ، فقد أبلغ السفير التركي مرة أخرى وبوضوح لا يقبل شكاً — في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨٣ — بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع قبول مزاعم تركيا ، وليست أيضاً مستعدة لأن تنتقص حقاً واحداً من حقوقها التي مارستها زمناً طويلا في قطر ، والتعامل مباشرة مع شيوخ العرب على ساحلها لمراقبة الأمن في البحار ، ولتحصيل التعويض عن الاضرار التي قد تلحق برعايا بريطانيا او من هم تحت حمايتها .

سوء معاملة الهنود مرة أخرى ، وعمليات قرصنة جديدة ١٨٨٣ — ١٨٨٦ :

وبعد اتفاقية سنة ١٨٨٢ ، رجع خمسة من التجار الهنود الذين طردوا من قبل إلى الدوحة لكن إقامتهم ظلت غير مرغوب فيها بسبب نوايا الشيخ جاسم العدائية نحوهم ، وفي سنة ١٨٨٦ ، وبعد أن اتخذ الشيخ جاسم كل الاحتياطات التي يستطيع بها التنصل من مسؤولية ما

يحدث ، انتقل الشيخ موقتاً من الدوحة إلى العديد ، وبعدها مباشرة هاجم بدو بني هاجر التجار الهنود وجرحوا منهم اثنين جراحاً غير خطيرة ، وارسل مساعد المقيم البريطاني –خان بهادور عبدالرحمن حكيم– لبحث الحادثة وذكر انه وجد من الأدلة ما يشير الى ان هذه الحادثة متعمدة ومدبرة من جانب الشيخ جاسم وابنه الذي تركه مسئولا عن الدوحة ، وأن الهدف منها ارغام التجار الهنود على هجر الدوحة والخلاص بالتالي من منافستهم التجارية. واخيراً ذكر المقيم أن الشيخ جاسم أنكر بشدة اشتراكه في هذه الجريمة وأبدى اعتذاره لوقوعها ، وبأمر من حكومة الهند ، قبل إنكاره واعتذاره ، وانتهى الموضوع .

وفي خريف سنة ١٨٨٦ ، ارتكب بعض بني هاجر عدداً من حوادث القرصنة الصغيرة على ساحل قطر ، وارسل وكيل المقيمية على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » ليقابل المسئول عن الساحل ، ونجح في الحصول منه على ضمان بالتعاون مع الحكومة البريطانية ، وكان جزء من هذا الضمان كتابياً .

هجوم متعمد على تجار الهند البريطانية في الدوحة ، وما قامت به السلطات البريطانية بعد ذلك ١٨٨٧ :

وفي سنة ١٨٨٧ ، وبعد أن انسحب الشيخ جاسم من الدوحة لخلاف بينه وبين الاتراك ، سادت الفوضى في المدينة وقتاً ما ، وربما بتحريض الشيخ نفسه وهو في المكان الذي انسحب اليه . وفي بداية هذه الاضطرابات قام أقارب الشيخ في الدوحة بحماية التجار الهنود. ولكن في أول أغسطس هاجم بعض الأعراب تاجرين هنديين عمداً وأصابوهما بجراح ، وبدأت عمليات القرصنة أيضاً على طول الساحل ، فوقعت ست حوادث في زمن قصير ، وكان شيخ البحرين وعدد من رعاياه بين ضحايا هذه العمليات ، وطالب هذا ان يقوم بعمل حازم من جانبه رداً على هذه الاعتداءات .. لكن المقيم العام نصحه –بدلاً من ذلك– بمصادرة

أموال الشيخ جاسم من اللؤلؤ وغيره في البحرين — وقيمتها تتجاوز ٢٠ الف روبية— وتم بالفعل احتجاز هذه الاموال . وفي نفس هذا الوقت جرى ترحيل رعايا الهند البريطانية بإشراف وكيل المقيم الذي وصل إلى الدوحة لهذا الغرض . ولكي يذكر الشيخ جاسم بمسئولياته ثمّ وصل على سفينة صاحبة الجلالة «اوسبري» بعدها الى البحرين . وكان قائد القوات التركية في الاحساء قد تقدم إلى الدوحة ومعه فرقة من الحرس ، وانشغل فوراً بمساورات مع الشيخ جاسم وغيره من الشيوخ . وكانت نتيجة حملة الرائد روس السلمية مرضية تماماً . فقد ارسل الشيخ جاسم وكيلا عنه مباشرة ليبدأ المفاوضات في البحرين ، وتمت تسوية القضية بأن يدفع من أملاك الشيخ في البحرين مبلغ ٦٣٩٠ روبية تعويضاً لتجار البحرين عن ممتلكاتهم .

احتجاجات الباب العالي ١٨٨٨ :

لكن الشيخ جاسم —الذي ارغمته الظروف القاهرة فقط على الخضوع لمطالب بريطانيا— لم يترك وسيلة من الوسائل ينقض بها ما تم عليه الاتفاق إلاولجأ اليها . فتقدم إلى والي البصرة وبغداد شاكياً لهما أنه قد جرد من أمواله « جميعاً » في البحرين نتيجة علاقاته بالحكومة التركية . وكانت نتيجة شكواه خطاب تهديد —ربما لم تصدر به اوامر من سلطات عليا— ارسله متصرف الاحساء إلى شيخ البحرين يطلب منه إعادة أموال الشيخ جاسم اليه . وبعدها تم توجيه الاحتجاج المتوقع أيضاً إلى سفير بريطانيا في القسطنطينية . وبالاشـــارة إلى هذا الاحتجاج أحالت حكومة صاحبة الجلالة سفيرها إلى البيانات التي سبق أن أصدرتها سنة ١٨٨٣ والتي كانت ما تزال سارية المفعول .

إيران تطلب مساعدة السلطات البريطانية لها ، ثم لا تستخدمها ١٨٨٧ — ١٨٨٨ :

وبالنسبة للخسائر التي لحقت بالرعايا الإيرانين في الدوحة . فقد سأل الشاه عن إمكان مساعدة السلطات البريطانية حكومته في المطالبة

بتعويضات قدرت بثلاثين ألف تومان ، وكان ثمة أمل في الرضوخ لهذا المطلب بعد أن تنتهي تسوية مشكلة مطالب الرعايا البريطانيين . وفي أوائل سنة ١٨٨٨ يبدو أن الحكومة الإيرانية قد اكتفت بتأكيدات الباب العالي .. ولا نعرف يقيناً ما إذا كانت قد حصلت على التعويضات المستحقة لها أم لم تحصل . ويبدو ــ كما أشرنا في تاريخ البحرين ــ أن الوزير الإيراني كان يحبذ فكرة قيام الشيخ جاسم بغزو البحرين لحساب إيران .

زيارة المقيم البريطاني للدوحة ١٨٨٨ :

وفي أكتوبر سنة ١٨٨٨ زار الرائد روس الدوحة والتقى بالشيخ جاسم الذي جاء لمقابلته بصحبة حوالي ٧٠٠ فارس بدوي ، وشكا الشيخ سوء المعاملة التي يلقاها .

مراسلات أخرى بين الحكومتين البريطانية والتركية حول حقيقة وضع الباب العالي في قطر ١٨٨٩ :

وقد أدى نشاط نافذ باشا والي البصرة في القطيف وقطر الى شيء من الارباك للحكومة البريطانية ، ولكن لما كانت أعماله هذه كلها صادرة عن حقيقة واحدة هي نقمة الأتراك وحسدهم لهيمنة بريطانيا على موضوع القرصنة ، ولما كانت الحكومة البريطانية أيضاً لا تود عندئذ الدخول في أية مفاوضات حول الحدود .. فانها لم تعترض على أعمال نافذ باشا موقتاً . وفي نفس الوقت كان ثمة اعتقاد بأن أمير شمر في حائل يعد عمليات عسكرية على عمان ، وأن الاتراك يبيتون مساعدته وامداده بالمقاتلين من الاحساء وقطر . وفي ١٨٨٩ ــ وبهدف واضح هو تأكيد السيادة التركية على قطر ــ أبلغ وزير الخارجية التركية السفير البريطاني في القسطنطينية أن الحامية التركية الموجودة في الدوحة ستعزز بقوات من جيش بغداد . وظنت حكومة صاحبة الجلالة أنه يكفي تذكير الباب العالي بحالة الحرب القائمة وقتذاك بين شيخ الدوحة وشيخ ابوظبي

وبأن الاتراك في هذه الحالة إنما يهدفون إلى مد نفوذهم في اتجاه ابو ظبي ، وأن حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي في وجه أية محاولة من السلطات التركية للعدوان على عمان او التدخل في شئونها .

علاقات قطر بالبحرين ، والحالة في الزبارة ١٨٧٢ – ١٨٩٢

مزاعم شيخ البحرين في الزبارة ١٨٧٣ :

كانت قطر –خلال هذه الفترة– مسرحاً تدور عليه أحداث كثيرة كلها هامة بالنسبة للبحرين وبعضها خطير أيضاً . لكن معظم ذلك يرد في تاريخ البحرين ، وسنقتصر هنا فقط على ذكر بعض الملاحظات حول مطالبة شيخ البحرين بقطر والحالة في الزبارة .

فقد أدى احتلال تركيا الأحساء إلى أن تصبح سيادة شيخ البحرين على قطر –التي كان مسلماً بها من قبل– موضع خلاف . وفي سنة ١٨٧١ كلفت حكومة بومباي المقيم السياسي الرائد بيللي بكتابة تقرير عن هذا الموضوع لكنه قام باجازة قبل أن يضع التقرير اعتقاداً منه بامكانية جلاء تركيا عن الأحساء ، وظل الموضوع معلقاً حتى صيف سنة ١٨٧٣ حين تردد أن ضابطاً تركياً قد ذهب الى الزبارة في قطر لإقناع سكانها بالاعتراف بسيادة تركيا . وتحرك شيخ البحرين ليجدد مزاعمه في السيادة على الزبارة على أساس أن قبيلة بني نعيم التي تقيم بالزبارة من رعاياه ، وقد اعترفوا بذلك في وجود الرائد بيللي ، المقيم السابق .

وأبلغ الرائد روس حكومة الهند بعد أن تلقى تقريراً عن الموضوع من جرانت وكيله في البحرين بأن سيادة قطر مسألة غير محددة رغم أن كل الساحل قد وقع مؤخراً تحت النفوذ التركي وأن مزاعم

شيخ البحرين بالسيادة عليها مزاعم ليست مؤكدة ، ولا هو يستطيع فرضها بالقوة ، وأصدر تعليماته لوكيله في نفس الوقت بأن يحاول إقناع الشيخ – كما حدث من قبل – بألا يتدخل في شئون الأرض المجاورة للجزر . وأوصى الرائد بيللي الذي أحيلت اليه الاوراق جميعاً لابداء الرأي بأن تبذل كل الجهود لتجنب مشكلة النزاع الإقليمي في الوقت الحالي ، وكان يظن ان شيخ البحرين – رغم ما يعترف له ببعض حقوق كحقوق الرعي وغيرها على ساحل قطر – إلا انه لا يجب تشجيعه على الخروج الى البحر بهدف الاستيلاء على ميناء في قطر ، ومرة أخرى في سبتمبر سنة ١٨٧٣ عاد شيخ البحرين يؤكد مزاعمه في الزبارة وضرورة طاعة قبيلة بني نعيم له ، وتساءل عما اذا كان يجب أن يتنازل عن حقوقه تلك .. وردت حكومة الهند فأكدت اعتقادها بأن شيخ البحرين ليست له أية حقوق واضحة أو هامة في قطر عموماً ، وأوصت بضرورة منعه بقدر الإمكان عن إثارة الاضطراب في الاراضي القريبة منه .

الهجوم على الزبارة ، وتعزيز شيخ البحرين لها ١٨٧٤ :

وفي سبتمبر سنة ١٨٧٤ حاول بنو هاجر العبور من قطر الى البحرين لكن حركة سفن بحرية بومباي أفشلت محاولتهم ، فوجهوا اهتمامهم الى قرية بني نعيم في الزبارة ، ولولا ظهور القارب البريطاني المسلح « هيو روز » في المنطقة ، والمقاومة الباسلة من جانب حامية الصيف الصغيرة هنـاك لكان محتملا ان يستولي بنو هاجر على الزبارة ويضعوا أيديهم على القوارب التي تمكنهم من غزو البحرين . وأدى هذا التأخير إلى عودة بني نعيم بكل قوتهم من البحرين وشواطيء اللؤلؤ إلى الزبارة ، وبعد عودتهم مباشرة اوقعوا هزيمة حاسمة ببني هاجر ، وقبل نهاية السنة ظهر اللاجيء البحريني ناصر بن مبارك على ساحل قطر ، وخشي شيخ البحرين أن تسقط الزبارة بين يديه ، فطلب من الرائد روس ، المقيم العام ، السماح له بتعزيز الزبارة على أساس أنها من توابع

البحرين ومن معاقلها الهامة ، وإنه لو لم يساعد حلفاءه بني نعيم لفقد عونهم له في المستقبل . وكانت هذه الاعتبارات وراء موافقة الرائد روس على تعزيز الزبارة كأجراء دفاعي فقط ، لكن عمله لم يلق قبولا لدى حكومة الهند التي كانت تتمسك بقرارها في العام السابق بضرورة عدول شيخ البحرين عن إرسال إمدادات من الرجال للزبارة مع تشجيعه أيضاً على الاعتماد اعتماداً مطلقاً على الحكومة البريطانيـة للدفاع عن جزره .

وبعدها مباشرة ذاع أن والي بغداد قد نقل إلى الباب العالي تلغرافياً صورة محرفة وبالغة السخف لما حدث ، فقد صور الأمر على أن قبيلة بني نعيم في الزبارة متمردة على السلطة الشرعية للحكومة التركية . وأن بني هاجر قد استخدمتهم هذه السلطات لقمع التمرد ، لكن المتمردين أفلتوا من العقاب نتيجة تدخل خارجي من شيخ البحرين . وكانت الأخطار التي تتهدد البحرين من ناحية قطر –كما يرى المقيم العام– ناشئاً معظمها عن موضوع تبعية ساحل قطر المواجه للبحرين للباب العالى أم لا .

حكومة الهند لا تقر مزاعم شيخ البحرين في السيادة على قطر ١٨٧٥ :

وعاد شيخ البحرين –رغم أنه أبدى استعداده لاتباع نصائح الحكومة البريطانية– مرة أخرى في إبريل سنة ١٨٧٥ يؤكد مزاعمه في السيادة على قطر كلها مؤكداً أنها كانت خاضعة من قبل للبحرين وتدفع لها الجزية . وحين رفعت هذه الحقائق إلى حكومة الهند أبدت أسفها لاستمرار شيخ البحرين في الزج بنفسه في شئون الأرض المجاورة له . وأمرت بأن يلفت نظره إلى أن استمراره في هذا السلوك الذي يعارض نصائح بريطانيا له ، ويعرضه لمشاكل البرّ القطرى ، أمر ستكون نتائجه عليه هو وحده ، أما بريطانيا من ناحيتها فسوف تحتفظ بحقها في أن تتخذ ضده من الاجراءات ما تراه ضرورياً . ونقل الملازم فريزر مساعد المقيم

مضمون ذلك الخطاب الى الشيخ عيسى شخصياً ، واصر الشيخ على أن حقوقه في البحرين ما زالت شرعية وقائمة ، لكنه رغم ذلك أعلن خضوعه لاوامر الحكومة .

جلاء شيخ البحرين عن الزبارة ١٨٧٥ :

وتقدم الشيخ بعد ذلك بطلب عن طريق أخيه للسماح بتأخير انسحاب رجاله عن الزبارة حتى نهاية موسم اللؤلؤ لكن طلبه رفض . وقد ظلت الحالة هادئة في الزبارة وما جاورها الا من بعض إغارات متبادلة على المواشي التي يملكها كل من بني هاجر وبني نعيم ، ولكن أثناء موسم صيد اللؤلؤ خرج بعض بني هاجر الى البحر لعملية قرصنة . وأدى خروجهم كما هو مذكور في تاريخ البحرين إلى عمل متطرف قام به شيخ البحرين في مياه بعيدة عنه تماماً .

الحالة في الزبارة ١٨٧٦ – ١٨٧٧ :

وفي سنة ١٨٧٦ انقسمت قبيلة بني هاجر موقتاً الى قسمين ارتبط قسم باللاجىء البحريني ناصر بن مبارك ، وبقي الثاني مع بني نعيم في الزبارة . واتخذت الاحتياطات مرة أخرى فوجه إنذار لشيخ البحرين بألا يتدخل في المشاكل على البر . ولكن يبدو ان هذا لم يكن ضرورياً . فلم ينتج شيء عن هذا التحالف الجديد .

وفي سنة ١٨٧٧ قدمت شكاوى –كما هو مذكور في تاريخ البحرين– من أن الشيخ عيسى ما تزال علاقاته وثيقة بالزبارة ، وثوقاً غير مرغوب فيه . لكن البحث أثبت عدم صحة هذه الشكاوى ، وأن الشيخ لم يكن يعمل أكثر من المطلوب لإبقاء بني نعيم إلى جانبه ومنعهم من الاتصال ببني هاجر .

تدمير الزبارة ١٨٧٨

وفي سبتمبر سنة ١٨٧٨ –كما هو مذكور في تاريخ الأحساء– وقعت حادثة قرصنة رهيبة قتل فيها أربعة أشخاص ، ارتكبها أهل

الزبارة على قارب عابر ، وأصدرت حكومة الهند اوامرها للرائد روس المقيم السياسي بأن يطلب الى السلطات التركية إيقاع العقاب بأهل هذه المنطقة وأن يعرض عليها عون البحرية البريطانية لهذا الهدف . وقد نفذ هذه التعليمات بأن سار بنفسه في ٢٢ أكتوبر إلى البصرة ، حيث عقد اجتماعاً مرضياً بعض الشيء مع واليها عبدالله باشا . وفي نفس الوقت أو بعده بقليل ، وقع هجوم على الزبارة —التي كان اهلها مدعاة للكراهية بسبب ما يرتكبون من الغارات وعمليات القرصنة ضد جيرانهم من كل صوب — بقوات كبيرة يقودها الشيخ جاسم شيخ الدوحة وناصر ابن مبارك ، وحين سمع الرائد روس بهذه المشكلة الجديدة أبحر من فوره من بوشهر إلى البحرين في ١٧ نوفمبر وصحبته سفينتا صاحبة الجلالة « تيزر » و « العربي» ورستا في ميناء البحرين . وصعد اليه الشيخ عيسى على ظهر السفينة ، وألح في وجوب القيام بعمل لانقاذ بني نعيم في الزبارة لكن المقيم رفض فسخط الشيخ سخطاً عظيماً . وفي ١٨ نوفمبر نزل الرائد روس إلى الزبارة من سفينة صاحبة الجلالة « تيزر » وزار معسكر الشيخ جاسم وكان مضروباً على مبعدة نصف ميل تقريباً من حصن مرير الذي حصر فيه بنو نعيم وقد تجاوز عددهم خمسمائة شخص . أما قرية الزبارة نفسها فقد تحولت فعلا الى أنقاض . وذكر أن عدة قوارب قد أحرقت أيضاً ، ويبدو أن القوة التي كانت تصحب الشيخ جاسم كان قوامها الفي رجل مسلح ، ونتيجة هذا التفاوت الكبير بين عدد المهاجمين والمهاجَمين لم يقع قتال فعلي . وحين عاد الرائد روس الى البحرين وجد برقية من والي البصرة الذي يعرفه موجهة إلى قائمقام القطيف يأمره فيها بارسال القارب التركي المسلح «اسكندرية » فوراً الى الزبارة للحيلولة بين هذه القوات المهاجمة وغزو البحرين ، وأبلغه ان هذا الامر قد نفذ بالفعل . وقد استسلم بنو نعيم عقب رحيل الرائد روس مباشرة بشروط غير منصفة ، ولم تعد الزبارة مكاناً آهلا بالسكان بعد .

أما سكانها –الذين يبدو أن قائد السفينة التركية « اسكندرية » استطاع عقد صلح بينهم وبين الشيخ جاسم– فقد انتقل معظمهم في البداية إلى الدوحة ، وقد اتفق رأي المقيم العام وشيخ البحرين معاً عندئذ على أن أفضل حل لمشكلة الزبارة في ذلك الوقت يواتي أمن البحرين هو احتلال تركيا الدائم لها .

اشاعات عن احتلال الاتراك للزبارة ١٨٨٨ – ١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٨٨ ذكر أن الاتراك ينوون إعادة بناء الزبارة ، وخشي أن يكلفوا بذلك وكيلهم الخارج على القانون من البحرين ناصر بن مبارك فأصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بأن يبلغ هذا الرجل والشيخ جاسم أيضاً – الذي كان صهره – بأنهم لن يسمحوا لاحد بالاستقرار في الزبارة ، ولم تلاحظ أي محاولة لاعادة احتلال المكان بعدها . وفي ١٨٩٠ و ١٨٩١ ترامت شائعات عن تعيين مدير تركي للزبارة ، وقد عرض هذا المنصب في البداية على محمد بن عبدالوهاب في دارين لكنه رفض ، ولكن يبدو أن المسئولين الاتراك قد عدلوا عن المشروع كله بعد أن وصل المدير المعين بالفعل إلى البحرين .

علاقات قطر بابو ظبي والحالة في العديد ١٨٧٢ – ١٨٩٣

سنجد في تاريخ إمارة أبو ظبي إشارة إلى مستعمرة بعض بني ياس المنشقين في خور العديد من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٧٨ ، وكانت مستعمرتهم هذه تقع داخل الحدود الإقليمية للعديد لكننا سنشير الآن فقط إلى تأثير بعض الأحداث هناك على قطر التي تلاصق الخور عن قرب .

علاقة تركيا بالعديد ١٨٧١ – ١٨٧٦ :

في سنة ١٨٧١ –وعقب وصول الأتراك إلى الأحساء مباشرة– تبين أن العلم التركي قد عرض على بني ياس هؤلاء في خور العديد ، وكانوا

يؤكدون دائماً أنهم مستقلون عن جميع القوى .. لكنهم رفضوا قبول العلم . وسرت إشاعة أخرى مضادة تقول إنهم قبلوا العلم فعلا ورفعوه يوم الجمعة . وفي سنة ١٨٧٣ زار أربعة أتراك العديد ، حيث توصلوا الى اتفاق يدفع المستوطنون فيها بموجبه مبلغ ٤٠ أو ٥٠ روبية لهم كل سنة عن طريق الشيخ جاسم في الدوحة ، ثم رحلوا بعد ان منعتهم رداءة مياه الشرب من إقامة موقع لهم . وفي سنة ١٨٧٤ أعلن الشيخ زايد شيخ ابو ظبي أن السلطات التركية المحلية كتبت اليه تعلن أن العديد تحت حمايتها ؛ وتطلب منه عدم التدخل هناك لكنه لم يستطع أن يقدم تلك الخطابات حين طلبت منه .

وفي سنة ١٨٧٥ تبين أن لدى شيخ العديد علمين : علم تركيا وعلم المشايخ المتصالحين وأنه يرفع أحدهما أو الآخر حسب مقتضى الحال ؛ وفي ١٩ أكتوبرسنة ١٨٧٦ حين زار الكابتن جوثري العديد على السفينة « ماي فرير » وجد علم عمان المتصالحة مرفوعاً لكنه فهم أن الجزية كانت ما زالت تدفع لتركيا .

مراسلات مع الباب العالي خاصة بحوادث القرصنة في العديد ١٨٧٧ :

وفي سنة ١٨٧٦ و ١٨٧٧ ارتكب بعض آل مرة عدداً عن اعمال القرصنة على مرافيء القوارب في العديد ، وكانت هذه القبيلة البدوية تابعة اسمياً لتركيا . ولم يكن بمقدور شيخ العديد منع وقوع هذه الحوادث ، وأصبح التفاهم مع الحكومة التركية بهذا الصدد ضرورياً . وتحاشت حكومة صاحبة الجلالة أن تشير إشارة محددة إلى العديد -لأن هذا يثير مشكلة إقليمية مستعصية- واكتفت بأن تلفت نظر الباب العالي الى تزايد أخطار القرصنة على ساحل قطر نتيجة امتداد سيطرة تركيا بهذا الاتجاه ، وأكدت مرة أخرى عزمها على ألا تسمح للقراصنة باشاعة الاضطراب في مياه الخليج سواء كان هؤلاء القراصنة خارجين فعلا من أماكن خاضعة للنفوذ التركي كميناء الدوحة ، أو منتمين إلى القبائل التي تعترف بسيادة تركيا يبحرون من موانىء شيوخ مستقلين لكنهم

أضعف من أن يستطيعوا منع ذلك الاضطراب في أقاليمهم ، وانكرت الحكومة التركية في ردها معرفتها أية حوادث قرصنة وقعت على شاطىء قطر وطلبت التفصيلات .

شكوى الباب العالي من عمل البريطانيين في العديد ١٨٧٨ :

وفي سنة ١٨٧٨ شكا وزير الخارجية التركية من أعمال للسلطات البريطانية في العديد قبل عدة شهور أدت — كما هو مذكور في تاريخ إمارة أبو ظبي — إلى أن يهجر بنو ياس مستعمرتهم . وفي خلال هذه المراسلات وضح أن تركيا تعامل العديد كجزء تابع لإقليم قطر التركي . ولا نجد في تقارير حكومة الهند رداً على هذه الشكاوى ولكن في المراسلات التي أعقبت ذلك مباشرة ودارت حول حوادث القرصنة على ساحل الاحساء وقطر يبدو واضحاً أن الحكومة البريطانية كانت قد قررت ألا تعترف بمزاعم تركيا في السيادة على العديد أو أي مكان سواها غرباً .

حرب طويلة بين شيوخ الدوحة وأبو ظبي :

ومن سنة ١٨٧٦ وصاعداً ، ونتيجة وجود المتمردين من بني ياس في العديد ، استمرت الأعمال العدائية دائرة بين شيخ الدوحة وشيخ أبو ظبي وفي سنة ١٨٨٠ ، ولدى عودة القبيسات الى ابو ظبي ، ازدادت حدة العداء بين هذين الشيخين . وخلال إقامة القبيسات في العديد سقط هذا المكان تماماً تحت سيطرة الشيخ جاسم الذي خسره مرة أخرى برحيلهم عنه ، واتضح غيظه في المطالب المالية التي أصبح يتقدم بها من زعيمهم بطي بن خادم .

١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٨١ أنهى الشيخ جاسم إلى المقيم البريطاني رغبته في احتلال العديد والقاء القبض على بطي بن خادم ، لكن المقيم استطاع أن يحول بينه وبين القيام بأي من هذين العملين .. وفي ديسمبر سنة ١٨٨١

أغار بنو هاجر وغيرهم من بدو قطر على منطقة بجوار ابو ظبي واستطاعوا الاستيلاء على عدة جمال ثم بيعها في الدوحة ، وبعدها مباشرة تهيأ شيخ ابو ظبي للانتقام ، واستعد الشيخ جاسم بدوره للدفاع ، وأخيراً وبفضل تدخل محمد بن عبدالوهاب سويت المسألة دون قتال .

١٨٨٥ :

وفي سنة ١٨٨٥ ، وبعد فترة ساد فيها السلم عاد الشيخ جاسم لتجديد نزاعه مع شيخ ابو ظبي فزعم ان له ديناً عند بطي بن خادم ضمنه فيه الشيخ زايد ولم يسدد ، وأن المناصير الذين هم تحت حماية الشيخ زايد قد نهبوا بعض أهالي قطر في جزيرة داله وقد اغاروا على إقليم قطر نفسه . وزعم أيضاً أن الشيخ زايد يتدخل في شئون العديد التي هي شرعاً تابعة للشيخ جاسم الذي يعتزم احتلالها . وربما كان يقصد بشكايته من المناصير ما قام به فرع آل بو شعر من هذه القبيلة حين استولوا على قطيع من الماشية وثلاث من الجواري لاقارب الشيخ جاسم في نعيجة بالقرب من الدوحة . وقد قام بنو هاجر وآل مرة بارتكاب عدة غارات انتقامية عليهم باسم الشيخ جاسم ، فقد أغارت هذه القبائل على بلاد بني ياس ، وحملوا منها ستة جمال بيعت في أسواق الدوحة ، واستمرت هذه المهاترات دائرة بينهم حتى سويت المسألة بتدخل اللاجىء البحريني ناصر بن مبارك . وفي نفس الوقت أجاب المقيم العام على اتصال من جانب الشيخ جاسم به ، فأفصح عن رغبته في أن يتخلى الشيخ عن نواياه في احتلال العديد ، وأن يقدم بدل ذلك تفصيل شكاواه من شيخ أبوظبي مستهدفاً تسوية الخلافات والصلح معه .. لكن الشيخ جاسم لم ير من اللائق به تلبية تلك الدعوة .

١٨٨٦ :

وفي صيف سنة ١٨٨٦ أبلغ الشيخ جاسم الشيخ زايد انه تلقى توجيهات من السلطات التركية باعادة بناء العديد ، وإثباتاً لما يقول ارفق

بكتابه خطاباً موجهاً اليه من قائد السفينة التركية « زحاف » بذلك الفحوى ، وقد قدم شيخ أبو ظبي هذه المراسلات الى المقيم العام . وفي نفس الوقت تقريباً تحرك الشيخ جاسم من الدوحة باتجاه العديد ومرة أخرى حذره المقيم من هذا العمل مستنفراً سفينة حربية للتوجه مباشرة الى المكان ومقدماً احتجاجاً في نفس الوقت إلى السلطات التركية ، بينما أنكر والي البصرة –في رده الكتابي عليه– معرفته بهذا الأمر الصادر عن قائد السفينة « زحاف». ولم يقم الشيخ جاسم بالتالي بأية محاولة لإعادة احتلال العديد .

١٨٨٧ :

وفي سنة ١٨٨٧ هاجمت سفينة قراصنة من الوكرة قارباً للقبيسات من بني ياس على شاطىء اللؤلؤ وجرح أحد بحارة هذا القارب جراحاً خطيرة أفضت إلى موته .

موت ابن الشيخ جاسم في الحرب ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ وصلت الحرب الطويلة بين شيوخ الدوحة وأبوظبي فجأة إلى أزمة حادة . ففي فبراير من هذه السنة ، وأثناء وجود والي البصرة في الدوحة بالفعل ، حدثت غارة قام بها المناصير على ظهور جمالهم واستطاعوا فيها سبي ٤٠ عبداً وجارية معظمهم لآل بو شعر في نعيجة ، بل إن منَ المناصير مَنْ تقدم أكثر واستطاع أن يخطف عبدين أو ثلاثة من أطراف الدوحة نفسها ، وقد فشلت مطاردتهم . وفي مارس قام الشيخ جاسم بغزوة انتقامية لإقليم ليوى(١) في ظفره واستطاع أن يستولي على أكثر من ٤٠٠ بعير وزعها على رفاقه ، كما استطاع أن يسترد اثنين من العبيد الذين خطفوا من الدوحة سالمين ، ودمر ٢٠ قرية من قرى ليوى تدميراً كاملا . وفي مايو تجدد الصراع مرة أخرى حين أرسل الشيخ زايد قوة قوامها ٢٥٠ بدوياً للهجوم على الدوحة يقودهم

---

(١) أصلها الاجواء .

ابنه خليفة ، وكان الشيخ جاسم قبل وصولهم في الظعاين ، وخرج أهل المدينة لصدهم لكنهم استدرجوا لكمين خسروا فيه ٣٤ رجلا من بينهم علي بن الشيخ جاسم .

أهداف تدخل تركيا ووسط الجزيرة في القتال ١٨٨٨ :

واستولى على الشيخ جاسم ذهول الغضب وذهول الحزن ، فاتصل بالأتراك محاولا إغراءهم بغزو عمان المتصالحة ، وطلب العون من ابن رشيد . وقام بمراسلة شيوخ عمان المتصالحة خلاف الشيخ زايد ، وقدم معونات لكثير من قبائل البدو . وحين رحب ابن رشيد بطلبه توقعت السلطات البريطانية حدوث اضطرابات كثيرة على مستوى شامل ، بل وتوقعت أيضاً هجوماً من الشيخ جاسم وحلفائه على ابوظبي .

١٨٨٨ :

لكن تركيا لم تتحرك ربما بسبب الانذار الذي امرت حكومة الهند بتوجيهه إلى الباب العالي بعدم التدخل ، وظل ابن رشيد هادئاً أيضاً ، وتجددت أعمال الشيخ جاسم الانتقامية أخيراً في غزو ليوى . وفي يناير وفبراير سنة ١٨٨٩ قام بهجومه الذي قطع فيه ثمار النخيل وقتل الرجال والنساء والاطفال دون رحمة ، كما حرم أيضاً على رعايا شيخ دبي — الذي خيل اليه أنه مرتبط بشيخ ابوظبي — النزول إلى قطر للتجارة أو لهدف آخر . وفي إبريل انتقم بنو ياس لانفسهم بشن غارة على منطقة بر القارة البعيدة واستطاعوا أن يحملوا معهم عدداً كبيراً من الجمال لقبائل البدو التي تناصر شيخ الدوحة . ورد أنصار الشيخ جاسم في يونيو بغزوة في اتجاه أبوظبي عادوا منها بجمال لآل الدروع بو شميس من بني نعيم . وفي أغسطس تحول عدد من آل مرة إلى جانب الشيخ زايد وتعهدوا بأن يقفوا الى جانبه ضد المغيرين من قطر ، ولرغبة الشيخ جاسم الشديدة في الهجوم . غامر مرة بارسال رجال مسلحين وذخائر في قارب إلى سلع وهي مكان غربي خور العديد فهو بالتالي جزء

من ابو ظبي ، لكن المقيم العام بادر بأوامر من حكومة الهند إلى توجيه اللوم اليه لهذا العمل ، وأضاف يحذره من أنه لو تكرر فسيؤدي إلى نتائج وخيمة بالنسبة له .

عون الاتراك لشيخ الدوحة في الحرب ١٨٨٩ :

وخلال استمرار هذه الحرب ، تلقت الحامية التركية الموجودة في الدوحة أوامر بمعاونة الشيخ جاسم في الدفاع عن المدينة إذا تعرضت لهجوم ، لكنها كانت ممنوعة من القيام بأية عملية ضد أي مكان يبعد عن الدوحة أكثر من مسيرة أربع ساعات . وفي نهاية سنة ١٨٨٩ حاول والي البصرة عقد الصلح فكتب الى الشيخ زايد شيخ ابو ظبي يطلب منه الرضوخ لتحكيم السلطات التركية في الخلاف القائم حسماً للنزاع وحقناً للدماء ، باسم الدين الاسلامي الذي يدين به أطراف النزاع جميعاً ، وباسم سيادة سلطان تركيا « المستترة » على هذه الاطراف وإن حاولت الدول الاجنبية إنكارها . ورد شيخ ابو ظبي على هذا الخطاب –بنصيحة من المقيم السياسي البريطاني– يقول ان هذا شأنه هو ورغبته هو أن يدافع عن ارضه ما لم يتوقف شيخ الدوحة عن القيام بهذه الأعمال العدائية ضده.

١٨٩٠ – ١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٩٠ استمرت الإغارات المتبادلة ، وكان الانتصار بشكل عام حليف شيخ الدوحة ، وفي ١٨٩١ استطاعت قوة مغيرة من قطر أن تصل فعلا قرب مدينة أبوظبي ثم ترجع دون ان يلحق بها المطاردون .

شائعات عن استهداف الاتراك احتلال العديد ١٨٩٠ – ١٨٩١ :

وفي ١٨٩٠–١٨٩١ تناثرت شائعات –كما أشرنا من قبل– مفادها أن الأتراك ينتوون تعيين «مدير » للعديد . لكن هذه الشائعات انتهت إلى لا شيء رغم وصول هذا المدير المعين إلى البحرين بالفعل من البصرة .

التمرد على السلطة التركية في قطر ١٨٩٣

كانت العلاقات بين تركيا وشيخ الدوحة –ممثلها الاسمي في قطر– تزداد توتراً يوماً بعد يوم لأن الشيخ جاسم نجح بالفعل في إحباط مشروع تركيا باقامة دار للعوائد في الدوحة ، كما كان الأتراك يعتبرونه مسئولا عن معظم القلاقل والاضطرابات بين القبائل في إقليم قطر وعلى طول ساحله . ووصلت هذه العلاقة إلى أزمة حادة أثناء زيارة قام بها والي البصرة لقطر أثناء جولته في الأحساء ، وكان واضحاً أن المقصود بها تسوية الأمور هناك .

المفاوضات بين الشيخ جاسم ووالي البصرة فبراير–مارس ١٨٩٣ :

وصل صاحب السعادة الوالي عن طريق البر قادماً من الهفوف قرب نهاية فبراير سنة ١٨٩٣ يصحبه ٣٠٠ فارس وفرقة من المشاة قطعوا الطريق من البصرة عبر الكويت . واستدعى الشيخ جاسم اليه في الدوحة ، لكن هذا خشي القاء القبض عليه –رغم وعده بالأمان– فلم يذهب لزيارته ، فاقترح الوالي –لشكه في الخيانة من ناحية وحفاظاً على هيبته من الناحية الاخرى– أن يتقابلا في الصحراء ومع كل جماعة قليلة من الرجال فقط . واستمرت المفاوضة دائرة شهراً عن طريق وسيط هو أحمد شقيق الشيخ جاسم الذي رفض النزول من موقعه الذي اتخذه في الوجبة –١٢ ميلا غربي الدوحة– .. وفي النهاية قرر الوالي أن يلجأ الى العنف .

هزيمة القوة التركية ٢٦ مارس ١٨٩٣ :

وفي ليلة ٢٥ مارس –وبعد ان قام الوالي باحتجاز أحمد شقيق الشيخ جاسم و ١٢ من أعيان الدوحة – تحركت القوات التركية لتباغت الشيخ جاسم في الوجبة ، لكنها فشلت . وتجمع العرب وهاجموا القوات التركية فهزموها وشتتوا أفرادها ، وكان معظم القتال الذي دار في منطقة مسيمير على بعد سبعة أميال جنوبي الدوحة ، ومن هذا المكان يبدو أن القوات

التركية حاولت أن تطوق الوجبة ، أو أنها وجدت هناك طريقاً مناسباً للانسحاب فعادت بعد أن تكبدت خسائر كثيرة متراجعة إلى حصن الدوحة ، وقامت السفينة الحربية التركية « ميريخ » باطلاق نيرانها لتغطية هذا الانسحاب ، ثم راحت بعد ذلك تطلقها على المدينة ، ونقل الوالي مقره الى ظهر السفينة ، وقدرت خسائر الاتراك كلها في ذلك اليوم بحوالي مائة رجل ومن العرب حوالي ٤٠٠ من الرجال والنساء والاطفال ، واستطاع العرب بالسيطرة على آبار المياه القريبة من الدوحة وإرغام الوالي على إطلاق سراح أحمد ووجهاء الدوحة الذين كانوا رهائن عنده ، وكان على الوالي ايضاً أن يدبر أموره لعودة فرسانه الذين جاء بهم من الاحساء براً عن طريق الهفوف . وبعد هذه الاحداث هجر الدوحة سكانها وتفرقوا في أماكن عديدة ، وظل الشيخ جاسم يعيش هادئاً في الوجبة ، وظلت السفينة التركية « مريخ » والوالي على ظهرها راسية في ميناء الدوحة .

محاولات بريطانيا للتدخل مايو ١٨٩٣ :

وقبل هذا الصدام بعدة أيام كان الشيخ جاسم لإحساسه بتزايد صعوبة موقفه قد كتب إلى المقيم السياسي البريطاني يطلب حمايته ، كما طلب أيضاً من شيخ البحرين أن يقيم تحت رعايته– في الجزء الشمالي من قطر . وحين عرف أمر واقعة مسيمير في لندن والقسطنطينية طلب لورد روزبري وزير الخارجية البريطانية ارسال المقيم العام في المنطقة أو سواه من المسئولين للتوسط بين تركيا والشيخ جاسم ، وسار الرائد تالبوت حسب هذه الاوامر من بوشهر إلى نهاية الدوحة في إبريل لكن الوالي رفض مناقشة الامر معه دون اوامر من الباب العالي . وفي نفس الوقت الذي سار فيه الرائد تالبوت الى الوكرة ليلتقي بالشيخ جاسم جاءت اوامر الباب العالي بعزل الوالي . ووافق أحمد –الذي عينه شقيقه الشيخ جاسم سفيراً مفوضاً له– على قبول القرار الذي يتخذه المقيم البريطاني ، وطلب تحديد مكان يلجأون اليه على ساحل قطر ، وهناك

يستطيع أن يجدد اتفاقية سنة ١٨٦٨ ، أو يتعهد بقبول نفس الالتزامات التي يلتزم بها شيوخ عمان المتصالحة . وعند هذا الحد انتهت أعمال بريطانيا .

التسوية النهائية يونيو ١٨٩٣ :

وفي يونيو سنة ١٨٩٣ وبتوسط من نقيب البصرة تم التوصل لاتفاقية بين الحكومة التركية والشيخ ، تقضي بأن يتنازل الشيخ جاسم — في مقابل الاسلحة التي استولى عليها من الاتراك الأسرى — عن قائمقامية قطر لشقيقه أحمد ، ويعفى عنه عفواً شاملا بعدها .

★ ★ ★

التاريخ العام والداخلي في قطر بعد التمرد على الاتراك ١٨٩٣ ـ ١٩٠٧

تعيين مساعد قائمقام تركي في الدوحة ١٨٩٣ :

ورغم هذه الاتفاقية ، ورغبة الشيخ جاسم في التوقف عن خدمة الاتراك ، فقد ظل الاتراك يعاملون الشيخ جاسم على أنه قائمقامهم في قطر . لكن مسئولا تركياً تم تعيينه كمساعد للقائمقام في الدوحة ، وربما كان رفض الاتراك قبول استقالة الشيخ جاسم من القائمقامية ناشئا عن كون الشيخ في هذا المنصب أقل خطورة منه لو ترك حراً لا يقيده شيء .

١٨٩٤ :

وفي سنة ١٨٩٤ قام الجنود الأتراك بقتل مساعد القائمقام التركي وزوجته وكانا قد هربا في البداية الى الوكرة ثم قبض عليهما واعيدا من هناك .

١٨٩٦ :

وفي يوليو سنة ١٨٩٦ سطا بنو هاجر على أكثر من ثلاثة آلاف

رأس من الغنم وعدد من الجمال لبنى نعيم في قطر ، وتدخل ابن رشيد وطلب أن يدفع الشيخ جاسم تعويضاً لبني نعيم وقد حدث هذا بالفعل .

١٨٩٧ :

وفي ١٨٩٧ يبدو أن الشيخ جاسم قد أبلغ المتصرف –باسم أهل قطر– أنهم لن يساهموا بعد في نفقات الحرب الدائرة بين تركيا واليونان .

الاضطرابات في الدوحة ١٨٩٨ :

وفي ١٨٩٨ – وأثناء فترة غياب مؤقته للسفينة التركية الراسية دائماً في ميناء الدوحة– حدث تمرد محدود قتل فيه بعض الاتراك والعرب . ويبدو ان سبب ذلك هو اعتقاد العرب بأن السلطات التركية هي التي اوعزت بحملة شيخ الكويت الناجحة في ابريل سنة ١٨٩٨ على بني هاجر المتمتعين بحماية الشيخ جاسم ، وبعد هذه الحادثة عززت حامية الدوحة .

١٩٠٢ :

وفي سنة ١٩٠٢ رفض الشيخ جاسم وشقيقه أحمد دعوة لزيارة الاحساء .

١٩٠٥ :

وفي سبتمبر سنة ١٩٠٥ أخطأ الشيخ أحمد شقيق الشيخ جاسم في قتل يهودي وقعت له ملاحاة معه في الدوحة ، وقتل بدله مواطناً تركياً مسلماً كان بصحبته ، وكان متوقعاً أن تثير السلطات التركية في البصرة مشاكل حول هذه الحادثة ، وحين عرف الشيخ أحمد خطأه اعتذر للمسئولين الاتراك وعرض مبلغ ٨٠٠ روبية دية لاقارب القتيل لكن هؤلاء رفضوا قبول الدية .

١٩٠٦ :

وفي سنة ١٩٠٦ ذكر أن حامية الدوحة كان قوامها رسمياً مئتي جندي

لكن الموجودين منها دائماً لا يتجاوزون النصف ، بسبب هرب الجنود من الخدمة .

الوضع الاداري في قطر ١٩٠٥ :

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٥ ، وخلال زيارة قام بها الكابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين القيت أضواء كثيرة على حقيقة الوضع الاداري في قطر . وتبين ان الشيخ جاسم رغم السنوات الخمس أو الست التي قضاها متقاعداً في الوسيل ورغم استقالته رسمياً من القائمقامية والرئاسة ظل الحاكم الفعلي للدوحة وما حولها ، ولم يكن يتم إبرام شيء ذي خطر في قطر دون مشورته . وفي نفس الوقت نجح الشيخ أحمد ، وكان يقوم فعلا بمهام القائمقام وكان بالتالي وسيط التعامل مع السلطات التركية ، في أن يدعم مكانته الشخصية ، ولهذا دب شيء من الغيرة بينه وبين شقيقه الشيخ جاسم — كذلك كانثالث أبناء الشيخ جاسم — وهو عبدالرحمن— مستقلا استقلالا شبه كامل بحكم الوكرة .

ورغم تقدم السن بالشيخ جاسم —الذي ربما جاوز الثمانين— إلا أنه كان محتفظاً بكامل قواه وملكاته ، وكان مهتماً أعظم الاهتمام بكل الامور المتعلقة بعمله .

اغتيال الشيخ أحمد في ديسمبر ١٩٠٥ وما أسفر عنه :

وفي ديسمبر سنة ١٩٠٥ عقب زيارة الكابتن بريدو ، لقي الشيخ أحمد مصرعه على يد خادم من خدمه من بني هاجر بسبب حقد شخصي ، ولكن ثارت الشكوك بشكل عام في أن خليفة أكبر أبناء الشيخ جاسم ، كان مشتركاً في هذه الجريمة ، وأثبت الشيخ الكبير أنه ما زال قادراً على مواجهة مثل هذه الطوارىء ، فأصدر اوامره لبني هاجر بأن يتوافدوا مستسلمين على معسكره ، وهناك تعهدوا بالقبض على القاتل وإعدامه ، وفي نهاية إحدى مناقشاته معهم ، حدثت حادثة مفاجئة هي انقضاض عبد من عبيد الشيخ المقتول على سالم بن شافعي

ـشيخ فرع المخضبة من قبيلة بني هاجرـ وقتله ، ورفض آل ثاني رفضاً تاماً أن تكون لهذه الحادثة أية علاقة بالقضية الاصلية ، ولم يتعثر سير المفاوضات ، وبعدها بعدة أسابيع لقي قاتل الشيخ أحمد مصرعه في الظهران على يد ابن شقيق سالم بن شافعي وانتهت الأزمة التي أحدثها مصرع الشيخ أحمد . وكان من نتائج مصرعه أن أصبح عبدالله ـرابع أبناء الشيخ جاسمـ مسئولا عن الدوحة ، وقد أثبت أنه أفضل من شقيقه خليفة نظراً لطاعته المطلقة للشيخ جاسم . ولوحظ أن الاتراك قد تفادوا بذكاء أن يتدخلوا في تعيين شيخ جديد للدوحة ، وتركوا الأمر كله للشيخ جاسم . وكانوا يحترمون استقلاله في فض النزاعات القبيلية الداخلية غير أن القائد العسكري التركي في حصن الدوحة استمر في الاشراف على العلاقات الخارجية . وفي نوفمبر سنة ١٩٠٦ حاول عبد زنجي الاعتداء على حياة الشيخ عبدالله ، ولم يلق مصرعه إلا بعد أن قتل رجلين .

مشاكل قبلية ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ :

وفي إبريل ١٩٠٥ قاد الشيخ أحمد شيخ الدوحة حملة من آل مرة وبني هاجر وفرع المخضبة من بني نعيم على عجمان وبني خالد من فرع العماير وبني هاجر من فرع آل محمد الذين كانوا مجتمعين في صحراء جافورة ، وغنموا بعض الماشية ولكن قتل منهم خمسة رجال . وفي مايو سنة ١٩٠٦ قاد الشيخ عبدالله شيخ الدوحه حملة تأديبية صغيرة على المتمردين من قبائل بني هاجر والمناصير ، وعاد مرة أخرى في يوليو يغير على هؤلاء البدو ، فتقدم بنفسه حتى دوحة سلوى ، ومنها ارسل جماعة قتل أفرادها حوالي ١٢ بدوياً ، ووصلت عن طريق برّ القارة الى العقير

وفي أغسطس سنة ١٩٠٦ زار شيخ آل مرة الذي اوقعت به عقوبات شديدة من جانب عجمان وأصبح لاجئاً الشيخ عبد الله ، وفي سبتمبر من نفس السنة بدأت عجمان حرباً طويلة على أهل الدوحة حين استولوا على ١٠٠ من إبلهم ، وبدأوا اشتباكات فيما بينهم . وفي نوفمبر

تم التوصل الى اتفاقية بين شيخ المخضبة من بني هاجر والشيخ جاسم أصبح للاول بمقتضاها الحق في أن يضرب خيامه ويعيش بسلام في قطر ..

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بقطر خلال نفس المدة ١٨٩٣ ـ ١٩٠٧

استمرت علاقة السلطات البريطانية بقطر بعد سنة ١٨٩٣ على نفس الاساس المهتز الذي كانت عليه قبلها .. اذ كانت تتعامل حيناً مع الاتراك وحيناً مع شيوخ آل ثاني .

مشكلة وضع قطر ١٨٩٣ :

وفي ١٢ إبريل سنة ١٨٩٣ ، وخلال المفاوضات الدائرة حول الاحداث الاخيرة في الدوحة سلم السفير التركي في لندن مذكرة للورد روزبري يشير فيها الى قطر على أنها « ولاية تحت الحكم التركي » وبأنها « تابعة لنجد » ، وقد لفتت حكومة الهند النظر إلى هذه التعبيرات ، فتعهد وزير الخارجية ـ ما دامت هذه المراسلات ذات طابع رسمي ـ بأن يذكر للسفير التركي ـ فيما بينهما ـ بأن حكومة صاحبة الجلالة لا توافق على وجهة النظر الواردة في المذكرة التركية .

مشكلة السفن البحرية البريطانية في الدوحة ، واطلاق حرية العمل لبريطانيا في قطر ١٨٩٣ :

وفي ١٨٩٣ أيضاً احتجت السلطات التركية في الدوحة على وجود سفينة صاحبة الجلالة « بريسلك » في الميناء ، ومنعت قائدها من إجراء تدريب على إطلاق الطوربيد في الخليج ، كما منعت أيضاً ضباط السفينة من زيارة الشاطىء . وطلبت البحرية البريطانية تعليمات تسترشد بها في

مثل هذه الحالات مستقبلا ، فقررت حكومة الهند –بموافقة حكومة صاحبة الجلالة– أنه ما دام الحكم التركي في الدوحة غير معترف به من جانبها فعلى قادة السفن البحرية البريطانية التصرف هناك –وعلى طول ساحل الاحساء أيضاً– حسب ما تمليه ضرورة المحافظة على السلم في البحر أو إيقاع العقاب بمن ينتهكه . ولما كان من غير المرغوب فيه إتاحة الفرصة للمسئولين الاتراك كي يؤكدوا سلطة الباب العالي التي يزعمونها على الاقليم ، فلا داعي لان تقوم السفن الحربية البريطانية بزيارة الدوحة الا اذا حدثت ضرورة تستدعي مثل ذلك . ولاحظت حكومة صاحبة الجلالة في هذا الوقت تقريباً –وأيدتها حكومة الهند في هذه الملاحظة– أنه ما دام الأتراك يقصرون سيطرتهم المزعومة على الدوحة فقط فليس هناك مبرر للسماح للمزاعم التركية بعرقلة تصرفات بريطانيا في قطر ، أو منع حكومة الهند من توقيع المعاهدات التي تريدها مع الشيوخ القطريين .

الاعتداء على العلم البريطاني في الدوحة ١٨٩٤ :

وفي ربيع ١٨٩٤ هاجم جماعة من جنود الأتراك سفينة لأحد رعايا الهند البريطانية لدى دخولها ميناء الدوحة ، وأنزلوا عنها العلم البريطاني في البداية ثم استولوا عليها . ويبدو أنهم حين ايقنوا بأن هذه السفينة بريطانية ومعها شهادة بذلك أعادوا العلم الذي استولوا عليه ، وبعدها جاء المقيم السياسي من بوشهر لزيارة الدوحة على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » ، غير أن المسئول المحلي التركي رفض –بزعم أن زيارة المقيم السياسي مباشرة أمر غير مألوف– أن يقدم له أي تفسير لما حدث ، وأحاله إلى السلطات التركية العليا . وأصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بألا يتخذ خطوات أخرى بهذا الصدد ما دام الخطأ قد تم إصلاحه بمجرد إدراك الأتراك له ، إلى جانب أن طلب التفسير يعني تأكيداً ضمنياً لمزاعم الباب العالي في السيطرة على الدوحة ، ويجب تحاشي إتاحة أية فرصة لمثل هذا التأكيد . لكن والي البصرة حين عرف

بوجود ممثل بريطانيا هناك ، أنكر حادثة إنزال العلم وأكد علاقات المودة بين تركيا وبريطانيا .

محاولة لغزو البحرين من الزبارة ١٨٩٥ :

وقد ذكر في تاريخ البحرين بالتفصيل الحملة التي قام بها الشيخ جاسم بدعم من تركيا على تلك الجزر سنة ١٨٩٥ ، وقد أحبطت هذه المحاولة السفن الحربية البريطانية بعملها المسلح في الزبارة ، كما أتاحت الفرصة للحكومة البريطانية كي تبلغ الباب العالي بأنها لا تستطيع الاعتراف بأن ذلك الجزء من الساحل الذي يقع عليه الزبارة خاضع للسيادة التركية .

مشكلة المركز الصحي التركي في قطر ١٨٩٧ :

وفي سنة ١٨٩٧ اقترح مكتب الصحة العامة في القسطنطينية إنشاء مركز صحي في قطر ، لكن معارضة ممثل بريطانيا وأدت المشروع تماماً ، فقد شرح كيف ان حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف لتركيا بأية حقوق سيادية في الاحساء .

مشكلة تجديد الاتفاقية بين بريطانيا العظمى وشيوخ آل ثاني في قطر ١٨٩٨ – ١٨٩٩ :

وقد سبق أن أشرنا الى طلب الشيخ جاسم في سنة ١٨٨٢ باعتبار اتفاقية سنة ١٨٦٨ سارية المفعول ، وأشرنا أيضاً إلى رغبته في سنة ١٨٩٣ بتجديد هذه الاتفاقية أو عقد اتفاقية جديدة كتلك التي عقدها شيوخ عمان المتصالحة . وفي سنة ١٨٩٨ —وفي لقاء خاص بين الملازم روبنسون قائد سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » والشيخ أحمد الذي كان يمثل أخاه الشيخ جاسم آنذاك — أفصح هذا عن رغبته في أن يرتبط بالحكومة البريطانية نفس ارتباط شيوخ عمان المتصالحة بها ، وفي نوفمبر سنة ١٨٩٩ ، وفي لقاء مع الرائد ميـــــد المقيم السياسي تم في الوكرة أفصح الشيخ أحمد مرة أخرى عن رغبته في الارتباط الوثيق بالدولة

البريطانية ، وطلب الاذن له باحتلال العديد ، ولكن لم تتخذ أية خطوة إيجابية بشأن مطلبه هذا الذي رفض أن يعترف به اعترافاً كتابياً .

١٩٠٠ – ١٩٠٢ :

وبعد تعيين مستر جاسكن مساعداً للوكيل السياسي في البحرين في أوائل سنة ١٩٠٠ ، قام الشيخ أحمد غير مباشرة بالتفاهم الوثيق مع الحكومة البريطانية . وكانت اقتراحاته هذه المرة تشابه تلك التي سبق أن قدمها للرائد ميد في سنة ١٨٩٩ ، واستمر يعيدها بين الحين والحين وأخيراً ، في ربيع سنة ١٩٠٢ ، تلقى مستر جاسكن رسالة محددة من الشيخ أحمد يعرض فيها –في مقابل امتداد الحماية البريطانية عليه وعلى أنصاره– أن يقيم في أية بقعة على الساحل تحدد له(١) ، وأن يعتبر مسئولا عن المحافظة على السلم في المياه المجاورة له ، وان يتعاون مع الحكومة البريطانية وشيخ البحرين في المشاكل التي تهم أياً منهما في أرضه . وكانت الدوافع وراء هذا العرض من الشيخ أحمد هي خوفه من تركيا ورغبته في تعزيز مكانته وتدعيمها بين أهل قطر ، ولما كانت هذه الترتيبات المقترحة تبشر بنتائج مرضية ، فقد رفعت حكومة الهند الأمر الى حكومة صاحبة الجلالة ، وصدرت الاوامر بالبحث في حقيقة وضع الشيخ احمد ، ولكن دون عقد أي ارتباط مباشر قبل رفع الامر الى وزارة الخارجية ومعه كل التفصيلات اللازمة عن الجوانب السياسية والعسكرية للموضوع . وبعد التحري ذكر أن الشيخ أحمد كان بالفعل هو شيخ قطر ، وان الشيخ جاسم –رغم ان السلطات التركية ما زالت تعامله على أنه قائمقامها في قطر وهو لقب يرفضه– قد تقاعد بالفعل في حماية أخيه ، وان احمد كان هو المرشح ليخلف

---

(١) هذا ما ذكر في ذلك الوقت ولكن قيل فيما بعد أن التعليمات التى أصدرها الشيخ أحمد لوكيله المدعو عبد الرحمن الوزان كانت تتعلق فقط بانتقاله لاحتلال العديد وفي رد على استفسار من مستر جاسكن أجاب وكيل الشيخ أحمد بانه يعتقد أن شيخه يرحب أيضا بالاقامة في الزبارة أو أى مكان آخر .

الشيخ جاسم بعد موته دون أي من أبنائه . وقد أثبتت التجارب التالية على أي حال خطل بعض من هذا التقرير ، فالشيخ جاسم لم يتنازل عن السلطة حتى سنة ١٩٠٥ الا تنازلا ظاهرياً فقط ، وقضت النهاية الفاجعة التي لقيها الشيخ أحمد على التوقعات التي كانت تدور حوله كخلف للشيخ جاسم في الرئاسة .

وكان يظن أثناء زيارة لورد كيرزون للبحرين في نوفمبر ١٩٠٣ أن الشيخ أحمد سيحضر بنفسه كي يذكر طلبه للحماية البريطانية، وقد دارت مناقشة حول الرد الذي يقدم اليه بين حكومة الهند والحكومة البريطانية . وقررت حكومة صاحبة الجلالة أن الوضع القائم في قطر — الذي اعترف به الباب العالي بسحب المديرين الاتراك من الوكرة والزبارة ، وهي مشكلة سنشير اليها الآن — لا يجب تعكيره بعقد أي اتفاقية جديدة بين شيوخ قطر والحكومة البريطانية ، ولكن المسئولين سيؤكدون للشيخ أحمد صداقة الحكومة البريطانية التي ستستمر طالما ظل بعيداً عن ابرام التزامات مع اي دولة أخرى . لكن الشيخ أحمد — على أي حال — لم يظهر في البحرين وتلاشت ضرورة انهاء أي شيء اليه . وكان من المعترف به بشكل عام في ذلك الوقت أن في شيوخ قطر ميزة أنهم في موقع له أهمية خاصة بالنسبة للمحافظة على أمن المياه على طول شاطيء إقليمهم ، وأن الاتفاق معهم سيزيد من أهمية رأي بريطانيا في أية مشكلة تثار دولياً حول شواطيء اللؤلؤ ، وكان من المقرر عدم اتخاذ قرار نهائي في هذا الامر إلا بعد أن تقوم لجنة الدفاع الامبراطوري بدراسة وضع بريطانيا في الخليج ، وبعد أن يهدأ هذا التوتر القائم بين تركيا وبريطانيا في شبه الجزيرة . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٣ كان الشيخ احمد متلهفاً ليعرف عن طريق جاسكن الذي زار الوسيل ما اذا كانت الحماية البريطانية سوف تمتد لتشمله أيضاً أم لا ، ولكن حين زار الكابتن بريدو قطر في سنة ١٩٠٥ بدا أن الشيخ أحمد لا يلقي بالا لهذا الامر رغم استمرار شكايته من الكابوس التركي الجاثم على الدوحة .

وفي الوقت الذي كان التفكير فيه دائراً في المقترحات التي قدمها في سنة ١٩٠٢ الشيخ احمد للتقارب الوثيق مع بريطانيا ، اتخذت الحكومة التركية خطوة من جانبها صرفت الاهتمام موقتاً عن هذا الموضوع وأضافت مزيداً من التعقيدات الى ما هو قائم بالفعل. ففي ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٠٢ أعلن فجأة في صحيفة « إقدام » التركية شبه الرسمية أن مناصب تركية جديدة ستُنشأ للمديرين في العديد والوكرة والزبارة وجزيرة آل عمير على الساحل العربي(١) . وسرعان ما جاء تأكيد هذه الاخبار في البحرين . فقد وصل المدير المعين للزبارة إلى الاحساء في فبراير سنة ١٩٠٣ ، وأعقبه في الشهر التالي وصول مدير الوكرة ، وتبين بعد ذلك أن هذا المشروع ايضاً يهدف إلى إقامة مواقع حراسة تربط الزبارة بالعقير . وقرب نهاية مارس ١٩٠٣ خرج قارب تركي مسلح من البصرة متجهاً إلى قطر ليساعد في تنفيذ هذه الخطة العامة . وبعدها بثلاثة أيام بالضبط ، أي في ٢٣ مارس ، تلقى سفير بريطانيا في القسطنطينية تأكيدات من الصدر الاعظم بأنه ليس في النية تعيين مسئولين أتراك في المواقع المشار اليها ، ورغم ذلك ظلت اعمال تركيا في هذه المنطقة تدعو الى الريبة ، وظلت بريطانيا تراقبها مراقبة دقيقة ، فأرسلت سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » لزيارة الزبارة والعديد ورست في الوكرة حيث وجدت علم تركيا مرفوعاً عليها . وفي هذا الوقت نفسه وصل يوسف بك المدير التركي المعين للوكرة الى البحرين في طريقه الى الوكرة كما كان مظنوناً ، وأمرت حكومة صاحبة الجلالة باقامة العقبات في وجه إبحاره الى قطر ، لكنه استطاع تفاديها ، وغادر البحرين في ٢٧ إبريل . وبعدها بعدة أيام ذكر أنه قد نصب نفسه مديراً للوكرة بعد محاولة واحدة فاشلة في هذا الصدد . وفي هذه الاثناء تلقى السفير البريطاني في القسطنطينية — بتاريخ ٢٧ إبريل— تأكيدات بأن

---

(١) يطلق اسم جزيرة آل عمير على جزيرتى مسلمية وجنة ، وقد يعنى هذا الاسم احدى الجزيرتين أو كلتيهما .

الوضع الراهن للامور لن يتغير فيه أي شيء من جانب تركيا . وبعد وقت قصير استدعى يوسف بك للعمل كمساعد لقائمقام قطر في الدوحة ، ووجهت حكومة صاحبة الجلالة طلباً حاسماً للباب العالي باستدعائه من الوكرة . ولا يبدو انه عاد اليها ، وتبين بعد ذلك أن عبدالرحمن -بن الشيخ جاسم- قد عين مسئولا رسمياً عن الوكرة خلفاً ليوسف بك بلقب مدير وراتب قدره ٥٢ روبية في الشهر . واثار هذا احتجاجاً جديداً من جانب الحكومة البريطانية ضد الباب العالي ، وقالت الحكومة في احتجاجها ان تركيا ليس لها الحق مطلقاً في أن تعين مسئولين اداريين حتى لو كانوا من أبناء الشيوخ المحليين ، وأخيراً ، في أكتوبر ١٩٠٤ وبأمر من الباب العالي -عزل عبدالرحمن عن وظيفته كمدير ، ولكن يبدو أنه ظل يتقاضى راتبه هذا (١) وهو مقيم بالوكرة كوكيل للحكومة التركية .

القرصنة على شاطىء قطر ١٨٩٣ — ١٩٠٦ :

وفي سنة ١٨٩٣ الى ١٨٩٨ تجددت حوادث القرصنة على ساحل قطر . وكانت الحادثة الخطيرة الوحيدة هي ما وقع في ١٨٩٥ ونهبت فيها سفينة شراعية تابعة للهند البريطانية وقتل واحد من بحارتها وجرح آخرون . وفي سنة ١٨٩٦ ارتكب لاجىء بحريني مقيم في الغارية يدعى علي ، حادثة قرصنة على قارب بحريني أيضاً ونهب منه أموالا ولآلىء قيمتها أكثر من الف روبية .

١٨٩٩ :

وتميزت سنة ١٨٩٩ على أية حال باضطراب حبل الامن مجدداً . ففي فبراير منها نهب العرب في أبو الظلوف سفينة إيرانية اسمها « المباركة » وحملوا أكثر من ثلثي حمولتها . وفي ١٦ أغسطس هوجمت

---

(١) في سنة ١٩٠٦ ذكر أن عبد الرحمن لم يتقاض راتبه هذا بالفعل أبدا .

فلوكة بحرينية صغيرة ، وحملها بدو بني هاجر قريباً من الذخيرة ولكن أمكن استعادة هذه الفلوكة وجزء من حمولتها عن طريق شيخ الدوحة .
وبعد هذه الحادثة بعدة أيام هاجم قراصنة بني هاجر أيضاً قاربين يملكهما رعايا من الهند البريطانية ، نهبوا أحدهما وتركوه حيث ارتكبوا هذه الحادثة بالقرب من فشت الديبل وحملوا الآخر إلى رأس الظبية حيث أغرقوه هناك . وبلغت الخسارة في هذه الحوادث الثلاث مبلغاً يربو على ١٦ الف روبية ، ولم يستعد إلا ربع هذه القيمة فقط ، أما الباقي فلم يتم تحصيله إلا حين قام الرائد ميد المقيم السياسي في الخليج بزيارة الوكرة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٩ والتقى بالشيخ أحمد شقيق الشيخ جاسم أساساً بسبب الاضطرابات الأخيرة .

١٩٠٠ :

وفي ١٨ أغسطس سنة ١٩٠٠ هاجم بعض بدو قطر المتنكرين في زي صيادي اللؤلؤ سفينة بحرينية على شاطىء كريمة على مبعدة عدة أميال شمال رأس ركان ونهبوا ما فيها ، ولم تتجاوز قيمة الخسائر في هذه الحادثة أكثر من ٣٠٠ روبية ، وقع معظمها على تاجر اصداف يعمل في مؤسسة بريطانية ، لكن هذه الحادثة جددت طلب التعويض عن الأحداث السابقة .

١٩٠٢ :

لكن هذه المطالبة ظلت عقيمة بلا جدوى ، وتوقفت تماماً في فبراير سنة ١٩٠٢ على أساس انقضاء فترة طويلة على وقوع هذه الاحداث من ناحية وللهدوء الذي ساد ساحل قطر منذ وقوعها . ولم تكن سلطة شيخ الدوحة في منع مثل هذه الاحداث واضحة ، وهو قد أكد أن وقوع هذه الحوادث أمر لا مفر منه من جانب بني هاجر الذين يحول وجود الأتراك بينه وبين تأديبهم ، وان بعض هذهالأحداث التي تسمى بالقرصنة يرتكبها عدد من قطاع الطريق الذين خرجوا من قراهم وخاضوا البحر

ولم يعودوا يستخدمون قوارب القرية . لكن حكومة الهند قررت الاستمرار في اعتبار الشيخ في المستقبل مسئولا عن سلوك البدو في قطر وأعمالهم ، وان توضع أملاكه في البحرين تحت الحراسة إذا لم تدفع التعويضات عن هذه الاحداث ، وان يعتبر سكان القرى مسئولين عن استعمال القراصنة قوارب لهم .

۱۹۰٦ – ۱۹۰۷ :

وبعد سنة ۱۹۰۰ لم تعد ثمة شكاوى من القرصنة على ساحل قطر حتى ۸ يناير سنة ۱۹۰٦ حين وصل إلى البحرين بحارة قارب إيراني ، كان تابعاً لميناء ريق ذكروا انه في الشهر السابق دفعتهم الرياح وسوء الحالة الجوية إلى أبو الظلوف في قطر ، حيث ارغمهم الأهالي على إنزال جانب من حمولة القارب لهم ، تحت طائلة التهديد . وبادر كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين بالانتقال على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » إلى مكان الحادث وظل هناك من ۲۸ إلى ۳۰ يناير . لكن شيخ المكان عيسى بن حمد رفض الصعود الى ظهر السفينة رغم التأكيد له بمعاملة طيبة ، وأعلن أنه من رعايا شيخ البحرين . وكتب كابتن بريدو اليه يطلب منه الحضور في البحرين ، ثم رجع الى مقر قيادته ، لكن سوء الاحوال الجوية منعه من أن يصحب معه قاربين لابو الظلوف كان يريد أخذهما معه ضماناً لمجيء الشيخ الى البحرين . واخيراً وصل عيسى بن حمد إلى البحرين في أول مارس وذكر أن شيئاً لم يؤخذ من القارب الايراني اللهم الا ما دفعه البحارة بارادتهم أجراً عن خدمات قدمت لهم ، وفي نفس الوقت كان امر عصيانه قد أبلغ لحكومة الهند لتصدر فيه أمرها . وفي يونيو ۱۹۰٦ قدم السفير التركي في لندن احتجاجاً مؤداه أن أعمال كابتن بريدو تؤدي الى الاضطراب بين القبائل وإثارة المشاكل ، لكن المتظلمين الايرانيين – رغم استدعائهم فوراً للحضور – لم يعودوا إلى البحرين ، ليواجهوا ما ذكره شيخ أبو الظلوف

وهكذا اضطرت السلطات الى اعتبار المسألة منتهية كحادثة قرصنة ، واكتفى بانذار الشيخ بالسلوك مسلكاً حميداً في المستقبل .

أوامر من الحكومة بشأن حوادث القرصنة فبراير ١٩٠٧ :

لكن هذه الحادثة أثارت عدة اعتبارات ارتأت حكومة الهند معها أن من الضروري اصدار تعليمات واضحة لإرشاد الضباط في المستقبل . وصدرت هذه التعليمات– بعد أن صدقت عليها حكومة صاحبة الجلالة– في فبراير سنة ١٩٠٧ . وكان جوهرها منصباً على الاجراءات الخاصة بالمتعاملين بالقرصنة على شاطىء قطر خاصة حين يكون ضحايا الخسارة ليسوا من رعايا بريطانيا – . وهذا الأجراء يتطلب مراقبة دقيقة لكل شواطىء القرصنة ، ويجب أن يرفع تقرير بهذه الحالات او لا بأول وفور وقوعها الى حكومة الهند . ورأت هذه الحكومة أن تنظيم العمل على هذا النحو سيتيح للضباط المحليين حرية العمل وفق اجتهاداتهم ، مع حصر صلاحية وضع القوانين العامة بالحكومة نفسها . ولم يكن يدور بخلد حكومة الهند أن التأخير يوماً واحداً أو عدة أيام في الإبلاغ عن هذه الحوادث قد يؤدي الى نتائج خطيرة عند اقتراح تسويتها . ولم تجد حكومة الهند من الضروري إصدار القرار الذي اقترحه الوكيل السياسي في البحرين ، والذي يقضي بأن يرسل كل شيخ صغير قارباً عنه ، أو يأتي بنفسه ، لكل سفينة حكومية بريطانية تصل الى مياه إقليمية ، ولو لم يوجه اليه طلب خاص بالزيارة المطلوبة .

اضطراب في البحر ١٩٠٠ :

وقد حدث سنة ١٩٠٠ اشتباك ليس له طابع القرصنة لكنه يستحق الذكر وذلك خارج ساحل قطر بين قبيلتي آل بني علي والعمامرة ، وكان بين القبائل –كما هو مذكور في تاريخ البحرين– ثأر دموي يرجع الى سنوات طويلة مضت . وفي ١٦ يونيو سنة ١٩٠٠ دفعت الرياح المعاكسة بخمسة قوارب للعمامرة وقاربين للدواسر من البحرين

الى ساحل قطر بجوار الوكرة حيث كان أسطول لآل بن علي وقوارب أخرى منهمكين بالصيد. وكان هذا الاسطول أ قوى من قوارب العمامرة ، ولم يكد آل بن علي يجدون أعداءهم بين أيديهم على غير توقع حتى رفعت سفنهم أعلامها وبدا أنها تستعد للهجوم ، وأجابتها القوارب باطلاق النيران(١) وكاد يحدث صدام رهيب لولا ان تدخل ابن شقيق الشيخ جاسم ، وأقنع العمامرة بالقاء سلاحهم والاستسلام لآل بن علي ومكنهم من الرحيل بسلام . ولكن يبدو من البحث الذي أجراه مساعد المسئول السياسي في البحرين أن آل بن علي كانوا هم البادئين بالعدوان ، ولذلك وقعت عليهم غرامة قدرها ١٠٠٠ روبية لخرقهم السلم في البحر ، وحين طلب اليهم تسليم ٢٠ بندقية من أسلحة العمامرة التي آلت اليهم خلال الحوادث ابدلوها بتقديم أسلحة قديمة ، ففرضت عليهم غرامة أخرى قدرها ٥٠٠ روبية ، وقد تم تحصيل هذه الغرامات فوراً –مما يؤكد فاعلية وسائل القهر من جانب الحكومة البريطانية– التي وضعت أملاك آل بن علي في البحرين تحت الحراسة .

زيارة المسئولين البريطانيين لقطر ١٨٩٩–١٩٠٣ :

وفي ١٨٩٩ – وكما سبق أن أشرنا– قام الرائد ميد بزيارة الوكرة. وفي سبتمبر ١٩٠٣ مر مستر جاسكن –مساعد الوكيل السياسي في البحرين– بالوسيل والوكرة والتقى بالشيخ جاسم والشيخ احمد كلا على حدة .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٥ عبر كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين – الخليج الى قطر في قارب للأهالي ، وسار الى لقاء الشيخ جاسم في معسكره ببوحسا وتبعد عشرة أميال عن الوسيل داخل قطر ،

(١) لكننا نشير أيضا الى أن آل بنى على دأبوا على تبرير مسلكهم ، والتاكيد على أن سفنهم تقدمت نحو سفن العمامرة لترشدها لا لتهاجمها ، ويذكرون أيضا أنهم لم يقابلوا اطلاق النيران بالمثل .

وبقي هناك ثلاثة أيام ينجز فيها عمله مع الشيخ جاسم ، والتقى أيضاً بناصر بن مبارك اللاجيء البحريني الهارب ، ولدى عودته قضى كابتن بريدو يوماً مع الشيخ أحمد في الدوحة . وفي هذه الزيارة حدثت اضافة هامة على ما كان معروفاً من قبل —جغرافياً وسياسياً— باسم قطر .

١٩٠٦ :

في مايو ١٩٠٦ قام ميجور كوكس المقيم السياسي في الخليج بصحبة كابتن بريدو بجولة بحرية على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «لورانس» زارا فيها الوسيل والدوحة والوكرة وخور العديد ، وفي الوسيل تم لقاء ودي بينهما وبين الشيخ جاسم وصهره ناصر بن مبارك . وفي الدوحة استدعيا قائد الحامية التركية وناقشا معه الأمور ، وفي الوكرة —وقد تصادف أن أحداً من آل ثاني لم يكن موجوداً بها في ذلك الوقت— قامت الجماعة بزيارة لشيخ قبيلة آل بوعينين وقامت كذلك بتفتيش الحصن والآبار ، ثم تجاوز الجماعة خليج العديد لعدة أميال في قارب بخاري صغير لكنهم لم يجدوا على شواطئه مخلوقاً واحداً . وقد ابلغت السلطات التركية في الاحساء نبأ زيارة الدوحة هذه للقسطنطينية ومعها توصية ببذل الجهود للقضاء على القرصنة حتى لا يجد الانجليز مبرراً للتدخل في ساحل قطر .



علاقات قطر بنجد ١٨٩٣ ـ ١٩٠٧

العلاقات مع ابن رشيد ١٨٩٣–١٨٩٦ :

رأينا أنه قبل أزمة سنة ١٨٩٣ —وخاصة في سنة ١٨٨٨— كانت العلاقة الودية قائمة بين الشيخ جاسم وأمير جبل شمر ، ولم تنقطع هذه العلاقات فيما يبدو حتى سقوط ابن رشيد في نجد . ففي سنة ١٨٩٤ حاول الشيخ جاسم أن يلتقي بابن رشيد لكن هذا رفض خوفاً من الاتراك ، وفي سنة ١٨٩٦ أفلح الشيخ جاسم —كما أسلفنا— في إعادة بعض الماشية

التي أغارت عليها قبيلة ما من قطر من قبيلة أخرى حين طلب ذلك ابن رشيد .

العلاقات مع ابن سعود ١٩٠٥ :

وحين سقطت حائل وأصبحت للرياض السيادة على وسط الجزيرة ، لم يجد الشيخ جاسم —وهو الذي كان وهابياً متعصباً في أواخر سني حياته ، والذي ظل طول حياته على عداوة مرة مع شيخ أبوظبي— أي صعوبة في التكيف مع التغيير فراح يرسل الأموال وغيرها من الهدايا كل سنة إلى ابن سعود ، لكن أخاه أحمد لم يكن يشاركه آراءه في هذا الصدد ، وقد اوضحت زيارة قام بها عبدالعزيز — ابن أمير الوهابيين— للمناطق المتاخمة لقطر في صيف سنة ١٩٠٥ خلاف الرأي بين آل ثاني . فعلى حين ارسل اليه الشيخ جاسم خطاب ترحيب وثمانمائة روبية نقداً إلى جانب هدايا من السلاح والارز ، وذهب لزيارته عند آبار العريق ، نجد الشيخ أحمد —من الناحية الأخرى— ينذر الامير بأن أية محاولة من جانبه لعبور إقليم قطر ستقف في وجهها قوات مشتركة من الدوحة وأبو ظبي .



الفصل الخامس

تـــاريخ البحـــرين ★

التاريخ القديم ١٦٠٢ ـ ١٧٨٢

الايرانيون يطردون البرتغاليين من البحرين حوالي سنة ١٦٠٢ :

ليس ضرورياً ونحن نتتبع مجرى الاحداث في البحرين أن نرجع لتاريخها قبل سنة ١٦٠٢ ، ففي هذا الوقت تقريباً قام الايرانيون بطرد البرتغاليين من الجزر(٢) ، وما زالت أطلال القلعة القائمة حتى اليوم على الساحل الشمالي للجزيرة الكبرى في البحرين والمعروفة باسم قلعة العجاج شاهدة على احتلال البرتغال لها .

(١) المراجع الوحيدة المتوفرة للتاريخ الحديث للبحرين هي سجـــلات حكومة الهند والتصنيفات المعتمدة عليها ، ونذكر منهـا مختارات بومباى ، القسم ٢٤ سنة ١٨٥٦ ، وتلخيص مستر ج٠ آ٠ سالدنها للمراسلات الخاصة بمنطقة الخليج ، ١٨٠١ ـ ١٨٥٣ ، المنشورة في سنة ١٩٠٦ ، كذلك مقال عن شئون البحرين لنفس المـؤلف في الفترة من ١٨٥٤ ـ ١٩٠٤ والمنشـور سنة ١٩٠٤ ، وتـلخيص « التوسع التركى على الساحل العربى ٠٠ » لنفس المؤلف أيضا وهو منشور سنة ١٩٠٤ والتقارير الادارية السنوية للمقيميه السياسية في الخليج ٠ وبالنسبة للاتفاقيات الخاصة بالبحرين وما اليها نحيـل القارىء الى « معاهدات أتشيسون » وفيما يتعلق بالعمليات البحرية البريطانية وما يتعلق بها بالنسبة للبحرين نذكر كتاب لو عن تاريخ البحرية البريطانية المنشور سنة ١٨٧٧ ٠ أما كتاب بالجريف عـن « وسط وشرق الجزيرة العربية ٠٠ » المنشور سنة ١٨٦٥ فهو يقدم عرضا للحالة في البحرين في ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣ ٠ وأما المراجع الخاصة بالتاريخ القديم (١٦٠٠ ـ ١٨٠٠) لهذه المنطقـة ، فهى نفس المراجع المذكورة في الهامش الاول للفصل الاول من هذا القسم ٠

(٢) في كلامنا هنا عن تاريخ البحرين نعنى بتعبير ، « الايرانيين » « رعايا الحكومة الايرانية ٠٠ » ، وقد كان معظم الرعايا الايرانيين الذين استخدمتهم الحكومة الايرانية لتنفيذ مآربها في البحرين عربا من المنطقة حول بوشهر وكانجون ٠

إيران تحتل البحرين لفترة غير واضحة التاريخ :

ويبدو أن الايرانيين قد استعادوا ملكية الجزر بعدها وقتاً ما ، وفي سنة ١٦٢٢ لا بد أنه كان لهم موقع عسكري فيها لأنهم جلبوا من هناك كمية كبيرة من البارود لاستخدامها في حصار هرمز .

احتلال إمام عمان للبحرين ١٧١٨ :

وفي سنة ١٧١٨ تقريباً نزل عرب مسقط الى جزر البحرين . وكانت مسقط في ذلك الوقت تحت حكم سلطان بن سيف الثاني أحد أئمة اليعاربة . ولا يتضح لنا ما اذا كانت جزر البحرين مهملة في ذلك الوقت أم أن حامية إيرانية كانت مقيمة فيها ، لكن مستعمريها على أية حال لم يكونوا يواجهون أية صعوبات في تأكيد سيطرتهم عليها . ويبدو أن احتلال عمان لهذه الجزر لم يدم الا وقتاً قصيراً فقط ، ويقال إن هذا الاحتلال قد انتهى نتيجة هجرة أهل البلاد الاصليين من موطنهم وإقامتهم في مناطق أخرى هرباً من المظالم الاجنبية الواقعة عليهم .

سيادة عرب الهولة على البحرين ١٧٥١-١٧٥٣:

وفي منتصف القرن الثامن عشر كان عرب الهوله-الذين ما يزالون ممثلين تمثيلا قوياً في الجزر حتى اليوم- هم أكبر القبائل المستقرة فيها وهم الذين يتحكمون في سياسة الارخبيل كله ، لكن الانقسامات والخلافات الداخلية فيما بينهم كانت قد انهكتهم في سنة ١٧٥٣ إلى حد يسّر احتلال الجزر لأية دولة أجنبية .

ضمها لايران حوالي سنة ١٧٥٣ :

ويبدو أنه في نفس هذه السنة أغرت الحالة الداخلية في البحرين الشيخ ناصر حاكم بوشهر من قبل الحكومة الايرانية -على النزول الى الجزر ، وبمعونة المير ناصر -زعيم ريق- استطاع تدعيم سلطته هناك . وهكذا أصبحت الجزر مرة أخرى تابعة لايران ، اسمياً على الاقل .

وكيل شيراز وعائدات البحرين ١٧٥٥ – ١٧٦٧

وفي سنة ١٧٥٥ أمر الوكيل كريم خان في شيراز بسجن الشيخ ناصر نظراً لامتناعه عن دفع مبلغ خمسة آلاف تومان لحساب عوائد البحرين في السنوات الثلاث التي كانت تحت إمرته فيها ، ويبدو أن الوكيل أصر على أن يدفع الشيخ ناصر أربعة آلاف تومان كل سنة عن عوائد بوشهر والبحرين معاً .

أحداث في البحرين ١٧٥٧–١٧٨٣

ولا تتوفر لنا المعلومات عن الاحوال الداخلية للبحرين خلال فترة الاحتلال الايراني لها بدءً من سنة ١٧٥٣ . وفي ١٧٧١ هاجم قراصنة خارج سفينتين ترفعان العلم البريطاني وسفناً أخرى عديدة ، وحملوها إلى البحرين حيث أبقوها هناك حتى تيسرت لهم فرصة نقلها إلى ريق . وفي ١٧٧٩ قام شيخ من البحرين يدعى ناصر كان جاء على سفينة له بدور في استعادة بوشهر لحساب شيخها المدعو ناصر أيضاً – ممن يدعى باقر خان الذي كان قد سيطر عليها . وهذه الأحداث التي لا تكاد تتعلق بالبحرين نجدها بالتفصيل في أماكنها الصحيحة .

★ ★ ★

موقف بريطانيا وغيرها من الدول الاجنبية من البحرين ١٦٠٢ – ١٧٨٣

كانت البحرين من أول الأماكن التي اجتذبت اهتمام ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج . فقد كان توماس **ألدورث** الذي عين رئيساً لوكالة سورات لدى انشائها في بداية سنة **١٦١٣** منهمكاً في البحث عن أسواق جديدة خارج الهند ، وكتب عن البحرين في السنة الاولى من توليه العمل يقول : « اقترح أن تأتي الى البحرين سفينة تتراوح حمولتها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ طن واعتقد أن هذه المنطقة ستستهلك

الحمولة كلها ، فأهل البندقية يوردون لها الثياب عن طريق البر ، ويرجعون محملين بحرير إيران ، واعتقد أيضاً أنه خلال زمن قصير سيصبح استهلاك البحرين من الثياب يعادل استهلاك صورات تماماً » .

سنة ١٦٢٥ :

وبعدها وقع اختيار الشركة على جاسك ، ثم بندر عباس ، لتكون ميناءها على الخليج ، لكن البحرين لا يشار اليها في سجلات الشركة آنذاك إلا اشارات سريعة وقصيرة ، كما ورد مثلا في سنة ١٦٢٥ عن توفر بعض المعلومات عن صيد اللؤلؤ ومصايده في البحرين من مصادر برتغالية كانت ما تزال موجودة .

١٧٠٠ – ١٧٠١ :

وفي سنة ١٧٠٠–١٧٠١ حين كانت العلاقات بين شركة الهند الشرقية والحكومة الايرانية قد بدأت بعد هدنة قصيرة في التدهور اقترح مستر اوين ، وكيل الشركة في ايران « أنه ضروري للشركة مستقبلا أن تستخدم القوة من أجل استمرار تجارتها وامتيازاتها في ايران » ، واقترح بهذا الصدد احتلال البحرين .. فهي لن تكون مجرد موقع تضمن به الشركة نصيبها من منتجات ايران فقط ، بل كذلك تمكن طوافات الشركة المسلحة من مراقبة تجارة الشركة في منطقة الخليج كلها » .

وفي ١٧٥١ ، حين خيف من حدوث هجوم على بندر عباس ، طلب ممثلو الشركة فيها السماح لهم بالانتقال الى مكان آخر ، وذكروا أنها فرصة مناسبة « للقضاء على الاسطول الايراني والاستيلاء على البحرين » .. لكن الرياسة في بومباي حين أجابت على مقترحاتهم هذه ، أذنت لهم بنقل الوكالة مؤقتاً إلى أي مكان آخر ، لكنها منعتهم منعاً رادعاً من الاشتباك بالاسطول الايراني .

١٧٥٢ :

وفي سنة ١٧٥٢ ، وكان مشروع الانتقال من بندر عباس ما يزال

موضع تفكير ، أجريت أبحاث حول أماكن عديدة محتملة لهذا الانتقال ، وذكر مستر ف. وود هذه العبارات عن البحرين : « ولا تتوفر لدى معلومات عن جزيرة البحرين أكثر من أنها مكان يتمتع باحترام أسطورى لدى العرب الهوله ، وأنها أرض عظيمة الخصب ، كثيرة الينابيع ومجاري المياه ، لكن هواءها ، وكذلك مياهها ليست نظيفة نقية كما أكد كثيرون ممن كانوا مقيمين فيها من قبل .. » ، واخيراً في سنة ١٧٦٣ تم اختيار بوشهر ، كقاعدة أفضل من البحرين لعمليات الشركة في الخليج ، تماماً كما اختيرت جاشك قبلها بقرن ونصف .

الهولنديون ١٧٥٣ - ١٧٦١ :

وحين أنشأ الهولنديون تحت قيادة البارون نيبهاوزن مستعمرة لهم في خارج سنة ١٧٥٣ ، حامت شكوك قوية في أنهم يحاولون الاستيلاء على البحرين ، وظلت هذه الشكوك قائمة فترة من الزمن ، ولكن حتى لو صحت هذه الخطط التي كانت تنسب اليهم ، فالمؤكد أنهم لم يتخذوا أية تدابير عملية لتنفيذها . .



استيلاء العرب على البحرين من أيدى الايرانيين ١٧٨٣

يمكننا القول بأن التاريخ الحديث للبحرين يبدأ بسنة ١٧٨٢ حين طرد منها الايرانيون الذين كانت الجزر في حوزتهم . وكان يقود العرب الذين طردوهم شيوخ العتوب لكن قواتهم كانت مفارز عديدة من مختلف قبائل الجزيرة العربية .

العتوب يغزون البحرين ١٧٨٢ :

كذلك يمكننا القول بأن الصراع في البحرين أثاره اعتداء ايران على الزبارة .. وهي مستوطنة مزدهرة أقامها العتوب واستقروا فيها بعد

هجرتهم من الكويت على ساحل قطر المواجه للبحرين ، وكان كريم خان زند قد كلف الشيخ ناصر شيخ بوشهر والبحرين باخضاع الزبارة ، ويبدو أنه قام بمحاولة سابقة سنة ١٧٧٧ لتنفيذ هذه التعليمات .

وبعد موت كريم خان ، وفقدان الحكومة الايرانية قدرتها على العمل وقتاً ما ، انتقم عرب الزبارة لانفسهم —في سنة ١٧٨٢ على الارجح— بأن نزلوا على جزيرة البحرين واوقعوا الهزيمة بالشيخ ناصر في ميدان القتال ، وطاردوه حتى الجأوه الى قلعته ، ونهبوا مدينة المنامة ودمروها ، واستولوا على سفن بوشهر وعادوا بها الى الزبارة .

العتوب وغيرهم من القبائل يستولون على البحرين ١٧٨٣

وقد حدث هجوم مضاد من جانب شيخ بوشهر يعاونه مؤيدون وأنصار من رأس الخيمة وهرمز —كما هو مذكور في تاريخ قطر— لكن شيوخ العتوب في الزبارة استطاعوا ان يصدوا هذا الهجوم ويوقعوا به هزيمة نكراء ، وأرسل الشيخ ناصر رسالة يبلغ فيها ابنه الذي تركه مسئولا عن البحرين نبأ هزيمة الايرانيين ويطلب اليه تعزيز مركزه والصمود في موقعه . لكن الرسالة وقعت في قبضة اسطول من ستة زوارق كبيرة ارسلها العتوب من الكويت لنصرة بني جلدتهم في الزبارة فغير الاسطول وجهته ، وأغار على المنامة ، وأضرم فيها النيران ، وحاصر الحامية الايرانية في القلعة ولحق بالعتوب الشماليين هؤلاء في البحرين بقية العتوب في الزبارة والرويس بأسرع ما كانت تسمح به وسائل الانتقال المتوافرة آنذاك . كذلك لحقت بهم فرق أخرى من مختلف قبائل قطر ، من بينها آل مسلم من الحويلة ، وآل بن علي من الفويرط ، وآل سودان من الدوحة ، وآل بو عينين من الوكرة ، والقبيسات من خور حسان ، وآل سليط من الدوحة ، والمنانعة من أبو الظلوف ، والسادة من داخل قطر . وسرعان ما احتل الغزاة جزر البحرين ، واستسلمت الحامية الايرانية في حصن المنامة —بعد حصار دام حوالي الشهرين — في ٢٩ يوليوسنة ١٧٨٣ ، وسمح لافرادها بالعودة الى بوشهر.

الاحداث منذ تأسيس مشيخة البحرين حتى أول هجوم لسيد عمان عليها ١٧٨٣ ـ ١٨٠٠

انفصال الجلاهمة ١٧٨٣ :

وتحولت البحرين منذ ذلك الوقت من مستعمرة ايرانية لامارة عربية يحكمها شيخ من فرع آل خليفة من العتوب ، وبعدها بفترة قصيرة رحل الجلاهمة الذين سبق أن انفصلوا عن بقية العتوب في قطر بعد أن بدأوا يحسون أن بقية أهل البحرين يسيئون معاملتهم ، وهكذا أصبح آل خليفة بلا منازع في حكم البحرين . وكان يقود الجلاهمة الساخطين في ذلك الوقت إخوة اربعة أبناء شيخ يدعى جابر ، قُدّر لاحدهم –وهو رحمة بن جابر– أن يكتسب سمعة مدوية فيما بعد ، وأن ينكل بآل خليفة في البحرين .

محاولات فاشلة من جانب الايرانيين لاستعادة البحرين ١٧٨٣ – ١٧٨٥ :

ولم تستطع الحكومة الايرانية –أو على وجه التحديد الشيوخ العرب الذين يمثلونها في الخليج– أن يتقبلوا ضياع البحرين بهذه السهولة . وفي أواخر سنة ١٧٨٣ كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق لإعداد حملة كبيرة ضد الزبارة والكويت يسهم فيها شيوخ بوشهر وهرمز تعاونهم القوات الايرانية وشيخ القواسم . لكن الحملة لم تشن بالفعل ، ومرة أخرى ، في فبراير سنة ١٨٧٥ تواعد اسطولا بوشهر وريق في كانجون التي كانت قوة برية صغيرة قد وصلت اليها بالفعل ، على انتظار شيوخ هرمز ورأس الخيمة . لكن موت علي مراد خان حاكم شيراز أبعد شبح الخطر الذي تهدد آل خليفة في البحرين . وخلال السنوات القليلة التالية ، في الوقت الذي غرقت فيه حكومة شيراز في مشكلاتها

الداخلية . ظل شيوخ البحرين و لا شيء يكدرهم . وفي سنة ١٧٩٨ كانت ما تزال لديهم القدرة على أن يقدموا عوناً فعالا لشيخ بوشهر في بعض ما يتعلق بالساحل الايراني .

نمو التجارة ١٧٨٣ — ١٧٩٠

وقد أدى احتلال العتوب للبحرين إلى تنشيط التجارة في هذه الجزر تنشيطاً تجارياً ، لان المهاجرين العرب سرعان ما أصبح لهم اسطول تجاري ، وأصبحوا هم الذين يقومون بعملية نقل البضائع ما بين مسقط —التي كانت في ذلك الوقت القاعدة التجارية المحلية الرئيسية— والبصرة وغيرها من الساحل الغربي للخليج ، ولم يكن شيوخ العتوب يتقاضون رسوماً على الاستيراد في بداية الأمر ، وكانت مصالح التجار تلقى من جانبهم الرعاية الكاملة . وكان أهل البحرين عندئذ يسيطرون سيطرة شبه كاملة على تجارة اللؤلؤ في الخليج ، وكانت وارداتهم من الهند —التي قدرت في ذلك الوقت بحوالي ١٠ لاكات من الروبيات كل سنة— يدفع معظم قيمتها باللؤلؤ من سوق مسقط .



أول هجوم لسيد عمان على البحرين
١٧٩٩ — ١٨٠٢

ظل استقلال البحرين خلال جيل كامل بعد هذه الحقبة القصيرة من السلم يواجه تهديداً خطيراً عدة مرات ، ولكن السبب في هذه المرة ، لم يكن زعم ايران بأحقية سيادتها على البحرين بقدر ما كان مطامح السيد سلطان والسيد سعيد في مسقط لضم جزر البحرين الغنية الثمينة إلى عمان .. هكذا بوضوح ودون دوران .

نشوب الحرب ضد مسقط ١٧٩٩ :

وفي سنة ١٧٩٩ أعلن السيد سلطان مسقط — بتشجيع من الحاكم

الايراني في شيراز الحرب على العتوب في البحرين متذرعاً في الظاهر برفضهم الاعتراف له بحقه في ضريبة او جزية زعم أن له الحق في فرضها على جميع السفن التي تمر بمسقط ، لكن هدفه في الحقيقة كان احتلال البحرين . ويبدو ان اسطول آل خليفة كان في ذلك الوقت مجرد ثلاث سفن كبيرة فقط ، أسرتها بحرية مسقط جميعاً أثناء عودتها من الهند ، ولم يغامر السيد سعيد على أي حال بالنزول الى جزر البحرين ، وخشي العتوب من هذه الاعمال ، فراسلوا شيخ بوشهر الذي تلقى مبادرتهم بسرور ، فما إن عرضوا عليه أن يدفعوا الجزية لايران حتى سار خفية الى البحرين حيث تسلم هناك مبلغاً من المال كعوائد عن السنة المنقضية . ويبدو ان العتوب ذكروا في هذه المناسبة للايرانيين أن البحرين كانت في وقت من الاوقات تابعة للحكومة التركية ، وأنها تخلصت من قبضتها منذ سبعين سنة مضت (١) .

غزو السيد سلطان البحرين واحتلالها ١٨٠٠–١٨٠١ :

وفي سنة ١٨٠٠ قام حاكم مسقط بغزو البحرين ، وأسر ٢٥ أسرة من الاسر الكبيرة فيها نقلهم الى مسقط ، ووضع حامية من الجنود العمانية في قلعة عراد بجزيرة المحرق . ولجأ بعض شيوخ العتوب المهزومين في ذلك الوقت الى الزبارة ولجأ آخرون الى الكويت . ويبدو أن السيد سلطان تعقبهم إلى تلك الاماكن . وترك السيد حين غادر البحرين ابنه الشاب سالم وزوده بمستشار موثوق به لرعاية مصالحه في البحرين ، لكن وضع العمانيين هناك كان حرجاً . وفي سنة ١٨٠١ —وقبل أن يمضي وقت طويل على إبحار أسطول السيد— ارغمهم العتوب على الاستسلام والجلاء عن البحرين .

---

(١) ليس هذا صحيحا بطبيعة الحال ، فالصحيح أن الاتراك قد أقاموا قاعدة في البحرين سنة ١٥٥٩ ، لكن البرتغاليين طردوهم منها في نفس السنة .

تجدد غزو السيد سلطان للبحرين ١٨٠٢ :

وفي العام التالي عاد السيد سلطان مرة أخرى للنزول في البحرين بعد أن حصل على مساعدة من بوشهر بموافقة الحاكم الايراني في شيراز، واستطاع بالفعل ان يقهر العتوب ، لكن هؤلاء كانت علاقتهم في ذلك الوقت قد أصبحت وثيقة بالوهابيين الذين كانت قواعدهم الأمامية تهدد أرض عمان ، فوجد السيد من الخير له أن ينسحب من البحرين ويقفل عائداً .

★ ★ ★

الاحداث ما بين الهجوم الاول والهجوم الثاني من جانب سيد عمان على البحرين ١٨٠٢ ـ ١٨١٦

امتداد نفوذ الوهابيين إلى البحرين ١٨٠٣-١٧٠٩ :

وبعد هذه الاحداث ، خضع العتوب في البحرين لنفوذ الوهابيين زمناً على مضض . وفي سنة ١٨٠٣ ، وبايعاز من أمير الوهابيين ، ارسل العتوب رعاياهم في حملة ضد مسقط وفي وقت كان من الخير لهم ان ينشغلوا بصيد اللؤلؤ فهزموا هزيمة ماحقة في البحر . وفي سنة ١٨٠٥ ـوخلال الصراع على الحكم في سلطنة عمان ـ أبحر أسطول معظم سفنه من العتوب إلى مسقط ليراقب الأحداث هناك لصالح الوهابيين . وفي ١٨٠٥ على أي حال ، رغب شيوخ العتوب في الاتصال بالسيد بدر في مسقط والاشتراك معه في هجوم على القواسم لكن الهدف الحقيقي كان تدمير قوة الوهابيين في المنطقة ، وقد توثقت العلاقات بينهم وبين سيد عمان توثقاً جعلهم يدفعون له العوائد التي كان يزعم أنها حق له والتي أنكروها عليه من قبل . وفي نفس السنة اقترح شيوخ العتوب أن تعدهم حكومة بومباي بتزويدهم بخدمات سفينة حربية او سفينتين بهدف الحاق

الهزيمة بالوهابيين . ولم تستطع السلطات البريطانية إجابة هذا الطلب رغم أن كابتن سيتون المقيم السياسي في مسقط كان يزكيه مثلما كان يؤيده العتوب في الكويت والزبارة . وفي سنة ١٨٠٩ ، غامر العتوب في البحرين برفض استدعاء الوهابيين لهم للاشتراك مع القواسم في حملة بحرية على البصرة ، وعلى إخوانهم من العتوب في الكويت .

البحرين تحت سيطرة الوهابيين المباشرة ١٨١٠ – ١٨١١ :

وفي سنة ١٨١٠ عينت حكومة الوهابيين وكيلا لها يشرف على شئون البحرين وقطر والأحساء وكانت قد عززت مركزها في الخليج بعقد تسويات مع رحمة بن جابر – زعيم الجلاهمة الساخطين وأقوى شخصية في قطر آنذاك . وكان هذا الوكيل يدعى عبد الله بن عفيصان . ويبدو انه كان يتخذ البحرين في العادة مقراً له ، وكان لشيوخ العتوب سلطتهم في المسائل الداخلية ، لكنهم ارغموا على دفع الجزية للوكيل ، كما اتخذ دعاة الوهابيين قواعد لهم في الإمارة يدعون الناس فيها الى المذهب الجديد .

حاكم مسقط يحرر البحرين من الوهابيين ١٨١١ :

وفي سنة ١٨١١ ، قام امير الوهابيين اثر توتر الاوضاع في جبهته الغربية بعد تقدم القوات المصرية تدريجياً في هذا الاتجاه ، بتقليص حامياته في البحرين والزبارة ، وأفاد السيد سعيد من هذهالفرصة فهاجم كلا الموقعين مباشرة . وفي نفس السنة دارت معركة في البحر بين عتوب البحرين ورحمة بن جابر انتصر فيها شيوخ البحرين .

تحالف قصير العمر بين العتوب في البحرين وسيد عمان ١٨١١–١٨١٣

وفي سنة ١٨١٣ رضي العتوب في البحرين –وكانت مصالحهم في ذلك الوقت متفقة ومصالحسيد مسقط –بأن يشتركوا معه في دبي بأسطول من ١٥ إلى ٢٠ سفينة، وقوة قوامها الفا رجل ضمن حملة على

رأس الخيمة . لكنهم لم يحققوا وعدهم . وربما كانت هزيمة السيد سعيد في هجومه على القواسم في نفس السنة راجعة لانسحابهم هذا .

★ ★ ★

هجوم سيد عمان الثاني على البحرين ١٨١٦

أصل القطيعة :

ومع اقتراب سنة ١٨١٦ ، حدث تحول في مواقف الدول المهتمة بالبحرين ، وبرزت تحالفات جديدة ، فلجأ العتوب في الجزر الى حماية الوهابيين ، ودخلوا في علاقات صداقة مع القواسم ، في حين وضع رحمة بن جابر نفسه تحت لواء مسقط .

أعمال المقيم البريطاني :

وفي ١٩ يوليو سنة ١٩١٦ ، اثر ورود الإخبار عن إبحار حملة من مسقط على رأس الخيمة والبحرين ، وصل الملازم بروس –المقيم السياسي في بوشهر– الى البحرين حيث التقى بعبدالله بن احمد شيخ الإمارة . وكان سيد عمان قد أنذر الشيخ بأن السفن الحربية البريطانية ستشترك معه في الهجوم على البحرين ، وأبلغه ان مواني الهند البريطانية مغلقة في وجه من بقي على عداوة معه . وشكا الشيخ الى المقيم السياسي ايضاً خرق سيد عمان للاتفاقية المعقودة بين مسقط والبحرين ، واستيلاءه غدراً على ١٥ سفينة تابعة للبحرين ونهب حمولتها على مقربة من مسقط . وبعد أن تأكد الشيخ عبدالله بن احمد من حياد البريطانيين في هذا النزاع ، بل وصداقتهم له – وواضح ان المقيم السياسي لم يستطع ان يثبت له هذه النوايا الا بعقد اتفاقية غير رسمية معه لم تخوله حكومته حق عقدها– أعلن أنه قادر على الدفاع عن نفسه –بمعونة الوهابيين على الأقل– ضد أي هجوم يوجه اليه ، وقد أكد تطور الأحداث صدق رأيه هذا .

واعترف السيد سعيد ، الذي كان الآن يقترب من البحرين —في مراسلة بينه وبين المقيم البريطاني— بأنه ارغم على اتخاذ هذا المسلك تجاه العتوب نظراً لأنهم خرجوا عن الاعتراف بسيادته التي اعترفوا بها سنة ١٨١١ ، وذلك بتحالفهم مع الوهابيين من ناحية ، وبانهماكهم في أعمال القرصنة من الناحية الأخرى ، وأصم السيد أذنيه عن نصيحة ممثل بريطانيا ، بل إنه أيضاً أهمل الاجابة على خطاب منه يعرض فيه الوساطة باسم بريطانيا .

صد هجوم مسقط يوليو أو اغسطس ١٨١٦ :

ووصلت إلى البحرين عقب رحيل الملازم بروس عمارة مسقط التي انضمت اليها ثلاث سفن من بوشهر بأمر من الحاكم الايراني في شيراز وعززها أيضاً انضمام فرق مختلفة من العرب من الميناثين الايرانيين كانجون وعسالو . ونزل العمانيون مباشرة على جزيرة المحرق ، لكنهم هزموا هزيمة ساحقة في الاشتباك الذي أعقب ذلك ، وقتل اثنان من أقارب السيد سعيد الأدنين : أحدهما شقيقه الاصغر حمد .

مفاوضات فاشلة بين السيد سعيد والحاكم الايراني في شيراز لاعداد حملة جديدة على البحرين :

وعبر السيد واسطوله الخليج الى كانجون ليحمل على ظهر سفنه ١٠٠٠ فارس و ٤٠٠ حصان تعهد الحاكم العام في إقليم فارس بتقديمها اليه على أساس تفاهم بينهما يقضي بأن يقوم حاكم مسقط بتغطية نفقات الحملة لو نزلت الى جزر البحرين ثم فشلت او تراجعت . ثم يدفع مبلغاً سنوياً بعدئذ غرامة لحاكم شيراز ، أما اذا نجحت الحملة وتم الاستيلاء على البحرين ، فيتعين على السيد ان يدفع مبلغ عشرة آلاف تومان كل سنة لحاكم إقليم فارس الإيرانى .

إلا أنه تبين للسيد سعيد بعد فترة قصيرة أن الايرانيين ينتوون الغدر به والقاء القبض عليه وسجنه في شيراز ، فتخلى عن محاولته فكرة قبول

معونتهم وعاد ادراجه الى مسقط . ثم وفد الى البحرين مبعوث ايراني يدعى اسكندر خان وتقبل الهدايا من شيوخ البحرين باسم حاكم إقليم فارس وقدم لهم ثياباً من الحرير الفارسي الثمين . وقد تحقق كذلك بعض التقارب السياسي بينهما ولكن لم تكن له نتائج تذكر .

وفي ١٨١٧ زار رحمة بن جابر مسقط ، وربما حاول هناك إغراء السلطان بإعداد حملة جديدة على البحرين ، لكنه وجد السيد سعيد ملقياً باهتمامه كله إلى مشاكله الداخلية .



التقارب الوثيق بين العتوب والقواسم ١٨١٧ ـ ١٨١٩

بيع المسروقات في البحرين :

وكان موقف شيخ البحرين الذي أيده البريطانيون وضمنوا حكمه سنة ١٩١٦ ، وعززوه بعد ذلك بدعوته للتجارة مباشرة بين الهند والبحرين قد أقنع المقيم السياسي بانصرافه عن القرصنة الى التجارة ، لكن اتجاهه هذا بلغ درجه كبيرة من السوء مؤخراً ، وثبت أنه يمد القراصنة القواسم بالحبوب وغيرها من المواد التموينية ، وكانوا « يترددون كل ساعة على موانى الجزر .. » ، بل كان ثمة تحالف فعلي قائم بينهما . وفي سنة ١٨١٧ ذكر الملازم بروس في تقريره أن البحرين قد أصبحت الآن السوق الرئيسية لبيع منهوبات القراصنة ، كذلك هي أيضاً قاعدتهم التي يموّنون منها بالارز والتمور ، فلا يمكن بالتالي اعتبارها سوى قاعدة للقرصنة خاصة وان اعداداً من سكانها اعتادوا ان يبحروا الى رأس الخيمة ، وهناك يعتبرون من طاقم سفن القراصنة موقتاً لمواسم أو أكثر ـ وكان المعتاد في ذلك الوقت أن ينقل القراصنة اسلابهم مباشرة وينزلوا بها الى البحرين ، ومن هناك تحمل أجزاء منها الى كانجون وغيرها من الموانى

على الساحل الايراني بواسطة سفن من الكويت . ورغم هذا كله يبدو أن الشيخ عبد الله قد عرض على القوات المصرية التي كانت وصلت الاحساء في اواخر سنة ١٨١٨ أن يقدم اليهم وسائل النقل البحرية لقوة كانوا يقترحون ارسالها الى رأس الخيمة وغيرها من قواعد القراصنة.

اتفاقية غير عاملة مع الشيوخ لمنع بيع المسروقات البريطانية في البحرين ١٨١٩ :

وفي فبراير ١٨١٩ ورد تقرير يذكر أن عدداً من النساء الهنديات قد جلبن من رأس الخيمة ، وتم بيعهن كاماء في سوق البحرين ، فأرسلت سفينتا صاحبة الجلالة « إيدن » التي يقودها الكابتن لوتس ، و « كونواي » ، وطرادات شركة الهند الشرقية « بيزاس » ، و «مير كوري و « انتيلوب » لتحري هذه الحادثة .

ولم تثبت صحة هذا التقرير ، لكن الكابتن لوش استطاع بتبادل المسجونين بواسطة شيخ البحرين ان يحرر ١٧ إمراة هندية كان القواسم في رأس الخيمة قد اسروهن . وقبل رحيله استطاع ان يقنع شيخ البحرين بتوقيع اتفاقية معه يمنع بمقتضاها بيع أية ممتلكات بريطانية استطاع القراصنة نهبها في أسواق البحرين ، لكن الشيخ للاسف راح بعد ذلك يعتبر هذه الاتفاقية كأنها لم تكن .

الالتباس بين بني ياس والقواسم في البحرين ١٨١٩ :

وتلقى الكابتن لوش أثناء إقامته في البحرين معلومات من الوكيل الأهلي للمقيمية البريطانية بأن اسطولا من سفن القواسم رسا في « المرسى الجنوبي » الذي يحتمل أن يكون مقصوداً به خور القليعة ، وبعدها مباشرة ، ودون اهتمام بما يؤكده الشيخ ومعاونوه بأن طاقم البحارة على هذه السفن ليسوا من القواسم بل من بني ياس ، ودون التفات أيضاً لنصيحة ممثل شركة الهند البريطانية ارسل الكابتن لوش حملة من القوارب تغطيها السفينة « انتيلوب » للاستيلاء على هذا

الاسطول . وقد اغرقت هذه السفن بعد أن أطلقت عليها النيران ودمرت عقب مقاومة عنيدة أبدتهـا أثناء محاولة شدها خارج المرسى ، واحتج شيخ البحرين احتجاجاً شديداً على خرق حياد مينائه ، كما ان شيخ ابو ظبي الذي ثبت فيما بعد ان هذه السفن مملوكة له او لرعاياه ، طالب حكومة بومباي بتعويضات عن الخسائر التي سببت له ، ويبدو أن هذه الحكومة عوضته بما أرضاه عن خسارة الأموال والأرواح جميعاً .

★ ★ ★

وضع البحرين خلال الحملة البريطانية على رأس الخيمة ١٨١٩ ـ ١٨٢٠

سياسة بريطانيا في الحياد تجاه شئون البحرين :

كانت سياسة الحكومة البريطانية أيام حملتها على رأس الخيمة سنة ١٨١٩ متعلقاً بموضوع البحرين ، والادعاءات المتضاربة عن ملكيتها أن تتباعد عن ذلك كله ، وأبلغ الشيخ العتيبي أنه لو منع رعاياه عن مزاولة القرصنة ، فسينعم بحياد البريطانيين تجاهه ، أما اذا سادت القرصنة في البحرين فسيعامل معاملة القواسم فيما بعد . وكانت النتيجة ان وقع الشيخ اتفاقية شبيهة بتلك التي فاوضه مستر بروس بشأنها في سنة ١٨١٦ والتي « تضمن لشيوخ العتيبي النوايا الطيبة من جانب بريطانيا » وصدقت عليها الحكومة فيما بعد . ويتضح من المجرى العام للاحداث أنه لم يحدث انحراف عن هذا الخط الذي اتفق عليه .

خطة مسقط وايران حيال البحرين ١٨٢٠

وقد تم الآن التخلي عن الفكرة القديمة التي دار حولها التفكير زمناً حول ضم البحرين الى سيد مسقط ، لكن السيد نفسه اغتنم فرصة تقاربه الوثيق المؤقت مع البريطانيين في رأس الخيمة لتحسين مصالحه في البحرين.

أما العتوب فقد كان عجز حلفائهم القواسم ضربة لهم ، بل وكان يساورهم الشك في أن الحكومة البريطانية تؤيد وتعزز خطط سلطان مسقط حيال البحرين . كذلك خشيت ايران ان ينجح السيد في محاولته تلك ، فعمدت حكومة إقليم فارس سنة ١٨٢٠ –وكانت قد تراجعت عن التدخل في هذا الامر مؤخراً– الى ان تلتمس من السلطان ان ينقل قواتها الى البحرين . وحين رفض السلطان هذا العرض توجه الامير الحاكم في شيراز بنفسه الى قائد الحملة البريطانية وطلب منه إعارة عدة سفن لنقل الجنود . ولسنا في حاجة الى القول بأن هذا الطلب رفض بطبيعة الحال . وقد قام رحمة بن جابر زعيم الجلاهمة الذي كان مقيماً في خور حسان بقطر من قبل ، ثم أصبح الآن في الدمام على ساحل الاحساء بدور كبير في هذه الاستعدادات من جانب ايران .

خضوع العتوب في البحرين لسيد مسقط ١٨٢٠

وحين حدث في يناير سنة ١٨٢٠ أن فارق السيد سعيد سير و. جرانت كير في رأس الخيمة ، أثار لديه انطباعاً بأنه ينوي أن يهاجم البحرين مباشرة ودون اعتماد على أية مصادر غير قوته الخاصة . ويبدو أنه كان ينتوي ذلك بالفعل مما أفزع شيوخ آل خليفة في البحرين فاستبقوا هجومه على البحرين بارسال ممثل لهم الى مسقط يعلن خضوعهم التام للسيد سعيد . وتم الاتفاق على ان يدفع العتوب جزية سنوية قدرها ٣٠ الف روبية لسموه ، على أن يطلق هو سراح بعض شيوخ العتوب الذين كان قد أمر بسجنهم من قبل ، كذلك أمر برد سفنهم وأموالهم التي تم الاستيلاء عليها أثناء عودتها من الهند . ويبدو أن كلا الطرفين اشترط موافقة الحكومة البريطانية على هذه الاتفاقية ، لكن هذه الموافقة لم تحدث الا بعد زمن طويل ، وتم بالفعل تسليم مبلغ ١٢ الف روبية لحساب الجزية المقترحة التي لا يمكننا الشك فيها على أي نحو :

تعامل بريطانيا مباشرة مع البحرين يناير ١٨٢٠ :

لقد كانت عشر سفن من اسطول القواسم ممن تعرضت لتدمير الاسطول البريطاني لها في رأس الخيمة قد لجأت الى البحرين ، وارسل الكابتن لوش من رأس الخيمة مع سفينتي صاحب الجلالة « ايدن » و « كيرلو » ليطلب تسليمها ، واستطاع ذلك بالفعل في ١٧ يناير سنة ١٨٢٠ ، كما توصل ايضاً الى الاتفاق مع شيخ البحرين على الا يسمح لاي قوارب ترفع هذه الأعلام باللجوء الى مينائه ما لم تسمح له السلطات البريطانية بذلك . وواضح أن هذه الاتفاقية لم تكن الا اتفاقية موقته ، ولا يقصد بها أكثر من تسهيل القضاء على مهنة القراصنة على طول الساحل .

معاهدة تمهيدية للسلم ٥ فبراير ١٨٢٠ :

وفي ٥ يناير ١٨٢٠ ، تم في الشارجة عقد معاهدة تمهيدية للسلم بين السلطات البريطانية والسيد عبد الجليل ــممثلا لسلمان بن حمد وعبدالله بن أحمد شيخي البحرين وكانتتقضي بأن يمنع الشيوخ من بيع الاسلاب في أسواق البحرين وأن يمتنعوا عن تقديم المعونة للقراصنة ، ويطلقوا سراح جميع المسجونين من الهنود .

معاهدة السلم ٢٣ فبراير ١٨٢٠

واخيراً وطبقاً للمعاهدة سالفة الذكر سمح للشيوخ بأن يستفيدوا من مزايا معاهدة السلم الشاملة ، ووقعت المعاهدة ، من جانب وكيلهم في الشارقة في نفس يوم توقيع المعاهدة التمهيدية ومن جانب الشيوخ أنفسهم في البحرين بتاريخ ٢٣ فبراير ١٨٢٠ .



الاحداث ابتداء من الحملة البريطانية على رأس الخيمة حتى هجوم سيد عمان الثالث والاخير على البحرين ١٨٢٠ ـ ١٨٢٨

الاتفاقية وعلاقات أخرى ببريطانيا :

وقد تم على وجه العموم التقيد بالالتزامات المبرمة بين الحكومة البريطانية وشيوخ البحرين تقيداً حسناً حتى ان السلطات البريطانية لم تر .ضرورة تحتم استمرار الطرادات البريطانية في مراقبة موانئ البحرين ـ كبقية موانئ شاطئ القرصنة ـ خلال السنوات القليلة التالية ، بل ان الشيخ عبدالله بن أحمد ذهب إلى حد الزعم بأن معاهدة السلم الشاملة إنما تعني ارتباطه ببريطانيا برباط الحماية والاعتماد التام ، لكن الملازم ماكلاود المقيم السياسي آنذاك كان حريصاً على تصحيح وجهة النظر هذه في زيارة قام بها للبحرين سنة ١٨٢٣ . وكانت عملية المسح البحري لمياه شرق البحرين وما حولها قائمة على قدم وساق في ذلك الوقت ، وكان الشيوخ الكبار والصغار منهم يقدمون كل ما يستطيعون تقديمه لعون هذه العملية .

وفي نهاية سنة ١٨٢٢ استولت سفينة من البحرين على قارب من بوشهر بسبب زعم صاحب السفينة بأن له حقوقاً عند شيخ بوشهر ، وبدا في البداية أنها مجرد حادثة قرصنة ، وقامت سفينة صاحبة الجلالة « صوفي » بمطاردة السفينة البحرينية وأسرتها عند شط العرب ، فنقلتها هي وبحارتها لنجدة رعايا الشيخ الذين اعترف بأنهم ارتكبوا عملاً آثماً ، ولكن ثبت أمام سلطات التحقيق في بومباي براءة هذه السفينة من تهمة القرصنة ، فأطلق سراحها هي وملاحيها وقدم لشيخ البحرين تفسير مناسب للحادثة .

وفي اغسطس سنة ١٨٢٥ حدث اعتداء صغير من سفينة

بحرينية على أخرى تنتمي لميناء المخا في نفس هذا الميناء ، ولكن بعدها مباشرة ، وحين وصلت السفينة البحرينية الى مسقط سويت المسألة تماماً بعد تدخل السلطات البريطانية .

وخلال هذه الفترة ، لم يرد ذكر حادثة واحدة قام فيها رعايا من البحرين بارتكاب عمل من شأنه انتهاك السلم في البحار .

وبأ الكوليرا ١٨٢١ :

وفي صيف ١٨٢١ اجتاح وبأ الكوليرا جزر البحرين ، وتردد أن عدد ضحاياه بلغ اربعة آلاف شخص .

اتفاقية عن البحرين يتم توقيعها بين كابتن بروس المقيم السياسي وحكومة شيراز ١٨٢٢ :

وقد تم توقيع اتفاقية غريبة ، ودون تفويض ، تتناول علاقة ايران بمنطقة الخليج إجمالا ، وهي لهذا مذكورة في تاريخ الساحل الايراني وقعها الكابتن و. بروس المقيم السياسي في الخليج عن الحكومة البريطانية في شيراز بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٢٢ ، ووقعها ميرزا زكي خان وزير الامير الحاكم في إقليم فارس عن ايران .

وفيما يتعلق بالبحرين حددت هذه الاتفاقية وضعها بأنها كانت دائماً تابعة لحكومة إيران ، وان شيوخ العتوب متمردون على سلطة هذه الحكومة ، ويجب بالتالي سحب جميع الامتيازات التي أصبحوا يتمتعون بها بموجب نصوص معاهدة السلم الشاملة ، وعلى الحكومة البريطانية الا تقدم العون للبحرين ، بل على النقيض ، عليها ان تساعد ايران على قمع تمرد العتوب بامدادهم بسفينة حربية أو سفينتين . وبعبارة أخرى ، تم الاعتراف والتصديق على زعم ايران بحقوقها في السيادة على البحرين . ويبدو أن كابتن بروس قد قبل هذه الشروط مدفوعاً باعتقاد مؤداه أن الخطة التي أعدها حاكم إقليم فارس ضد البحرين محتملة النجاح « وان عودة جزر البحرين مرة أخرى الى سلطة

حكومة إيران ، سيؤدي ولا شك — كما لا يؤدي أي عمل آخر — الى مزيد من الهدوء على الجانب العربي للخليج ، كما أنه أيضاً سيضع حداً لهذه الأعمال العدوانية والانتقامية الصغيرة الدائرة بين مختلف فروع « عرب العتوب » .

لكن حكومة بومباي لم تكن تقر المقيم العام على هذه الآراء ، لذلك أبلغت حكومة إيران فوراً وبمجرد أن وصلتها هذه الانباء وبتعبيرات حاسمة وواضحة أنها لا توافق على عمل مقيمها العام ، وزيادة في إعلان عدم تقبلها لهذه الاتفاقية نقلت كابتن بروس من منصبه ، واستدعته فوراً الى الهند .

وبالاشارة الى ماجاء بهذه الاتفاقية عن البحرين ذكرت حكومة بومباي أنها لا تستطيع ان تجد دليلا واحداً يثبت صحة زعم ملك ايران بلقب حاكم البحرين ، ولا تستطيع في نفس الوقت الاعتراف بهذا الزعم دون إضرار بامام عمان والعتوب . كما ان هذه الاتفاقية تلزمنا بالوقوف في وجه كل قوة لها جزر في الخليج ولا سيما العتوب الذين يرتبطون معنا بمعاهدة صداقة والذين لدى السلطات البريطانية أسباب تدعوها للرضى عن سلوكهم . وفي نفس الوقت أيضاً — وحسب تقرير ارسله ميجور ج. ويلوك ممثل بريطانيا في تبريز فأن الشاه بدوره لم يقر هذه الاتفاقية « ووجه اللوم الى حاكم فارس لدخوله في المفاوضات التي أدت لتوقيعها دون معرفة طهران » .

زيارة الملازم ماكلاود المقيم الجديد للبحرين ، والحالة العامة هناك يناير ١٨٢٣

وبناء على أوامر خاصة من حكومة بومباي قام الملازم ماكلاود الذي عين خلفاً لكابتن بروس بجولة هامة على الساحل العربي ، زار فيها المنامة في ٢٧ يناير سنة ١٨٢٣ حيث استقبله شيوخ البحرين بحفاوة . وكان الهدف الرئيسي من الزيارة هو طمأنة الشيخ بشأن اتفاقية

كابتن بروس التعسة ، وإبلاغه بأنها باطلة ، وان الحكومة البريطانية لن تغير شيئاً من سياستها نحوه . ونوقشت أيضاً قضية السفينة البحرينية التي استولت عليها سفينة صاحبة الجلالة « صوفي » ونقلتها الى بومباي لاتهامها بارتكاب حادثة قرصنة على قارب من بوشهر . وقد تبين أن الشيخ عبدالله ــأصغر الشقيقين الحاكمين والذي يقيم هو ومعظم العتوب في جزيرة المحرق هو الحاكم الفعلي ، وان شقيقه الأكبر الشيخ سلمان الذي كان العمر قد تقدم به الآن كثيراً ما يوكل عنه ابنه خليفه في معظم القضايا الهامة بينما تقاعد هو ليقضي أيامه الاخيرة في الرفاع الشرقي بالجزيرة الرئيسية ، وقد زاره المقيم هناك ايضاً . وذكر الملازم ماكلاود أن سلطة شيوخ البحرين على ارضهم ليست مطلقة كما يتوقع ، وأن « أهالي الجزر يتحملونها على مضض ظاهر » ، ووضح أيضاً أن الخدم والعبيد يشغلون وظائف لا تكون إلا للشيوخ فقط .

وتوفي الشيخ سلمان بعد هذه الزيارة بسنتين في ١٨٢٥ ، وأصبح ابنه خليفه من بعده يتقاضى نصف صافي عوائد الإمارة ، لكن الشيخ عبدالله على الرغم من أن موافقة ابن شقيقه على أعمال الحكومة مفروضة نظرياً أعد عدته لان تصبح السلطة التنفيذية كلها بين يديه وحده .

الصراع بين رحمة بن جابر وشيوخ البحرين ١٨٢٢ــ١٨٢٦ :

وكان الصراع القائم بين رحمة بن جابر ، زعيم الجلاهمة الساخطين ، وشيوخ البحرين مصدراً لاضطراب دائم لم يتوقف الا بموت رحمة فيما بعد . ويبدو ان ضيق الكابتن بروس بتلك الحروب الصغيرة التي كانت قائمة بين آل خليفة والجلاهمة ، هو الذي دفعه الى تقديم التنازلات الخرقاء لحاكم شيراز .

وفي بداية سنة ١٨٢٢ طلب كلا الطرفين وساطة السلطات البريطانية التي وافقت فوراً على هذا الطلب بشرط أن لا يفهم من ذلك ان بريطانيا ستضمن التزام الطرفين بتنفيذ ما يتم الاتفاق عليه ، وتم لقاء بين عبدالله بن

أحمد ، ورحمة بن جابر في باسيدو بحضور الرائد كينيت ، الوكيل السياسي المساعد بها ، ولكن بدا أن الخلاف بينهما لا يمكن التوصل الى حله . وعاد الشيخ عبدالله بعد هذا اللقاء الخائب الى البحرين . على حين سار رحمة بن جابر ليشكو همه إلى صديقه وحليفه السيد سعيد ، وكانت النتيجة الوحيدة لهذه الحركة هي أن حاكم مسقط أبلغ المقيم السياسي بعدها بعدة شهور بأنه يعتبر رحمة بن جابر شخصاً لا يمكن الوثوق به أو الاعتماد عليه وانه أى المقيم بالتالي لا يستطيع ان يتقبل ما تريد حكومة الهند تكليفه به من مسئولية عن تصرفات رحمه .

وفي سنة ١٨٢٣ بذل الملازم ماكلاود مزيداً من الجهد الفعال لتحقيق الاتفاق بين هذه الاطراف لكنه لم يكتب له النجاح هذه المرة أيضاً .

وأخيراً وفي ٢٤ فبراير سنة ١٨٢٤ تم توقيع اتفاقية في البحرين أمام الرائد أ. ج . ستانوس المقيم السياسي ، بين الشيخ عبدالله ورحمة بن جابر ، تعهد كل منهما فيها بأن يتصالح مع الآخر على أساس عدة شروط أهمها أن يسحب رحمة حمايته عن قبيلة آل بو سميط ، وأن يعوض رعايا البحرين عن الخسائر التي أوقعها بهم . وظل الطرفان ملتزمين بهذا الصلح لمدة سنتين تقريباً . وقد حاول المقيم في سنة ١٨٢٥ التوصل الى اتفاقية بين شيخ البحرين وآل بو سميط لكنه فشل ، وفي الحرب التي أعقبت ذلك بينهما القى رحمة بن جابر بنفسه –وهو عجوز وأعمى كما هو مذكور في تاريخ الأحساء– الى التهلكة بطريقة درامية غريبة .

تجدد خطط سيد مسقط بالنسبة للبحرين .

وفي سنة ١٨٢٠ اعترف شيوخ البحرين كما رأينا بسيادة سلطان مسقط عليهم ، وتعهدوا بدفع الجزية له كل سنة ، ودفع منها مبلغ بالفعل ، ولكن في سنة ١٨٢٢ – إن لم يكن قبلها– توقف الشيوخ المذكورون عن الالتزام بتلك الاتفاقية .

وفي أغسطس ١٨٢٢ ، حين بدا أن السيد سعيد يعد حملته البحرية على البحرين ، وجه حاكم بومباي خطابات عاجلة اليه ، والى غريمه الشيخ عبدالله يستنكر فيها الحرب ويقول بأن الجزية لا بد ان تدفع إذا كانت قد دفعت بانتظام قبل ذلك وكان تاريخها يرجع الى سنوات طويلة من قبل ، وإلا فعلى حاكم عمان ان يسحب مطالبته بها . وفي ربيع سنة ١٨٢٣ حين ترددت شائعات عن هجوم وشيك على البحرين تشترك فيه حكومة ايران وحاكم مسقط وشيخ القواسم ، اوعزت حكومة بومباي إلى الميجور ويلوك ، ممثل بريطانيا في طهران أن يحاول إقناع ايران بعدم إثارة الاضطرابات في الخليج . وفي سنة ١٨٢٥ حين توفي الشيخ سلمان في البحرين سار السيد سعيد الى هناك منتصراً لمطالبة أبناء الشيخ سلمان بالحكم المطلق في البحرين وانتزاعه من أيدي عمهم الشيخ عبدالله ، وقد صدرت لحاكم مسقط تحذيرات شديدة اللهجة من جانب حاكم بومباي .



حملة سيد عمان الثالثة والاخيرة على البحرين ١٨١٨

الاستعدادات في مسقط والبحرين يونيو – اكتوبر ١٨٢٨

حوالى يونيو سنة ١٨٢٨ ذاع أن السيد سعيد في مسقط يجمع السفن ويعد الرجال لهجوم على البحرين جديد ، لكن السيد سعيد نفسه سارع إلى تكذيب ذلك ، وبادر فأرسل مبعوثاً من لدنه محملا بالهدايا ، وبرسالة ودية منه لشيوخ العتوب . وقد وضح ازدواج سلوكه بالنسبة لهذه القضية فطلب شيوخ البحرين حماية الحكومة البريطانية ، لكن المقيم رفض التدخل إلا بإبعاد بني ياس الذين كان يخشى أن يؤدى ارتباطهم بالسيد سعيد إلى تدخل القواسم لمناصرة العتوب . وفي أغسطس أرسل السيد سعيد

اعلاناً كتابياً بالحرب الى الشيخ عبدالله ينذره فيه بقدومه اليه قبل انقضاء شهر ، وفي أوائل سبتمبر ، أبحرت عمارة مسقط التي كانت تتكون من عدد كبير من السفن المصنوعة في اوربا وفي عمان الى قشم فوصلتها في ١٧ منه ، وبعد قضاء عدة أيام في قشم عبر الاسطول الخليج الى ابو ظبي ، وهناك لحق به الشيخ طحنون الذي لم يستطع المقيم العام بسببه التدخل ، كذلك لحقت به فرقة من بني ياس ، وفي ٢٧ أكتوبر تشتت أسطول السيد في البحر نتيجة عاصفة شديدة لكنه تجمع مرة أخرى ، وفي اليوم الاخير من الشهر بدأت سفنه تتخذ مرساها حول جزيرة سترة ، بالقرب من مدخل خور القلعة .

وفي نفس الوقت كان الشيخ عبدالله بن أحمد قد اتخذ كل ما يمكنه من الاجراءات لصد الغزو المتوقع ، فتجمع الاسطول الكبير الذي كانت تملكه البحرين في خور فشت حتى يستطيع أن يحبط أي هجوم على المنامة من عرض البحر ، وتجمعت السفن ذات الحجم المتوسط والصغير بالقرب من مدينة المحرق ربما لانها كانت موقعاً مركزياً يستطاع منه الحركة بسهولة وسرعة إما إلى ميناء المنامة او إلى خور القلعة . وأغلق مدخل خور القلعة بأن اغرقت فيه قوارب محملة بالاحجار ، وتم إصلاح كل التحصينات وترميمها ؛ وتجمع عرب كثيرون من اماكن عديدة للدفاع عن الجزر . وفي نفس الوقت أيضاً بذل العتوب جهوداً كبيرة لرشوة شيخ ابو ظبي كي يقف موقفاً حيادياً ، ويبدو من تطور الأحداث أن هذه الجهود لم يقدر لها النجاح .

وكان الشاطىء المواجه لمرسى اسطول مسقط تراقبه في البداية فرقة يقودها خليفة بن سلمان الشيخ الثاني في البحرين . ولكن بعد ثلاثة أيام قضاها العمانيون منهمكين في تنظيف مدخل الخور من هذه العقبات الصناعية انسحب المدافعون الى الحورة وهي ضاحية شرقي مدينة المنامة . وفي ٥ نوفمبر على وجه التقريب ، طهر مدخل خور القلعة ودخلت

منه سفينتان و ١١ قارباً ، وطلبوا من العتوب الاستسلام وانذروهم ، لكن هؤلاء تلقوا انذارهم باستخفاف . وفي ليلة ٥ نوفمبر استطاع بعض جنود مسقط النزول الى ارض جزيرة سترة ، واحتلال إحدى قلاعها ، وفي اليوم التالي حاولت بعض سفن الاسطول ضرب مدينة المنامة وقلعة هالة ابو ماهر لكنها فشلت ، ولم يحدث شيء حتى يوم ٩ نوفمبر حين علم السيد سعيد بأن جنود الشيخ طحنون وبني ياس بدأوا النزول من السفن دون اوامر في المنطقة ما بين رأس الجفير ورأس ام الحسام ، فهاله ذلك وأسرع الى الشاطىء يصحبه حارس نوبي وبعض ممن استطاع جمعهم من الرجال ، وقبل ان تصـــــل هذه الجماعة الى المكان المقصود كان العتوب الذين يحمون مدينة المنامة ويغطونها قد حملوا على الفرقة التي نزلت الى الارض حملة شديدة مفاجئة ، وشتتوا شملها بفضل هجوم الفرسان من وراء غابات النخيل في ماهوز على جناح الفرقة ومؤخرتها ، وقد لوحظ ان بني ياس كانوا اول من هرب من هذا الاشتباك ، وتردد بعد ذلك مباشرة أنهم رفعوا سلاحهم على حلفائهم ، ونهبوهم ، بل وعملوا كل ما يمكنهم عمله للحيلولة بين لاجئيهم والهرب الى القوارب حتى ان السيد سعيد نفسه ، الذي ابعده حرسه النوبي عن ميدان القتال اضطر لان يقطع مسافة سابحاً كي يصل في سلام ، وأثناء سباحته أصابته ضربة رمح في قدمه . ويبدو ان هذه الحادثة وقعت على الضفة الجنوبية من خور القلعة ، في مكان ما بين المدخل الشرقي للخليج ومدينة المنامة . وفي نفس الوقت ساد الفزع جنود الاسطول وهم يرون ما يحدث على الشاطىء ، وبدلا من دخول الاسطول في المعركة وتقديم العون للمقاتلين ، رفع مراسيه وأقلع من خور القلعة ، وأثناء تنفيذ هذه المنـــاورة غرقت سفينة بشراعين وأخرى متوسطة الحجم استولى عليها العتوب واستطاع العمانيون ــ في جنح الليل ــ تدمير السفينة الاولى قبل ان يجرها الأعداء كمغنم لهم ، وقدرت خسائر الغزاة في هذه العملية بحوالي ٥٠٠ رجل .

وإزاء هذه الكوارث ، من هزيمة منكرة ، الى تخوف من مزيد من الخيانة ، وجراح نازفة في الساق ، الى تفشي وباء الكوليرا بين الجنود على ظهور السفن ، الى ترامي الانباء المكدرة في مستعمرات عمان الافريقية ، ازاء ذلك كله ، وجد السيد سعيد نفسه مضطراً لبذل محاولات متلاحقة اراق فيها ماء وجهه ، لعقد الصلح . وأخيراً ارغم على العودة إلى عمان بقواته كلها في ٢١ نوفمبر . ولم يفلح العذر الذي قدمه السيد سعيد وهو ان الله لم يبارك حملته هذه في تلافي هبوط أسهمه في كل مكان في منطقة الخليج . وربما كانت هذه الهزيمة سبباً من الاسباب التي ستدفع بالسيد سعيد –بعد سنة ١٨٢٨– لأن يوجه اهتمامه كله الى ميدان بعيد وأقل وعورة .. وهو ميدان افريقيا .



تتابع الاحداث ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩

شيخ البحرين يرجع إلى المقيم السياسي البريطاني ديسمبر ١٨٢٨ :

وعقب رحيل اسطول الاعداء مباشرة ، كتب الشيخ عبدالله للرائد د. ويلسون ، المقيم السياسي في بوشهر ، يشكو اليه ما فعله شيخ ابو ظبي وانضمامه الى الحملة على البحرين ، مشيراً الى المادة الرابعة من معاهدة السلم الشاملة التي يلتزم بها شيخ البحرين وشيخ أبو ظبي كلاهما والتي تنص « على الا تتقاتل القبائل المتصالحة بعضها مع بعض » ورد المقيم عليه فأوضح له معنى هذا النص ، وكيف أنه يمنع الحرب بين القبائل المتصالحة اذا اتخذت هذه الحرب شكل عمليات القرصنة لا شكل الحرب العلنية السافرة .

الحرب البحرية بين شيوخ العتوب وسيد عمان ١٨٢٩ :

وحين علم شيوخ البحرين ان الاشتباك في حرب منظمة أمر لا يتناقض مع معاهدة ١٨٢٠ قرروا القيام بالحرب في مياه العدو ، واعدوا

لذلك اسطولا من سبع سفن كبيرة ، وارسل السيد سعيد فرقاطتين لملاقاته ، وابحر أسطول العتبي في ٢١ مارس ١٨٢٩ تحت قيادة الشيخ عبدالله بن أحمد شخصياً .

والتقت سفن مسقط الحربية بعد قليل بسفينة بحرينية عائدة من الهند هي السفينة «سيار» ، فحاولت اولا ارهابها باطلاق النيران عليها عن بعد ثم النزول الى ظهرها ، لكنها وجدت بحارة السفينة مستعدين للرد عليهم بالقذائف السريعة الاشتعال ، فتراجعت سفن عمان وواصلت إطلاق النيران على السفينة من بعيد ، واخيراً استطاعت «سيار» ان تهرب الى البحرين تحت جنح الليل ووصلتها سليمة الا من بعض الخسائر في حمولتها

وفي نفس الوقت ، التقى اسطول العتوب بسفينة ضخمة تابعة لشيخ عسالو ، فاشتبك معها لكنها أصلته ناراً حامية ودام الاشتباك عدة ساعات ، فتراجع اسطول العتوب ووجد مغنماً سهلا في سفينة من مرباط فاستولى عليها في عرض البحر بالقرب من مسقط ، وأثناء عودة الاسطول بغنيمته الى البحرين وجد فرقاطتين من مسقط تقطعان عليه الطريق بالقرب من كوع مبارك ، فوضعوا سفينة مرباط بين اسطولهم وبين فرقاطتي عمان ، وبدأوا نقل حمولتها الى سفنهم ، وهبط الظلام ، فأغرق العتوب سفينة مرباط وغيروا طريقهم ليهربوا بغنمهم الى البحرين .

ولم تكن مرباط ، التي تقع بعيداً عن الطرف الجنوبي للجزيرة العربية ، تابعة لمسقط في ذلك الوقت ، وكان العمل الذي قام به العتوب بالنسبة لسفينة هذا الميناء عملية قرصنة لا شبهة فيها . وارسل المقيم السياسي انذاراً فورياً يطالب فيه برد حمولة السفينة التي نهبت ، وسلمت الانذار سفينتان من السفن الحربية البريطانية وقد أثمر جداً حتى إنه تمت اعادة مسروقات كانت قيمتها تتجاوز ثمانية آلاف روبية ، وسلمت بضائع أخرى إلى أصحابها في البحرين . ولتسوية بقية المبلغ اقترح ان يطلب الى شيخ البحرين دفع تعويض نقدي اضافي غير

أنه تقرر عدم اتخاذ اجراءات لمتابعة الامر لما كان يتطلبه هذا العمل من وجود اربع سفن حربية بريطانية لمحاصرة ميناء البحرين ناهيك عن احتمال تعطيل الملاحة بواسطة القذائف والصواريخ مما سيضفي على العملية طابع الخطورة .

عقد الصلح بين شيوخ العتوب وسيد عمان ٢ ديسمبر ١٨٢٩ :

وفي نفس الوقت بدرت عن السيد سعيد تلميحات بأنه يعد حملة جديدة على البحرين ، فأصدرت حكومة الهند اوامرها الى الرائد ويلسون المقيم السياسي في بوشهر في ابريل ١٨٢٩ بعرض خدماته كوسيط في هذا النزاع . وتقبل السيد سعيد هذا العرض بترحيب ، فهو من ناحية كان متلهفاً للسير الى زنجبار ، ومن ناحية أخرى كان يدرك ما له من حظوة لدى السلطات البريطانية . لكن العتوب المنتصرين استطاعوا ان يوقفوا هذه الاجراءات حين اصروا على ان تأخذ الحكومة البريطانية على عاتقها مسئولية مراقبة تنفيذ أية معاهدة تعقد بين الطرفين مسئولية كاملة . ورفض المقيم البريطاني بحزم قبول هذا الشرط رغم ان السيد سعيد كان يتلهف ايضاً لوجوده ، وبعد عدة شهور من المباحثات الفاشلة أعلن المقيم البريطاني انتهاء وساطته ، وكعقاب لشيوخ البحرين على عنادهم سحب طراد بريطاني كان موجوداً بصفة دائمة على شواطىء اللؤلؤ للمحافظة على النظام في موسم ١٨٢٩ . وبفضل هذه اللامبالاة الواضحة من جانب السلطات البريطانية عاد الشيخ عبد الله الى رشده ، وتم في ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٩ –بوساطة الشيخ محمد بن ناصر شيخ بوشهر – توقيع اتفاقية فصلت بين الطرفين المتصارعين وكانت أهم شروطها أن تقوم البحرين مستقبلا بدفع الجزية لمسقط ، وألا يتدخل أحد هذين الحاكمين في شئون الآخر الداخلية ، وأضيف الى شروط هذه الاتفاقية تعهد شفوى بأن يقدم كل من الطرفين عونه للطرف الثاني في حالة وقوع هجوم عليه من جانب طرف ثالث ، وقد

سمح للشيخ طحنون شيخ ابو ظبي بالإفادة من مزايا هذا السلم ، وبناء على طلب شيوخ العتوب استبعد آل بو سميط المتمردون من الاتفاقية .

★ ★ ★

التاريخ العام منذ توقيع الصلح مع سيد عمان حتى وصول القوات المصرية الى الاحساء ١٨٣٠ - ١٨٣٨

خضوع شيوخ البحرين لأمير الوهابيين ١٨٣٠ - ١٨٣١ :

وبعد هذه الاحداث بقليل عاد الى الأحساء نفوذ قوي كان غائباً عنها لمدة طويلة ، ونعني به نفوذ وسط الجزيرة ، فقد أقام امير الوهابيين تركي بن سعود قاعدة فيها وسرعان ما أصبح لهذه القاعدة آثارها على مكانة شيوخ البحرين .

وفي نهاية سنة ١٨٣٠ طلب الوهابيون من شيوخ البحرين دفع الزكاة اليهم كما طالبوهم بتعويض يصل الى ٤٠ الف دولار لحساب خيول كان الوهابيون قد تركوها في عهدة الشيخ عبدالله منذ سنوات بعيدة ، كذلك طلبوا ايضاً التنازل لهم عن قلعة الدمام على شاطىء الأحساء . واقترح الوهابيون ان يجعلوا على الدمام بشير بن رحمة بن جابر عدو العتوب اللدود فيما مضى . وحاول شيوخ البحرين كسب تدخل بريطانيا الى صفهم ، لكنهم فشلوا في ذلك ، وبدأت تساورهم المخاوف من تحالف يقوم بين الوهابيين والسيد سعيد في مسقط فأرسلوا قريباً لهم إلى الرياض يتفاوض باسمهم ، وفي النهاية سويت الأمور على أن يعترف شيوخ البحرين بسيادة أمير الوهابيين عليهم وأن يدفعوا له الزكاة ، ويبدو أن الوهابيين تنازلوا عن مطلبهم بتسليم قلعة الدمام نظراً لخضوع شيوخ البحرين لهم ، وفي مقابل ذلك تعهد الوهابيون ببسط حمايتهم على البحرين في وجه أي عدوان خارجي عليها ، لكن شيوخ العتوب

لم يكونوا يثقون بعهود الوهابيين خاصة لمسلكهم غير الودي في تنصيب بشير بن رحمة على جزيرة طاروت المواجهة لمدينة القطيف ، والذي سرعان ما لحق به هناك معظم آل بو سميط أعداء حكام البحرين الألداء منذ زمن بعيد .

شيخ البحرين يرفض سيادة أمير الوهابيين ١٨٣٣ – ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣٣ تشجع الشيخ عبدالله شيخ البحرين برحيل بشير بن رحمة الى مسقط – وكان هذا قد وجد اقامته في طاروت شبه مستحيلة نظراً لعداء أهل القطيف له– فتخلى عن خضوعه للوهابيين . وكان شيخ البحرين قد حرص قبل ان يغامر بالقطيعة مع الوهابيين على ضمان جياد سيد عمان ، كما كان مؤيداً من جانب القبائل العربية على الارض المجاورة خاصة فرع عمير من بني خالد الذين بدأوا مباشرة وبتحريض منه يضايقون الوهابيين في الأحساء ، لذلك لم يستطع حكام الرياض أن يقوموا بأي عمل رداً على قطعية شيخ البحرين . وفي ١٨٣٤ بدأ الشيخ عبدالله مهاجمة وحصار موانى الوهابيين في القطيف والعقير . وجاء اغتيال أمير الوهابيين بعد ذلك بفترة قصيرة على يد ابن شقيقه مشاري فَعُزِيَ الى مكيدة من شيخ البحرين الذي لم يخف احتفاله بالمناسبة فأطلق نيران مدافعه واتخذ مظاهر أخرى تعبيراً عن ابتهاجه ، واستطاع شيخ البحرين بتقديم بعض الرشاوى وبسبب فشل محاولة قام بها امير الوهابيين الجديد فيصل بن تركي لاستعادة جزيرة طاروت أن يواصل حصاره لميناءي القطيف والعقير ، بعد أن كان رفعه كما راح ايضاً ينهب سفن كلا الميناءين .

الحالة الداخلية لآل خليفة في البحرين ١٨٣٣ – ١٨٣٥ :

وفي ١٨٣٣ وحين أعلن الشيخ عبدالله قطيعته للوهابيين ، أقام وقتاً ما مع ابنيه مبارك وناصر في قطر ليراقب استعدادات العدو ، وواضح أنه عاد بعد فترة إلى البحرين . وبعد موت ابن شقيقه وشريكه في الحكم

ـالشيخ خليفه بن سلمان في ٣١ مايو ١٨٣٤ـ.أصبح الشيخ عبدالله هو الحاكم المطلق في البحرين . غير أن عناده واستقلاله برأية وتلهفه على أن يمسك بخيوط السلطة جميعاً في يديه دون اقربائه الادنين ـبل ودون ابنائه أيضاًـ إلى جانب تهاونه وتساهله في غير ضرورة للتساهل والتهاون ، وسوء حكمه عموماً حين تفرد بالحكم أدت جميعها إلى ان تصبح الحالة الداخلية في إمارته تنذر بالخطر .

وفي سنة ١٨٣٥ تمرد أهل الحويله في قطر على سلطته ، وبدأوا يراسلون الوهابيين ، وتمرد واحد من ابنائه مناصرة لأهل الحويله وبدأ بمعونة عدة مئات من الوهابيين يشن غارات على تجارة البحرين في البحر ، كما قام ابن آخر من ابنائه ـوهو أحمدـ بإثارة عدة حوادث شغب في البحر دفع تعويضات عنها بمجرد طلب السلطات البريطانية منه ذلك ، ثم رحل إلى قطر ومنها الى مسقط بهدف الحصول على عون السيد سعيد ضد أبيه في البحرين .

لكن السيد سعيد ـبدل أن يحقق رغبة أحمدـ أرسل ابنه السيد هلال إلى البحرين لتسوية الخلافات القائمة بين آل خليفه ، وتم التوصل إلى إتفاقية بينهم ذكرناها بالتفصيل في تاريخ قطر . ولكن سرعان ما خرقها أنصار الشيخ عبدالله الذين أغروا آل بو كواره ليهاجموا أهل الحويله ، ورفض الشيخ أن يدفع تعويضات عن هذا العمل ، وأدت هذه الحادثة الأخيرة إلى هجرة عيسى بن طريف ـأقوى رجل في الحويله ـ والتجائه إلى شيخ ابو ظبي في عمان المتصالحة ، وستشير إلى اعماله التالية فيما بعد .

الصلح بين الوهابيين والعتوب ١٨٣٦ :

وحوالي منتصف سنة ١٨٣٦ توجس الشيخ عبدالله خيفه من بوادر نوايا حكومة شيراز ، ربما بعون من سيد عمان لتجديد مزاعم سيطرتها على البحرين ، فاتخذ خطوات نحو التوصل الى تسوية مع أمير الوهابيين .

وتلقى الامير فيصل بن تركي هذا العرض بارتياح ، فقد سبب حصار البحرين لموانى الاحساء خسارة لرعايا الوهابيين فيها ، كما بدأت القوات المصرية الآن تضغط على جبهته الغربية . وتم التوصل الى اتفاقية بالفعل . وتعهد الشيخ بأن يدفع جزية رمزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية للامير ، وتعهد الامير في مقابل ذلك بأن يقدم قوات من جنوده للدفاع عن البحرين ضد أي هجوم خارجي ؛ كذلك امتنع عن ان يطلب من الشيخ توفير وسائل الانتقال البحرية له إذا فكر في القيام بحملة بحرية على مسقط ، واعيد فتح طريق المواصلات بين البحرين وموانى القطيف والعقير .

الحالة الداخلية في البحرين ١٨٣٦ – ١٨٣٨ :

وفي نفس الوقت كان احتمال الرعايا البحرينيين يتناقص يوماً بعد يوم ، كذلك أيضاً بدأت الجزر تخلو من سكانها المهاجرين ، وكانت المدن في حالة من الفوضى والخراب ، وهبط إيجار المنازل إلى القيمة التي كانت عليها منذ سنوات قليلة ، وزعم ستة من ابناء الشيخ ان لكل منهم سلطته المستقلة ، وانحصرت جهودهم جميعاً في ابتزاز الاموال من التجار وغيرهم من ذوي اليسار ، ولم يكن للمواطن البحريني العادي أية حقوق معترف بها ، حتى حيواناته التي يملكها كثيراً ما كانت تؤخذ منه لاعمال السخرة ، ولا تعاد اليه ابداً . وكانت النتيجة هجرة جماعية لأهالي البحرين الى مختلف مناطق الخليج .

والحقيقة ان الدور الذي قام به الشيخ عبدالله والذي كان يفترض فيه ان يتضاءل مع تقدمه في السن – وذلك ما لم يحدث كما تبين الاحداث اللاحقة – كان دوراً شائناً بالفعل ، فهو لم يقدم أية تعويضات عن الاضرار التي كانت تلحق برعاياه ، واكتفى بأن ينصحهم بالبعد عن طريق أبنائه وأنصارهم . وأعلن في سنة ١٨٣٦ أنه على وشك الانتقال للإقامة بخور حسان في قطر ، وأدى إعلانه عن هذه الخطوة الى ان يسارع أقاربه الذي لم يكونوا مستعدين لمواجهة نتيجة مثل هذا العمل المتعب

إلى الاعتذار المتعجل له ، والوعد بالطاعة من جانبهم . وقد كشف انذار وجهه الشيخ بحضور المعتمد البريطاني لتاجر من بوشهر لإبلاغه لزملائه التجار جميعاً بألا يطلب أحد اليه حماية او تعويضات عن عمل أو أمر يصيبه عن نية الشيخ الجادة في اتخاذ قطر قاعدة لأعماله ضد أقاربه المناوئين له في البحرين . كما أنه اتخذ في سنة ١٨٣٧ خطوات أخرى لتنفيذ تهديده هذا فأرسل زوجتين من زوجاته بأطفالهما ومنقولاتهما –حتى أبواب المنازل– للإقامة في خور حسان، وفزع أبناء الشيخ وبقية أقاربه لهذا الاجراء من جانبه فأصلحوا سلوكهم فترة من الزمن .



علاقات بريطانيا بالبحرين ١٨٣٠ – ١٨٣٩

وكان من نتائج هذه الاختلافات بين آل خليفه الاعتداء على الوكيل المحلي للحكومة البريطانية في البحرين مما أدى الى قطع العلاقات بين بريطانيا وحكومة البحرين ، فقد علم أبناء الشيخ أن مبلغاً كبيراً من المال مستحق الدفع من جانب الوكيل البريطاني لابيهم لمعاملات تجارية ، فطالبوا بدفعه لهم هم ، واستطاعوا بارتكاب حماقات وبمعاملة الوكيل معاملة سيئة أن يبتزوا منه مبلغاً كبيراً . وحاول الوكيل–الذي يبدو ان شيخ البحرين رفع عنه حمايته– ان يهرب من ازدياد المعاملة السيئة التي يتعرض لها، لكنه اضطر للظهور رسمياً بمناسبة وصول سفينة بريطانية إلى الميناء ، وبالتالي لم يستطع الهرب ، ولقي معاملة أكثر سوءاً من ذي قبل .

ورفض الشيخ دفع التعويض ، فأرسلت قوة بحرية بريطانية إلى البحرين لتحصيلها بالقوة اذا لزم الأمر ، وتحت هذه الظروف استسلم الشيخ للمطالب المقدمة اليه وهي ان يأتي أحد أبنائه – أو هو بنفسه – لمقابلة الضابط البحري الأول ومعه خلعة تكريم للوكيل البريطاني ، وان

يتم جلد الذين اشتركوا في إهانته وسوء معاملته إما على ظهر السفينة الانجليزية نفسها او على ظهر أي قارب من قوارب الشيخ الممتدة على طول الساحل .

استبعاد شيخ البحرين من توقيع معاهدة الهدنة البحرية ١٨٣٥ :

وحين عقدت الهدنة البحرية الاولى في سنة ١٨٣٥ بين شيوخ عمان المتصالحة -كما هو مذكور بالتفصيل في تاريخها- لم يدع شيخ البحرين للتوقيع على هذه المعاهدة رغم أنه يماثل هؤلاء الشيوخ في كل شيء حتى كان طرفاً في معاهدة الصلح الشاملة لسنة ١٨٢٠ . وكان استبعاده يعود لأمرين : الاول ان سلوك الشيخ فيما يتعلق بالأمن في البحار لم يكن خالياً من الشوائب حتى ذلك الحين وثانياً أن الشيخ لن يستطيع ان ينتهج سياسة معاكسة لسياسة بريطانيا القادرة دائماً على ايقاع العقاب به لو فعل مثل ذلك ، كما أن شيخ البحرين لو سمح له بالانضمام الى معاهدة السلم البحرية فقد يطالب السلطات البريطانية بحماية البحرين من الهجوم عليها في حالة قيام لحرب بينه وبين عمان وهو أمر كان محتمل الوقوع .

ا متداد الخط الحاجز إلى البحرين ١٨٣٦ :

وتم تحديد خط مانع لا يسمح بعده بارتكاب اعمال عدوانية في البحر بين عمان المتصالحة والساحل الايراني ، وقد نفذت ذلك السلطات البريطانية وبموافقة شيوخ عمان المتصالحة دون توقيع اتفاقية رسمية . وفي نفس السنة ، وبعد اضطراب العلاقات بين شيخ البحرين وأهل الحويلة في قطر ، امتد الخط بموافقة الشيخ عبدالله حسب خطابه بتاريخ ٢٦ مارس ١٨٣٦ من جزيرة حالول ، على مبعدة عشرة أميال عن رأس ركن أقصى الشمال من قطر ماراً بجزيرة قراين إلى رأس الزور حيث يلتقي بالساحل العربي .

قرصنة بني عمير وبني هاجر ١٨٣٧

وفي سنة ١٨٣٧ انتهز فرع عمير من بني خالد وبعض بني هاجر المستقرين في الدمام وهم اسمياً على الاقل يعتبرون رعايا لشيخ البحرين فرصة الفوضى السائدة في الاحساء كما في غيرها من ارض الوهابيين للقيام بحملة قرصنة على سفن ميناء القطيف ، كما ان بعض القوارب التابعة للبحرين أيضاً وقعت ضحية قرصنتهم . فحاول الشيخ عبدالله استصدار اذن من الحكومة البريطانية بمعاقبتهم ، ونجح بسرعة في الاستيلاء على قاربين من قواربهم ، وقتل في هذه العمليات خمسة من القراصنة .

تفادي الحرب البحرية بين البحرين وأبو ظبي ١٨٣٨

وكان نفوذ المقيم البريطاني في الخليج هو الذي يحول بين عيسى بن طريف منذ هجرته من حويله قطر في ١٨٣٥ واستقراره في ابو ظبي بعمان المتصالحة— وبين القيام بغارات انتقامية على ارض شيخ البحرين .

وفي سنة ١٨٣٨ حصل الشيخ عبدالله —الذي كان يلح في ضرورة رجوع المهاجرين ممن كانوا غادروا البحرين مصرين على عدم العودة — على اذن بارغامهم على العودة بالقوة البحرية بعد انقضاء مهلة محددة .

وكان آل بن علي وآل بو عينين احراراً في ان يقاتلوا معه بعد انقضاء هذه المهلة ، لكن الشيخ كان في دخيلة أمره متردداً من التورط في حرب لا بد ستجره لقتال ابو ظبي فتأمل أن تقوم الحكومة البريطانية بالضغط على هؤلاء المهاجرين كي يعودوا ، وعرض بواسطة المقيم البريطاني في بوشهر قبل حلول اليوم المحدد لانتهاء المهلة ،أن يسمح لهم بالعودة الى قطر . ووضعت بالتالي سفينة حربية بريطانية تحت تصرفه لتنقله هو أو من يعينه وكيلا عنه إلى ابو ظبي لإجراء المفاوضات على هذا الاساس ، غير ان الشيخ عبدالله رفض في النهاية التوصل الى أية اتفاقية مع اولئك المتمردين ما لم تضمنها الحكومة البريطانية ، وهو شرط

لم تستطع السلطات البريطانية الموافقة عليه . وأعلنت الحرب فأبلغ كلا الجانبين بأن عملياتهما الحربية يجب الا تتجاوز الخط المانع .

ويبدو أن اهل البحرين هم الذين منوا بالخسارة الفادحة في الاضطرابات التي أعقبت ذلك ، وفي سنة ١٨٣٩ طلب تجار الإمارة توسط المقيم البريطاني لإنهاء هذا الصراع ، والتوصل لاتفاقية . لكن المقيم المساعد الذي ارسل لهذا الغرض إلى الساحل العربي وجد ان كلا الطرفين ممتنع عن التوصل لاتفاقية ما لم تضمنها الحكومة البريطانية .. ولم يكن من ناحيته مفوضاً بمثل هذه الصلاحيات .

وفي نفس الوقت ـ على أية حال ـ بدأت مراسلات ودية بين شيخ البحرين وشيخ ابو ظبي ، وكان هذا الاخير ساخطاً على مسلك عيسى بن طريف وقد ابلغه بالفعل أنه يخيره بين أن يترك بلاده او ان يقيم فيها كمواطن يحترم القانون ويلتزم به . وبعد فترة قصيرة عقد حلف دفاعي هجومي بين الشيخين عجل بعقده وجود القوات المصرية في الاحساء وتهديدها لاستقلال البحرين . وكانت النتيجة ان قرر عيسى بن طريف أن يلتمس لنفسه مأوى آخر غير ابو ظبي بعد انتهاء موسم الغوص وراء اللؤلؤ لسنة ١٨٣٩ كما وافق في نفس الوقت على إيقاف كل أعماله العدائية .

★ ★ ★

الحالة في البحرين أثناء احتلال القوات المصرية الاحساء ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠



وصول القوات المصرية إلى الأحساء ومطالبها من البحرين باسم الامير خالد ١٨٣٨

قرب نهاية سنة ١٨٣٨ أسر خورشيد باشا قائد القوات المصرية التي اجتاحت وسط الجزيرة فيصل بن تركي أمير الوهابيين في الخرج

وبعد نفيه الى القاهرة وضع المصريون بدله دمية لهم باسم الامير خالد . وبعدها مباشرة تم احتلال الاحساء ، ولجأ أمير الوهابيين فيها عمر بن عفيصان الى البحرين ، وتكشفت خطط المصريين ضد إمارة البحرين نفسها بعد فترة قصيرة بالمطالب المتتالية من شيخها والمقدمة باسم الامير خالد ، لدفع الجزية كما كان الامر في الماضي ، ولإعادة جزيرة طاروت وحصن الدمام ولتسليم عمر بن عفيصان . وفي نفس الوقت كانت فرق من القوات المصرية مشغولة بجمع الامدادات لبقية القوات من جزر البحرين وغيرها من الأماكن البعيدة .

موقف حكومة الهند :

وأصدرت حكومة الهند وهي المهتمة بهذه الاحداث اوامرها الى المقيم العام في الخليج باستخدام كل إمكاناته لوقف التجاوزات المصرية ، لكن عدم وجود تعليمات واضحة لديها من لندن جعلها لا تستطيع ان تقترح خطاً محدداً للعمل ولذلك ترددت تردداً طويلا في أن تقدم لشيخ البحرين وعداً بمساعدته .. وكان هو في ذلك الوقت متلهفاً أشد التلهف للحصول على مثل هذا الوعد ، ورد الكابتن هينيل المقيم السياسي على سؤال من جانب الشيخ ، فأبلغه –في مارس سنة ١٨٣٩ على الارجح– أنه لا يستطيع أن يقدم له رأياً محدداً بشأن ما يقترحه من إرسال أحد أقربائه لمقابلة خورشيد باشا في الأحساء ، وأبلغه أنه يجب ان يكون هو الفيصل في مثل هذه الشئون .

طلب شيخ البحرين المعونة من الحكومة الايرانية :

ولما كان الشيخ عبد الله فزعاً من تقدم القوات المصرية وأفزعه أكثر وأكثر تردد إشاعة – يبدو أنها كانت قائمة على أساس من الصحة – بأن سيد عمان كان يتآمر مع القوات المصرية للاستيلاء على البحرين وحكمها كمقاطعة نائباً عن مصر فقد اعترف في مواجهة ما يطلب منه باسم الامير خالد بأنه أي شيخ البحرين من رعايا الحكومة الإيرانية .

وصول مبعوث ايراني إلى البحرين

وبهدف تأكيد هذا الزعم وربما بناء على اقتراح من الشيخ نفسه ارسل الامير الحاكم في شيراز مبعوثاً هو حاجي قاسم ليقيم في البحرين ، وكان هذا الرجل من قبل مسئولا عن شحن السفن التجارية ، لكنه أصبح الآن يحمل لقباً وثوباً شرفياً من شيخ البحرين ، وتحرسه فرقة من ١٠ جنود ايرانيين . وكان ارساله فشلا محققاً من كل ناحية خاصة بالنسبة لما كانت الحكومة الايرانية تفترضه من ان شيخ البحرين سيدفع جزية سنوية مقابل تأييدها وحمايتها .

أول أوامر واضحة من حكومة الهند بصدد خطط القوات المصرية في البحرين ١ ابريل ١٨٣٩ :

ولما ازدادت نوايا خورشيد باشا وضوحاً تجاه البحرين وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة لان تستبق تعليمات حكومة صاحبة الجلالة بشأن السياسة التي يجب أن تنتهجها في الخليج . وانتهزت فرصة وجود أسطول بريطاني في هذه المياه لتفويض قائده سير ف. متيلاند « بأن يستخدم كل امكاناته وبقوة » لمنع قائد القوات المصرية من التقدم ، وخاصة إذا توجه لغزو البحرين ، وفوضت الاميرالية البريطانية قائد الاسطول بأن يقدم لشيخ البحرين ، في حالة إصرار القوات المصريةعلى تنفيذ مخططاتها ضده ، كل معونة تمكنه من المقاومة دون التورط في حرب فعلية ، واعتبرت حكومة الهند هذه التعليمات كافية لمواجهة الموقف ، والمحافظة عليه كما هو . ولم يكن الحاكم العام في الهند مستعداً في ذاك الوقت لعقد اتفاقية جديدة مع شيخ البحرين ، ولكن صدرت الاوامر للاميرال بأن هذه الاتفاقية لو كانت أمراً مرغوباً فيه ، فعليه أن يشجع شيخ البحرين على تقديم اقتراحاته ، ويقوم هو برفعها الى حكومة الهند .

وصدرت الاوامر للمقيم العام كابتن هينيل في خطاب مؤرخ

في ١ ابريل ١٨٣٩ بأن يقدم احتجاجاً لقائد القوات المصرية بصدد خططه ضد البحرين ، وبابلاغه أن عمله هذا امر يتناقض مع التفاهم القائم بين الحكومتين المصرية والبريطانية وقد يؤدي الى اضطراب العلاقات الودية بينهما . كما صدرت اليه الاوامر ايضاً بأن يذكر بالتفصيل القوة المادية لمختلف الاطراف في المنطقة خاصة قوة شيخ البحرين .

وفي نفس الوقت كتب خورشيد باشا للمقيم العام البريطاني ليجس نبض الحكومة البريطانية في حالة مواصلة القوات المصرية لفتوحاتها ، ورد المقيم البريطاني عليه فطلب منه عدم اتخاذ أي إجراء ضد البحرين قبل توجيه إنذار لرعايا الحكومة البريطانية المقيمين في الجزر قبل وقت كاف . وقد أيدت حكومة الهند هذا الطلب من جانبه ، واعتبرت وقت صدوره مناسباً ، لا سيما وأنه يتيح فرصة لتأجيل الأزمة المحتملة حتى وصول سير ف. متيلاند من البحرين .

اوامر حاسمة من حكومة الهند :

وفي خطاب مؤرخ في ١٨ إبريل ١٨٣٩ تقدمت حكومة الهند خطوات أخرى متجاوزة الموقف الذي اتخذته منذ البداية ، فخولت قائد بحريتها –في حالة طلب شيخ البحرين تدخل بريطانيا وتعهده بأن يضع أرضه تحت الحماية البريطانية – بأن يؤكد له أنه تحت حماية مؤقتة من جانب اسطول صاحبة الجلالة في الخليج . وابلاغ خورشيد باشا بفحوى هذا الإجراء ، وانه ليس من المناسب ان تواصل القوات المصرية عملياتها العسكرية قبل ان يتلقى كل من المسئولين تعليمات تالية من حكومته . واذا فشلت هذه الاجراءات فعلى سير ف. متيلاند إبلاغ خورشيد باشا بأنه يحمله المسئولية كاملة في حالة عبوره الخليج الى جزر البحرين عن ارتكاب عمل معاد للحكومة البريطانية التي امرت ممثليها في المنطقة بالدفاع عن الإمارة حتى صدور اوامر أخرى من حكومة

صاحبة الجلالة ، وعليه بعد تبليغه هذا الانذار أن ينصرف الى اعداد وسائل الدفاع عن البحرين بقدر ما تسعفه الإمكانات المتوافرة له .

زيارة الاسطول البحري البريطاني للبحرين

وحوالي نفس الوقت تقريباً ، قام سير ف. متيلاند بزيارة البحرين على سفينة صاحبة الجلالة « ويلسلي » يصحبه الكابتن إدمونلدز مساعد المقيم السياسي ، وقدم إليه الشيخ عبدالله تعهداً كتابياً من جانبه بألا يضع نفسه تحت سلطة أو حماية أية دولة أجنبية قبل استشارة المقيم البريطاني . ولا يبدو أن أية مراسلات حدثت بين قائد الاسطول البريطاني وخورشيد باشا ، ربما لأن الأول لم يتلق تعليمات جديدة — عندئذ — من حكومة الهند .

تقرير المقيم السياسي البريطاني عن الموقف ٧ مايو ١٨٣٩ :

ورفع كابتن هينيل بتاريخ ٧ مايو سنة ١٨٣٩ — وحسب اوامر حكومة الهند — تقريراً تفصيلياً عن قوة الحملة المصرية في نجد والأحساء ، كذلك عن قوى ومواقف كل الشيوخ والحكام على الساحل العربي الذين كانت مصالحهم مهددة باعتداءات القوات المصرية .

وقد ذكر — فيما يتعلق بشيخ البحرين — ان وسائله الدفاعية قد تتيح له نجاحاً في حالة استغلاله الاستغلال الكامل ، فوَضْعُ إمارته المحاطة بمياه البحر ، الى جانب تفوقه الساحق في القوة البحرية بما فيها من القوارب الحربية من الطراز الاول ، كلها اعتبارات في صفه ، كما أن المقاتلين الذين يقفون الى جانبه يتجاوزون ستة آلاف رجل يمكن جمعهم من جزيرتي البحرين والمحرق فقط ، ويمكنه أيضاً أن يجمع ثلاثة آلاف رجل من ارض العتوب في البر ، وكلهم من الرجال الشجعان الذين يقاتلون في البر والبحر على السواء . ومن الناحية الأخرى كان ما يضعف شيخ البحرين عداء عيسى بن طريف له ، وانشقاق قبائل آل بني علي وآل بو عينين عليه ، هذا الى جانب وجود الشيعة في البحرين ، وهم من أهل البلاد نفسها لكنهم ليسوا مستعدين للحرب ، وكانوا مضطهدين من

جانب الحكم القائم ولذلك كانوا -بلاشك- متعاطفين مع أية عملية غزو للبحرين من الخارج . ولو استطاع خورشيد باشا أن يضمن لنفسه موقعاً صغيراً على جزيرة البحرين مع استمرار مواصلاته مع الأحساء ، فان العتوب لاشك سيخضعون لقواته النظامية العسكرية ، ولكن لما كان الشيخ متفوقاً من الناحية البحرية فان اي هجوم على الجزر كان يعتبر عملا خطيراً في جرأته ، وكان احتمال أن تقوم به القوات المصرية احتمالا ضئيلا . وكان يمكن القضاء على هذا التفوق البحري للعتوب اذا وصلت الى الميدان سفن حربية من مصر او من مسقط ، وبالنسبة لهذه الاخيرة فقد كان من غير المتوقع ان يتعاون ممثلو سيد عمان مع المصريين بهذا الصدد بعد أن عرفوا سياسة الحكومة البريطانية في هذا الموقف .

خضوع شيخ البحرين المفاجيء للمصريين .. واحتجاج المقيم البريطاني يوليو ١٨٣٩ :

وفي ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ وصل المقيم العام الى البحرين على سفينة صاحبة الجلالة « هيو ليندسي » » للقاء الشيخ عبدالله الذي أعلن فجأة ودون توقع اعترافه بسيادة المصريين ، وتعهد بأن يدفع لهم جزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية شريطة أن تبقى السلطة الداخلية كلها بين يديه ، وألا يرسل خورشيد باشا ممثلا له يقيم في البحرين .

وفي المحادثات التي دارت بينهما حاول الشيخ عبدالله ان يشرح للمقيم العام أنه لم يتخل عن وعده للكابتن إدموندز مؤكداً أن هذه الاتفاقية مع المصريين ، رغم انها ابرمت مؤخراً ، الا ان الاتفاق عليها تم منذ وقت طويل أي قبل وصول سفينة صاحبة الجلالة «ويلسلي» ، كما برر مسلكه هذا بما حدث قبل ثلاثة أشهر حين رفض المقيم أن يقدم اليه نصيحة أو تأكيداً محدداً بالمساعدة ، وبأنه أفلح في أن يجعل المنطقة خالية من الاضطرابات بفضل ما كان يقدمه من تضحيات مالية زهيدة .

وسلم الكابتن هينيل احتجاجاً كتابياً على هذه الاتفاقية لشيخ

البحرين ، وسلمت نسخة تتضمن نفس العبارات تقريباً لخورشيد باشا ، وأشار الكابتن هينيل لشيخ البحرين أيضاً إلى احتمال أن تعتبره الحكومة البريطانية بسبب علاقاته مع القوات المصرية بأنه يقوم بعمل عدائي ضد بريطانيا العظمى . واحتج الشيخ في رده بأنه لن يضع نفسه أبداً ضد مصالح الحكومة البريطانية حتى لو طلبت اليه القوات المصرية ذلك ، وعرض ان ينقض اتفاقيته مع الباشا المصري اذا قدمت اليه السلطات البريطانية وعداً صريحاً واضحاً بحمايته وبأن يصبح تابعاً للحكومة البريطانية . وحين طلب اليه كتابة اقتراحاته هذه تراجع ، وأضاف أنه إذا قام بالفعل بنقض هذه الاتفاقية فلا بد أن المصريين سيفسرون هذا العمل بأنه استجابة لضغط من جانب السلطات البريطانية وفي النهاية أكد الشيخ للمقيم البريطاني عدم شعبية القوات المصرية ووضعها الدقيق في شرقي الجزيرة ووسطها .

وكان الانطباع العام الذي خرج به المقيم العام من لقائه بالشيخ عبدالله بأن الشيخ ـ وقد تقدم به العمر كثيراً ووهنت قواه ـ قد خضع للمصريين تحاشياً للاضطرابات التي كانت تكدر راحته الشخصية وان النجاح السياسي العسكري الذي أحرزه خورشيد باشا قد صدم عقله الحاد بطبيعته ، وجعله يشك في قدرة الانجليز على ملاقاة المصريين في البر ، لكنه سيسعد ولا شك اذا خلصه النفوذ البريطاني من القوات المصرية دون ان يقوم من ناحيته ببذل أي مجهود .

وفي التقرير الذي رفعه كابتن هينيل عن أعماله هذه لحكومة الهند أفصح عن شكه في أن يكون الإجراء الذي أمرت به حكومة الهند للدفاع عن جزر البحرين باستخدام السفن الحربية البريطانية ضد أي هجوم عليها من البر ما يزال إجراءً عملياً وإن تغيرت الظروف ، وقد أبلغ بأن ثمة أماكن في الخليج يستطيع أسطول من القوارب عبورها بسلام . كذلك يجب منع السفن الكبيرة من الاقتراب من هذه المناطق ، وقد أكد الشيخ عبدالله أنه اتبع هذه الخطة بنجاح فيما مضى حين كانت الحرب قائمة بينه وبين الايرانيين الذين كانت لهم سفن كبيرة .

انسحاب القوات المصرية ١٨٤٠ :

ويبدو أن امور البحرين ظلت على ما هي عليه حتى جلاء القوات المصرية عن الأحساء في ١٨٤٠ حين انتهت علاقتهم بشيخ البحرين ، وظلت الامور في الإمارة تسير في مجراها المألوف . ونشير هنا الى ان الاجراءات التي قامت بها سلطات حكومة الهند الى جانب المسئولين البريطانيين في المنطقة قد اقرتها اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية حين عرفت بها . وكان رأي اللجنة موافقاً لرأي رفضه الكابتن هينيل بأنه من غير المناسب فرض حماية منتظمة على البحرين في ذلك الحين .

★ ★ ★

الحرب الاهلية في البحرين وعزل عبد الله بن أحمد عن مشيختها ١٨٤٠ ـ ١٨٤٣

حكومة بريطانيا تتخلى عن عطفها على شيخ البحرين ١٨٤٠

لقد أدى سلوك شيخ البحرين تجاه خورشيد باشا إلى اعتباره ميالا لعقد تحالف مع المصريين وبالتالي متخلياً عن صداقة الحكومة البريطانية وناقشت اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية إمكانية استبداله بشيخ آخر أكثر استعداداً للتفاهم ، وقررت حكومة الهند الا تقف في وجه سيد عمان اذا حاول مرة أخرى ان يغزو البحرين . ورغم ذلك ـوبصرف النظر عن السلم في البحر بشكل عام ـ فقد رفض السماح لعيسى بن طريف الذي كان قد هاجر هو وانصاره من أبو ظبي واستقر في جزيرة قيس سنة ١٨٣٩ أو ١٨٤٠ بأن يقوم بهجوم بحري على شيخ البحرين ـوهو أمر كان عيسى يتوق اليه منذ أمد طويل ـ وتكرر هذا الرفض مرة أخرى حين قام المقيم البريطاني بزيارة جزيرة قيس في مايو ١٨٤١ .

وكانت العقبة الفنية وراء هذا الاعتراض هي خرق الخط المانع

الذي أقامته السلطات البريطانية في سنة ١٨٣٦ وهو خرق لا بد أن يحدث. وربما كان لموقف الجفاء من جانب السلطات البريطانية تجاه الشيخ عبدالله آثاره على مكانة الشيخ في إمارته ، بل ومحتمل أيضاً أن يكون قد أسهم في الاضطرابات التي بدأت الآن .

خلاف بين الشيخ عبدالله وحفيد الشيخ محمد ١٨٤٠–١٨٤٢ :

وفي سنة ١٨٤٠ وعقب انسحاب القوات المصرية من الاحساء ، أرسل اهل هذا الاقليم وربما بعضهم مشرفاً منهم الى البحرين كي يعرض على محمد بن خليفه بن سلمان –حفيد شقيق شيخ البحرين– ان يتولى بنفسه حكم اقليم الاحساء وحماية اهله من الامير خالد الوهابي المغتصب . وأدت اعتراضات الشيخ عبدالله على هذا الاقتراح الى خلاف عنيف في الرأي بينه وبين محمد ، سُوّي على عجل ، وموقّتاً ، بصلح كاذب ، ولكن بعد هذه الحادثة بقليل ، حين عرض محمد خدماته على الحكومة البريطانية وطلب معونتها ضد عمه الكبير ، هاجر الشيخ محمد من البحرين إلى قطر وتودد إلى أهلها ، ومن هناك بدأ معارضة قوية عنيفة ضد قريبه العجوز . وقام ابناء الشيخ أيضاً –وقد أحاط كل منهم نفسه بحاشية يتراوح عددها بين ١٠٠ و ٣٠٠ رجل من اوباش الناس –بالتمرد السافر على سلطته ، وانتشرت الفوضى وساد الاضطراب في كل جزء من مشيخة البحرين ، وهبطت تجارة البحرين هبوطاً سريعاً الى نصف ما كانت عليه قبل عدة سنين . وفي ١٨٤٢ حين قام خالد –أمير الوهابيين السابق– بزيارة لقطر والبحرين غير كل من الشيخ عبدالله والشيخ أحمد مواقفهما في ظاهر الأمر ، لأن الأول كان اذ ذاك في خور حسان بالبر ، وكان الثاني في جزيرة البحرين .

الشيخ عبدالله يطرد الشيخ محمد ويقهره ١٨٤٢ :

كانت هذه هي الحالة العامة للأمور حين نشب اشتباك سافر فجأة بسبب محاولة الشيخ محمد منع زواج فتاة صغيرة من مدينة المحرق بأحمد

ابن الشيخ عبدالله . وجاء الشيخ الكبير من قطر للوصول الى اتفاقية لكنه حين ـ أخفقت جهوده ـ أخذ جانب ابنه . وبدأ كل من الفريقين يحشد رجاله للقتال ومعظمهم من البدو الذين تقاطروا من البر طلباً للغنائم . وكانت المحرق هي المقر الرئيسي للشيخ عبدالله والمنامة هي مقر الشيخ محمد، وقد مكنت قوة الشيخ عبدالله البحرية انصاره من حصار الميناء حصاراً كاملا ضد عدوه . وحدثت عدة مناوشات غير حاسمة بعد ذلك قتل فيها دعيج شقيق الشيخ محمد من ناحية، وقتل محمد بن مبارك أحد أحفاد الشيخ عبدالله من الناحية الاخرى .

وأخيراً في يونيو ١٨٤٢ استطاع الشيخ الكبير ايقاع الهزيمة الكاملة بالشيخ الشاب حين قام بمهاجمته مرة واحدة في البر والبحر ، وسقطت المنامة في يد الشيخ عبد الله ، واستطاع الشيخ محمد الهرب الى قطر مع حفنة من انصاره ومنها سار الى الأحساء فالرياض يطلب عون الوهابيين ، وقامت قوات البدو التابعة للشيخ المنتصر بنهب مدينة المنامة ، وبعدها عبر الشيخ الكبير الخليج الى خور حسان وهناك نهبه البدو أيضاً .

وبدأ الشيخ عبد الله بعدئذ يعيد تشييد الزبارة التي ظلت مكاناً مهجوراً لسنوات طويلة .

العلاقات المتوترة بين الشيخ عبدالله والوهابيين

وكانت علاقات الوهابيين بالشيخ عبد الله الذي كان انتصاره هذا ظاهرياً أكثر منه حقيقياً قد وصلت عندئذ غاية السوء . فمن ناحية كان امير الوهابيين قد امر بسجن شافعي ، أحد زعماء بني هاجر وقريب الشيخ عبد الله ومن أكبر أنصاره ، ومن الناحية الأخرى فقد هاجر ثلاثة ارباع الشيعة ـ الذين قبض عمرو بن عفيصان ـ أمير الوهابيين في الاحساء على زعيمهم واستقروا في البحرين . ثم ان بحرية البحرين كانت بالفعل تحاصر ساحل الأحساء . وأدت هذه الظروف

بالوهابيين الى التحالف مع الشيخ محمد لكنهم حتى تلك اللحظة لم يكونوا قدموا اليه أية معونة مادية .

السماح لعيسى بن طريف وبشير بن رحمة بالتحالف مع الشيخ محمد وإبلاغ الشيخ عبدالله بذلك .

وفي هذا الوقت ، قام عيسى بن طريف ، زعيم آل بن علي اللاجىء وبشير بن رحمة بزيارة المقيم البريطاني في بوشهر معاً ، وطلبا السماح لهما بالانضمام الى الشيخ محمد والقيام بأعمال عسكرية منتظمة ضد الشيخ عبدالله . وتم منحهما الاذن المطلوب نظراً لسوء سلوك الشيخ الكبير في سنة ١٨٣٩ ثم في سنة ١٨٤٢ حين سمح بنهب المنامة بشرط الا تتجاوز الاعمال الحربية الخط المانع ، وتجب الإشارة إلى أن عيسى بن طريف كان من الذين يتجه اليهم الشك في إثارة الاضطرابات الاخيرة في البحرين ، أما بشير بن رحمه الذي استطاع أن يقدم للحملة عدداً يتراوح بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ مقاتل فقد زعم ان الشيخ عبد الله يحول بينه وبين الاستيلاء على أملاك ابيه بالقرب من الدمام .

وفي نوفمبر ١٨٤٢ أوفد كابتن كمبول المقيم السياسي الى البحرين كي يحذر الشيخ عبدالله من مغبة التصريح الذي منحته السلطات البريطانية لهذا التحالف المعادي له بالعمل ضده . وتلقى الشيخ هذا الانذار بخجل واضح ، بل بعدم تصديق ، وذكر أنه –نظراً لعدم وجود معظم أسطوله ورعاياه– عاجز عن مواجهة مهاجميه وحده ، وهو بالتالي مضطر للاتصال بالوهابيين ، وعرض السماح لبشير بن رحمة بالاستقرار في أملاكه بالدمام على شرط ألا يتذرع بهذه الحجة ويأتي بسفن كبيرة الى المنطقة . ورفع الكابتن كمبول هذه الملاحظات الى المقيم العام ، ولكن لم يحدث أي اتصال بشأنها مع الشيخ عبدالله الذي تبين بعد ذلك أنه كان يرى ضرورة أن يأمر المقيم العام الحلفاء بوقف عملياتهم ، وان يتحيز معه بالدفاع عنه .

مفاوضات الشيخ عبدالله مع الوهابيين :

وفي نفس الوقت كان الشيخ عبدالله قد بدأ مراسلة الوهابيين ، ويبدو أنه عرض عليهم إعادة العقير التي كان قد استولى عليها بطريقة ما في مقابل اطلاق سراح شافعي من بني هاجر . وبعدها بقليل ، وسواء بهذا الشرط أو بغيره من الشروط أطلق الوهابيون سراح شافعي ، وعرضوا على شيخ البحرين تسوية الخلافات بينهما ، لكن الشيخ عبدالله كان يشك في اخلاص الوهابيين لعرضهم هذا ، فرد دون حماسه ، ناصحاً لامير الوهابيين بأن يظل على الحياد المطلق ، وفي هذه الظروف ، -وليس هذا شيئاً غير مستبعد من الوهابيين- حول أمير الوهابيين عونه كله للشيخ محمد .

عمليات عسكرية نشيطة ، وطرد الشيخ عبدالله من البحرين يناير – ابريل ١٨٤٣

وفي بداية سنة ١٨٤٣ ظهر الشيخ محمد في قطر ، وكان سكانها عموماً يتعاطفون مع قضيته ، ونجح الشيخ محمد في احتلال حصن صغير في مرير (١) ، قبل ان تشغله حامية من الجانب المعادي ، وعادت القوات التي ارسلها الشيخ عبدالله لاستعادة مرير دون أن تبذل أي جهد فعلي لاستعادته ، ومن هذه القاعدة الصغيرة التي نجح الشيخ محمد في احتلالها بدأ مراسلة أنصاره في جزيرة قيس .

وفي فبراير سنة ١٨٤٣ كتب الشيخ عبد الله ، وقد أفزعه وصول عدة قوارب من جزيرة قيس الى السلطات البريطانية يطلب منها أن تقوم باعتقال عيسى وبشير ، لكن هذه السلطات لأسباب كثيرة أهمها سوء التفاهم لم تلق بالا لمطالبه .

---

(١) يطلق على هذا المكان في تقارير الحكومة « مزبر .. » لكننا لا نعرف مكانا بهذا الاسم ، ويبدو أنهذا الاسم يعنى « قلعة مرير » التى تقع على بعد ميل من شراقىالزبارة .

وأخيراً ، أرسل الشيخ محمد قوة كبيرة من الفويرط التي كان قد اتخذها قاعدة له تحملها خمس سفن كبيرة الى الساحل الشرقي لجزيرة البحرين ، وبدأ هبوط الجند في نقطة مقابلة للرفاع الشرقي ، وارسل الشيخ عبدالله على عجل قوات يقودها ابنه ناصر استطاعت احتلال الرفاع الشرقي قبل جنود الشيخ محمد ، ودارت بين الطرفين معركة صغيرة قتل فيها وجرح عدة رجال من الجانبين . ويبدو ان الشيخ عبدالله فشل في محاولة تطويق الغزاة من البحر وقطع خطوط إمداداتهم .

وفي مارس أو ابريل سنة ١٨٤٣ أصبحت مدينة المنامة تحت حكم شقيق الشيخ محمد ـ بموافقة أهلها الذين كانوا ما يزالون يتذكرون ما عمله بدو الشيخ عبدالله بمدينتهم في العام الأسبق وبعدها بفترة قصيرة ـ ثم وصل عيسى بن طريف وبشير بن رحمة الى البحرين ومعهما قوات كبيرة .

وفي إبريل هاجم الحلفاء مدينة المحرق وهي مقر الشيخ عبدالله ، وأرغموه على ان يحتمي بحصن « لا يبعد كثيراً عن المدينة » يحتمل أنه حصن أبو ماهر حيث استسلم حين وجد نفسه بلا انصار على الاطلاق ، كذلك استسلمت بالتالي قلعة عراد التي كان يحتلها ابناؤه ، وظل ابناء الشيخ عبدالله ـ الذين اسروا في قلعة عراد ـ وبموافقة الشيخ المنتصر ـ يقيمون في البحرين ، أما الشيخ نفسه فقد سمح له المنتصرون بسفينة كبيرة واخرى صغيرة فقط كي ينتقل بهما مع عائلته وأقاربه وممتلكاته جميعاً الى الدمام ، وكان هذا المكان ـ وهو الوحيد الذي بقي له ـ يحكمه في ذلك الوقت مبارك ابن الشيخ عبدالله .



حوادث الحرب الاهلية في البحرين تترك آثارها على الحكومة البريطانية

انتهاك حرمة بيت وكيل المقيمية البريطانية ١٨٤٢ :

في سنة ١٨٤٢ ، وحين هزم الشيخ عبدالله غريمه الشيخ محمد ، أصبحت مدينة المنامة – كما رأينا – نهباً للبدو من أنصار الشيخ عبدالله وكان من بين البضائع التي نهبها البدو بعض أملاك لرعايا بريطانيين ، لكن حادثة أكثر من هذه خطورة حدثت بسبب مسلك الوكيل المحلي للمقيمية البريطانية في البحرين ، وكان غبياً وجباناً ، فقد اقترح عليه الشيخ عبدالله في بداية حدوث هذه الاضطرابات أن ينتقل الى المحرق أو إلى ظهر سفينة بريطانية كانت راسية في الميناء آنذاك حتى تنجلي الأزمة ، لكنه رفض وفضل البقاء في المنامة . وحين هوجمت المدينة ، مد هذا الوكيل حصانة بيته – أو حماية الحكومة البريطانية – لتشمل ارواح وممتلكات أفراد عديدين ليس لهم هذا الحق ، ربما في مقابل جعل نقدي . وكان بين من لجأ الى بيته ابن لرجل بينه وبين الشيخ عبدالله ثأر ، ومعه بعض أقاربه ويدعى حمود من فرع عمير من بني خالد . وبعدها ظهر الشيخ بنفسه وطلب تسليم هؤلاء الفارين اللاجئين الى البيت ، وهدد بهدمه على من فيه ، وفقد الوكيل شجاعته ، فأمر بالقائهم من سطح المنزل حيث تهشموا جميعاً ودقت عظامهم .

وقد عوقب الوكيل بالطرد من وظيفته جزاء سلوكه الوقح ، وسحبت الحكومة البريطانية على التو دعمها للشيخ عبدالله ، ولم يكن ضرورياً في هذه الحالة مطالبته بأية تعويضات .

القرصنة في ميناء المنامة ١٨٤٣

وفي مارس ١٨٤٣ وبعد نزول أنصار الشيخ محمد إلى جزيرة البحرين أصدر الشيخ عبد الله ، وكان يتخذ المحرق مقراً له آنذاك ،

أمراً بألا ترسوا أية سفينة بالقرب من مدينة المنامة . وقد خرجت على هذا الامر سفينة صغيرة كانت تنقل حمولة تموينية للقائد البريطاني في باسيدو ، وقاربان يركبهما بعض تجار من البدو ارسلوا ومعهم اوامر الى الناخوذا لنقلها الى المحرق ، لكن هؤلاء الرسل الخطرين الذين لا يمكن الوثوق بهم قاموا باطلاق النيران على السفينة بمجرد وصولهم اليها ، ونهبوا ما كان بها حتى الحمولة الخاصة بالقائد البريطاني ، ثم انزلوا العلم البريطاني ومزقوه ارباً ، وقيل للشيخ —الذي لم يكن طبعاً اصدر اوامره بارتكاب مثل هذا العمل— إن السفينة لم ترفع أعلامها وهي داخلة الى الميناء ، وظنوا انها كانت تخادعهم وأنهم كانوا بانتظار وصول سفن عيسى بن طريف وبشير بن رحمة . وارسلت سفينة حربية بريطانية مباشرة الى البحرين لبحث القضية بالتفصيل ، ولكن قبل وصولها الى اية نتائج نجح الشيخ محمد في هزيمة غريمه وإبعاده .. وأصبح استمرار البحث عبثاً لا طائل تحته .

وفي نفس وقت حدوث هذا العمل ، وربما قبله بقليل ، نهب بعض بني هاجر وبعض عرب السلطة قارباً كان يرفع العلم الايراني محملا بالبضائع القادمة من بومباي لبعض التجار الهندوس في البحرين ، وقد حدثت حادثة النهب في ميناء المنامة ، ومنعت الاشتباكات القائمة في البحرين بطبيعة الحال توجيه اهتمام كبير الى هذه الحادثة ، وفي بداية استيلاء الشيخ محمد على الحكم في البحرين لم يكن من اللائق الالحاح في مطالبته بالتعويض عنها ، ولكن في فبراير من العام التالي (١٨٤٤) ، وحين وصلت الى مسامعه هذه الحوادث استجاب في سهولة لمطالب السلطات البريطانية بالتعويض عنها .



محمد بن خليفة ١٨٤٣ ـ ١٨٦٨

استمرار الحرب الاهلية في البحرين بعد طرد الشيخ عبد الله منها ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

تدخل أمير الوهابيين ١٨٤٣ :

وفي يونيو ١٨٤٣ ، وإثر قيام شيخ البحرين السابق بشن غارات بحرية على تجارة البحرين من ملجأه في الدمام ، أرسل الشيخ محمد وعيسى بن طريف وبشير بن رحمه اسطولا مشتركاً ارغم قواربه على ألا تغادر مرسى الدمام . وراح الامير الوهابي الجديد فيصل بن تركي ـ الذي لم يكن وضعه في الداخل قد استقر بعد ـ يلهو بتحريض كل جانب من هذين الجانبين على الآخر ، وحصل على وعود بالامتيازات من كلا الجانبين .. غير أن نفوره لاحقاً من شيخ البحرين السابق وضع حداً لهذه اللعبة . وأسر الحاكم الوهابي في القطيف محمد ابن الشيخ عبدالله الذي أبحر من الدمام يحاول الحصول على قوارب من السواحل المجاورة ، وحدث نفس الشيء مع علي ابنه الآخر وهو في سبيله من لنجة للانضمام الى أبيه ومعه قوة من قبيلة آل بو سميط .

توسط شيخ الكويت اغسطس ١٨٤٣ :

وحدثت محاولة غير هامة من جانب الشيخ جابر شيخ الكويت ـ الذي ظل بعيداً عن التدخل في الخلاف حتى الآن ـ للتوسط وانقاذ الشيخ السابق من وهدة هزماته المتتالية وطرده من الجزر . ففي أغسطس ١٨٤٣ ـ وبموافقة المقيم البريطاني ـ سار الشيخ جابر الى البحرين ومعه أسطول مكون من ثماني سفن كبيرة ، ونجح في حمل الشيخ محمد على أن يدعو الشيخ عبدالله إلى ملاقاته في مؤتمر ودي ، لكن هذا الاخير ـ الذي كان يعرف يقيناً أن عودته للحكم أمر غير متوقع ـ رفض الحضور ،

بل ولم يرجع للكويت مع الشيخ جابر كما كان الشيخ جابر يؤمل في حالة عدم التوصل الى اتفاقية .

استنجاد الشيخ السابق بشيخي الشارقة ودبي ، ثم زيارته الاولى لبوشهر

وبذل أبناء الشيخ السابق جهوداً أخرى فيما بعد لإغراء شيخي الشارقة ودبي لتبني قضية الشيخ عبدالله ، وحصلوا على وعود بتقديم العون لهم عقب انتهاء موسم الغوص اذا لم تعترض على ذلك الحكومة البريطانية أو أمير الوهابيين ؛ وعلى التو قام عيسى بن طريف وبشير بن رحمة –بهدف تحييد هذا التحالف– بالاتصال بشيخي ابو ظبي وأم القيوين ، وقام شيخ هذه الاخيرة –عبدالله بن راشد– بزيارة لجزيرة قيس حيث عاد بهدايا ثمينة .

في هذه الظروف ، وبشكل خاص حين أصبح مفهوماً أن شيخي الشارقة ودبي راغبان عن الخوض في هذا الأمر ، رد المقيم البريطاني في بوشهر على الشيخ السابق –الذي انتظره في بوشهر– بأن الحكومة البريطانية تبدي استعدادها للتحكيم بين الاطراف المتنازعة دون ان تكون مستعدة لضمان أية اتفاقية يتم التوصل اليها ، وانها لا تستطيع التدخل في إعادة الشيخ عبدالله الى حكم البحرين ، ولا السماح لشيوخ عمان المتصالحة بالاشتباك في نزاع لن يجنوا منه أية فائدة لا هم ولا الاطراف الاصلية فيه .

تآمر الايرانيين ١٨٤٣

ومحتمل ان الشيخ عبدالله كان يأمل من زيارته بوشهر أن يحصل على فائدة ما من تراسله الذي طال في الشهور الاخيرة مع من يدعى الشيخ سلمان . وهو رجل ليست له صفة رسمية ايرانية لكنه ابن شقيق شيخ بوشهر . ويبدو ان تبادل وجهات النظر بينهما قد أدى الى ان يعده الشيخ سلمان دون تردد بأن يقدم له معونة عسكرية من ايران ، وكان الشيخ عبدالله وقتئذ ما يزال محاصراً في الدمام . وفي إكتوبر ١٨٤٣ ، وبهدف إخافة السلطات البريطانية ولا ريب ، أعلن الشيخ عبد الله أنه

اذا أغضبته الحكومة البريطانية فهو مستعد لأن يلقي بنفسه بين ذراعي إيران ، وأجيب على ذلك بأن السلطات البريطانية لن تعترف بأي عون يلقاه من ايران اذا لم يكن بشكل علني سافر .

هجرة الشيخ عبدالله من الدمام إلى ناباند ، وانتقال عيسى بن طريف من قيس إلى الدوحة ١٨٤٣ :

وبعد إقامة قصيرة في بوشهر ، عاد الشيخ عبدالله الى الدمام التي جاء منها ، لكنه بعد ذلك مباشرة نقل مقره الى ناباند على الشاطىء الايراني ، وفي نفس الوقت تقريباً نقل عيسى بن طريف مقره من جزيرة قيس الى الدوحة ، وكانت وقتذاك تسمى البدع — في قطر .

موقف حكومة مسقط من الصراع الدائر بين شيوخ البحرين ١٨٤٣

وفي نفس الوقت ، وربما قبله بقليل ، اقترح عيسى بن طريف الذي لم يكن في حقيقة الامر يقل عداء لمحمد بن خليفة عن غريمه الشيخ الفاشل ، على السيد ثويني —نائب حاكم مسقط— بأن يستفيد من فرصة النزاع بين شيوخ آل خليفة لاحتلال البحرين . وتطوع بأن يقدم له العون اللازم لهذه الحملة ، ورفع السيد ثويني هذ االاقتراح الى ابيه السيد سعيد حاكم عمان الذي كان آنذاك في شرق إفريقيا ، وتقدم هذا بدوره إلى السلطات البريطانية فأشارت برفض اقتراح عيسى بن طريف . وكانت الاسباب الرئيسية لهذا الرفض من جانب الحكومة البريطانية هي غياب صاحب السمو حاكم عمان نفسه عن مسرح الأحداث ، وعجز ممثله ثويني ، ثم الخشية من أن يؤدي غزو عمان للبحرين الى ان يقوم الوهابيون بانتهاز الفرصة وغزو ارض عمان فضلاً عن ان هذه العملية كانت ستقدم لايران مبرراً لتبنيها قضية الشيخ السابق والوقوف الى جانبه ، ثم الفيتو الذي واجهت به الحكومة البريطانية أي تدخل من جانب شيخي الشارقة ودبي .

زيارة ثانية للشيخ السابق لبوشهر ديسمبر ١٨٤٣ــمارس ١٨٤٤

وفي ديسمبر ١٨٤٣ زار الشيخ السابق عبدالله بوشهر مرة أخرى وبصحبته ست سفن مسلحة ، وكان الشيخ يهدف الى التأثير على ممثل بريطانيا السياسي فيها وحمله على الوقوف في صفه ،لكن الأخير رفض ان يلقاه فوق ظهر سفينته الحربية ، ووضح أن الشيخ كان يريد أن يتخذ من زيارة المقيمية ستاراً يخفي لقاءه بالشيخ سلمان المناصر له ، لكنه بدأ على أية حال كتابة طلبات معونة لبريطانيا على أساس أنه قاوم مناورات الوهابيين التي كانت تستهدف إقامة قاعدة لنفوذهم في البحرين ، وأنه يظن نفسه بفضل توقيعه على معاهدة السلم الشاملة لسنة ١٨٢٠ مستحقاً للحماية البحرية من جانب بريطانيا . لكن مزاعمه هذه لم تقبل ، كذلك لم تجبه الحكومة الى طلبه .

وبعد وصول الشيخ عبدالله الى بوشهر بعدة أيام ، نزل اليها ولقي فيها استقبالا حافلا من جانب السلطات الإيرانية المحلية ــ ربما بناء على اوامر من شيراز ــ ، فأطلقت له طوابير الفرسان من الجيش النظامي الايراني طلقات التحية ، وقدمت له قلاع حصينة لسكناه ، وخصصت الخيام لنزول انصاره ، وشدت سفنه التي كانت في الميناء ــولم يبق منها الآن سوى سفينتين ــ الى الأرض في مكان ضحل المياه . وسرعان ما تناثرت الشائعات بأن الشيخ عبدالله طلب من الحكومة الايرانية مدداً قوامه ١٠٠ فارس و ٥٠٠ جندي مدفعي ، واعداً إذا نجح في محاولته استعادة البحرين بسداد تكاليف هذه الحملة للحكومة الايرانية ، وان يدفع لها جزية سنوية كبيرة في المستقبل ، ووعد أيضاً بأن يجعل أحد أبنائه رهينة عند السلطات الايرانية ضماناً لوفائه بهذه الالتزامات ، وظل الشيخ عبد الله مقيماً في بوشهر مدة ثلاثة أشهر ينتظر عبثاً موافقة الحكومة الايرانية على مقترحاته .

وفي يناير ١٨٤٤ ، لجأ الشيخ عبدالله في خطاب منه الى المقيم

البريطاني الى القول بأنه كان –أثناء حكمه البحرين– مستنيماً إلى أمن زائف نتيجة إهمال السلطات البريطانية الإجابة على كثير من مراسلاته وهذا زعم غير صحيح في الحقيقة وقد استطاع ان يلتقي بالمقيم قبل مغادرته بوشهر في مارس ١٨٤٤ على الارجح ، وحاول ملحاً –ولكن دون نجاح– أن يحصل على وعد بتعضيد بريطانيا ، ووضح أن الآمال التي كان الشيخ عبدالله يعلقها على الحكومة الايرانية قد خابت جميعاً .

الوهابيون يخضعون الدمام مارس ١٨٤٤

وفي نفس الوقت أصبح وضع أبناء الشيخ عبدالله في الدمام –وهو المكان الوحيد الذي ظل قاعدة لعائلته في شبه الجزيرة– في موقف حرج . ففي ديسمبر ١٨٤٣ عرض أمير الوهابيين وساطته لتسوية الخلافات القائمة بين الشيوخ المنقسمين لكن الشيخ السابق رفض هذه الوساطة . عندئذ أعلن فيصل بن تركي الحرب على الشيخ عبد الله وبدأ بجمع الرجال لغزو الدمام من البر ، ومحاصرتها من البحر ايضاً .. كذلك لتأديب بعض قبائل البدو فيما حولها لأنها كانت تقدم المؤن دائماً للحامية المقيمة في الدمام . وكان يقود هذه الحامية مبارك وناصر وأخ ثالث لهما من ابناء الشيخ عبدالله . وقد ارسل الشيخ جابر شيخ الكويت قاربين محملين بالمؤن والعتاد الحربي للدفاع عن الدمام ، لكن الشيخ محمد بن خليفه استطاع ان يستولي عليهما بالقرب من دوحة بلبول وكان مزمعاً نقل هذه المؤن منها الى الدمام على ظهور الجمال ، لكن هذه الحادثة –التي كانت ستؤدي الى قيام خلاف خطير بين شيخ الكويت وشيخ البحرين الحاكم بالفعل تمت تسويتها بوساطة ودية من جانب السلطات البريطانية . وفي مارس ١٨٤٤ تقدمت الحامية الموجودة في الدمام ، وقد لقيت عناء كبيراً في الحصول على إمداداتها ، بعرض للاستسلام ، لكن أمير الوهابيين لم يقبل بشروطها . وحين أحس الشيخ عبدالله خطورة الموقف في الدمام عبر الخليج الى الجانب العربي وحاول أن يلقي بامدادات الى حامية

الدمام لكنه فشل ، واستولى الاسطول الذي يحاصر الدمام على القارب الذي ارسله الشيخ محملا بالموٌن . وبعدها بقليل ، استسلمت حامية الدمام على شرط أن يُبقى الامير على حياة جنودها ، وتبعها مباشرة احتلال قوات فيصل بن تركي حصن الدمام وفقد الامير كل اهتمام له بعد ذلك بالصراع بين شيوخ آل خليفه . ولا بد ان هذه النتيجة كانت مخيبة لآمال بشير بن رحمة الذي وعده الشيخ محمد بأن يعيد اليه املاك أبيه هناك في مقابل خدماته ضد الشيخ عبدالله .

الاضطرابات في البحر

وخلال المدة التي قضاها الشيخ السابق في بوشهر ، حدث أن سفينة صغيرة ، قيل إنها تابعة للبحرين مع أنه واضح أنها تخص بشير بن رحمة أو أحد أنصاره وقعت بأيدي جماعة من أقارب الشيخ عبدالله المقيمين في ناباند على الشاطيء الايراني وخرقوا بذلك الخط المانع . ووجه المقيم البريطاني إنذاراً الى الشيخ عبدالله ، وكتب هذا بدوره الى اصحاب السفينة ، ولكن أثناء نقل رسالته على سفينة بريطانية وقع تغير في السلطة في ناباند ، ورفض الحاكم الجديد اطلاق سراح السفينة ودارت مراسلات طويلة انتهت باستعادتها في يوليو سنة ١٨٤٤ . لكن هذا لم يحدث الا بعد ان استولى بشير بن رحمه الذي استقر الآن كعيسى بن طريف في الدوحة بقطر على سفينتين من سفن ناباند انتقاماً لسفينته ، ويجب ان نضيف هنا ان بشراً قد رد هذه السفن بمجرد امر صدر اليه من المقيم البريطاني على أساس أن ثمة اتفاقية بصدد هذه الاحداث تتولاها السلطات البريطانية بالفعل .

زيارة الشيخ السابق للكويت وزيارته الثالثة لبوشهر ١٨٤٤

وحين فشلت محاولات الشيخ عبدالله في توصيل الموٌن الى الدمام ، طاردته اربع سفن من الاسطول الذي يحاصر الدمام ، لكنه استطاع الهرب الى الكويت حيث استقر فترة قصيرة . وحين سقطت الدمام عاد

معظم ابناء الشيخ عبدالله الى البحرين ، وسمح لهم بالإقامة في المحرق ، لكن مباركاً لجأ الى شافعي -صديق أبيه- بن بني هاجر ، ورفض الشيخ محمد- خارقاً برفضه هذا التزامه بالاتفاقية التي عقدت بحضور أمير الوهابيين- السماح للشيخ السابق بالعودة الى البحرين الا كفرد عادي وعلى اساس ان تضمن السلطات البريطانية مسلكه في المستقبل ، وهو شرط يعرف هو نفسه أنه مستحيل التنفيذ . وبعد اقامة قصيرة في الكويت عاد الشيخ عبدالله متجهاً الى الغرب واستطاع في طريقه ان يلتقي بالمقيم البريطاني في بوشهر ، وتم اللقاء بناء على طلب الشيخ السابق -في مكان على الساحل يبعد عن المدينة عدة اميال . وكان الهدف الواضح من هذه الزيارة هو محاولة ضمان عون من جانب الحكومة البريطانية عن طريق التلويح بالتهديد بتحالف الشيخ مع الوهابيين لاسترداد البحرين ، لكن الرجل حين لم يلق استجابة لمطلبه لدى المقيم البريطاني واصل سيره ليستقر مرة أخرى في ناباند .

أعمال الشيخ عبدالله أثناء اقامته في ناباند ١٨٤٤-١٨٤٥

ووصل الشيخ السابق الى ناباند ، وقد اثارت تحركاته هذه موجة من الفزع بين الغواصين على طول شواطىء اللؤلؤ ثم سار مباشرة إلى ساحل قطر بهدف مهاجمة عيسى بن طريف في الدوحة ، لكنه وجد عدوه اللدود مستعداً لملاقاته ، فواصل سيره الى المياه الاقليمية للبحرين ، وحين علم الشيخ محمد بوجود عمه الكبير بالقرب من البحرين ارسل اليه وفداً من التجار يدعوه للعودة الى مستقره ، غير ان الشيخ راوغ مصراً على شروط يعرف يقيناً انها لن تتحقق ، وسار الى القطيف ومنها ارسل أحد ابنائه مبعوثاً ودياً من جانبه الى امير الوهابيين ، وبعدها عاد الى ناباند واستولى في طريقه على سفينتين صغيرتين بالقرب من فشت الديبل . وارسل المقيم البريطاني مباشرة خطاباً الى السلطة الحاكمة في ناباند يطلب فيه منع الشيخ عبدالله من القيام بمثل هذه الأعمال ، لكن الشيخ أحمد بن سيف الذي وجه اليه الخطاب وتقبله تقبلا مناسباً ،

واعتذر بالفعل للشيخ الحاكم في البحرين كان اعجز من أن يستطيع منع نشاط الشيخ عبد الله الذي قام بجولة أخرى استولى خلالها على سفينتين من سفن البحرين .

واغتاظ شيخ البحرين لهذه الأعمال التي كان عاجزاً عن الرد عليها بسبب التزامه بعدم تخطي الخط المانع ، فتقدم الى السلطات البريطانية وارسل أخاه علي لمقابلة المقيم وكانت نتيجة هذا الطلب أمراً صدر من الحكومة الايرانية المركزية – بناء على طلب السفير البريطاني في طهران– الى الحاكم العام في فارس بإرغام الشيخ عبد الله على رد السفن التي استولى عليها ، وعدم إحداث اضطرابات في مياه الخليج . وحين وجد الشيخ السابق نفسه دون عون من جانب الحكومة الإيرانية قدم وعداً شفوياً للمقيم البريطاني بأن يمتنع عن القيام بأعمال عدائية ضد البحرين طوال إقامته على الشاطىء الإيراني ، لكنه حين رفض تقديم تعهد كتابي بهذا أرسلت سفينة حربية بريطانية الى ناباند ، وطلب منه أن يعتبر نفسه تحت المراقبة كما كان من قبل .

أعمال الشيخ السابق في القطيف ١٨٤٥ :

ولم تعد ناباند بعد هذه الإجراءات مكاناً صالحاً لاستقراره ، فأبلغ الشيخ عبدالله المقيم البريطاني –في أكتوبر ١٨٤٥– برغبته في الانتقال الى القطيف . وبعدها مباشرة حدثت محاولة فاشلة من جانبه للتحالف مع الوهابيين لاستعادة البحرين ، وحين فشلت هذه المحاولة عاد الشيخ عبدالله مرة أخرى لاجئاً في الكويت .

أعمال الشيخ السابق أثناء اقامته في الكويت ١٨٤٥–١٨٤٦

وحين عرف ممثل بريطانيا في بوشهر بهذه الأحداث كتب إلى الشيخ جابر شيخ الكويت معرباً عن أمله في أن يحول الأخير بين الشيخ عبدالله –ما دام لاجئاً تحت حمايته– وبين الإغارة على التجارة البحرية ،

ويبدو أنه قام بدور في تنفيذ هذه الرغبة لأن الشيخ عبدالله ظل هادئاً طوال مدة إقامته بالكويت ، وفي يونيو ١٨٤٦ تلقى الشيخ عبدالله دعوة من حاكم فارس للعودة الى بوشهر حيث وعد بأنه سيلقى إقامة حرة تماماً « حتى يحين وقت العمل .. » . غير أن الشيخ وقد أصبح الآن يعرف تماماً الأزدواجية في عروض الحكومة الإيرانية وعجزها عن تنفيذ وعودها رفض هذا العرض المنمق غير المخلص من جانب المسئول الإيراني .

أعمال الشيخ السابق أثناء اقامته القصيرة في الأحساء ١٨٤٦ – ١٨٤٧ :

وفي سبتمبر ١٨٤٦ ، ربما بسبب القيود التي كانت مفروضة عليه أثناء إقامته بالكويت – انتقل الشيخ عبدالله إلى الأحساء حيث استقر أولا إلى جوار الدمام . وفي أوائل سنة ١٨٤٧ كان الشيخ عبدالله يعيش بلا أنصار على الإطلاق في جزيرة تاروت .

وخلال الجزء الأعظم من إقامته تلك هناك كانت الحرب ناشبة – كما سنذكر فيما بعد – بين الوهابيين وشيخ البحرين لكن الشيخ السابق نفسه لم يقم بدور في هذه الحرب . وفي اغسطس ١٨٤٧ تم عقد الصلح بين الاطراف المتقاتلة على ان يلتزم شيخ الوهابيين بعدم تعضيد الشيخ عبد الله اذا ما دبت الحياة مرة أخرى في الشيخ المنفي الذى أرسل سفينة إلى الدمام بهدف مواصلة السير إلى جزيرة قيس للتآمر مع بعض شيوخ العتوب الساخطين هناك ، ولحق به عيسى بن طريف – من آل بن علي – الذي بلغت كراهيته للشيخ محمد في البحرين حداً يفوق كراهيته القديمة للشيخ عبدالله . وطلب الحلفاء من الشيخ محمد رد سفن عمه الكبير وسواها من ممتلكاته ، ولكن وصول سفينة صاحب الجلالة «الفنستون» بقيادة القائد لو ، الذي طلب الحصول على موافقة المقيم أولا قبل الشروع في أية أعمال عدائية في البحر أدّى إلى تأجيل القتال المرتقب

غير أنه ما إن غادرت هذه السفينة المكان حتى نشبت الحرب ودارت دائرتها على الشيخ السابق .

قتل عيسى بن طريف في المعركة ، وهزيمة الشيخ السابق هزيمة نهائية ١٨٤٧ :

وفي بداية هذه الاعمال خرق الشيخ عبدالله الخط المانع حين عبر الخليج للحصول على التعزيزات . أما الشيخ محمد فقد طلب من السلطات البريطانية تهدئة هؤلاء الساخطين من العتوب في جزيرة قيس أو السماح له باتخاذ الاجراءات اللازمة ضدهم . ورفع المقيم الطلب الى حكومته ، ولكن قبل ان تصل اوامر حكومة الهند بهذا الصدد كان الاشتباك الحاسم قد وقع بالفعل في معركة برية بالقرب من الفويرط في قطر حين استطاعت قوات البحرين بقيادة الشيخ محمد نفسه إيقاع الهزيمة بالحلفاء . وكان من بين القتلى في هذه المعركة عيسى بن طريف بالذات . وكانت هذه هي الضربة القاضية التي بددت نتيجتها آمال شيخ البحرين السابق . واخيراً وصلت اوامر حكومة الهند وكانت تقضي بضرورة منع الحلفاء من غزو البحرين باستخدام اسطول حربي بريطاني على الا يبلغ الشيخ محمد بهذا القرار لكي لا يهمل في اتخاذ الوسائل الدفاعية الكافية عن الجزر .

مراسلات القنصل الايراني العام في بغداد مع الطرفين المتنازعين :

وحوالي هذا الوقت نفسه وربما في سنة ١٨٤٨ بدأ عبد الجبار خان ــالقنصل الإيراني العام في بغدادــ مراسلة الطرفين المتصارعين فكتب الى الشيخ السابق يؤكد عون الحكومة الإيرانية له .. « ويطلب منه اتخاذ كل الإجراءات التي يستطيع اتخاذها لتنفيذ مخططاته مهما كانت هذه المخططات كبيرة أو تقتضي جهوداً عنيفة ، فعون الحكومة الإيرانية الذي سيقدم له عون قوي وكامل ..» . وكان خطابه للشيخ محمد أيضاً يفيض بالمودة والصداقة ، وواضح أنه كان مقصوداً به تضليل هذا الشيخ الصاعد قدماً لقمة الحكم .

واتخذت خطوات من جانب المقيم البريطاني في بغداد أدت إلى إيقاف هذه المراسلات ، وعلل الموظف الإيراني المتهور عمله هذا بأنه أقدم عليه وهو يجهل خطورته وعدم شرعيته .

موت الشيخ السابق ١٨٤٩ :

وأخيراً انتهى الصراع بين شيوخ آل خليفة بموت الشيخ عبدالله بن أحمد سنة ١٨٤٩ على الأرجح ، وقد حدث ذلك في مسقط أثناء رحلة قام بها الشيخ السابق إلى هناك لمحاولة إغراء عدوه القديم ـ السيد سعيد الذي كان آنذاك مقيماً في زنجبار ـ بتقديم العون له لاسترداد أملاك أبيه .

★ ★ ★

علاقات البحرين بالوهابيين من تولي الشيخ محمد الحكم حتى موت الشيخ عبد الله ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

أشرنا من قبل إلى تدخل أمير الوهابيين في الصراع الدائر بين شيوخ آل خليفه مما أدى إلى انتقال الدمام اليه ، لكنّ الواقع أن بعض الأعمال التي تم الاتفاق عليها بين الوهابيين وشيخ البحرين لم تكن لها علاقة مباشرة بالنزاع بين آل خليفة .

القطيعة بين الوهابيين وشيخ البحرين ١٨٤٥-١٨٤٧ :

لقد حدث نوع من التنسيق في العمل بين الامير فيصل والشيخ محمد ضد حامية الدمام وتأكد بعد سقوط هذا المكان ان اعتراف الشيخ محمد بسلطة الوهابيين على الدمام وتقديمه له جزية سنوية كبيرة ومتأخراتها كانا ثمن عون الوهابيين له .

١٨٤٥ :

وقبل نهاية سنة ١٨٤٤ طلب أمير الوهابيين مرتين دفع متأخرات

هذه الجزية ، وماطل الشيخ محمد . وفي سنة ١٨٤٥ أصبح معروفاً أن عبدالله بن سعيد ، حاكم القطيف باسم الوهابيين ، كان يعد حملة للهجوم على البحرين . وراح هذا المسئول الإيراني الذي لم يتوقف عن خططه بعد يغالي في ادعاء صداقته للشيخ محمد ، لكن هذا استطاع بعد لأى أن يكتشف نواياه الحقيقية ، فبادأه بالهجوم ، وحاصر موانىء الأحساء ، وكان يعمل في خدمته آنذاك قرصان مشهور اسمه حميد بن مجدل وفي هذه الظروف الصعبة نزل شيخ البحرين السابق سراً بالقرب من رأس تنورة ، وارسل الرسل الى ابنه مبارك وإلى الحاكم الوهابي مقترحاً أن يقوم هو نفسه —بسفنه— بتضليل الاسطول الذي يحاصر القطيف ، على أن يقوم ابنه مبارك —أثناء غيابه— بعبور الخليج والاستيلاء على البحرين. لكن هذه الخطة —وكانت في حد ذاتها تبشر ببعض النجاح — قد أخفقت لوقوع بعض هذه الرسائل بين يدي بعض أنصار امير الوهابيين الذي حملها الى علي شقيق الشيخ محمد في البحرين . وكان من نتيجة ذلك أن وجد شيخ البحرين نفسه محاصراً —قبل أن يصل إلى القطيف من اسطول البحرين المتأهب للمعركة — وبجهد شديد استطاع الشيخ أن ينجو بنفسه .

١٨٤٦ :

وظل العداء قائماً بين البحرين والوهابيين ، كذلك استمر حصار اسطول البحرين لشاطىء الأحساء طوال سنة ١٨٤٦ دون رجوح أحدى الكفتين . وفي سبتمبر ١٨٤٦ عاد شيخ البحرين السابق إلى الظهور ، واستقر في الأحساء —بالقرب من الدمام اولا ثم في جزيرة تاروت بعد ذلك— وكان من نتيجة ظهوره تشديد حصار اسطول البحرين بعد ان كانت قبضته قد تراخت قليلا ، والى حدوث اشتباكين على البر ، انتصر في أحدهما أمير الوهابيين ، وفي الآخر شيخ البحرين .. لكن الشيخ السابق لم يشترك بنفسه في أي من هذه الاعمال . وفي اكتوبر

١٨٤٦ كان المسئول الوهابي يريد طلب العون من بعض إمارات عمان المتصالحة ، فطلب السماح له بذلك من المقيم البريطاني في بوشهر . وفي نوفمبر من نفس السنة تقدم شيخ البحرين الى نفس السلطة يطلب السماح له بالتحالف مع شيخ دبي .. لكن الطلبين رفضا بطبيعة الحال .

نهاية الحرب والتسوية النهائية ١٨٤٧ :

وفي اوائل سنة ١٨٤٧ حدث بعض التغيير في الموقف بسبب انسحاب حميد بن مجدل وجماعته آل عمير من مناصرة الشيخ محمد وانضمامهم الى الوهابيين .

وفي اغسطس من نفس السنة تم التوصل الى تسوية ، تعهد الأمير فيصل بمقتضاها بعدم تشجيع شيخ البحرين السابق –حتى لو استمر هذا في الإقامة بالأحساء– وتعهد الشيخ محمد بأن يدفع جزية سنوية مقدارها (٨٤) الف روبية للوهابيين .

★ ★ ★

علاقات البحرين بايران خلال نفس الفترة
١٨٤٣ – ١٨٤٩

إذا ستثنينا مؤامرات الوكلاء والمسئولين الإيرانيين لصالح الشيخ السابق عبدالله ، خاصة في ١٨٤٣ – ١٨٤٤ وفي سنة ١٨٤٦ مما أشرنا اليه فيما سبق ، فليس هناك شيء يستحق الذكر في العلاقات بين إيران والبحرين خلال هذه الفترة .

★ ★ ★

علاقات البحرين بتركيا خلال نفس الفترة
١٨٤٣ – ١٨٤٩

أما بالنسبة لتركيا ، فالوضع مختلف ، لأن مطالبة الباب العالي بالسيادة على البحرين –والتي كانت تطرح من حين لآخر– قد اثيرت

للمرة الأولى سنة ١٨٤٧ . وقد أوضح الباب العالي مواقفه تلك في خطاب موجه من متسلم البصرة الى شيخ البحرين دعا فيه الشيخ إلى إعلان خضوعه للسلطان ، وتقديم قوائم تفصيلية بالسفن الموجودة في إمارته حتى يمكن إدراجها في نطاق السفن التي ترفع العلم التركي ، لكن سفينة حربية تركية كانت تقوم بجولة في الخليج آنذاك لم تزر البحرين ، ربما تلافياً لجذب انتباه لا ضرورة له ، وراوغ الشيخ محمد تحركات الاتراك ، كما سنرى الآن ، وكان لمراوغته هذه أثرها على الحكومة البريطانية .

★ ★ ★

علاقات البحرين بالحكومة البريطانية خلال نفس الفترة ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

المشاكل الناجمة عن الخلاف بين أسرة آل خليفة الحاكمة وكذلك عن أعمال الوهابيين :

أشرنا فيما سبق بصورة عابرة إلى إجراءات كثيرة من جانب السلطات البريطانية فيما يتعلق بالبحرين ، من ذلك تأكيدها الدائم على ضرورة التزام الخط المانع بالنسبة لكلا الفريقين المتنازعين ومنعها سيد عمان وشيوخ عمان المتصالحة وشيخ الكويت من الاشتراك في هذه الحرب ووقوفها ضد مؤامرات ايران ومحاولات التدخل . ومن ذلك أيضاً اعتراضها سنة ١٨٤٦ على خطط الوهابيين وشيخ البحرين لطلب أحدهما العون من مشايخ عمان المتصالحة ضد الآخر .

معاهدة لقمع تجارة الرقيق ٨ مايو ١٨٤٧ :

وفي ٨ مايو سنة ١٨٤٧ وقع الشيخ محمد شيخ البحرين معاهدة قمع تجارة الرقيق كهذه التي وقعها شيوخ عمان المتصالحة في نفس السنة . وأدت دسائس تركيا في سنة ١٨٤٧ إلى مناقشة الوضع السياسي والتجاري في البحرين . وشكا شيخ البحرين من فداحة ضرائب الميناء وغيرها من

العوائد على سفنه في بومباي مقارنة" مع المفروضة على سفن إيران ومسقط واعترف بأنه يميل -نتيجة هذه المعاملة السيئة- لأن يحذو حذو شيخ الكويت بقبول العلم التركي ..

التفكير في اقتراح فرض الحماية البريطانية على البحرين ثم رفضه ١٨٤٧ - ١٨٤٩ :

وأثبت البحث أن هذه العوائد الإضافية تفرض على سفن البحرين في بومباي لأن هذه السفن غير مسجلة ، وأعيد تعديل هذه العوائد ، وأبلغ شيخ البحرين بأن سفن البحرين تستطيع ألا تدفع هذه العوائد الإضافية إذا قدم أصحابها شهادات ممهورة بتوقيع المقيم البريطاني . لكن المشكلة -على أية حال- لم تنته على هذا النحو لأن حكومة الهند كانت ترى أن من الأفضل عدم التدخل من جانب أية دولة أجنبية في شئون الخليج ، ما دامت الحكومة البريطانية -التي لم تكن بين يديها خيوط السلطة كلها- لن تستطيع أن تحقق أهدافها في هذه المنطقة على مستوى واسع . وقد جاء في توصية مجلس إدارة شركة الهند الشرقية : « يجب على القوات البحرية البريطانية مقاومة أية محاولة عدائية تتعرض لها البحرين .. » وضرورة إبلاغ المقيم البريطاني هناك بهذا الامر . وفي نفس الوقت ، فوض المقيم -ميجور هينيل- بأن يتأكد -متحاشياً أية مناقشات او محادثات مع الأتراك - مما إذا كان شيخ البحرين يميل إلى مزيد من الارتباط بالحكومة البريطانية . وأوصى ميجور هينيل- الذي كان يعارض هذا المشروع من قبل- باجابة مطلب شيخ البحرين . ولكن في سبتمبر ١٨٤٩ وبعد محادثات طويلة أدت إلى اتفاق في وجهات النظر بين حكومة الهند وحكومة صاحبة الجلالة على أن تغيير السياسة في هذا الوقت أمر لا داعي له ، صدرت الاوامر للمقيم بأن يرفض اقتراح شيخ البحرين ، على أن يؤكد له في نفس الوقت استمرار العلاقة الودية والصداقة من جانب الحكومة البريطانية .

حادثة قرصنة يرتكبها رجل من القبيسات ١٨٤٨

وفي الوقت الذي اثيرت فيه هذه القضية ، لم يكن مسلك الشيخ محمد تجاه الحكومة البريطانية أمراً يخلو من النقد ، خاصة فيما يتعلق بقرصان يدعى خليفة كان واحداً من فرع القبيسات الساخطين من قبيلة بني ياس في أبو ظبي . فقد وقع هذا الرجل –بعد عدة حوادث نهب قام بها على سفن تابعة للبحرين– بين يدي الشيخ ، وأثار المقيم العام مشكلة إيقاع العقاب به ، لكن الشيخ محمد خرق الوعد الذي أعطاه للمقيم المساعد، وأطلق سراح الرجل ووجه المقيم إنذاراً مباشراً الى الشيخ محمد رد عليه باعتذار حار ، ووعد بأن يعيد إلقاء القبض على القرصان .. ولكن يبدو أن هذه الفرصة لم تتح له فيما بعد .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في البحرين ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

وصول الدواسر إلى البحرين ١٨٤٥ :

يبدو أن الدواسر –الذين يقيمون الآن في بوداى البديع وزلاق في الجزيرة الكبرى – وصلوا أول مرة إلى البحرين في سنة ١٨٤٥ . وقيل إنهم –وهم في طريقهم من موطنهم الأصلي في وسط الجزيرة– أقاموا بعض الوقت في جزيرة زخنونيه .

قيام قاعدة للساخطين من العتوب في جزيرة قيس ١٨٤٧–١٨٤٩ :

ولا تتوفر لدينا سوى معلومات قليلة فقط عن أحوال جزر البحرين خلال السنوات الاولى من حكم محمد بن خليفة ، لكن الدلائل تشير الى الهلهلة و سوء الادارة . وقد أشرنا من قبل إلى وجود قاعدة للاجئي البحرين –منذ سنة ١٨٤٧– في جزيرة قيس ، وإلى دورها في الصراع الذي نشب بين الشيخ محمد وعمه الكبير ، ولا بد أن الشيخ محمد كان يرى في التسوية التي حدثت بينهما –وبرغم ان سكان هذه

الجزيرة لم يكونوا بالفعل مؤيدين للشيخ السابق–إجحافاً بمصالحه ، لأننا نراه منهمكاً في بذل جهود كبيرة– منيت كلها بالفشل– لإقناع شيخ جاراك بطرد العتوب من جزيرة قيس . وفي يناير ١٨٤٩ ، سخط أربعة من كبار التجار في البحرين على حكم الشيخ محمد التعسفي فهجروا البحرين واستقروا بلنجة فترة قصيرة ثم هجروها للإقامة بجزيرة قيس . وقد بلغ سخط الشيخ محمد على هذا العمل حداً جعله يرسل شقيقه علي إلى بوشهر لينشد نصيحة المقيم البريطاني بها . وأجيب الشيخ عن سؤاله بأن السفن الحربية البريطانية –في المنطقة المجاورة– ستقوم بمنع هؤلاء الساخطين من مهاجمة البحرين .. ولكن على الشيخ أيضاً أن يكون أكثر حذراً ، وأن يتبنى سياسة أكثر ليناً وميلا للتفاهم معهم . ويبدو أن هذه النصيحة قد آتت ثمارها ، فرجع ثلاثة من هؤلاء التجار فيما بعد الى البحرين –على سفينة بريطانية وتم في يونيو ١٨٤٩ التوصل إلى تسوية ودية –وإن كانت مؤقته– لخلافاتهم مع الشيخ .



التاريخ العام في البحرين ، وسياسة الحكومة البريطانية نحوها خلال ما بقى من حكم الشيخ محمد ١٨٥٠ ــ ١٨٦٨

أصبحت أمور البحرين بعد موت الشيخ السابق عبد الله دقيقة وحرجة نتيجة عدم تقدير الحاكم للمسئولية ، ولاهتمام بريطانيا اهتماماً كبيراً بهذه الإمارة ، ومزاعم كل من الوهابيين والأتراك والإيرانيين بحقهم في السيطرة عليها .

وكانت الحالة في البحرين حسب وصف الملازم ديسبراو « كنا نتوقع دائماً حدوث الاضطرابات والهجمات . ونطلب نصيحة المقيم ، وكثيراً ما كنا نختلف معه حول ضرورة تقديم النصائح الواضحة لنا ، فمن

الأمور العادية التي كانت تحدث آنذاك في البحرين اضطهاد الرعايا ، وفرار من يقع عليه الاضطهاد من الجزر ، وإرسال الوفود المسلحة المفوضة تفويضاً كاملا لعقد اتفاقيات ثم عودتهم ، وتوجيه اللوم إليهم لهذه الاتفاقيات التي توصلوا إليها .. » . وسنتناول هذه الفترة التي تصل الى حوالي العشرين عاماً بترتيبها الزمني دون أية محاولة من جانبنا لتفكيك الخيوط المتشابكة فيها .

قرصنة بني هاجر وصلف الشيخ محمد ١٨٥٠ :

وحوالي نهاية يونيو سنة ١٨٥٠ كانت سفينة صغيرة تابعة لجزيرة خارّج متجهة إلى القطيف فاستولى عليها قرب رأس تنورة ٢٦ رجلا من بني هاجر كانو عائدين إلى البر على ظهر سفينة بحرينية ، وبعد أن نهبت كل ممتلكات أهل خارّج طرحوا وجلدوا على شاطىء الأحساء . وحيث كان شيخ البحرين مرتبطاً بهذه القبيلة الآثمة برباط المصاهرة ، كان يسمح لهم بأن يترددوا كثيراً على البحرين ، بل لقد أوعز اليهم سراً بارتكاب هذه الأعمال . فارغم المقيم البريطاني الشيخ محمداً —رغم أن بني هاجر ليسوا من رعاياه ، ورغم كون الجريمة ارتكبت بالفعل في مكان تابع لسيادة الوهابيين — على أن يعتبر مسئولا عن هذا العمل ، وأن يدفع مبلغ ١٠٠ تومان تعويضاً لمن لحقت بهم الخسائر .

وفي نفس الوقت تقريباً —وأثناء مراسلات تتعلق بموت أحد رعايا البحرين — ارسل الشيخ محمد رسالة ذات طابع تهجمي وعدائي واضح إلى المقيم البريطاني عن طريق حاجي قاسم وكيل المقيمية في البحرين ، وكان بعض اشاراته المهينة يتعلق بالرائد هينيل شخصياً ، وبعضها الآخر موجه للحكومة البريطانية . وأرسلت سفينة حربية بريطانية إلى البحرين فوراً تطلب تفسير هذا الأمر ، فأرسل الشيخ محمد — الذي أيقن الآن خطأ مسلكه هذا— شقيقه علي ليقدم اعتذاراً باسمه في بوشهر . وقد قبل الرائد هينيل اعتذاره عن الاهانات التي تمسه

هو شخصياً ، لكنه أصر على أن يقوم الشيخ خلال الزيارة التالية لقائد الاسطول البريطاني في الخليج للبحرين — بالتوجه شخصيا إلى ظهر سفينته وتقديم الاعتذار له عن ملاحظاته المهينة عن الحكومة البريطانية ، وقد قبل الشيخ علي —باسم أخيه— هذا العرض ، وتم تنفيذه بالفعل .

إجراءات السلطات البريطانية تتلافى مخاطر الوهابيين وأبناء الشيخ السابق ١٨٥٠ — ١٨٥٢ :

وفي سنة ١٨٥٠ ظهرت بوادر الخلاف بين الشيخ محمد والوهابيين ، وزاد من خطورته فشل المقيم البريطاني في جهوده لإقناع أبناء الشيخ السابق عبدالله بالاستقرار بهدوء في جزيرة قيس تمهيداً للحصول على موافقة الشيخ وسماحه لهم بالإقامة في البحرين .

١٨٥٠ :

وتمثلت بوادر السوء في المعاملة النابية التي استقبل بها الأمير فيصل مبعوثه محمد بن عبدالرحيم الذي كان ارسله هو نفسه إلى البحرين ، فجرده من الهدايا التي أهداها له الشيخ محمد ، بل وأمر بسجنه أيضاً . وسخط شيخ البحرين على هذا المسلك سخطاً شديداً ، وطالب أمير الوهابيين بترضية عنه ، مهدداً بمحاصرة القطيف . وبعدها بقليل ، في إبريل سنة ١٨٥٠ ، قام سعد بن مطلق —القائد الوهابي المشهور في البريمي— بزيارة البحرين ، ولم يكن الاستقبال الفاتر الذي لقيه هناك ليساعد على تحسين العلاقات بين الشيخ محمد وأمير الوهابيين .

١٨٥١

وفي أوائل ١٨٥١ ظهر الامير فيصل بنفسه في قطر وفي مكان قريب من الدوحة ، حيث هرع اليه أهالي الدوحة والوكرة والفويرط يعلنون تخليهم عن الولاء للبحرين وارتباطهم بالوهابيين . حينذاك جانب شيخ البحرين الصواب فعرض جزية سنوية ضئيلة على الأمير ، مما يشير الى

أنه فشل في التقيد باتفاقية سنة ١٨٤٧ ، لكن الامير رفض هذا العرض بازدراء ، ووضع شروطاً قاسية مجحفة ، ثم عاد أبناء الشيخ السابق عبدالله للحاق به من ملجئهم على الساحل الإيراني. وبادر الشيخ محمد بعد ذلك بحصار ميناء الوهابيين في القطيف ، لكن أبناء الشيخ عبدالله الذين وصلوا ومعهم اسطول أكملوا إعداده على الساحل الإيراني– استطاعوا اختراق الحصار والدخول إلى ميناء القطيف . وبدأت الأمور تتكشف في غير صالح الشيخ محمد ، وكان بالفعل على وشك الاستسلام لأعدائه لولا وصول أسطول بحري بريطاني فرض حمايته على جزر البحرين . وبعدها –في يوليو ١٨٥١– تم عقد الصلح بين الاطراف المتنازعة بفضل وساطة الشيخ طحنون شيخ ابو ظبي ، وأعيدت الدوحة للشيخ علي شقيق حاكم البحرين ، وكانت قد انتزعت منه ، وعاد أمير الوهابيين في سلام إلى الهفوف .

وفي هذه السنة جدد الباب العالي مزاعمه بالسيادة على البحرين ، فرفضتها الحكومة البريطانية على الفور .

١٨٥٢ :

وفي سنة ١٨٥٢ ، غضب الشيخ محمد لاستقرار أبناء الشيخ عبدالله مؤخراً في الدمام تحت حماية الوهابيين ، فهدد بعدم دفع الجزية التي كانت مستحقة الدفع آنذاك لأمير الوهابيين ، واندفع الى مهاترات كلامية كثيرة ، لكنه أخيراً رضخ لنصيحة المقيم البريطاني ونصيحة شقيقه علي –الذي كان له من القدرة على ضبط النفس أكثر مما عند شقيقه الحاكم– فدفع الجزية المستحقة لوكيلٍ مبعوث من الامير فيصل لهذا الغرض .

صعوبة التعامل مع الشيخ محمد ١٨٥٢ :

وبعد هذا مباشرة ، انتابت الشيخ محمد مخاوف لا تبرير لها ليس فقط من اعدائه في نفس عائلته بل أيضاً من سيد عمان .. بل وحتى من

الشيخ طحنون الذي توسط أخيراً بينه وبين الوهابيين . وبصعوبة تعهد الكابتن كامبول -الذي أهين موخراً من جانب الشيخ محمد- بأن يراسل باسم الشيخ أبناء الشيخ عبدالله ، لكن هذه المفاوضات تعثرت نتيجة عدم اتزان او تعقل الشيخ محمد .

وكان يوسف بن ابراهيم أهم التجار البحرينين الأربعة الذين هاجروا إلى قيس في سنة ١٨٤٩ ما يزال مصراً على عدم العودة إلى البحرين ما لم يحصل على ضمان من الحكومة البريطانية بحمايته ، وكان هذا مطلباً متعذراً . . لكنه -على أية حال- مات في لنجة في العام التالي «١٨٥٣» .

اضافات متعلقة بتجارة الرقيق ١٠ مايو ١٨٥٦ :

وفي ١٠ مايو سنة ١٨٥٦ وقع الشيخ محمد نصوصاً جديدة تتعلق بقمع تجارة الرقيق كانت اضافة لمعاهدة سنة ١٨٤٧ ، وكانت نصوصها تتفق مع تلك التي وقعها شيوخ عمان المتصالحة في نفس السنة .

التعويضات عن سوء معاملة الشيخ محمد رعايا بريطانيا في البحرين ١٨٥٨ :

وفي سنة ١٨٥٨ بدأ الشيخ محمد الذي أصبح الآن يوصف بأنه «رجل يجمع في نفسه أسوأ صفات الطغيان والجشع غير المحدود للثروة ، والمزاج المتقلب الذي لا يمكن التحكم فيه ، والجهل والنزق ..» - بدأ الشيخ محمد هذا يفرض حظراً على سفينة ترفع العلم البريطاني ، ويمنع السفن التي يملكها التجار الهنود في البحرين من الإبحار إلى القطيف ، ويزيد العوائد على الصادرات والواردات جميعاً ، وتراكمت الشكايات ، من هذه الاجراءات ومن المعاملة السيئة التي يلقاها منه حاجي قاسم ، وكيل المقيمية البريطانية في البحرين .

وترتب على هذا ان ارسل كابتن فيلكس جونز المقيم البريطاني في

بوشهر –مساعده الملازم ديسبراو على ظهر السفينة الحربية البريطانية « كليف » ليحمل رسالة منه وتحذيراً لشيخ البحرين في سبتمبر ١٨٥٨ . وقد تم رفع الحظر عن السفينة التي ترفع العلم البريطاني فوراً وكان الشيخ علي شقيق حاكم البحرين هو وسيط الاتصال كالعادة . وقد قدم تفسيره لمنع السفن التي ترفع العلم البريطاني من زيارة القطيف بأنه إجراء مقصود به تلافي المشكلات التي قد تنجم عن عداء الوهابيين لشيخ البحرين ، ورد الملازم ديسبراو على هذا بأن « العلم البريطاني قادر على أن يحافظ على هيبته دون حاجة الى عون أية قوة أجنبية أخرى » . وفيما يتعلق بالعوائد الجمركية ، أبدى الملازم ديسبراو رغبة الحكومة البريطانية في ألا تكون هذه الضرائب ذات طابع تعسفي او مجحف ، وهي قضية لم يعترض عليها الشيخ علي ، وقدم وعداً من جانبه لوكيل المقيمية بأن يعامل في المستقبل معاملة خاصة ، وجاء الشيخ محمد –بعد ان فشل في محاولة إغراء الملازم ديسبراو بأن يقوم بزيارته في البر للمرة الاولى– جاء اليه على ظهر «كليف» ، وأفصح عن أسفه لما حدث ، ورد الملازم ديسبراو والقائد جنكنز زيارته تحت العلم البريطاني .

إجراءات السلطات البريطانية لتحاشي الأخطار المتجددة من جانب الوهابيين وأبناء الشيخ السابق عبدالله ١٨٥٩ :

ورغم الصلح الذي عقد في سنة ١٨٥١ ، ظل التوتر قائماً بين أمير الوهابيين وشيخ البحرين ، وكانت السلطات المحلية البريطانية تراقب هذا الأمر مراقبة دقيقة يقظة وفي مايو ١٨٥٣ –وبالنظر الى قيام خطر يتهدد البحرين بالغزو بين الحين والآخر– فوضت حكومة الهند حكومة بومباي اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة ووضع كل العقبات الممكنة في وجه غزو البحرين من قِبَل أمير الوهابيين –الذي كان اسمياً تابعاً للباب العالي– على أساس أن حكومة صاحبة الجلالة لا تسمح ابداً باحتلال البحرين من جانب الحكومة التركية ، كما أنها أيضاً لا تسمح بأيه أعمال لمصلحة الباب العالي في الجزر . وفي سنة ١٨٥٩ وصل التوتر الى قمته مرة

أخرى رغم وجود سفينة حربية بريطانية في ذلك الوقت في مياه الأحساء . وبدأ الحاكم الوهابي لهذا الاقليم –بمعاونة محمد بن الشيخ عبدالله– يتخذ الإجراءات في القطيف والدمام للنزول إلى البحرين ، وكانت هذه العملية تستهدف وضع محمد بن عبدالله على حكم البحرين ، وكانت الحجة الظاهرية لاستمرارها هي ان شيخ البحرين قد حرض بعض القبائل في قطر على مهاجمة رعايا أمير الوهابيين ، وقد استولى هؤلاء الحلفاء على بعض سفن تركية وإيرانية –بطريق القرصنة– وأرغموا بحارتها على العمل ضمن هذه الحملة المقترحة . وأرسل المقيم البريطاني من فوره القائد بلفور ومعه اسطول الخليج الى الدمام ، وأدت أعمال هذا الضابط – التي لقيت فيما بعد « التنويه والتأييد من جانب حكومة الهند .. » إلى إيقاف هذه الاستعدادات تماماً .. بل واعتذار أمير الوهابيين عن الشروع فيها أيضاً .

وبدأت بعد ذلك مراسلات غير مثمرة بين الحاكم الوهابي الذي أسخطه تدخل السلطات البريطانية وبين المقيم البريطاني كابتن فيلكس جونز الذي كان يعتقد أن الهدف الاخير للوهابيين هو « السيطرة المطلقة بلا منازع على طول الساحل .. » ، وأكد الحاكم الوهابي في هذه المراسلات سيطرته على البحرين ، كذلك أكد خضوعه وتبعيته لسلطان تركيا . ورد المقيم عليه بابلاغه تصميم الحكومة البريطانية على المحافظة على استقلال البحرين ، وأشار أيضاً إلى تناقض استيلائه –بطريقة القرصنة– على بعض السفن التركية مع زعمة بتبعيته لسلطان تركيا .

ورفع الكابتن جونز توصية الى حكومة الهند بضرورة اتخاذ إجراء تأديبي ضد موانى الأحساء ، ودارت مناقشة حول صواب طلب إبعاد محمد بن عبدالله عن الإقامة في الدمام .

شيخ البحرين يطلب حماية إيران وتركيا في نفس الوقت ١٨٥٩ :

وقرب نهاية سنة ١٨٥٩ ، وربما نتيجة هذه الأزمة ، تقدم الشيخ

محمد —في وقت واحد— بطلب الحماية من كل من الحاكم الإيراني في فارس والوالي التركي في بغداد . أما رد إيران فتمثل في وصول وكيلهم ميرزا مهدي خان —المشهور بعدائه وكراهيته للانجليز— الى البحرين مباشرة ، ورفع علم ايران ، وإعلان سيادتها على البحرين . ولم تكد هذه الاحتفالات تقام حتى وصل محمد بك مبعوثاً عن مصطفى نوري بك الى بغداد ، فأنزل العلم الإيراني ثانية ، ورفع العلم التركي مكانه ، وليكتمل السخف في هذا الموقف رفض الوكيل الإيراني مغادرة البحرين او التخلي عن سلطانه المزعوم في الإمارة .

مناقشة السياسة التي يجب أن تتبناها الحكومة البريطانية بالنسبة لهذه الأحداث ١٨٦٠ — ١٨٦١ :

وكان سير هـ. رولينسون ، الوزير البريطاني المفوض في طهران مختلفاً في نظرته الى هذه الأمور ويراها أخطر مما يراها المقيم العام ، فتعهد بأن يحصل من وزراء الشاه على تأكيد بعدم احتلال البحرين احتلالا عسكرياً من جانب إيران حتى تتم تسوية الوضع الشرعي لهذه الجزر بالمفاوضات الديبلوماسية . ونصح الكابتن جونز بأنه في الوقت الذي تقوم فيه قوة السلاح البريطاني بصد أي عمل عدائي ضد البحرين ، فان الولاء الطوعي من جانب الشيخ لأية دولة أجنبية —ما دام لا يتبعه أي احتلال عسكري للجزر— لا يجب أن ينظر اليه على أنه ذو أهمية عملية كبيرة . وبعد دراسة هذه المراسلات وجهت حكومة بومباي التعليمات للمقيم في بوشهر بعدم التدخل في احتلال البحرين سواء من جانب إيران أو تركيا ، إلا بتوجيه الاحتجاج ورفع الأمر إلى حكومة صاحبة الجلالة ، ولكن —في نفس الوقت— يجب أن يصدر تحذير لكل من الجانبين بأن أي عدوان من جانب البحرين —أو باسمها— على القبائل المجاورة لن تسمح به الحكومة البريطانية ، وقد تمنعه بقوة السلاح إذا لزم الأمر . وحين رفعت حكومة بومباي الأمر كله الى وزير الدولة

أشارت الحكومة إلى أن الهدوء في منطقة الخليج الذي ظلت سياسة الحكومة البريطانية تحافظ عليه أمداً طويلا يتطلب اعتبار البحرين غير تابعة للباب العالي ولا لإيران ، كما اوصت أيضاً بضرورة الاعتراف باستقلال البحرين ، وبوجوب المحافظة على مثل الاتفاقيات الخاصة بالمصالح التجارية والانسانية والأمن العام مما يعقد بينها وبين الحكومة البريطانية . وقد وافقت حكومة صاحبة الجلالة على هذه الاقتراحات كلها في فبراير سنة ١٨٦١ .

وفي نفس الوقت تقريباً .. اختفى وكلاء تركيا وإيران جميعاً من البحرين .

شيخ البحرين يوقع معاهدة مع بريطانيا ٢١ مايو ١٨٦١

وفي مايو سنة ١٨٦١ أصبح معروفاً للمقيم أن شيخ البحرين قام بغير مشورته بمحاصرة ساحل الأحساء ، وبمطاردة الغواصين وراء اللؤلؤ في القطيف والدمام ، وكان محمد بن عبدالله ابن شيخ البحرين السابق ما يزال مقيماً في الدمام .

ومضى كابتن جونز مباشرة إلى البحرين فوصلها في ١٨ مايو مع اسطول الخليج كاملا ، لكنه لم يلمح لشيخ البحرين بانهاء حصاره لشواطىء الاحساء . وكان سبب عناد شيخ البحرين ، أو على الأقل ما كان يُعتَقَدُ أنه سبب ذلك هو وعد من جانب إيران بأن تضمن له عون سفينة حربية فرنسية . وحين فشلت كل محاولات الإقناع من جانب المقيم السياسي . وضع الامر كله بين يدي القائد دروت قائد الاسطول البريطاني في الخليج الذي استطاع دون ان يطلق طلقة واحدة الاستيلاء على سفينتين من أفضل سفن البحرين الحربية وهما «الطويلة» و « الحمراء » .

وعند ذلك أعلن الشيخ خضوعه ، ووافق ــبعد مفاوضات قصيرة أجراها شقيقه علي على توقيع اتفاقية اقترحها الكابتن جونز ووقعت

في ٢١ مايو سنة ١٨٦١ . وبها اعترف الشيخ محمد بن خليفه بصحة الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدها أسلافه في الحكم مع الحكومة البريطانية ، وتعهد بأن يتجنب « الانغماس في الحرب او القرصنة او تجارة الرقيق في البحر » . وكان ذلك الشرط ضروريا لاستمرار عون الحكومة البريطانية له ضد أي عدوان خارجي ، كما تعهد الشيخ أيضاً بأن يرفع أمر كل حالات العدوان التي قد تقع عليه أو على رعاياه إلى المقيم البريطاني ، وان يقبل تحكيمه فيها ، وان يرفع اليه أيضاً مطالبه بالتعويض في مثل هذه الحالات ، وأن يخضع لتحكيمه بالنسبة للحالات التي يكون فيها هو المعتدى او رعاياه ، وتعهد أيضاً بأن يعترف بقضاء الوكيل البريطاني والمقيم البريطاني في شئون الرعايا البريطانيين في البحرين مهما كانت تلك الشئون ، وان يسمح لهؤلاء الرعايا بالاستقرار والتجارة في أرضه بحيث لا يخضعون الا لشي واحد فقط هو دفع ٥٪ من قيمة رؤوس اموالهم على الا تحصل منهم غير مرة واحدة . وحين سويت المسائل على هذا النحو احتفظ المقيم بالسفينة «الحمراء » ، وأطلق سراح السفينة الأخرى « الطويلة » وكان من نتائج هذه الاتفاقية تحديد وضع شيخ البحرين الذي لم يكن طرفاً مع مشايخ عمان المتصالحة في توقيع معاهدة السلم الشاملة .

ووافقت حكومة بومباي على الإجراءات التي اتخذها كابتن جونز ، ورفعت هذه الاتفاقية –التي كانت تراها ذات ميزات وإن كانت بلا تفويض سابق من جانبها – الى حكومة الهند التي صدقت عليها في ٩ أكتوبر ١٨٦١ . وصدرت التعليمات ايضاً للمقيم بألا يعيد السفينة «الحمراء» حتى يثبت شيخ البحرين بمسلكه أنه جدير بمثل هذا العمل .

طرد محمد بن عبدالله من الدمام نوفمبر ١٨٦١ :

وفي نفس الوقت وافقت السلطات العليا على اقتراح قدمه المقيم العام –في أعقاب محاولة غزو البحرين في سنة ١٨٥٩– على أن يبعد من

الدمام محمد بن عبدالله ـــ الذي أنذر غير مرة بألا يثير هذه الاضطرابات في البحار ، والذي كان الشيخ محمد دائم الشكوى منه . وطلبت الحكومة البريطانية ضرورة سماح شيخ البحرين له بالإقامة في الكويت او في أي مكان آخر على الساحل الإيراني ، وأصدرت تعليماتها بأن تُتجنّب المعارك البرية ، ويقتصر على العمليات البحرية فقط .. هذا اذا كان لا مفر من استخدام القوة .

وهكذا ، كتب المقيم العام لأمير الوهابيين في يونيو ١٨٦١ بأن يطرد محمد بن عبدالله من الدمام ، وفي نوفمبر ١٨٦١ــ وحين لم يتلق رداً على خطابه هذا ــ سار المقيم بالاسطول البريطاني في الخليج إلى الدمام ، وبعد إطلاق بعض النيران ساعة من الزمن دون خسائر في الأرواح فر محمد بن عبدالله وأنصاره جميعاً من الدمام .. ولم يلق الاسطول البريطاني أية معارضة من قِبَل حامية الوهابيين في الدمام والقطيف ، بل لقد رحب تجار الأحساء بهذه النتيجة ، ورحبت بها السلطات الوهابية أيضاً التي امتنعت عن طرد هذا اللاجىء من ارضها في نهاية الأمر مراعاة لتقاليد الكرم والضيافة العربية .

وقدم الوالي التركي في بغداد احتجاجاً على ما قام به الاسطول البريطاني في الخليج ، ورد عليه المعتمد البريطاني هناك . ولا داعي هنا للاشارة الى ذلك الاحتجاج لأنه يتعلق بالوضع السياسي في الأحساء لا في البحرين .

سوء سلوك شيخ البحرين تجاه رعايا بريطانيا ١٨٦٣ــ١٨٦٥ :

ولم تفلح التزامات الاتفاقية التي عقدت أخيراً ، ولا العون الثمين الذي لقيه شيخ البحرين في طرد محمد بن عبدالله من الدمام في أن ينشيء علاقات طيبة بينه وبين الحكومة البريطانية . وفي سنة ١٨٦٣ ، وبعد تعيين الوكيل بيللي مقيما في الخليج ، أعيدت السفينة «الحمراء» لشيخ البحرين بناء على اقتراح المقيم الجديد ، كبداية لسياسة التصالح التي كان

يود انتهاجها . لكن شيخ البحرين لم يقابل هذه البادرة بأكثر من عبارات تدل على عدم احترامه لنائب الملك في الهند وعلى سوء معاملته للرعايا البريطانيين حتى بلغ بهم الأمر يوماً أن هاجرت الجالية الهندية جميعاً إلى بوشهر ، واستقر أكثر تجارهم ثراء هناك ورفضوا العودة للبحرين ، ورفعت شكاوى كثيرة ضد شيخ البحرين ، فأجرى المقيم تحقيقاً في إحداها سنة ١٨٦٤ وسويت باتفاقية كتابية تعهد الشيخ وأشقاوه فيها بدفع مبلغ ١٧ الف غران . وفي ربيع سنة ١٨٦٥ ، لدى زيارة ثانية للبحرين ، وجد الرائد بيللي أن هذه التعويضات لم يتم دفعها بعد . وأن شيخ البحرين ، بدل أن يدفعها ، استولى على مبلغ ثلاثة آلاف غران أخرى من الهنود الذين تقدموا بهذه الشكوى ، فوجه المقيم إنذاراً كتابياً للشيخ .. ولكن في ديسمبر من نفس السنة —وبعد اخفاق مفاوضات دامت اسبوعاً كاملا مع الشيخ لإقناعه بضرورة دفع هذه التعويضات التي التزم بها — أمر الرائد بيللي بالاستيلاء على سفينة البحرين « دينار » التي تبلغ حمولتها ٥٠٠ طن ومسلحة بعشرة مدافع كبيرة . ولم يكد المقيم يرفع الامر إلى حكومة الهند مع توصية منه ببيع هذه السفينة لصالح التجار الهنود أصحاب الحق في التعويضات حتى عادت سلطات البحرين إلى وعيها فدفعت التعويضات المطلوبة منها ، غير ان السفينة —في نفس الوقت— تأثرت باعصار عنيف ، وغرقت قبل ان تصل أقرب ميناء لها في بوشهر ..

وكانت حكومة الهند قد أصدرت أوامرها برد السفينة « دينار » لشيخ البحرين اذا تيسر ذلك .. لكن السفينة غرقت أثناء عودتها إلى البحرين ولم يتيسر تنفيذ هذه التعليمات . وأصدرت الحكومة أمراً عاماً —نتيجة هذه الحادثة— بألا يتولى المقيم العام مستقبلا عملية مصادرة السفن التي يملكها الشيوخ على مسئوليته الخاصة .

الحكومة الإيرانية تجدد تأكيد مزاعمها بالنسبة للبحرين ١٨٦٦ – ١٨٦٧ :

وقامت الحكومة الإيرانية –التي كانت قدمت احتجاجاً في سنة ١٨٦٢ على احتجاز سفينة البحرين الحربية «الحمراء»– بتقديم شكوى جديدة مما اتخذته السلطات البريطانية تجاه السفينة «دينار» على أساس أن البحرين كانت وحسب الاتفاقية التي عقدها كابتن بروس سنة ١٨٢٢ تابعة لإيران .

وأحالت حكومة الهند التي لم يرقها هذا الزعم –بطبيعة الحال– الأمر إلى حكومة بومباي ، وطلبت اليها تفسير الوضع الحقيقي لمعاهدة كابتن بروس ، وكيف أنها رفضت من جانب السلطات البريطانية العليا منذ توقيعها ، كما أوضحت حكومة الهند لمستر اليسون الوزير البريطاني المفوض في طهران ظروف القضية مبينة رأيها الذي يتمثل في أنه مهما كانت المزاعم من جانب حكومة إيران أو الاسس التي تقوم عليها هذه المزاعم عن سيطرة إيران على البحرين في الزمن الماضي .. فان على الشاه أن يفهم حكم الأمر الواقع اليوم.. وهو الا حق له على الإطلاق في هذه الإمارة .

وقد أقرّت حكومة صاحبة الجلالة هذا الإجراء من جانب وزيرها المفوض في إيران في سنة ١٨٦٧ ، وانتهت القضية عند هذا الحد .

مزاعم الوهابيين بالسيطرة على البحرين ١٨٦٦–١٨٦٧ :

وأثناء زيارة الرائد بيللي للبحرين في ديسمبر ١٨٦٥ ، وكانت ثمة قطيعة بين بريطانيا والوهابيين آنذاك ، حامت الشكوك حول وجود تفاهم بين شيخ البحرين والوهابيين ، وكان من دوافع (عملية) السفينة «دينار» قص أجنحة شيخ البحرين خشيةأن يغامر مرة واحدة ويربط مصيره بأمير الوهابيين . صحيح أن الشيخ حين أعلن خضوعه أفصح عن رغبته

في تخليصه من قوة الوهابيين لكن المقيم ظنه في ذلك الوقت غير مخلص في طلبه هذا . وصدرت التعليمات للرائد بيللي بكتابة تقرير عن الوضع السياسي للبحرين بالنسبة للدولة الوهابية .

وأثبت بحث الرائد بيللي أن الشيخ يعتبر نفسه مستقلا عن الوهابيين فيما يتعلق بجزر البحرين ، أما الجزية التي يدفعها لهم كل سنة ــدون مناقشةــ وقدرها أربعة آلاف روبية فهي لحساب ممتلكاته في قطر ، وهدف هذه الجزية هو تأمين ممتلكاته القطرية من أي هجوم عليها من قبل القبائل العربية المجاورة . وحين رفع الرائد بيللي هذا التقرير الى حكومة الهند ذكرها بقرار مجلس المديرين في سنة ١٨٤٧ الذي يقضي بصد أية محاولة لغزو البحرين ، بقوة الاسطول البحري لو اقتضى الأمر ، كما أعاد للأذهان اوامر حكومة الهند في سنة ١٨٥٣ بوضع كل العقبات الممكنة في وجه أمير الوهابيين الذي كان يعتبر آنذاك عميلا للأتراك اذا ما حاول غزو البحرين ، وبقبول وزير الدولة في سنة ١٨٦١ لوجهة النظر التي تقول بضرورة الاعتراف باستقلال البحرين وبضرورة الوفاء بالتزامات الحكومة البريطانية المحددة في المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع شيوخها .

شيخا البحرين وأبوظبي يقومان بنهب قطر ، وسكانها ينتقمون بالاغارة على البحرين ١٨٦٧ ــ ١٨٦٨ :

وفي مارس ١٨٦٧ صرحت حكومة الهند برأي مؤداه أن شيخ البحرين مستقل تمام الاستقلال عن كل الدول الأجنبية فيما يتعلق بأرض الجزر ، وأنه ليس ملزما بأن يطيع الوهابيين الا فيما يتعلق بأرضه في قطر. وقد قبض الشيخ أحمد بن محمود ــوكيل شيخ البحرين في الوكرةــ على رجل بدوي وارسله إلى البحرين ، واتحد زعماء الوكرة والدوحة في طلب إطلاق سراحه ، وحين رفض طلبهم بدأوا يتخذون إجراءات طرد الشيخ أحمد بن محمود من الوكرة ، لكن هذا استطاع أن يدرك سلفاً نواياهم فانتقل بأسرته وما يملك إلى خور حسان ، وتمت تسوية الأمور

تسوية ظاهرية ، فأطلق شيخ البحرين سراح الرجل البدوي السجين ، واعتذر له شيوخ قطر عن سلوكهم نحوه .. لكن شيخ البحرين كان يتخذ التسوية ستاراً يخفي نواياه الانتقامية . ودعى جاسم بن محمد –أحد شيوخ آل ثاني في الدوحة الذي سيمتد نفوذه يوماً فيما بعد فيشمل شبه جزيرة قطر كلها –الى البحرين لعقد اتفاقية دائمة في ما يتعلق بطريقة حكم الإقليم فيما بعد ، لكن شيخ البحرين غدر به فور وصوله فألقاه في السجن ، وبمجرد سجنه ارسل الشيخ محمد اسطولا مكوناً من ٢٤ قارباً على ظهرها ٥٠٠ رجل يقودهم شقيقه الشيخ علي ، وقوة برية قوامها ٢٠٠ رجل يقودها الشيخ أحمد وكيله السابق– لتأديب أهل الدوحة والوكرة ، وطلب في نفس الوقت من شيخى دبي وابوظبي المساعدة ، وأرسل شيخ أبو ظبي –متجاهلا نصيحة الوكيل البريطاني في الشارقة– ٢٠٠٠ رجل مسلح في ٧٠ قارباً الى ساحل قطر ، لكن شيخ دبي لزم الحذر ورفض الاشتراك في هذا العمل . وكان اسطول ابو ظبي هو الذي وصل اولا إلى قطر ، ونجح في تهدئة شكوك الوهابيين حتى وصلت عمارة البحرين التي كانت قد استولت على ٤٠ سفينة تابعة لقطر في طريقها . وهاجمت قوات الحلفاء مدينتي الدوحة والوكرة فنهبت حتي الابواب ونوافذ البيوت ثم طلبت إلى الأهالى بأن يخرجوا للأقامة في أي مكان آخر ، وحين حاولوا الخروج سلبت كل ممتلكاتهم ، وألقي القبض على جماعة منهم . . أما الباقون فقد انتشروا يلتمسون لهم ملجأ آخر في أي مكان على سواحل شبه الجزيرة أو ايران وقد حدثت هذه الوقائع في اكتوبر سنة ١٨٦٧ . وقدرت الخسائر التي اوقعت بأهل قطر بأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ روبية .

واندفع ضحايا هذا الغدر مباشرة إلى أمير الوهابيين –الذي يزعم لنفسه حقوق السيادة على قطر– يطلبون تعويضهم عما أصابهم ، وذكر بعدها أنه استقبل ممثل هؤلاء المنكوبين وتعاطف معهم ، وذكر لهم أنه « ما دامت نواياه متفقة مع نوايا السلطات البريطانية فلا شيء يُخشى

عليهم بعد من ناحية البحر » ، وتقدم الأمير يطلب إعادة الأشياء التي نهبت ، وإطلاق سراح الأسرى من مواطني الدوحة والوكرة . وكانت النتيجة التي أدى اليها هذا الطلب هي إعادة احتجاز بعض العائلات التي كان قد سمح لها بالعودة الى قطر . وأصدر أمير الوهابيين اوامره إلى وكلائه في الأحساء باعداد حملة للهجوم على البحرين ولكن ـفيما عدا بعض حوادث النهب التي قامت بها قبيلة من ساحل الأحساء على بعض مواطني البحرين ـلم يؤد هذا الى نتائج ملموسة .

وفي يونيو سنة ١٨٦٨ أخذ أهل قطر المنكوبون زمام المبادرة فبدأوا يعدون لهجوم انتقامي على البحرين ، لكن هذه الحركة بدأت وانتهت ـفيما يبدوـ بعدة اشتباكات بحرية صغيرة .

تدابير السلطات البريطانية حيال الهجوم على قطر ١٨٦٨

وقد أدت السرية والسرعة اللتان أحيطت بهما حملة شيوخ البحرين وأبو ظبي ضد قطر الى حرمان الحكومة البريطانية من أية فرصة لمنعها او التدخل فيها ، ولكن بمجرد أن تحول الأمر واصبح اختباراً لاستعداد بريطانيا وقدرتها على حماية السلم في البحار تقرر إيقاع عقوبة بالشيوخ المعتدين تكون عبرة لمن اعتبر وعدم قبول العذر الذي ربما يتعلل به الشيخ محمد وهو أنه كان يهدف إلى تأديب رعاياه المتمردين في قطر .

الاستعدادات والمفاوضات :

وأرجىء العمل من قبل السلطات البريطانية طويلا بالنظر لما تطلبته حملة ضد الحبشة من قطع حكومة الهند البحرية ، وفي ذلك الوقت لم يكن في الخليج إلا قطعة بحرية واحدة هي القارب المسلح «هيوروز» ، وكان رجالها جميعاً من الهنود ولا تستطيع السير أكثر من ثماني ساعات متواصلة . وفي شهر مايو وضعت الباخرة «سند» تحت تصرف المقيم السياسي لمحاصرة أبو ظبي والتصدي لشيخها ، ولكنها بسبب هفوة غريبة حوسبت عليها حكومة الهند حساباً عسيراً في ما بعد ، وصلت

إلى الخليج وليس في خزينتها طلقة مدفع واحدة .. وفي نفس الو قت كان ثمة اتفاق سري بين شيخ ابو ظبي وشيخ البحرين على أن يدفع الأخير للأول أية عقوبة مالية تفرض عليه من جانب الحكومة البريطانية . وراح شيخ أبو ظبي يراوغ ويماطل ، ولكن في ٨ يونيو ١٨٦٨ قطع عليه الطريق خطاب من المقيم العام يطلب فيه دفع مبلغ ١٢٥ الف غران تعويضاً عن الخسائر التي حدثت ، وإعادة الأشخاص الذين نقلهم من قطر هم وممتلكاتهم كاملة ، والاعتذار عن عمله هذا ، والتعهد بمسلك أفضل في المستقبل . وأدت الأخبار التي وصلت في يونيو ١٨٦٨ عن إعداد حملة انتقامية من جانب أهالي قطر إلى التعجيل بمجرى الحوادث وفي ٢٣ يوليو أرسلت سفينة صاحب الجلالة «فيجيلانت» التي كانت عائدة من مهمة أخرى في بومباي الى الخليج ، وصدرت التعليمات لقائدها الكابتن ر. أ. براون بارغام شيخ البحرين ، بكل الوسائل التي يستطيعها ولكن بالتشاور الدائم مع الرائد بيللي ، على دفع مبلغ ١٠٠ الف روبية ، وتسليم السفن المسلحة التي استخدمها في الحملة المذكورة على قطر إلى جانب التعهد بحسن السلوك في المستقبل — كما يقدر المقيم العام شكل هذا التعهد من جانب رجل كحاكم البحرين — أما بالنسبة لشيخ ابو ظبي فقد فوض بيللي أن يتخذ من الإجراءات هناك ما تقتضيه طبيعة الموقف .

الاتفاق مع الشيخ علي بن خليفة ٦ سبتمبر ١٨٨٦ :

ولم يتخذ أي عمل حتى اول سبتمبر (١) حين وصلت سفينة صاحب الجلالة «فيجيلانت» والقاربان المسلحان «كلايد» ، و « هيو روز » إلى البحرين . وفر الشيخ محمد — الذي أحس أنه الطرف الخاسر بلا ريب — إلى قطر . وفي ٦ سبتمبر ١٨٦٨ تم توقيع اتفاقية مع الشيخ علي بن خليفة

---

(١) لا نجد تفسيرا مقنعا لهذه التأخيرات ، التى حدثت منذ بداية فبراير حتى منتصف يوليو ،وكانت تعزى من جانب حكومة الهند الى اهمال حكومة بومباى .

ـشقيق الشيخ الهارب الذي كان مرتبطاً إلى حد ما معه في الإدارةـ تعهد فيها بأن يسلم جميع السفن الحربية التي يملكها كل أعضاء الاسرة الحاكمة في البحرين للقائد البحري البريطاني ، وأن يدفع مبلغ ٢٥ الف روبية نقداً للمقيم البريطاني في اليوم التالي ، بالإضافة إلى دفع مبلغ ٧٥ الف روبية على ثلاثة أقساط سنوية ، وأن يعين ـبهدف المحافظة على السلم في البحرـ وكيلا عنه في بوشهر للتفاهم مع المقيم البريطاني هناك . ونصت الاتفاقية أيضاً على اتفاق وجهاء أهل البحرين بالإضافة إلى الشيخ علي نفسه ، على أن الشيخ محمد ، نتيجة ارتكابه أعمال القرصنة وفراره عن المشيخة ، لم يعد شيخاً للبحرين . وقد تعهد الشيخ علي الحاكم الجديد للبحرين بأن يقبض على أخيه ـفي حالة عودته إلى البحرينـ ويسلمه للمقيم البريطاني . وتم تنفيذ الالتزام الخاص بتسليم السفن الحربية بالفعل ، وتم حرق هذه السفن ، كما تم أيضاً تدمير قلعة المحرق ، او تحديداً قلعة أبو ماهر بتحصيناتها . وحين جمع مبلغ يوازي حوالي خمس الغرامة المقررة وزعت توزيعاًـ متناسباً ـ على الذين وقعت عليهم الخسارة ورفع باقي هذه الغرامة .

أما الأعمال التالية للمقيم على ساحل قطر وأبو ظبي فهي تتعلق بتاريخ تينكما الإمارتين أكثر مما تتعلق بتاريخ البحرين ولا حاجة بنا لذكرها هنا ، لكننا نشير فقط إلى أن الرائد بيللي قد نجح في الوصول إلى اتفاق ـفيما يتعلق بالجزية وغيرها من المسائلـ بين شيوخ آل ثاني في الدوحة وحاكم البحرين الجديد ، وهذه الجزية هي ما كان يدفعها شيخ البحرين ـكلياً أو جزئياًـ لأمير الوهابيين عن املاكه في قطر .

احتجاجات إيران على أعمال بريطانيا في البحرين ورد حكومة صاحبة الجلالة عليها ١٨٦٨ ــ ١٨٦٩

وسرعان ما توالت الاحتجاجات على أعمال السلطات البريطانية من مختلف مستويات السلطات الإيرانية ، وفي أحد هذه الاحتجاجات

المقدمة من وزراء الشاه إلى مستر أليسون الوزير البريطاني المفوض في طهران جاء ان « البحرين جزء من إيران » ، وأرسل احتجاج مماثل من حاكم شيراز إلى الرائد بيللي ، وثالث ارفق به خطاب من شيخ البحرين السابق إلى وزارة الخارجية في ١٣ إبريل سنة ١٨٦٩ قدمه السفير الإيراني في لندن . وكان مدار الشكوى ان السلطات البريطانية لم تبلغ السلطات الإيرانية بشيء عن نواياها تجاه البحرين .

وفي رد أرسل في تاريخ ٢٩ إبريل سنة ١٨٦٩ بعد تشاور بين دوق أرجيل ، وزير الدولة لشئون الهند —ووزير الدولة للشئون الخارجية ، والسفير الإيراني في لندن ذكر ان شيخ البحرين دخل في فترات مختلفة من ماضيه — في اتفاقيات مباشرة مع الحكومة البريطانية — وقدمت اليه التأكيدات بأن الهدف الوحيد من هذه الاتفاقيات بالنسبة للحكومة البريطانية مع هؤلاء الشيوخ هو منع القرصنة وتجارة الرقيق وا ضطراب السلم في منطقة الخليج ، وكلها أهداف يسعد الحكومة البريطانية أن تؤديها — اذا كان ذلك ممكناً — من أجل الحكومة الإيرانية . وفي النهاية وعدت الحكومة البريطانية بأنها لو وجدت في المستقبل ضرورة القيام باجراء تأديبي او عقابي ضد شيخ البحرين فستقوم بابلاغ السلطات الإيرانية مسبقاً اذا كان ذلك ممكناً . وفي الحالات التي يتعذر فيها ذلك عملياً — نتيجةالتأخير الناجم عن إحالة الأمر إلى حكومة طهران— فان تقريراً وافياً سيقدم للحكومة الإيرانية . وكان الهدف من هذا الرد هو تحاشي إحداث أية إثارة في طهران .. ولكن من الواضح أن حكومة صاحبة الجلالة لم تتخل عن تنفيذ سياستها المرسومة في المنطقة .



علي بن خليفة ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩

بدأ حكم علي بن خليفة بالاتفاقية التي وقعها مع الحكومة البريطانية في ٦ سبتمبر ١٨٦٨ ، وكانت فترة حكمه قصيرة ومأساوية استمرت أقل من سنة .

★ ★ ★

مؤامرات الشيخ السابق محمد بن خليفة ١٨٦٩

وفي يناير ١٨٦٩ وبناء على طلب الشيخ علي الذي كان يظن أنه سيحكم سيطرته على شقيقه ولو كان هذا مقيماً في البحرين سمحت السلطات البريطانية للشيخ محمد بالعودة إلى البحرين .. لكنه انهمك في سلسلة طويلة من المؤامرات حتمت إبعاده إلى الكويت ، ومنها انتقل الشيخ السابق إلى القطيف ، ودخل في اتصالات مريبة مع قريبه ناصر بن مبارك ـــ حفيد الشيخ السابق عبدالله ـــ الذي كانت امه من بدو بني هاجر .

★ ★ ★

غزو البحرين وموت الشيخ علي ١٨٦٩

وفي أغسطس أو سبتمبر ١٨٦٩ عبر محمد بن خليفة وناصر بن مبارك إلى البحرين في تسعة قوارب تحمل حوالي ٥٠٠ رجل مسلح من بني هاجر ، وسارت قواتهما إلى الرفاع الشرقي الذي كان يسيطر عليه محمد بن عبدالله وهو الشيخ الذي كانت السلطات البريطانية طالبت باسم الشيخ علي بإبعاده من الدمام سنة ١٨٦١ . وحدثت معركة بين الجانبين انتهت من جرّاء خيانة محمد بن عبد الله إلى هزيمة الشيخ علي ومصرعه في الميدان هو وواحد من أبنائه ، واحتل الغزاة الذين كان

محمد بن عبدالله أكثرهم سطوة ونفوذاً مدن المنامة والمحرق لكنهم عجزوا عن كبح جماح قواتهم من البدو فقامت بنهب المنامة ، ولم تقدر الخسائر التي اوقعت بأهل هذه المدينة ، ومن بينهم تجار الهند البريطانية بطبيعة الحال أى تقدير دقيق ، ولكن تردد أنها بلغت أكثر من ٢١,٥٣٠,٧٩٧ غران .

★ ★ ★

فترة خلو المشيخة في البحرين ١٨٦٩

إجراءات مباشرة من السلطات المحلية البريطانية :

وحين وصلت أنباء هذه الثورة الى بوشهر ، أرسل الرائد بيللي —على التو— مساعده الكابتن واي على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «داهوزي» لتحقق في الأمر ولتنقل تجار الهند البريطانية الذين يريدون مغادرة المكان.. لكن رغبة الكسب عند هؤلاء التجار كانت قوية بحيث جعلتهم جميعاً —وبدون استثناء— يرفضون مغادرة البحرين ، مفضلين المخاطرة بالبقاء للمتاجرة بالبضائع المنهوبة التي كانت تباع علناً في أسواق البحرين والقطيف بما يوازي خمس ثمنها الحقيقي .

مزيد من العمل حسب اوامر حكومة الهند :

وقدم المقيم في أوائل اكتوبر اقتراحات لتسوية هذه الأزمة ، وفي منتصف نوفمبر خولت له سلطة حصار البحرين واستخدام القوة حتى يتم القضاء على الاضطراب الرئيسي في البحار ، وكان ذلك يعني استسلام محمد بن عبد الله وناصر بن مبارك ومحمد بن خليفة جميعاً ، واذا سمحت الظروف عقب تنفيذ الإجراء الأول ووضح ان الناس جميعاً كانوا يفضلون تعين عيسى بن الشيخ السابق شيخاً للبحرين أعلن تعيينه وأبلغ شيوخ عمان المتصالحة كتابياً بذلك التغيير الذي حدث وبعزم حكومة الهند على إيقاع العقاب العادل بمن يستحقه . وقد ارجىء إلى

حين إجراء مزيد من الدراسة تعويض هؤلاء الذين اوقع بهم السلب والنهب ، وعقاب من باعوا الأمتعة المسروقة بأثمان اسمية ، ومحاصرة موانى الوهابيين حتى لا توزع اليها هذه الأسلاب ، وإيقاع العقاب بالبدو المعتدين ، ونقل حاكم القطيف .. وصدرت التعليمات للمقيم العام بأن يلتزم جانب الحذر قدر إمكانه في اي اتصال يقوم به مع أمير الوهابيين .

الاعمال في البحرين .. من ١٩ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر سنة ١٨٦٩

وحين وصلت هذه الأوامر للرائد بيللي ، سار مباشرة إلى البحرين على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « دافني » ومعه الكابتن دوجلاس يقود سفينة صاحبة الجلالة « نيمف » والقاربين المسلحين « كلايد » و « هيو روز » ، وبدأت العمليات في ١٩ نوفمبر ، وانتهت تماماً في ٢ ديسمبر . وهوجمت قلعة هالة ابو ماهر بالقوارب في ليلة ١٩ نوفمبر ، وهزمت حاميتها واستسلمت . كذلك استسلم محمد بن خليفة ، ونقل على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « دافني » ، وتم أسر الشيخ ناصر بن أحمد في البحر ، واسر ناصر بن مبارك من قلعته —ومحتمل أنها قلعة المنامة— بعد تدميرها ، ونقل إلى مكان آخر غير أنه استطاع الهرب إلى الإحساء مع أنصاره .

وتوقف محمد بن عبد الله زعيم هؤلاء الحلفاء عن مناوراته وسلم نفسه . وجاء الشيخ عيسى بن علي من قطر التي كان مستقراً فيها ، ونصب حاكماً على البحرين دون أي تدخل من جانب السلطات البريطانية— ووسط مظاهر الابتهاج الشامل من أهالي البحرين وقد أصيب الكابتن دوجلاس نتيجة انفجار لغم لكن إصاباته كانت طفيفة .

معاملة الاسرى وتعويض المتضررين :

ورحل الشيوخ الثلاثة الأسرى وغيرهم من قادة التمرد الى الهند حيث ظلوا محبوسين في قلعة أسير جاره ثم في قلعة شونارو التي مات فيها

ناصر بن محمد سنة ١٨٧٣ ، ومحمد بن عبدالله في سنة ١٨٧٧ ، ثم نقل السجناء الثلاثة الباقون بعد ذلك إلى عدن ، ومنها أطلق سراح اثنين منهم سنة ١٨٨٠ .

وتم عقد اتفاقية مع الشيخ عيسى لدى توليه الحكم لمصادرة أملاك زعماء هذا التمرد وتعويض المتضررين الابرياء واستمر دفع هذه التعويضات على أقساط حتى سنة ١٨٧٦ حين أكمل دفعها تماماً .



علاقة الوهابيين بالغزو

ونشأت شكوى في البداية من ان تكون حكومة الوهابيين مسئولة مسئولية جزئية عن الاضطرابات المدمرة التي حدثت في البحرين ، وتردد القول بأن بني هاجر رفضوا في بداية الأمر السير في هذا الغزو دون تفويض لهم من امير الوهابيين بذلك ، وحصل ناصر بن مبارك على هذا التفويض بعد زيارة قام بها للرياض ، لكن حكومة الهند -كما رأينا- رفضت اعتبار الامير مسئولا دون توافر الدليل على ذلك أو على درجة سيطرته على إقليم الأحساء . وأثبتت الأحداث أن هذا القرار كان قراراً حكيماً لأن الأمير كتب بعد ذلك مباشرة للمقيم العام ينكر صلته بهذا الاضطراب ، ولما لم يثبت عليه الجرم اكتفت السلطات البريطانية بتذكير الامير بأن هذا الغزو قد اتخذ من اراضيه قاعدة له ، وان ناصر بن مبارك قد لجأ إلى ارضه بعد ذلك أيضاً وحمل معه كثيراً من اسلاب البحرين ، وطلبت اليه دون إظهار أي لون من الوان التهديد منع حدوث مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .



موقف حكومة ايران من الغزو ومن البحرين عموما

وقوع خطابات إيرانية في أيدي البريطانيين على مقربة من شواطىء البحرين :

وبعد اقتراب الحملة البريطانية من شواطىء البحرين حاولت سفينة أهلية من دائر على الساحل الايراني اختراق هذ االحصار وهي ترفع العلم العربي . وحين تم الاستيلاء عليها تبين أنها تحمل وفداً من ميرزا مهدي خان المبعوث الإيراني للبحرين في سنة ١٨٥٩ ، ومعه خلعة وخطابات وعد فيها محمد بن عبدالله بتقديم المعونة والتأييد اللازمين له من ايران.. وذكرت الخطابات أن ميرزا مهدي خان قد عين مسئولا عن « الموانى » لكن رسله لم يكن معهم أية فرمانات واضحة من حكومة الشاه . وتم احتجاز السفينة لأنها حاولت خرق الحصار ، وسلمت السلطات الانجليزية الخطابات إلى السجين محمد بن عبدالله الذي سلمها بدوره للرائد بيللي .

احتجاج من جانب الحكومة الايرانية :

وحسب أوامر حكومة صاحبة الجلالة التي صدرت قبل عدة شهور ، تمّ قبل إبحار الحملة اتصال بالوزير المفوض البريطاني في طهران عن طريق المقيم العام لنقل رسالة إلى البلاط الإيراني جاء فيها أن اوامر حكومة الهند قد صدرت للرائد بيللي بأن يستدعي الشيخ المسئول عن البحرين ويحاسبه عن خرقه السلم في مياه البحار ، وعن هجومه دونما استفزاز على الشيخ علي بن خليفة الذي وضعته الحكومة البريطانية فوق عرش البحرين . وتلقى وزير الخارجية الإيرانية أخبار ما عمله المقيم في ما بعد في هدوء ، وذكر فقط أن حكومة إيران مهتمة بنفس قدر اهتمام الحكومة البريطانية بتحقيق السلام في مياه البحار وأنها بالتالي لا أسباب لديها للاعتراض على تأديب هؤلاء العصاة ، لكنه

أبدى امتعاضه من منع السلطات البريطانية الوكيل الإيراني من النزول إلى الجزر والتفاهم مع الشيوخ ، وأعادت إيران الشكاية من هذا الأمر بصورة مبالغ فيها عن طريق السفير الإيراني في لندن .

وتلقى الشيخ عيسى بن خليفة –بعد توليه بوقت قصير – خطاباً من حيدر خان ضابط إقليم داشتي على الساحل الإيراني نصحه فيها بأن يضع نفسه تحت حماية الشاه ، لكن هذه الحادثة كانت بلا أهمية .

رأي حكومة الهند :

وفي خطابين مرفوعين لوزير الدولة في ٢٢ فبراير و ٢٠ مائو سنة ١٨٧٠ دفعت حكومة الهند عن نفسها اتهامات عدة وجهتها الحكومة الإيرانية لموظفيها . وفيما يتعلق بموقف الحكومة البريطانية من قضية إيران والبحرين فقد تناول الخطابان بالتفصيل ذكر المساوىء والاضرار التي تنجم عن تخلي بريطانيا عن إشرافها الدقيق على تحقيق السلم في مياه الخليج ، وأوضحا أيضاً فشل أية محاولة لوضع سياسة تشرك الحكومة الإيرانية في هذا العمل .

كما أشارت حكومة الهند إلى أن إيران التي ليست لها أية قوة بحرية على الاطلاق غير قادرة على تقديم المساعدات لبريطانيا العظمى في سبيل تحقيق السلم في مياه الخليج ، وهي أيضاً لا تستطيع أن تملأ مكانها في حالة خلو هذا المكان . وحتى لو كان الأمر على نحو آخر ، وكان لإيران هذه القوة البحرية ، فلا شك في أن تدخلها كان سيوقعها في نزاع مع سلطنة عمان ، والمشيخات العربية ، والدولة الوهابية وتركيا .. وكانت ايران تعادي هؤلاء جميعاً ، والحقيقة إن تأكيد إيران مزاعمها في البحرين قد أدى إلى صدور مثل هذه المزاعم من جانب تركيا وسواها من الدول . أما الحكومة البريطانية ، فقد كانت بمقتضى الأتفاقيات المعقودة بينها وبين المشيخات العربية ملزمة بالحفاظ على السلم في البحار ، وبتحصيل التعويضات عن أعمال العدوان في البحر . وكان

رأي حكومة الهند أن الحماية البريطانية على الخليج يجب ان ينظر اليها على أنها التزام أكثر منها حق للحكومة . وفي الخطاب الأخير من هذين الخطابين قالت حكومة الهند : « إننا اذا لم نكن مستعدين لمواصلة تأدية المهام التي تعهدنا بتأديتها فيجب أن تنسحب انسحاباً كاملا ، لكن عواقب هذا العمل ستكون وخيمة جداً ، لا بالنسبة لسمعتنا الدولية فقط بل لأمن الخليج وسلمه أيضاً ، ولرخاء القبائل المقيمة بجوار الساحل ، ولأرواح وممتلكات الرعايا الذين استقروا خلال فترة السلم التي سادت الخمسين سنة الأخيرة على هذه السواحل ، واستثمروا اموالا كثيرة في الغوص وراء اللؤلؤ والمتاجرة مع الارض القريبة .. إننا لا نستطيع أن نتصور الأحداث على هذا النحو ولا نظن أن حكومة صاحبة الجلالة سترضى عن ذلك » ويبدو ان الحكومة البريطانية لم تعارض هذه النتيجة .

★ ★ ★

احتجاج الباب العالى على أعمال الحكومة البريطانية في البحرين

وقدم السفير التركي في لندن احتجاجاً جديداً على تصرفات الحكومة البريطانية في البحرين جاء فيه أن هذه الاجراءات تمثل « سيادة بريطانيا على أرض هي جزء من الاراضي التركية في الحقيقة .. » ، ورداً على هذا أبلغ الوزير المفوض العثماني أن الحكومة البريطانية لا تستطيع الأعتراف بمزاعم تركيا في السيادة على البحرين .

★ ★ ★

الشيخ عيسى بن علي ابتداء من سنة ١٨٦٩

ولقد اضطرب أيضاً خلال السنوات التالية حكم الشيخ عيسى بن علي ، الذي بدأ وسط الظروف العاصفة التي ذكرناها في ما سبق . وجاء

لاضطراب نتيجة مشروعات التوسع من جانب الباب العالي وكذلك وجود إقليم تركي في الارض المتاخمة للجزر ، وكانت الحكومة البريطانية ، على أية حال ، ما تزال تقدم للبحرين حمايتها ضد أي محاولة ضم لها من جانب تركيا ، وفي سنة ١٨٩٥ ، وحين قامت القوات البحرية البريطانية باحباط محاولة للهجوم على جزر البحرين من جانب القبائل العربية التي حرضها الأتراك تلاشت المخاوف من غزو البحرين من جانب الأتراك تماماً .

★ ★ ★

الحالة الناجمة عن ضم تركيا للاحساء ١٨٧١ ـ ١٨٧٢

منع الحملة التركية على الاحساء من الاقتراب من جزر البحرين ١٨٧١

صحبت احتلال تركيا للأحساء أعراض واضحة لرغبة الباب العالي في أن يضم اليه كل الأقاليم التي كان للوهابيين سيطرة عليها ، ولو لفترة قصيرة عابرة ، ومن هذه الأقاليم جزر البحرين بطبيعة الحال . وفي سنة ١٨٧٠ قدم مدحت باشا والي بغداد صياغة محددة لمزاعم تركيا في البحرين ، فقال ان « البحرين وتوابعها » كانت تابعة (لقائمقام نجد) ، وإنها أصبحت بالتالي تابعة للامبراطورية العثمانية ، وفي سنة ١٨٧١ تلقى المقيم البريطاني في بغداد معلومات مؤداها أن الحملة المقترحة على نجد لو نجحت فستوجه تركيا اهتمامها مباشرة للبحرين وعمان المتصالحة وسلطنة عمان . وأدت الاحتجاجات الفورية من قبل ممثل الحكومة البريطانية في القسطنطينية في إبريل ومايو ١٨٧١ إلى إنكار المسئولين الأتراك وجود مثل هذه المخططات لديهم ، وتلقى قادة الحملة التركية تعليمات من حكومتهم تمنعهم من الاقتراب من جزر البحرين . وفي نهاية مايو ١٨٧١ صدرت التعليمات للرائد بيـــلي ، المقيم السياسي البريطاني ، بزيارة

البحرين مع سفن صاحبة الجلالة «مجباي» و «بولفنش» و «هيو روز»
لإبلاغ الشيخ الذي طلب نصيحة الحكومة البريطانية وحمايتها بهذه
التأكيدات من جانب الباب العالي ، ووعده بأنه لو استمر في الالتزام
باتفاقية سنة ١٨٦١ فان الحكومة البريطانية ستظل من جانبها وفية
بالتزاماتها نحوه .

قتل مبعوث تركي في البحرين ١٨٧١ :

وفي مرحلة مبكرة من أعمال تركيا في الأحساء ارتبط المتمرد
البحريني ناصر بن مبارك بالحملة التركية ، وعمل كوسيط للتفاهم
والاتصال بالقبائل العربية في الأقاليم المجاورة . وفي أغسطس او سبتمبر
١٨٧١ استخدم ناصر بن مبارك رجلا من قبيلة بني هاجر ليحمل رسالة
من القائد التركي في الأحساء لجاسم بن محمد شيخ آل ثاني في الدوحة
بقطر ، وبسفاهة ، ركب هذا المبعوث سفينة كويتية مرت بعقارية على
ساحل البحرين ، وهناك —كما قيل— تعرف عليه بعض أهل البحرين ،
وعرفوا أنه من الذين اشتركوا في قتل الشيخ علي بن خليفة أثناء غزو
سنة ١٨٦٩ ، فقتله بعض هؤلاء البحرانيين ، ومن بين الخطابات التي
وجدت مع جثته ، وسلمت لشيخ البحرين الذي فتحها بنفسه خطاب
من ابى ناصر بن مبارك الى الشيخ جاسم في الدوحة جاء في سطوره :
« إن الحكومة التركية مهتمة اهتماماً كبيراً بقطر والبحرين وسواهما من
الاماكن ومهتمة بتخليصها من أعدائها لإشاعة الفرح بين أصدقائها وإن
شاء الله ستصلكم قريباً أخبار تسرون لها » . وأعيد خطاب القائد التركي
—دون ان يفتحه أحد— إلى صاحب السفينة الكويتية الذي حمله معه إلى
نهاية رحلته . وسادت الخشية في بادىء الأمر من ان تستغل تركيا هذه
الحادثة كمبرر لإعتداء على البحرين ، واتخذت الاحتياطات من جانب
الحكومة البريطانية والسلطات البريطانية المحلية لاجبار الأتراك على استخدام

(●) اسماء السفن الحربية الثلاث مجباى ، وبولفنش وهيو روز .

الوسائل الديبلوماسية ، لالغة القوة ، في هذه الحادثة . ومن بين هذه الاحتياطات مذكرة رفعت عن طريق المقيم البريطاني في بغداد إلى مدحت باشا –الذي كان آنذاك في طريقه للتفتيش على الإقليم التركي الجديد في الأحساء– تذكره السلطات البريطانية فيها بوعد الحكومة التركية بعدم التدخل في شئون البحرين . وأخيراً وصل قائد بحري تركي إلى البحرين على ظهر سفينة صغيرة وقارب مسلح وطلب التعويض من شيخ البحرين في ٢٢ نوفمبر ١٨٧١ ، وأجيب بخطاب ودي إلى مدحت باشا كتبه الشيخ فيما يبدو بنصيحة من الرائد بيللي الذي وصل فجأة الى البحرين . وفي هذه الرسالة أعرب الشيخ عن أسفه لانه لم يبلغ بقيام حكم تركي مباشر في الأحساء ، ولأن رجلا ينتمي الى قبيلة معادية لأهل البحرين قد اتصل بناصر بن مبارك الذي اختاره مبعوثاً حمّله الرسائل وسمح له بالنزول إلى البحرين ، وطلب هذا الرجل ضرورة السماح له بمواصلة رحلته دون اعتراض من جانب أحد مثبتاً بذلك علاقته بالأتراك ، واخيراً .. فقد وجد ان الرجل الذي اختارته الحكومة التركية لحمل رسالتها كان يحمل أيضاً رسالة لشيخ في قطر ذكر فيها صراحة أن الباب العالي يود ان يضم اليه البحرين .

وانسحب الرائد بيــــللي بعد ذلك إلى بوشهر وترك الميجور جرانت المساعد الأول للمقيم في البحرين يراقب الأحداث عن قرب ويواجه أية محاولة للاعتداء من جانب تركيا . ورد مدحت باشا على الخطاب فبذل كل جهده لتفنيد الاعتراضات المرفوعة فيه ، وختم خطابه بطلب مبلغ «١٠ آلاف درهم من الفضة الخالصة» تعويضاً مشروعاً كدية الرجل القتيل على أن تدفع للشيخ جاسم قائمقام قطــر في الدوحة ، وحاول مدحت باشا في خطابه أيضاً الايهام بأنه مفوض باستخدام القوة في حالة الرفض . وفي نهاية يناير ١٨٧٢ رد شيخ البحرين وفق نصيحة الرائــد بيــــللي على هـذا الطلب باقتراح تسوية الأمر عن طريق إرسال مندوبين . وهو إجراء كانت الحكومة

البريطانية على استعداد لقبوله بشرط عدم اللجوء إلى وسائل الضغط واستعراض القوة . لكن الأتراك من جانبهم لم يتقدموا خطوة أخرى .

طلب الاتراك تسليم قاربين ١٨٧١

وفي ديسمبر ١٨٧١ ، وقبل ان تنتهي حادثة صاحب الرسالة هذا نهائياً كتب القائمقام التركي في القطيف إلى شيخ البحرين يطلب —باسم المقيم في قطر— تسليم قاربين كان سعود أمير الوهابيين قد قدمهما لبعض أهل البحرين قبل وصول الأتراك الى الأحساء . وبعد عدة مراسلات كان القائمقام يتحدث فيها جميعاً بلهجة مليئة بالأمر والتعالي عرض الشيخ عيسى وفق نصيحة الرائد بيـــــــللي تسليم القاربين بحضور المسئولين البريطانيين لاي شخص يرسله والي بغداد لتسلمهما ، وكان الدافع وراء هذا الاقتراح أساساً هو الشك في شرعية المصدر الذي حصل منه سعود على هذه القوارب .

منع العدوان التركي ١٨٧١ — ١٨٧٢

ونضيف هنا أن مدحت باشا قد طلب إلى عدد من وجهاء تجار اللؤلؤ في القطيف قبل عودته إلى العراق بحث إمكانية تقديم التماس بضم البحرين الى تركيا يوقعه ٥٠ أو ٦٠ رجلا من كبار التجار وغيرهم من الوجهاء في الجزر ، وكشف هذا الاتجاه العام لأعماله عن نواياه أو على الأقل رغباته بالنسبة لجزر البحرين . وقد أدى الموقف الحازم الذي وقفته الحكومة البريطانية في هذا الصدد ووجود السفن الحربية البريطانية بشكل دائم في الخليج إلى منع أي تدخل فعلي من جانب الأتراك في المنطقة ، وثبت أن هذه الطريقة فعالة وذات نتائج حاسمة في منطقة الخليج كلها لصد المزاعم والاطماع التركية فيها .

وفي بداية سنة ١٨٧٢ ، تم الحصول على تأكيد من حكومة الباب العالي بعدم إحداث أي تغيير في سياستها بالمنطقة ، وانكرت أي أطماع

في امتداد سيطرتها على « القبائل العربية المستقلة » في الخليج ، ولكن أثناء معظم هذه السنة ، ظل مساعد المقيم السياسي البريطاني مقيماً في البحرين .

★ ★ ★

التاريخ العام للبحرين من ضم تركيا للاحساء حتى محاولة غزوها من البر ١٨٧١ ـ ١٨٩٥

أحداث شتى في البحرين ١٨٧١ :

وفي أغسطس سنة ١٨٧١ زار عبد العزيز ابن الامير سعود أمير الوهابيين السابق البحرين واستقبله الشيخ استقبالا حافلا . وفي أكتوبر سنة ١٨٧١ حدث سوء تفاهم بين الشيخ عيسى واثنين من أشقائه نتيجة زعم هذين بأن لهما الحق في نصف عوائد الإمارة لا ثلثها فقط ، ويبدو أن الشيخ آثر الرضوخ لهذا الطلب على ان يجد نفسه في وضع مزعزع في وقت اشتدت فيه حدة خلافاته مع الاتراك .

تهديدات بغزو البحرين ومشكلة الزبارة في قطر ١٨٧٤ :

ولم تقع حادثة تستحق الذكر من ذلك الحين حتى سنة ١٨٧٤ حين بدأت المخاوف في صيف هذه السنة من نزول قبائل قطر الى جزر البحرين . وكان هذا الخطر شيئاً مخيفاً ما دامت مدينتا المنامة والمحرق مفتوحتين ، وليس لدى الشيخ أية قوات مسلحة سوى عدد قليل من الحرس فلقد أهمل اتخاذ الاحتياطات الدفاعية الضرورية وأصبح يركن لحماية الحكومة البريطانية : ويبدو ان ناصر بن مبارك ـ الذي كان يعيش في الأحساء معتمداً على الأتراك ـ كان احد المسئولين عن هذه الحركة العدائية ، ويجب أن نذكر هنا أيضاً أن السلطات البريطانية رفضت طلباً قدمه ناصر لشيخ البحرين لاستعادة بعض ممتلكات أبيه في الجزر .

وفي اغسطس من نفس السنة تجمع حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ رجل من

بني هاجر على ساحل قطر يقودهم أقارب ناصر بن مبارك ، وبذلوا جهداً كبيراً للحصول على قوارب للنزول كالقراصنة على جزر البحرين ، لكن الشيخ جاسم شيخ الدوحة لم يكن موفقاً في هذا العمل ، وقد أحبطه أيضاً وجود سفينتي البحرية الهندية «ماي فرير» و هيو روز » ، واخيراً استطاع هؤلاء الغزاة أن يحصلوا على عدة قوارب من الدوحة ونهبوا سفن البحرين التجارية لكن السفن البريطانية منعتهم من الاقتراب من الجزر .

وفي نفس الوقت وصلت سفن صاحبة الجلالة « نيمبل » ، و « مجباي » إلى خارج البحرين ، وتقرر إبقاء سفينة من البحرية الملكية في البحرين حتى ينتهي الخطر ، واقترحت حكومة الهند ايضاً على حكومة صاحبة الجلالة أن تطلب إلى الباب العالي أن يمارس سيطرته على القبائل المتمردة ما دامت تابعة لسيطرة تركيا . وحين صد بنو هاجر عن العمليات في البحر تحولوا إلى الزبارة على ساحل قطر وهي قرية وقلعة بني نعيم حلفاء شيخ البحرين ، لكن الحامية الصيفية الصغيرة التي كانت موجودة فيها استطاعت أن تصمد ببسالة للغزاة حتى لحقت بها نجدات من قبائلهم الذين عادوا فجأة وبأعداد كبيرة من البحرين وشواطىء اللؤلؤ وأوقعوا هزيمة قاسية بالمعتدين . وتردد وقتها أن براك بن عرير —وهو من رجال القبائل وكان يحكم الأحساء كمتصرف تابع لتركيا— قد ساعد على إذكاء هذه الاضطرابات ، لكن الرائد روس المقيم السياسي في الخليج تلقى تعليمات بعدم الالتجاء الى اية سلطة تركية محلية بهذا الصدد ، وان يقصر جهده فقط على حماية مصالح البحرين ، والالتزام بتنفيذ تعهدات بريطانيا لها . ولعله نتيجة المساعي الديبلوماسية التي بذلت في القسطنطينية قام القارب التركي المسلح « اسكندرية » بزيارة لساحل قطر ليتحرى تلك الاضطرابات بين القبائل ، ولم يمض وقت طويل حتى عاد ناصر بن مبارك المرهوب الجانب فغادر الأحساء وظهر على ساحل قطـــــر ، ومنها كتب إلى الرائد روس

يلتمس منه الا تحرمه الحكومة البريطانية من الحصول على حقوقه المشروعة في البحرين ، لكنه أبلغ في الرد على طلبه بأن اية محاولة من جانبه للعدوان على البحرين سوف تقابلها الحكومة البريطانية بمعارضة حاسمة . وحين وصلت الامور هذا الحد طلب شيخ البحرين من الرائد روس السماح له بتقديم التعزيزات لحلفائه بني نعيم في الزبارة ، الذين كانوا — كما يعتقد — في خطر عظيم ، ومنح له هذا الإذن بشرط أن يقتصر عمله على الإجراءات الدفاعية فقط . وصدوراً عن رأى حكومة الهند الذي تبنته سنة ١٨٧٣ (١) بأن شيخ البحرين لاحق له في السيادة على أي جزء من الأرض خارج الجزر ، وأن حقوقه هذه التي يزعمها أمر غير موكد ، ذكر الرائد روس في تقريره سنة ١٨٧٣ أن كل ساحل قطر قد وقع تحت النفوذ التركي ، وصدرت له التعليمات بأن يجبر شيخ البحرين على عدم التدخل في الأرض المجاورة لجزره نظراً للشك في طبيعة حقوق السيادة التي يزعمها . وأن يطلب منه عدم التدخل في هذه الارض ومشكلاتها ، وان يعتمد اعتماداً مطلقاً على حماية البحرية البريطانية .

العلاقات التالية لشيخ البحرين بالزبارة ١٨٧٥–١٨٧٧ :

وفي بداية سنة ١٨٧٥ كان القتال ما زال دائراً حول الزبارة بين أهلها من بني نعيم وبين بني هاجر لكن شيخ البحرين ابتعد عن هذا القتال حسب نصيحة السلطات البريطانية بقدر الإمكان . وقد أشرنا في تاريخ قطر الى زعمه بالسيادة على أرض قطر كلها واحتجاجه على تقييد السلطات البريطانية له . وفي أغسطس ١٨٧٥ وحين نمي إلى علم الشيخ أن بحارة من بني هاجر قد خرجوا إلى البحر لارتكاب عمليات

---

(١) في سنة ١٨٧١ طلبت حكومة بومباى من الرائد بيلى اعداد تقرير عن مشكلة السيادة على قطر ، لكن الرائد بيلى طلب السماح بارجاء هذا التقرير نظرا لاحتمال انسحاب الاتراك من الاحساء .

قرصنة، سمح له بارسال خمس سفن مسلحة يقودها شقيقه أحمد لكنها غادرت البحرين بحثاً عن القراصنة بعيداً وراء حدود مياهه الإقليمية، ومرة أخرى استنكرت حكومة الهند هذا العمل الذي يكاد يقرب من العدوان من جانب الشيخ . وفي خريف ١٨٧٧ تبين ان الشيخ كان ما زال على علاقات وثيقة ببني نعيم في الزبارة ، فكان يعينهم ، ويقدم لهم المساعدات ويسمح لهم بزيارة البحرين وقد جعل أكثر من مائة رجل منهم بين حرسه الخاص ، بل وسمح لهؤلاء الذين يعملون في خدمته بالعودة إلى الزبارة في حالة وقوع أي تهديد عليها ، ومرة أخرى القى بالامدادات والتعزيزات في الزبارة نفسها . ولم تكن كل هذه الامور خافية على أي حال ، وحين ذكرها الرائد روس في تقريره أشار إلى أن الشيخ لو سحب عونه عن بني نعيم فمن المحتمل أن ينضموا إلى بني هاجر . وقررت حكومة الهند أن تنتهي المسألة عند هذا الحد .

وخلال ١٨٧٥ و ١٨٧٦ ساد السلام والرخاء في البحرين ، وحدثت مجرد زيارات عديدة من جانب السفن الحربية البريطانية للبحرين كزيارة مساعد المقيم لها غير مرة واحدة على ظهر سفينة المقيمية ، وحدثت حادثة اغتيال سياسي او حادثتان .

أعمال غير مشروعة لسفن البحرين في البحر ١٨٧٨ : ...

وانعكست علاقة البحرين بالزبارة على سلوك رعايا البحرين في البحار وقد استقبل شيخ البحرين عيسى بن علي شيخ الزبارة وابنه استقبالا حافلا بعد انقضاء عدة أسابيع فقط على ارتكاب رعاياه حادثة قرصنة عنيفة على قارب في عرض البحر ، وحدث غير حادثة واحدة فيها مجال للشكوى . ففي ٢ سبتمبر ١٨٧٨ عبرت سفينتان تابعتان للبحرين تحملان ٥٠ رجلا مسلحاً كانتا في جولة حول هذه الجزر إلى ساحل الظهران ، وبعد عدة مناوشات مع البدو هناك استطاعت السفينتان الاستيلاء على أحد القوارب . ومرة أخرى في ٤ سبتمبر أرسل الشيخ

اسطولا من ثلاث سفن كي يراقب منطقة فشت الديبل ، لكنل بدل أن يتجه إلى هذه المنطقة سار إلى رأس ركن ، وأطلق نيرانه على سفينتين هناك رفضتا التوقف حين أصدرت اليهما الأوامر بذلك وجرح واحد من البحارة . وقد ثبت أن الذين وقعت عليهم الخسارة في هذه الحادثة الأخيرة من رعايا شيخ ابو ظبي ، وأرغم المقيم العام شيخ البحرين بالتالي على الاعتذار لشيخ أبو ظبي ودفع التعويض للرجل الجريح إلى جانب إيقاع العقاب برجاله المسئولين عن ارتكاب كلتا الحادثتين ، ويبدو أن هذه القوارب كانت تستخدم لحراسة البحار بين البحرين والإقليم الساحلي لقطر حيث يمكن للأخطار في أية لحظة أن تهدد البحرين إذا تجمعت حول منطقة الزبارة .

سقوط الزبارة ١٨٧٨ :

وفي نوفمبر ١٨٧٨ –وكما ذكرنا بالتفصيل في تاريخ قطر– دمرت مستعمرة بني نعيم في الزبارة تدميراً تاماً نتيجة تحالف ضدها بين بدو شيخ آل ثاني في الدوحة واللاجيء البحريني ناصر بن مبارك . ومرة أخرى ثبت أن مخاوف غزو البحرين لا تقوم على أساس . وخلال هذه الأزمة قامت السفن البريطانية بمراقبة دقيقة لأمن البحرين وسلامتها ، ووزعت قوارب الشيخ المسلحة في مواقع مختلفة حسب توجيهات السلطات البحرية البريطانية ، ولم يتجاوز إلا القليل منها ، كما سنذكر لاحقاً ، التعليمات الصادرة لها . واحتج شيخ البحرين الذي قطع على نفسه عهداً بتقديم العون لبني نعيم في الزبارة احتجاجاً عنيفاً على سياسة السلطات البريطانية بالوقوف بيدين مكتوفتين ، ولا شك في أن اختفاء منطقة الزبارة من ساحل قطر كان يعني تهديد البحرين بخطر الغزو من البر مباشرة ودون إنذار . أما بنو نعيم الذين أصبحوا بلا مأوى ، وكان عددهم يتجاوز ٣٠٠ نسمة فقد لجأوا إلى البحرين فيما بعد .

شيوع القرصنة واضطراب الامن عموماً في البحرين ١٨٧٨ - ١٨٧٩ :

وفي نفس الوقت ، وكما ذكرنا في تاريخ الأحساء ، تعددت حوادث القرصنة التي كان يرتكبها بنو هاجر في مياه البحار المجاورة للبحرين ، وفي نفس الوقت حدثت موجة من السرقات المسلحة والقتل ، وكانت أخطر عصابات البحرين من المجرمين هي التي يتزعمها رجل يدعى علي بن جابر القى القبض عليه في ما بعد . وبعد أن قطعت أيدي علي وأربعة من أعوانه كعقاب لهم ، استطاع هذا الفرار -قيل برضا شيخ البحرين- والتحق ببني هاجر . وفي ١١ فبراير ١٨٧٩ ، وبارشاد من علي بن جابر هذا خرجت عصابة من ثلاثين رجلا من بني هاجر من الظهران ، وأغاروا على عقارية على الساحل الغربي للجزيرة الكبرى وقتلوا مواطناً من البحرين .

إجراءات السلطات البريطانية في البر والبحر ١٨٧٨ - ١٨٧٩ :

أما الإجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية لقمع القرصنة فهي مذكورة تفصيلا في مكانها الطبيعي وهو تاريخ الأحساء ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن سفينتي صاحبة الجلالة « سبارتانتا » و «فليتشر » اتخذتا لهما قواعد في مياه البحرين زمناً ، وان هذه السفينة الأخيرة استطاعت أن تستعيد من القراصنة أربع سفن لمواطنين من البحرين ردتها السلطات البريطانية لاصحابها .

ولإعادة السلام في البر صدرت الأوامر للكابتن دوراند مساعد المقيم السياسي بالإقامة موقتاً في البحرين ومعه فرقة من المشاة الهنود ، وقد ظل مقيماً بها حتى إبريل ، وفي ذلك الوقت تحسن الموقف تحسنا كبيراً ، وقد درس الكابتن دوراند خلال إقامته في البحرين الاحوال المحيطة به وكتب عنها تقريراً هاماً ضافياً ، ومن ١١ الى ١٨ مارس ١٨٧٩ كان الرائد روس المقيم السياسي موجوداً في البحرين ،

والتقى بالشيخ غير مرة ناقشه فيها موضوعات كثيرة . وأفصح الشيخ عيسى عن أمله في أن تسلم اليه السلطات التركية المجرم الفار علي بن جابر الذي كانت هذه السلطات قد قبضت عليه وأرسلته إلى الهفوف ، وكذلك طالب بالإستيلاء على جزيرة زخنونيه التي أصبحت ملجـــأ للقراصنة ، أو تركها غير مأهولة بالسكان ، وأن تطلب له السلطات البريطانية التعويضات عن الخسائر التي اوقعت برعايا البحرين على الساحل التركي وقد أشار إلى نيته إيقاع العقاب بالدواسر في البحرين الذين اتهمهم بالخيانة والتواطؤ مع بني هاجر . وفيما يتعلق بجزيرة زخنونيه فقد أبلغ عن طريق المقيم العام بأن رغبته قد رفعت إلى السلطات التركية التي تتبعها الجزيرة . أما بالنسبة لاعتزامه إيقاع العقاب بالدواسر فقد نصحه المقيم بأن يفعل ما شاء بشرط ألا يحدث اضطرابات في البحرين . أما طلب تسليم المجرم علي بن جابر فقد رفع إلى والي البصرة ، وتمت أخيراً إجابته إليه . وفي اكتوبر ١٨٧٩ هدأت الحالة هدوءاً سمح للشيخ عيسى بأن يسير إلى مكة للحج ، ولم يعد منها حتى يناير من العام التالي .

وفي ديسمبر ١٨٧٩ تضايق شيخ الدوحة لهجرة آل بوكواره من الدوحة إلى الفويرط ، ولما كان شيخ البحرين متهماً بتحريضهم فقد أصبح من الضروري تذكير الشيخ أحمد بن علي ، الحاكم المؤقت باسم أخيه أثناء غيابه ، بمنع بريطانيا تدخله في مشاكل البر .

استعدادات من جانب ناصر بن مبارك للهجوم على جزر البحرين ١٨٨٠ :

وفي صيف ١٨٨٠ انتشرت إشاعة بأن ناصر بن مبارك الخارج على القانون ، والذي أصبح الآن زعيم فرع آل عبدالله من الأسرة الحاكمة في البحرين ، سيحاول غزو جزر البحرين . ويجب أن نلاحظ أن ناصراً كان الآن قد تزوج بابنة الشيخ جاسم شيخ الدوحة في قطر ، الذي رحب بالزواج فرحاً بخلاصه من الاضطرار لعونه ، ولعله أمل في أن يستقل

عنه بنفسه في البحرين ، كما يبدو أيضاً أن المسئولين الأتراك في الأحساء كانو مهتمين بما يعمله ناصر ، وكانت الحكومة التركية تدفع له راتباً قدره ٦٠ روبية كل شهر ، وكان نجاحه في حملته هذه يقدم لتركيا فرصة نادرة —لم تحدث من قبل— لإعادة سيادتها على البحرين .

ولم تحدث أية خطوة عملية حتى بداية ديسمبر سنة ١٨٨٠ حين ظهر حوالي ٦٠٠ رجل من بدو قبائل بني هاجر وآل مرة والمناصير في الرويس وأبو الظلوف ، وكانوا سيعبرون الخليج في قوارب سكان هذه المناطق لو لم يرفض هؤلاء ذلك . وفي نفس الوقت اتخذت ترتيبات ارسال سفينة حربية بريطانية إلى هذا المكان ، وسرعان ما قامت سفينة صاحبة الجلالة «بيكون» بزيارة لساحل قطر ، والسفينة «وودلارك» بزيارة البحرين .

عمل السلطات البريطانية ١٨٨١ :

وبعد هذه الأحداث ، كتب ناصر بن مبارك والشيخ جاسم شيخ الدوحة خطابات إلى المقيم البريطاني ، يلتمسان فيها السماح لناصر بالعودة إلى بيته وأملاكه في البحرين ، غير أن الرائد روس رد عليهما بأن وثيقة الملكية التي قدمها ناصر غير معترف بها ، وأن حكومة البحرين لا تسمح له بالحركة خارج حدود قطر . كذلك أصدرت الحكومة تعليمات فيما بعد للرائد روس لتحذير شيخ الدوحة ولفت نظره إلى أنه سيتحمل المسئولية كاملة إذا اشترك في أي عمل عدائي ضد البحرين ، وهي مسئولية كان الشيخ جاسم يخشى أن يجد نفسه قد تحملها كاملة . كذلك أصدرت التعليمات للمقيم البريطاني في بغداد لإبلاغ السلطات التركية هناك رسمياً بأنها اذا لم تتعهد بمنع وردع أي هجوم يقع علي البحرين من الجزء الساحلي الذي تزعم هذه السلطات السيادة عليه .. فان حكومة الهند ستجد نفسها مضطرة —من أجل حماية البحرين والمطالبة الضرورية بالتعويضات عن الأضرار الناجمة— لأن تتولى هي مسئولية الامر كله بين يديها .

الهدوء يسود الموقف بشكل عام .. وأمور أخرى ١٨٨١–١٨٨٨ :

وبعد هذه الأحداث عاد الموقف إلى الهدوء ، ونشأت حالة من فقدان الثقة بين شيوخ الدوحة وشيوخ البحرين نتيجة ما تردد من أن شيوخ الدوحة ينتوون تقديم المساعدات لإقامة آل نعيم من الزبارة في الفويرط ، لكن هذه الشكوك والمخاوف تبددت في ديسمبر سنة ١٨٨١ خلال لقاء ودي تم في قطر(١) بين الشيخ جاسم وأحمد بن علي شقيق الشيخ عيسى ، بل إن أحمد بن علي تزوج بابنة ناصر بن مبارك .. غير أن هذا الزواج لم تكن له أية دلالة سياسية .

وفي نفس السنة حدث نوع من السخط من جانب أبناء الشيخ السابق محمد بن خليفة الكثيرين ، فغادروا البحرين إلى قطر ، ولكن المساعي الحميدة من جانب المقيم البريطاني استطاعت عقد الصلح وإقناعهم بالعودة إلى البحرين .

١٨٨٢ :

وفي سنة ١٨٨٢ حج أحمد بن علي –شقيق الشيخ عيسى– للمرة الثانية إلى مكة .. وزار المقيم العام البريطاني البحرين غير مرة واحدة .

١٨٨٣ :

وظل الهدوء في الداخل سائداً خلال سنة ١٨٨٣ ، لكن بعض الاعتداءات قد حدثت في البحر –ربما من سكان ساحل الأحساء– لأن الشيخ عيسى طلب حين قام بزيارة لبوشهر على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «وود لارك» الإذن له بالقيام بتأديب القراصنة في الأرض المجاورة . ورد المقيم بايضاح الأسباب التي تجعل إجابة مثل ذلك المطلب أمراً مستحيلا .. وحدث نوع من السخط بين سادة الحد الذين هددوا

---

(١) انظر تاريخ قطر .. ويبدو أن أحمد بن علي نجح في أن يجعل الشيخ جاسم يعامله معاملة الصغير للكبير .

في وقت ما بالهجرة إلى جزيرة تاروت ، لكنهم لم يفعلوا . وقد قام شقيق لأمير الكويت بزيارة البحرين في هذه السنة ، واستقبل استقبالا كريما .

١٨٨٤ :

وفي سنة ١٨٨٤ أصبح من الجلي أن البحرين تمر بمرحلة تزايد في الثروة والرخاء نتيجة عدة سنوات متواصلة لم يتهدد فيها السلم ، وعلى حين ظل بنو نعيم على موقفهم من حكومة البحرين .. فقد كانت الهدايا تُتَبادل بين الشيخ عيسى والشيخ جاسم . ورفض المقيم البريطاني التماساً قدمه ناصر بن مبارك لاستعادة أملاكه من النخيل في البحرين . وقام أحمد شقيق شيخ البحرين بزيارة البصرة في سبتمبر من نفس السنة .

وقام محمد بن سعود –أحد أفراد الأسرة الوهابية الحاكمة– بزيارة للبحرين سنة ١٨٨٦ ورجع إلى البر محملا بالهدايا ، وفي نفس السنة أيضاً قام عبدالله بن سعود –من نفس العائلة– بزيارة أخرى . ووصلت إلى شيخ البحرين هدايا من الحاكم الإيراني في لار ، لكنها ردت إلى مرسلها. وظل بنو نعيم في قطر على صداقتهم ، غير أن هذه الصداقة كانت تُشترى بتضحية جانب كبير من العوائد العامة للبحرين لم يكن هناك ما يقابلها من هذه القبيلة .

١٨٨٧ :

وبمناسبة يوبيل صاحبه الجلالة الملكة فيكتوريا في سنة ١٨٨٧ –ونتيجة وساطة الباب العالي أيضاً– أطلقت السلطات البريطانية سراح شيخ البحرين السابق محمد بن خليفة من سجنه في عدن شريطة أن يقيم بصفة دائمة في مكة أو المدينة . ونضيف هنا أيضاً أنه تقدم في سنة ١٨٨٩ يطلب الترخيص له بالرجوع إلى البحرين –ولم يوافق على هذا الطلب– أو زيادة دخله ، وقد رفض هذا ايضاً لأنه كان يتلقى معونات مالية من الحكومة التركية . ومات محمد بن خليفة في مكة سنة ١٨٩٠ .

١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ عمد الشيخ جاسم في الدوحة ربما نتيجة المشاكل التي يواجهها مع بني ياس في عمان المتصالحة ، وكمحاولة لضمان مصالح أمواله التي يستثمرها دائماً في البحرين —عمد إلى كسب مودة حاكم البحرين ، فأرسل اليه وفداً على رأسه ابنه عبدالله .. وتم الوصول إلى صلح وعلاقة ودية في اتفاقية ذات نصوص غامضة .

موت احمد بن علي ١٨٨٨ :

ومات أحمد بن علي —شقيق الشيخ عيسى— بالجدري في أكتوبر سنة ١٨٨٨ ، وضعف مركز الشيخ الحاكم كثيراً بعد هذا الحدث ، لأنه كان قد اعتاد الاعتماد على نصح أحمد وعونه في كل أمر من اموره ولأنه كان في ذلك الوقت يفتقد السرعة ، والحسم في الأمور على حين كان أحمد —رغم انشغاله باللذائذ والرياضة— على جانب من القدرة وقوة الشكيمة ، وكان موضع خشية أيضاً نتيجة حسمه وصلابته . وتقاعد في نفس السنة أيضاً عبد الوهاب —قريب الشيخ الحاكم ووزيره— لتقدمه في السن وخلفه في البداية ابنه عبدالرحمن الذي كان من رعايا تركيا ، وكان بيته في دارين بجزيرة تاروت . وبعد موت أحمد بدأت قبائل كثيرة في أرض قطر والأحساء تضايق البحرين —بتحريض من ناصر بن مبارك— مستفيدة من مخاوف الشيخ عيسى ، فكانت تستولي منه على الهدايا في مقابل الامتناع عن ناصر بن مبارك ، بل استطاع عدد من هؤلاء الزوار غير المرغوب فيهم الحصول على تراخيص بالمرور إلى البحرين .. من شيخ سيهات أو من الشيخ عبد الوهاب الوزير السابق ، ليقيموا بها حتى يستطيع مضيفهم تدبير اموره . وبعد موت الشيخ أحمد ، استرد الشيخ عيسى نصيبه من عوائد البحرين —وكانت تبلغ نصف عوائد

الإمارة كلها — في مقابل تخصيص مبالغ شهرية لأولاده الكثيرين .. وسينجم عن هذا العمل بعض المشاكل كما سنرى لاحقاً .

١٨٨٩ :

وفي سنة ١٨٨٩ حدثت هجرة عدد كبير من بني نعيم وبني السلطة من قطر إلى جرر البحرين .

١٨٩١ :

وبعد معركة بريده التي حدثت سنة ١٨٩١ وانتصر فيها ابن رشيد على عبدالرحمن أمير الوهابيين في نجد ، لجأ هذا الاخير موقتاً إلى البحرين

١٨٩٢ :

وفي ١٨٩٢ كان ثمة خوف من حدوث غزو للبحرين من قبل الشيخ جاسم في الدوحة وناصر بن مبارك من قطر ، فقيل إنهما هناك يجمعان الرجال ويتخذان الترتيبات للغزو .. وبلغ هذا الفزع حداً جعل رعايا الهند البريطانية المقيمين في البحرين ينقلون أمتعتهم وممتلكاتهم الثمينة إلى ظهور القوارب في ميناء المنامة ، وكتب المقيم البريطاني خطابات تحذير إلى زعماء هذه الحركة ، وتم الحصول على وعد من الوالي التركي في البصرة بأن يأمر أنصاره في الأحساء بمنع هذا الغزو المرتقب .. لكن أخيراً .. عاد ناصر بن مبارك بهدوء من قطر إلى الأحساء وكان في ذلك الوقت منهمكاً في البحث عن مقر ثابت تستطيع قبيلة بني هاجر أن تقيم به ، ويبدو أن زيارته اللاحقة للكويت كانت ذات صلة بهذا الهدف .

١٨٩٤ :

وفي سنة ١٨٩٤ أصاب الجدري الشيخ عيسى لكنه شفي منه في شهر يونيو من نفس السنة . وفي اكتوبر انتشرت شائعات جديدة عن اعتزام ناصر بن مبارك النزول إلى جزر البحزين ، وأرسل المقيم البريطاني خطاب تحذير إلى الشيخ جاسم شيخ الدوحة ، وكان من المعتقد به أن ناصراً — دون مساعدة الشيخ جاسم — لا يستطيع أن يحقق شيئاً .

علاقات تركيا بالبحرين خلال نفس الفترة
١٨٧١ ـ ١٨٩٥

تكشف لنا مراجعة تاريخ إمارة البحرين ـبشكل عامـ عن تلهف تركيا لتحقيق سيطرتها على البحرين ، لكن ثمة دلائل للسياسة التركية لم نشر اليها بعد . ولما كانت البحرين هي في حقيقة الأمر ميناء الأحساء على المحيط ، وكانت أيضاً مأوى لكل هؤلاء اللاجئين من الساحل التركي .. فلا شك في أن بقاءها مستقلة كان امراً لا تستريح اليه السلطات العثمانية . ولم يكن بوسع الأتراك إلا السخط على وسائلهم في حكم أرض الأحساء، ومن هنا فانهم كانوا يتصورون أن استيلاءهم على هذه الإمارة الغنية السهلة سينهي مشاكلهم في المنطقة تماماً . واذا أمكن التحكم في شئونها بشكل غير مباشر فسرعان ما تصبح ملكاً للباب العالي .

شكاوى الباب العالي من أعمال بريطانيا في البحرين١٨٧٢ـ١٨٧٣ :

وفي يوليو ١٨٧٢ شكا الباب العالي ـعن طريق سفيره في لندنـ من أعمال تفصح عن مظاهر السيادة البريطانية مؤخراً على البحرين ، لاسيما نزول جماعة من ٢٠ جندياً بريطانياً إلى البرّ هناك ، لكن التحقيق أثبت أن هذه الاتهامات بلا أساس ـإلا اذا كانت تشير الى هؤلاء الجنود الذين كانوا يقيسون الشاطىء في عملية مسح بحرية للمنطقةـ وأبلغت الحكومة التركية رسمياً بذلك . وفي سنة ١٨٧٣ زعمت السلطات التركية زعماً لا يصدق ، وهو أن السلطات البريطانية قد أغرقت قارباً تابعاً للبحرين لأنه كان يمد الباخرة التركية «آشور» بالمياه . وثبت من التحقيق ان هذه الحكاية كلها خيالية ولا أساس لها .

اقامة أمير الوهابيين في البحرين قبل أن يقوم بغزو الاحساء ١٨٧٤ :

.. وعندما اشتكى الاتراك زاعمين أن غزو الأمير الوهابي عبدالرحمن ابن سعود للأحساء ـالمذكور في تاريخ هذا الإقليمـ قد تم من البحرين ،

قامت السلطات البريطانية بتحقيق مفصل وجاد بهذا الصدد ، وثبت أن سلوك عبدالرحمن –خلال إقامته التي استمرت شهرين تقريباً في البحرين– كان نظيفاً لا غبار عليه ، وان شيخ البحرين لم يقدم اليه أي عون سوى ما تمليه عليه الضيافة وهدية تبلغ ٢٠٠ روبية عند رحيله . ولم تكن تصحبه أية قوات عسكرية في البحرين رغم أن ٥٠ رجلا قد صحبوه من البحرين إلى ساحل الأحساء أثناء عودته في قارب لهم . ويبدو ان والي بغداد طلب التصريح له من الباب العالي بأن يسير إلى البحرين لتأديب شيخها نتيجة مساهمته في الحملة الوهابية على الأحساء .. ولكن لم يؤذن له ، وفي نفس الوقت أيضاً –وكاجراء احتياطي– ارسلت سفن حربية بريطانية لتوفير الحماية لجزر البحرين .

تحصينات بريطانية مزعومة واقتراح من تركيا باقامة فنار في المنامة ١٨٧٥ :

وعاد الباب العالي في سنة ١٨٧٥ يشكو للسفير البريطاني في القسطنطينية من أن السلطات البريطانية قد أقامت تحصينات واستحكامات في المنامة ، وأنها تستخدمها كملجأ للأتراك الهاربين من ساحل الأحساء . ومرة أخرى أثبت التحري خطل قناعات المسئولين الأتراك حيث تبين في النهاية أن شيخ البحرين قد قام –في مايو أو يونيو سنة ١٨٧٥– باصلاح وترميم قلعة المنامة ، ولكن لم يكن بهذا العمل كله مسئول أو عامل بريطاني واحد على الإطلاق .

وبعدها مباشرة أصبح من المعروف عن طريق البعثة الديبلوماسية البريطانية في طهران أن الأتراك أنفسهم يفكرون في إقامة فنار في ميناء المنامة ، وقدمت الحكومة البريطانية احتجاجاً أدى إلى إيقاف هذا المشروع إيقافاً تاماً .

والي البصرة يرفع إلى شيخ البحرين مطالب تاجرين من قطر ١٨٧٥ :

وفي نفس السنة رفع ناصر باشا والي البصرة إلى شيخ البحرين مطالب تاجرين من تجار اللؤلؤ في قطر بطريقة يفهم منها أن هدفه الاول

لم يكن المطالبة لهذين التاجرين القطريين بحقوقهما بقدر ما كان يهدف إلى إثارة مشكلةسياسية . ولهذا نصح المقيم البريطاني شيخ البحرين بموجب أوامر من حكومة الهند بأن ينظر في هذه المطالب بكل إنصاف ممكن ، وفي نفس الوقت وجه احتجاج للباب العالي عن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية .

اقتراح الاتراك انشاء مستودع فحم في البحرين وزيارة سفنهم لها ١٨٧٩ — ١٨٨٠ :

وفي يونيو ١٨٧٩ ترددت الشائعات عن اعتزام الأتراك إقامة مستودع فحم لهم بالبحرين يتحول تدريجياً إلى معتمدية سياسية ، ولكن — اذا كانت هذه الشائعات دالّة على حقيقة ما — فقد أحبط هذا المشروع بعقد اتفاقية بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية في العام التالي . وفي نوفمبر سنة ١٨٨٠ زار اسطول تركي البحرين وقيل ان قائد الاسطول أكد أن البحرين إقليم تابع لتركيا .

الحكومة التركية تتبنى تمرد سنة ١٨٧٩ — ١٨٨٠ :

وكان ناصر بن مبارك وأنصاره قدموا التماساً إلى الصدر الأعظم في تركيا — في إبريل سنة ١٨٧٩— ضد تدخل السلطات البريطانية في البحرين التي اشاروا اليها في خطابهم على أنها «من املاك تركيا » واشتكوا ضد طردهم من البحرين كما طلبوا في التماسهم هذا إطلاق سراح محمد بن خليفة وأحد رفاقه ، وأن يسمح لهم —لناصر ورفاقه— بالعودة للبحرين واسترداد ممتلكاتهم فيها . وتولى الوزير هذه القضية كشيء جديد تماماً .. وكشاهد واضح الدلالة على تدخل بريطانيا العظمى وسيطرتها على شئون البحرين ، وكدليل على أن ثمة محاولة قد حدثت —رغم الوعود القديمة— من قبل بريطانيا لتأكيد سيادتها على البحرين . وردت الحكومة البريطانية بدفع هذا الزعم عن ممارستها سيادة على البحرين ، وقالت انها ستتولى التحقيق في الأعمال العدائية التي وردت

في ذلك الالتماس كشيء مستقل تمام الاستقلال عن القضية الأولى . وكانت نتيجة التحقيق الذي تولته حكومة الهند هي القول بأن الالتماس المذكور يتعلق فقط بعقاب زعماء تمرد سنة ١٨٦٩ .

تسليم المجرمين والمدنيين الفارين بين الاحساء والبحرين ١٨٧٩–١٨٨٠

وفي ١٨٧٩ و ١٨٨٠ حدثت عدة حالات طلبت فيها السلطات التركية من شيخ البحرين تسليمها بعض المجرمين والمدنيين الذين هربوا من الأرض التركية إلى الجزر ، ومرة طلبت تسليمها رجلا يدعى عبدالله لارتكابه جريمة قتل .، وتم تسليمه لها بالفعل . أما المشكلة الأكثر صعوبة المتمثلة في هؤلاء المدنيين الهاربين من الأحساء إلى البحرين فقد رفعها المقيم البريطاني إلى حكومة الهند وجاء ردها بعدم تشجيع شيخ البحرين على التراسل مباشرة مع الأتراك ، وبأن يعد المقيم قائمة بمطالب البحرين ، وموقف السلطات التركية منها ، ويرفعها إلى حكومة الهند . وكانت هذه الحكومة ترى أن طلب السلطات التركية من شيخ البحرين تسليمها المجرمين والمدنيين لا يهدد استقلال شيخ البحرين بل هو اعتراف باستقلاله .

احتجاج تركيا على احتجاز أملاك الشيخ جاسم في البحرين :

وفي أغسطس ١٨٨٧ –وبناء على طلب من المقيم السياسي البريطاني– فرض شيخ البحرين حظراً على كمية من اللؤلؤ وغيرها تتجاوز قيمتها ٢٢ ألف روبية للشيخ جاسم شيخ الدوحة كانت آنذاك في البحرين . وقد اتخذ هؤلاء هذا الإجراء لإرغام الشيخ جاسم على دفع تعويض عن أضرار لحقت بالرعايا البريطانيين كما هو مذكور في تاريخ قطر . وكانت نتيجة هذا العمل ، فيما يتعلق بالبحرين ، تقدم احتجاج من الباب العالي لسفير بريطانيا في القسطنطينية أثار لدى الحكومة البريطانية من جديد مشكلة تحديد الوضع السياسي للبحرين .

وصدرت أخيراً لسفير بريطانيا في القسطنطينية تعليمات مفادها أن الحكومة البريطانية لا تستطيع الاعتراف بأية حقوق سيادة تركية على

شيخ البحرين الذي تعتبره ــ كما أوضحت مراراً من قبل ــ حاكماً مستقلاً. والذي ترتبط الحكومة البريطانية به بمعاهدات واتفاقيات .

انذار للباب العالي ضد انزال قوات تركية في البحرين ١٨٨٨ :

وبعدها بأشهر قليلة ــ ونتيجة مخطط ضد البحرين سنذكره لاحقاً حين نتحدث عن علاقة إيران بالبحرين ــ طلب السفير البريطاني في القسطنطينية من كبير وزراء السلطان إصدار أوامر صريحة للمسئولين الأتراك في منطقة الخليج بتجنب أي تدخل في شئون البحرين ، وأبلغه أيضاً أن السفينة الحربية البريطانية الموجودة هناك قد صدرت لها الأوامر بمنع أي نزول على جزر البحرين سواء كان من جانب العرب أو الإيرانيين أو الأتراك ، ورد الوزير بأنه لم تكن هناك أية نية من جانب الأتراك لانزال قوات على الجزر ، بل إنه لم يؤكد سيطرة تركيا أو سيادتها على البحرين ، غير ان من المؤكد أن وزير الخارجية التركية كان يرى الامور بشكل آخر .. وعلى أية حال فقد أثبتت الأحداث التالية أن الأتراك لم يتخلوا عن مزاعمهم في السيادة على البحرين .

كتابات مهينة من السلطات التركية لشيخ البحرين ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ حدثت مضايقات كثيرة نتيجة الاسلوب الذي كانت تنهجه السلطات التركية في الأحساء في مخاطبة شيخ البحرين ضمن خطاباتها الرسمية فقد كانت تكتب اليه كما لو كان موظفاً خاضعاً لها . وكان العنوان الذي يذكر دائماً على هذه الخطابات هو : « إلى حاكم جزيرة « أوال » وتفسير هذا السخف هو أن والي البصرة قد اكتشف أن كلمة «البحرين» كانت تطلق في العصور القديمة على جزء من الارض المواجهة للجزر أيضاً ، فأمر ببعث الاستخدام القديم لكلمة « البحرين» وأن تميز الجزر بتسميتها باسمها القديم « أوال » .. ولا شك في أنه كان يعتقد أن قضية إدعاء تركيا السيادة على البحرين يمكنها أن تقوم عن هذا الطريق .

مطالبة السلطات التركية بتسليم رجل هارب من دفع العوائد ١٨٩٠ – ١٨٩١ :

وفي أغسطس ١٨٩٠ وصل الى حاكم البحرين خطاب وقح من قائمقام القطيف ورجل آخر يدعى السيد مصطفى يطلبان اليه تسليم الشيخ عبدالرحيم شيخ سيهات الذي زعما أنه رفض دفع العوائد المستحقة عليه للحكومة التركية . وأبلغ الشيخ عيسى وكيل القائمقام أن الشيخ عبدالرحيم ليس موجوداً بالبحرين ، وحاولت جماعة من القطيف أسر أقارب الشيخ عبدالرحيم لكنها فشلت نتيجة جهود معاكسة من خدم شيخ البحرين .

ولما كان الشيخ عيسى قد استطاع –برغم هذا السلوك العدائي من جانب زواره – أن يحافظ على هيبته ، فقد وجد الرائد روس ألا ضرورة للقيام بأي عمل من ناحيته ، لكنه أكد لشيخ البحرين وقوفه إلى جانبه وتقديم كل العون له إذا هدد سلطته مهدد . وفي يونيو ١٨٩١ طلب متصرف الأحساء –في خطاب مهذب إلى شيخ البحرين– تسليم ٢٨ شخصاً قيل إنهم هاربون من دفع الضرائب ، ورفع الشيخ عيسى الأمر إلى المقيم البريطاني . ولكن لا يبدو أنه قد تم اتخاذ قرار نهائي بشأنه .

اعلان سيادة تركيا على البحرين في القطيف ، وفرض العلم التركي على أصحاب القوارب في البحرين بالقوة ١٨٩٣ :

وفي ديسمبر سنة ١٨٩٢ –وكان والي البصرة آنذاك في جولة بالأحساء– وصلت معلومات إلى مساعد المعتمد البريطاني في البصرة بأن الأوامر قد صدرت من الباب العالي لوالي البصرة بمعاملة البحرين على أنها إقليم تابع لتركيا ، وأبلغ المقيم السياسي البريطاني في الخليج الضابط البحري الأول في أسطول الخليج بأنه يستطيع اتخاذ أي عمل يراه ضرورياً لمنع نزول قوات تركية إلى البحرين ، ولم تكن حكومة الهند فقط هي التي وافقت على هذه الخطوة ، بل وافقت عليها أيضاً حكومة

صاحبة الجلالة التي أبلغت الباب العالي بهذا القرار . ومن المحتمل أنه كان بالفعل ثمة تخطيط تم وضعه ضد البحرين لانه في الاسبوع الأول من يناير سنة ١٨٩٣ أعلن في القطيف — بأمر من القائمقام — أن البحرين وعمان قد تمردتا على السيادة التركية ، وفرضت الأعلام التركية بالقوة على واحد او اثنين من أصحاب القوارب البحرينية في القطيف . وفي ٢٠ أغسطس سنة ١٨٩٣ علقت نشرة رسمية في أسواق ومقاهي القطيف جاء فيها تصريح القائمقام بأن الحكومة البريطانية لا علاقة لها بالبحرين التي هي جزء من الامبراطورية التركية ، وستعامل —من الآن فصاعداً— على هذا الأساس . وقدمت الاحتجاجات الديبلوماسية إلى الباب العالي ، واخيراً في ديسمبر سنة ١٨٩٣ اعترفت الحكومة التركية بأنها قد أصدرت أوامرها بسحب هذه النشرة الوقحة ، كما أصدرت تعليماتها أيضاً لممثليها بعدم الدخول في خلافات مع ممثل الحكومة البريطانية حول وضع البحرين .

الحكومة البريطانية تمنع نقل القوات التركية في مياه البحرين ١٨٩٣ :

وفي مارس ١٨٩٣ ، منع الملازم بيفيل مساعد المعتمد السياسي في البصرة إرسال قارب يحمل ثلاثين جندياً تركياً إلى الأحساء عن طريق البحرين .. كما حذر المسئولين المحليين عن شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية من قبول هؤلاء على بواخر الشركة كمسافرين . وأقرت حكومة الهند هذا العمل ، وأبلغت الباب العالي بعد ذلك—عن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية— بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع السماح بانتقال القوات التركية في مياه البحرين .

الوضع السياسي لرعايا البحرين في الارض التركية ١٨٩٠—١٨٩٤:

وبرزت مشكلة خلال هذه الفترة تستحق إشارة خاصة ، وهي الوضع السياسي لرعايا البحرين الذين يسافرون إلى أو يستقرون في الامبراطورية العثمانية . وقد نوقشت هذه المشكلة للمرة الأولى في سنة

١٨٩٠ في تقرير للملازم ستراتون مساعد المعتمد السياسي البريطاني في البصرة ، وجاء في التقرير أن السلطات التركية تبذل جهدها لإرغام مواطني البحرين المستقرين في البصرة وفي ابو الخصيب على شط العرب على أداء الخدمة العسكرية بزعم أنهم رعايا أتراك ينطبق عليهم ما ينطبق على باقي الرعايا . ولما لم يكن واضحاً أن الشكاية من هذا الأمر تهم البحرين ، ولأن شيخها لم يطلب التدخل من جانب بريطانيا فقد اعتبرت حكومة الهند أن هذا الموضوع ليس بحاجة إلى أي عمل من جانبها .

وفي ١٨٩٢ أثيرت القضية مرة أخرى نتيجة ضريبة خاصة تستوفى من رعايا تركيا فقط — تم فرضها على رعايا البحرين ، وقدم مساعد المعتمد البريطاني في البصرة طلباً للسلطات التركية برفع هذه الضريبة على أساس أن البحرين ورعاياها تحت الحماية البريطانية . وهنا أبلغت الحكومة التركية السفير البريطاني في القسطنطينية بأنها لا تعترف بأن رعايا البحرين تحت الحماية البريطانية . وجاء في الرد البريطاني أن البحرين قد أصبحت الآن تحت حماية صاحبة الجلالة ملكة انجلترا ، ولن تسمح الحكومة البريطانية بالتالي للسلطات التركية بأي تدخل في شئون أهل البحرين . وبعدها بسنة تقريباً . في إبريل ١٨٩٣ احتجت الحكومة التركية من جديد على ما أعلنه مساعد المقيم البريطاني من زعم بريطانيا حماية رعايا البحرين ، ومرة أخرى أصدرت حكومة صاحبة الجلالة أوامرها لبعثاتها القنصلية والديبلوماسية في ارجاء الامبراطورية العثمانية ببسط حمايتهم على رعايا البحرين .

وفي نفس الوقت ، في يناير ١٨٩٣ ، ذهب وفد ممثل لرعايا البحرين المقيمين في البصرة ليقابل المسئول البريطاني ويطلب منه الحماية ، ورد عليهم المسئول بأن هذه الحماية تفرض عليهم بشرط واحد هو أن يحصلوا على شهادات من الشيخ عيسى شيخ البحرين بانتمائهم اليها ،

واتخذت الترتيبات ــبناء على ذلكــ في سنة ١٨٩٤ باصدار شهادات جنسية منتظمة من شيخ البحرين للعاملين على القوارب والسفن وغيرهم من رعاياه الذين يسافرون إلى البصرة .

وفي ١٨٩٥ وقعت حادثة كانت محكاً لهذه الإجراءات . فقد حدثت عملية سرقة بالإكراه من بعض رعايا البحرين على ظهر سفينة كانت مبحرة في شط العرب على بعد عدة أميال أسفل البصرة ، وفيها أرغم قراصنة النهر ركاب السفينة وبحارتها على تسليمهم كل ما يملكون من أشياء ثمينة ، وقدرت الخسائر بمبلغ ضخم .

وقدم الكابتن هوايت مساعد المعتمد السياسي البريطاني في البصرة مباشرة طلباً للتعويض من الوالي لكن الوالي رفض الإجابة على أساس أن الباب العالي لا يعترف بحق بريطانيا في حماية رعايا البحرين ، وطلب السفير البريطاني في القسطنطينية ــحين أبلغه الكابتن هوايت بهذه الحادثةــ من الحكومة التركية ضرورة اعترافها بتدخل السلطات البريطانية في هذه القضية وسواها من القضايا المشابهة .. لكن الحكومة التركية ، ورغم استمرار مناقشة هذا الامر حتى سنة ١٨٩٦ ، لم تتراجع قيد أنملة عن موقفها ، وبالتالي لم تكن هناك ثمة تعويضات عن هذه القرصنة .



علاقات ايران بالبحرين خلال نفس الفترة ١٨٧١ ــ ١٨٩٥

ظلت حكومة إيران ــعلى الرغم من تعاظم النفوذ البريطاني في البحرين ، والامتيازات التي حصلت عليها تركيا في سيادتها على السواحل المجاورة للأحساء ــ ظلت على حسدها ومزاعمها البالية بالسيادة على البحرين . ففي مايو ١٨٧١ ــ وقت كان الاحتلال التركي يتدعم في

الأحساء – طلب الشاه عن طريق الوزير البريطاني المفوض في طهران معلومات عن احتمال التقدم من جانب الأتراك إلى البحرين .. وأبلغ رداً على تساؤله بأن الباب العالي يؤكد أنه لن يبذل أية محاولة بالنسبة لجزر البحرين .

وفي سبتمبر سنة ١٨٨٦ عمد الشاه –وقدانتابته رغبة غير مفهومة في تأكيد سيطرته على البحرين– إلى إبلاغ المستر نيكلسون الوزير البريطاني المفوض في طهران شفوياً برغبته في أن ينقل رسالة منه بهذا الصدد إلى الحكومة البريطانية . وكان يهدف إلى أن تعتبر الحكومة البريطانية اتصاله بها في سنة ١٨٦٩ مساوياً للاعتراف بحقوقه في السيادة على البحرين ، وكان متلهفاً على إقامة سلطته هناك إما بتعيين حاكم للبحرين ، أو الاعتراف بشيخها الحالي ممثلا له ، لكنهايضاً أفصح عن رغبته في أن تظل السياسة البحرية في المنطقة بين يدي السلطات البريطانية. وأعدت حكومة صاحبة الجلالة رداً جاء فيه أنها لا تستطيع أن تجد في الاتصال الذي قام به سنة ١٨٦٩ مثل هذا التفسير ، بل إنها على العكس تعتبره اعترافاً منه باستقلال البحرين ، وأن على حكومة إيران الاستمرار في الالتزام بمعاهداتها تجاه البحرين . ولأن الشاه لم يعد إلى هذا الموضوع مرة أخرى ، فلم يسلمه المستر نيكلسون هذا الرد من الحكومة البريطانية . وأرجعت هذه القضية كلها عندئذ إلى إيحاء لإيران من قبل روسيا .

دسائس ايران فيما يتعلق بالبحرين وموقف السلطات البريطانية : ١٨٨٧ – ١٨٨٨

وفي سنة ١٨٨٧ –ونتيجة الخسائر التي لحقت بمجموعة من رعايا إيران في الاضطرابات التي وقعت في الدوحة بقطر – سأل الشاه القائم بالأعمال البريطاني في طهران عما إذا كان بوسع السلطات البريطانية تقديم أية معونة في سبيل الحصول على تعويض عن تلك الخسائر . وأجيب صاحب الجلالة على ذلك بأن البريطانيين مستعدون لتقديم

وساطتهم في هذا الصدد بعد أن تجاب مطالب رعاياهم هم أولا في التعويضات المستحقة لهم . وفي العام التالي – وبسبب هذا الأمر نفسه من ناحية ، ونتيجة خطة عامة لتوسع النفوذ الإيراني في منطقة الخليج من ناحية أخرى – تبنت الحكومة الايرانية خط عمل آخر مختلفاً وسرياً إلى حد كبير ، وكان من المعتقد أن هذا العمل كان بتحريض من روسيا . وكان الوكلاء الرئيسيون لتنفيذ هذا المخطط هم مالك آل توجار حاكم موانى الخليج وحاجي حمد خان أحد أفراد الجيش الإيراني وكانت البحرين – وكذلك قطر وعمان المتصالحة – ضمن هذا المخطط . لكن أعمال هذه البعثات كانت مقصورة على قطر وعمان المتصالحة وهذا مذكور بالتفصيل في تاريخ هذا الإقليم .. وتبين بعد ذلك – عن طريق إفشاء مالك آل توجار للسر وعزله عن منصبه من جانب الحكومة الإيرانية ومن خلال البرقيات الإيرانية الرسمية التي أمكن الحصول على نسخ منها في طهران – ان أمين السلطان قد وافق على مخطط وضعه حاجي أحمد خان للاستيلاء على البحرين بواسطة الشيخ جاسم شيخ الدوحة الذي تعهد فيما يبدو بأن يضع مخطط إيران موضع التنفيذ . وفي هذه المؤامرات كان واضحاً وجود نوع من التناسق بين خطط إيران وتركيا بهذا الصدد ولكن لم يكن من المعتقد بوجود أي نوع من من التعاون الجدي بين الحكومتين اللتين لا بد ان تتعارض مصالحهما على الساحل العربي .

وفي فبراير ١٨٨٨ ، حين كان يظن أن البحرين في خطر نتيجة هذا التآمر أمر الرائد روس المقيم السياسي بأن تقوم سفينتان حربيتان بريطانيتان بالرسو على مقربة من شاطىء البحرين وأصدر اليهما التعليمات بأن يصد – بالقوة – أي عمل عدائي على البر من جانب الأتراك أو العرب أو الإيرانيين على السواء .. وطلبت حكومة الهند التي وافقت على هذا العمل من الوزير البريطاني المفوض في طهران

إبلاغ الحكومة الإيرانية بهذه التعليمات ، ولكن أمين السلطان حين سئل أجاب بأن أنكر وجود أي خطط له في البحرين ، فوجد مستر نيكلسون من الأفضل عدم الإشارة إلى هذه التعليمات القاضية باستخدام القوة .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بالبحرين خلال نفس الفترة ١٨٧١ ـ ١٨٩٥

لاحظنا في الفقرات السابقة ملامح بارزة وهامة في علاقات الحكومة البريطانية بالبحرين خلال هذه الفترة ، ولكن ما تزال بعض الجوانب المباشرة والسرية في حاجة لأن نشير اليها .

المسح البحري للبحرين ١٨٧١ ـ ١٨٧٣ :

خلال الفترة من ١٨٧١ إلى ١٨٧٣ قامت سفينة بحرية بومباي «كونستانس» بإجراء عملية مسح بحرية شاملة ودقيقة لشعاب جزر البحرين ومراسيها .

سوء معاملة وكيل شركة الهند البريطانية للملاحة التجارية ١٨٧٣ :

وفي سنة ١٨٧٣ القي القبض على عبدالله بن رجب ـ وهو مواطن من رعايا البحرين لكنه كان ممثل شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية في البحرين وكان لذلك بالفعل تحت الحماية البريطانية وقد ألقي في السجن بأمر من شيخ البحرين دون توجيه اتهام محدد اليه . وبادر مساعد المقيم السياسي في البحرين حين بلغه هذا الخبر فطالب بإطلاق سراح الرجل فوراً والتحقيق معه فيما هو منسوب اليه . واحتج شيخ البحرين على هذا التدخل من جانب مساعد المقيم . لكنه أطلق سراح الرجل بالفعل . وكانت الاتهامات الموجهة اليه فيما يبدو هي تهجمه على بعض رعايا البحرين إلى جانب أنه قطع أخشاباً من أشجار يملكها الشيخ وقد ثبتت

صحة الإتهام الأول ، أما الثاني فلم يمكن إقامة الدليل عليه . وبعد تحذير صادر من المقيم ، اعتذر الشيخ عيسى في النهاية عن تسرعه في الإجراءات التي اتخذها ، كما وجه اعتذاراً شخصياً إلى الميجور جرانت للهجة خطابه الذي كان يحتج فيه على هذا التدخل .

السلطات البريطانية تندد بحادثة اغتيال سياسي ١٨٧٧ :

وفي ٢٨ إبريل سنة ١٨٧٧ قتل فهد بن أحمد –ابن عم والد الشيخ عيسى بن علي مباشرة– في البحرين ، قتله أحمد بن علي شقيق الشيخ ، وكان التبرير الذي ذكر لذلك أن فهد كان متمرداً وكان خطراً على الحكومة القائمة ، وأنه قد هدد أحمد بن علي حين ذهب هذا اليه ليجرده من سلاحه . وعلى أساس أن الحكومة البريطانية بسبب الوضع الذي أصبح لها في البحرين كان لابد أن تتدخل لمنع الاضطرابات العنيفة أو الاضطهاد من جانب الشيخ الحاكم ، وعلى أساس أنها لا تستطيع أن تقنع بموقف المتفرج المحايد بالنسبة لأحداث خطيرة من هذا النوع ، فقد صدرت التعليمات للرائد بريدو المقيم السياسي بأن يبلغ شيخ البحرين الحاكم وشقيقه أن الحكومة البريطانية تستنكر هذا السلوك وتحذره من ارتكاب مثله في المستقبل ، وقد نفذت هذه التعليمات بكل دقة .

الاتفاقية الشاملة الاولى بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية ٢٢ ديسمبر ١٨٨٠ :

وقد سبق أن أشرنا إلى خطة تركيا في سنة ١٨٧٩ لإقامة مستودع للفحم في البحرين ، وزيارة الاسطول التركي التالية للجزر في نوفمبر سنة ١٨٨٠ ، ونضيف أنه في نفس الوقت تقريباً ظهرت دلائل كثيرة لاهتمام جديد من جانب دول أجنبية كثيرة بشئون منطقة الخليج ، وان سفناً فرنسية وأمريكية بل وحتى يابانية أيضاً كانت تزور مياه الخليج . وفي هذه الظروف ، واعتقاداً من الرائد روس المقيم السياسي بأن

البحرين مركز تجاري هام سرعان ما سيصبح محط أنظار الدول الاجنبية، وحين وجد في زيارة للبحرين أن الشيخ مستعد لأن يعقد اتفاقية خاصة مع الحكومة البريطانية ، انتهز الفرصة وحصل على توقيع الشيخ على اتفاقية خاصة رفعها مباشرة إلى حكومة الهند . وكانت هذه الاتفاقية التي وقعت في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ تنص على أن تمتنع الشيخ عن إجراء المفاوضات أو توقيع المعاهدات مع أية دولة أجنبية —باستثناء بريطانيا العظمى— إلا بعد موافقة السلطات البريطانية ، كذلك ليس له أن يسمح لأية حكومة —غير الحكومة البريطانية— بإقامة وكالات قنصلية أو ديبلوماسية أو إقامة مستودعات للفحم إلا بعد موافقة السلطات البريطانية . وكان من المتفق عليه على أية حال أن هذه الاتفاقية لا تشمل ولا تؤثر على الاتصالات الودية القائمة مع السلطات المحلية في الإمارات المجاورة في الشئون الأقل أهمية ، وان صحة هذه الاتفاقية وسريانها يعتمدان على تصديق نائب الملك ومجلس الحاكم العام للهند عليها .

وذكر الرائد روس في تبريره هذا العمل الذي لم يكن مفوضاً به ، بأن وجود اتفاقية رسمية كان ضرورياً لشيخ البحرين ليستطيع الاستناد اليها في معارضة المناورات السياسية التي تستهدف النفوذ في أرضه من جانب الدول الأخرى . وردت حكومة الهند بأن القاعدة تقضي بأنه غير مسموح للمسئولين السياسيين بالدخول في مفاوضات من هذا النوع —مهما بلغت درجة الحيطة فيها— دون تعليمات خاصة ، لكنها مع ذلك رفعتها للتصديق عليها من جانب حكومة صاحبة الجلالة ، وبعد تصديق وزير الدولة لشئون الهند عليها تم توقيعها نهائياً في سنة ١٨٨١

معاهدة نهائية شاملة بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية ١٣ مارس ١٨٩٢ :

وفي ١٨٩٢ ولظروف ستتضح في تاريخ عمان المتصالحة أوصى الرائد تالبوت المقيم في الخليج بعقد اتفاقيات جديدة تتضمن

نصاً يحرم على شيوخ الإمارات أي تنازل في أقاليمهم لدول أجنبية ، وحين وافقت حكومة الهند على هذا الاقتراح لاحت الفرصة مواتية للحصول على توقيع شيخ البحرين على معاهدة مماثلة في ١٣ مارس ١٨٩٢. وفي هذه الاتفاقية الجديدة تعهد شيخ البحرين بألا يعقد أية اتفاقيات أو يدخل في اتصالات مع أية دولة أجنبية باستثناء بريطانيا وألا يوافق على إقامة وكيل لأية حكومة أجنبية أخرى في أرض البحرين دون موافقة الحكومة البريطانية ، وألا يتنازل عن جزء من أرضه بالبيع أو الإيجار أو غيرهما للاحتلال من جانب أية دولة سوى بريطانيا(١) .

★ ★ ★

محاولات غزو البحرين من قطر وما تلاها من أحداث ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦

اقامة مستعمرة لآل بن علي المعادين للبحرين في الزبارة بقطر ١٨٩٥ :

في سنة ١٨٩٥ تجدد خطر غزو البحرين من قِبَل القبائل العربية في الارض المجاورة بتأثير تركيا ، وهو خطر ظل ماثلا منذ فترة طويلة ، واتخذ شكلا مادياً ملموساً ، لكنه قوبل بتدخل حاسم من جانب بريطانيا العظمى .

ففي مارس ١٨٩٥ هاجرت قبيلة ساخطة تدعى أل علي من البحرين إلى قطر بقيادة شيخ يدعى سلطان بن سلامه كان داخلا في علاقات مع الشيخ جاسم شيخ الدوحة ، وبمعونته استطاع أن يشيد لقبيلته مستوطنة في الزبارة . ولما كان وجود تلك المستوطنة تهديداً خطيراً للبحرين ، فقد أبلغ الشيخ جاسم بأنه غير مسموح بقيامها لكنه لم يلق بالا للتحذير . وفي نفس الوقت قام المتصرف التركي في الأحساء بزيارةالزبارة ، واستمر العمل في بناء المستعمرة قائماً على قدم وساق ،

---

(١) نص هذه الاتفاقية موجود في الملحق الاول لهذا الفصل .

وتردد أن المتصرف والشيخ جاسم كانا يُعِدان لرفع العلم التركي . وقد قام سفير بريطانيا في القسطنطينية بلفت نظر الباب العالي إلى ما يحدث ، وإبلاغه أن عملية البناء هذه إذا استمرت فان حكومة الهند ستتخذ من الإجراءات ما تراه ضرورياً لحماية شيخ البحرين ، واتخذت إجراءات أخرى لتعزيز هذا السعي ، فأرسلت سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » بقيادة القائد بيللي — ابن شقيق الرائد بيللي المقيم السياسي السابق المرموق في الخليج — الى الزبارة ، ومعه أمر بعودة سلطان ابن سلامه وقبيلته فوراً الى البحرين ، لكن طلبه قوبل بالرفض من جانب الشيخ بمعاونة المدير التركي الجديد الذي عين موخراً في الزبارة ، وزُعِم أن هذا المكان أرض تركية ، وأن آل بن علي من رعايا تركيا . وعادت السفينة «سفنكس» إلى البحرين بعد أن استولت على سبعة قوارب لآل علي . وفي يوم ١٥ يوليـــــو استولت على تسع سفن أخرى لهم ، ونقلت القوارب جميعاً إلى البحرين . ثم رغب بن علي بعد ذلك في الصلح مع شيخ البحرين لكن المدير التركي أقام العقبات في هذا السبيل حتى إنه احتجز بعض القوارب المرسلة من البحرين لمن يرغب في العودة اليها من آل بن علي . وقد قيل إنه أي المدير أعلن أن البحرين على وجه العموم وقطر بشكل خاص هما تابعتان للامبراطورية العثمانية . وأصبح الموقف الآن خطيراً لاعتبارات متعددة ، فقد تبين أن الشيخ جاسم بدأ في جمع عدد كبير من القوارب كما لو كان يعد العدة للنزول إلى البحرين ، ووضع متصرف الأحساء قوات في القطيف .. بزعم الإعداد لحملة على نجد ، وكان القارب التركي المسلح « زحاف» يتجول على طول ساحل قطر .

الاستعدادات البريطانية للدفاع عن البحرين :

وفي هذه الظروف اقترحت حكومة الهند ضرورة مقاومة تمرد أهل قطر على البحرين باستخدام القوة بشرط أن يطلب من أيةسفن حربية ترفع العلم التركي تقديم تفسير لوجودها ، وإذا لم يكن هذا التفسير

مقنعاً فيوجه اليها الإنذار بأن النير... ...ن عليها إذا تجاوزت مسافة ثلاثة أميال من سواحل البحرين وقد أرسلت سفينة صاحبة الجلالة «بيجون» لتلحق بالسفينة «سفنكس» في مياه البحرين ، وتم كل شيء ، ولم يعد باقياً سوى إرسال فيلق من المشاة الهنود من بومباي ، وأخيراً أضيفت سفينة ثالثة هي «بليزي» لتنضم إلى السفن الموجودة في الخليج .

اتصالات دبلوماسية بريطانية مع الحكومة التركية :

وفي نفس الوقت وعلى أثر تصريحات المدير التركي في الزبارة وأعماله ، تم اتصالان بالباب العالي ، ففي يوم ١٢ أغسطس قدم السفير البريطاني في القسطنطينية احتجاجاً من الحكومة البريطانية إلى الحكومة التركية ، جاء فيه أن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بالسيادة العثمانية المزعومة على ساحل قطر ، وأنها لا تقبل زعم تركيا بالسيادة على البحرين التي هي تحت الحماية البريطانية وأنها سوف تتخذ كل الإجراءات الكفيلة بحماية هذه الجزر من العدوان . ومرة ثانية في ٢٢ أغسطس ، قدمت حكومة صاحبة الجلالة مذكرة للسفير التركي في لندن جاء فيها أنها سبق وأبلغت الباب العالي غير مرة أنها لا تعترف بسيادة تركيا على ساحل قطر ، وأنها كذلك أشارت إلى أن البحرين تحت الحماية البريطانية.

تدمير اسطول الاعداء والاستيلاء عليه ٦ سبتمبر ١٨٩٥ :

أما في مسرح الأحداث فكانت الأمور تقترب من أزمة خطيرة . ففي ١٩ أغسطس كتب متصرف الأحساء خطاباً متعالياً إلى المقيم السياسي يتهمه فيه بخرق السلام على ساحل نجد باستيلائه على القوارب ، وينذره بأن أهل قطر مصممون على مهاجمة البحرين وأنه قد بذل جهده لمنعهم عن ذلك لكنه لا يستطيع الاستمرار طويلا ، ثم طلب رد القوارب التي استولى عليها القائد بيللي ، ونصح بنقل رعايا بريطانيا من البحرين خلال فترة أقصاها ١٧ يوماً ابتداء من ١٩ أغسطس .

واقترح الرائد روس المقيم السياسي الرد على هذا الخطاب

بتحميل المسئولين الاتراك المسئولية الكاملة عما حدث ، واقترحت حكومة الهند – بتفويض من حكومة صاحبة الجلالة – استرداد القوارب المحتجزة في الزبارة بالقوة ، ولكن في نفس الوقت ، وبالتحديد في ٥ سبتمبر ، تسلم القائد بيللي تقريراً مؤداه أن السفينة « بيجون » التي كانت قد ارسلت لمراقبة اسطول الأعداء قد أطلقت عليها النيران ، كما طلب منها المدير التركي مغادرة مكانها فوراً ، وأضاف المدير إلى ذلك تهديدات ذات طابع عدائي مؤكداً أن الشيخ جاسم شيخ الدوحة سيقوم بالهجوم على البحرين ، وأن السلطات التركية ستقدم اليه كل معونة لازمة . وفي اليوم التالي ، يوم ٦ سبتمبر سار القائد بيللي بنفسه إلى الزبارة حيث وجد قوارب قطر مسلحة ومستعدة للعمل ، وأيقن أن الطريقة الوحيدة لإنقاذ البحرين من الغزو الذي يهددها هي تدمير اسطول العدو وسفنه ، وكانت الفترة التي حددها متصرف الأحساء كمهلة قد انقضت . وهكذا ، وبعد إنذار مدته ساعة واحدة ، فتحت السفينة «سفنكس» و السفينة«بيجون» نيرانهما على القوارب فدمرتا ٤٤ قارباً في فترة خاطفة . وفي صباح ٧ سبتمبر كان المدير التركي قد اختفى واختفى معه العلم التركي ، ورفع الشيخ جاسم علم عمان المتصالحة وطلب العفو عنه زاعماً أن هذه القوارب لم تجتمع من تلقاء نفسها وإنما تم ذلك بأمر من متصرف الأحساء. وقبل الشيخ جاسم الشروط المبدئية التي أملاها القائد بيللي والتي انحصرت في ضرورة نزوح آل بن علي فوراً عن الزبارة ، وأن يصرف الشيخ جاسم حشود البدو التي اجتمعت حوله . وأدت هذه الإجراءات الفعالة إلى نقل ما يزيد عن ١٢٠ سفينة إلى البحرين علاوة على ما تم تدميره أو إعطابه .

تسوية مع الشيخ جاسم والقبائل المعتدية سبتمبر ١٨٩٥ :

وفيما عدا سلطان بن سلامه وقلة من أنصاره فقد رجع آل بن علي إلى البحرين ولكن بقيت مشكلة عقاب الشيخ جاسم وحلفائه معلقة ،

واخيراً أبلغ الشيخ في فبراير ١٨٩٦ أنه يجب عليه دفع غرامة قدرها ٣٠ ألف روبية وإلا فستدمر السفن التي تم الاستيلاء عليها من الزبارة ، ورفض الشيخ جاسم الدفع على أساس ألا علاقة له بهذا الأمر ، وعلى ذلك .. وبعد إطلاق سراح ٣ سفن كانت تابعة للبحرين دون عقوبة ، وبعد افتداء ١٧ سفينة أخرى لآل بو كواره – بتصريح من المقيم البريطاني – في مقابل دفع مبلغ ٦٣٨٦ روبية ، تم حرق باقي السفن التي لم يتقدم أصحابها لافتدائها حيث كانت راسية خارج البحرين في إبريل ١٨٩٦ .

وضمت هذه المبالغ بالنظر لعدم وجود تعويضات تدفع في هذه الحالة إلى الدخل الرسمي للهند . وقد لقيت الخدمات التي قام بها القائد بيللي الضابط البحري الأول والضباط العاملون معه كل تقدير من جانب السلطات البحرية المسئولة بعد أن رفعت حكومة الهند رأيها بذلك ، ولقي تصرف بيللي خصوصاً في الزبارة التنويه والتقدير . وكان الجانب الأشد إرهاقاً في هذه العملية هو اضطراره للبقاء فترة طويلة في الاسابيع التي سبقت العمل الحاسم في جو ملتهب الحرارة .

وعادت العلاقات الودية مع قطر سنة ١٨٩٦ حين بدأت التجارة تنتظم رسمياً بين اسواق البحرين وقطر .

احتجاج من جانب تركيا ١٨٩٦ :

وقد احتج الباب العالي على عمل السفن الحربية البريطانية في الزبارة ، على أساس أنها قامت بهجوم على قبيلة مستقرة في أرض تركية ، الأمر الذي يتعارض مع العلاقات الودية القائمة بين الحكومتين البريطانية والتركية . وردت الحكومة البريطانية فقط بأن أشارت إلى الاتصالات التي تمت بين الحكومتين في العام السابق واضافت أن هذه الإجراءات التي اتخذت كانت ضرورة تحتمها حماية البحرين ، وأن حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع الاعتراف بأن الساحل الذي تقع عليه الزبارة تابع للامبراطورية العثمانية .

التاريخ العام للبحرين وسياسة بريطانيا تجاه هذه المشيخة منذ محاولة غزوها سنة ١٨٩٥ حتى قطع العلاقات سنة ١٩٠٤

وبعد فشل الهجوم على البحرين –وربما كنتيجة له إلى حد ما– بدأت أحوال هذه الإمارة تتبع خطاً مخالفاً فقد حدث تغير واضح في الموضوعات ذات الاهمية والاهتمام . فلم تعد مزاعم تركيا بعدئذ أسباباً للنزاع ، وتقدمت التجارة وازدهرت ازدهاراً عظيماً ، وتوجه اهتمام الحكومة البريطانية –وقد زاد نفوذها الآن كثيراً عما كان عليه من قبل– الى مشاريع التنمية والإصلاح في الداخل ، وإلى الحذر من المنافسة السياسية مع سواها من الدول الأجنبية . ولهذا يستحيل الفصل بين السياسة البريطانية في البحرين والمجرى العام للأحداث فيها ، وسنتناول هذين الموضوعين معاً ودون تفريق بينهما فيما يلي .

تنظيم وراثة الحكم في البحرين والشئون الداخلية للاسرة الحاكمة ١٨٩٧ – ١٩٠٤ :

وقد ظن الشيخ عيسى ، لأسباب لم يوضحها في حينها ولم يبح بها بعد ذلك أيضاً ، أن من الضروري ترتيب الأمور بحيث تنتقل مشيخة البحرين إلى أبنائه بعد موته، وفي أكتوبر سنة ١٨٩٧ وعلى وثيقة مكتوبة وقع عليها عدد كبير من وجهاء الناس في البحرين جعل الشيخ عيسى من ابنه حمد خلفاً له . وفي نوفمبر من نفس السنة قام حمد بزيارة المقيم السياسي البريطاني رائد ميد في بوشهر ، وفي فبراير ١٨٩٨ وبمناسبة زيارة ميد للبحرين – طلب اليه الشيخ عيسى اعتراف الحكومة البريطانية بابنه حمد ولياً للعهد . ونشير أيضاً إلى أن الشيخ سبق أن أفصح عن رغبته في سنة ١٨٩٠ بالاعتراف رسمياً بابنه الأكبر سلمان خلفاً له ، ولكن حتى موت سلمان بالقرب من الرياض أثناء عودته من الحج في نوفمبر سنة ١٨٩٣ لم يكن الشيخ عيسى قد اتخذ أية

خطوات أخرى في هذا السبيل . وأوصت حكومة الهند بالاعتراف بتنصيب حمد ولياً للعهد على أساس أن هذا سيمنع الصراع على من يخلف الشيخ عيسى بعد موته ، وصدقت حكومة صاحبة الجلالة على ذلك في نهاية سنة ١٨٩٨ ، لكن المقيم أرجأ إعلان هذا التصديق لأن الشيخ في ذلك الوقت كان يطالب بتعديل نظام العوائد في البحرين .. فلا يجد أذنا صاغية لهذه النصيحة . وأخيراً .. ورغم عناد الشيخ عيسى في موضوع العوائد هذا فقد تم إبلاغه بهذا التصديق رسمياً في ١٢ فبراير سنة ١٩٠١ ، وقيل إن الشيخ حين تلقى هذا الإبلاغ سالت دموعه فرحاً وابتهاجاً .. ووزع الهدايا على أفراد الاسرة الحاكمة وعلى الشعب في البحرين .

وفي سنة ١٨٩٩ برز الخلاف القائم بين الشيخ عيسى وابن أخيه علي بن أحمد ، وكان في هذا الخلاف بعض التبرير لمخاوف الشيخ في السنة الماضية حول تنصيب ابنه حمد ولياً للعهد . وكانت العلاقة بين هؤلاء الاقارب معقدة بعض الشيء .. لأن أم علي بعد طلاقها من أحمد تزوجت الشيخ عيسى وولدت له ابنه حمد .. وهكذا كان علي وحمد أخوين غير شقيقين وابني عم ، وكانا أيضاً غريمين . وكان الشيخ أحمد –أبو علي وشقيق الشيخ عيسى الاصغر– يحصل على نصف عوائد الإمارة طوال حياته كما رأينا ، وكان يعاون الشيخ عيسى في الحكم باتفاقية بينهما ، وكان بيته قصراً فاخراً متميزاً في مدينة المنامة يعرف باسم « بيت الشيخ » ، وكانت إقامته في هذا البيت ترتبط في أذهان العامة في البحرين بحكم المنامة .

وظل علي بن أحمد –بعد موت أبيه في سنة ١٨٨٨– وبتفويض من الشيخ عيسى يشغل بيت الشيوخ ويرفع علم البحرين على سارية أمامه ، وبتقدمه في السن بدأ ينزع الى تأكيد شبه استقلاليته ، متشجعاً بذلك بقلة مبالاة الشيخ عيسى بتفاصيل الحكم والإدارة في المنامة . وفي فبراير ١٨٩٨ شكا أحمد بن علي للرائد ميد أن عمه كان يبعده عن أملاكه ويمنع

عنه دخله الذي يعتقد أنه آل اليه بالميراث ، وفي نوفمبر من نفس العام أرسل يطلب معونة المقيم البريطاني على الفور . وحين فوتح الشيخ عيسى بالتحقيق في هذا الأمر وجه إلى علي اتهامات بالتدخل في حكم البحرين وبتكوين حزب معارض لحكومة الشيخ . واخيراً ، وبحضور الرائد ميد أعلن عن خضوعه الكامل للشيخ عيسى ، وعقد مجلس العائلة وتم الاتفاق على ان يمنح الشاب راتباً شهرياً قدره ٦٠٠ روبية إلى جانب مبلغ ٨٠٠ روبية في كل سنة ، وسمح له بامتلاك اراض خصبة في الجزر. لكن هذه الاتفاقية لم تكتب . وظل علي ساخطاً كما هو وفي يونيو سنة ١٩٠١ زار مسقط حيث شكا للسلطان من المعاملة التي يلقاها من عمه ومن السلطات البريطانية معاً ، وكان ينوي أن يجتمع بمسيو اوتافي —القنصل الفرنسي في مسقط— لولا غياب هذا الأخير عنها في ذلك الوقت في صور . عند ذلك اقترح مساعد الوكيل السياسي في البحرين —وصدق الميجور كوكس المقيم السياسي على هذا الاقتراح— بأن يعلن قرار الحكومة البريطانية بتأييد شيخ البحرين ما ظل على الوفاء بالتزاماته نحوها في اجتماع عام علني بالبحرين . غير ان حكومة الهند التي كانت تتطلع في ذلك الوقت إلى إحداث شيء من التغيير في تمثيلها السياسي في البحرين قررت إرجاء قرارها حتى يتم اولاً هذا التغيير .

وفي سنة ١٩٠٢ مات رشيد الابن الثالث للشيخ عيسى بعد مرضه بالسل . وفي سنة ١٩٠٤ توجه الابن الثاني للشيخ للحج وزار القاهرة حيث استقبل كضيف على المعتمد البريطاني .

محاولات السلطات البريطانية إنشاء ادارة أفضل للعوائد في البحرين ١٨٩٩ — ١٩٠٣ :

وقد بدأ نظام العوائد يدار بطريقة منتظمة في البحرين ابتداء من سنة ١٨٠٠ تقريباً حيث ظل تحت الأدارة المباشرة للحاكم حتى سنة ١٨٨٨ حين استحدث نظام أكثر دقة يتمثل في مجموعة من الملتزمين

الذين يجمعونها محلياً وكان معظمهم من التجار الهنود . وحوالي وقت حدوث هذا التغيير كانت التجارة في البحرين قد بدأت تمتد وتزدهر بفضل المجهودات البريطانية. وفي سنة ١٨٩٩ تبين ان التجارة قد زادت في أقل من ١٠ سنوات بنسبة أكثر من ٤٠٪ لكن مالية الشيخ لم تحقق ازدياداً بهذه النسبة او قريباً منها ، فمعظم الربح يدخل جيوب هؤلاء المتعاقدين الملتزمين بجمع الضريبة . وظل الشيخ يلجأ الى فرض ضرائب جديدة غير منتظمة لزيادة موارده المالية . وفي سنة ١٨٩٩ كانت حكومة الهند ترى أن من المرغوب فيه ان يتحسن نظام الجمارك في البحرين ليصبح أكثر فعالية وانتاجاً ، وأعدت العدة كي تطلب من الشيخ القيام بالاصلاحات مرتبطاً بنظام المتعاقدين هذا لأنه كان ييسر له الحصول على اموال نقدية سائلة وقت ما يريد ، فضلاً عن أنه كان يعفيه من التعامل مباشرة مع دافعي الضرائب . غير ان السبب الحقيقي لرفضه العنيد هذه الإصلاحات هو أنه كان يرى في قبول نصيحة البريطانيين في هذا الصدد وقبوله عمل موظفين منهم في جمع ضرائبه أمراً مهيناً لكرامته واستقلاله . وفي ٧ أكتوبر ١٨٩٩ خرق الشيخ الوعد الذي قطعه على نفسه بألا يحدد عقود الضرائب القائمة دون ان يرجع للمقيم البريطاني حيث أصدر تجديداً لمدة سنتين مدفوعاً بحاجته الماسّة إلى المال ، وكان ابتداء التجديد من ١٠ مارس سنة ١٩٠٢ .. وفي هذا التاريخ كان قد تم الالتزام بالضرائب . ورفع الشيخ في نفس الوقت النسبة العامة للضريبة من ٤ إلى ٥٪ دون أن يشير إلى السلطات البريطانية مسبقاً برغبته في ذلك لم يكن بوسع أحد الاعتراض على ذلك التدبير رغم خشونته ومنافاته للذوق .

١٩٠٠ :

وفي بداية سنة ١٩٠٠ عين موظف بريطاني في البحرين كما ذكرنا قبلا ، ولم يفلح الشيخ في إخفاء العقود الجديدة التي منحها للملتزمين بالضرائب ، ورفض قرضاً عرضته عليه الحكومة البريطانية كي يسدد

منه الديون المستحقة عليه لهؤلاء الملتزمين لينهي عقودهم ، كذلك رفض تدخل السلطات البريطانية حين تحولت إلى الضغط على هؤلاء الملتزمين ، ومعظمهم من رعايا بريطانيا — كي يلغوا تعاقداتهم .

١٩٠١ :

وقرب نهاية سنة ١٩٠١ اوصى سير ن. أوكونر السفير البريطاني في القسطنطينية بتعيين مدير بريطاني لضرائب البحرين كدليل عملي أمام تركيا على سيطرة بريطانيا على البحرين . ومن جديد بدأ الضغط على شيخ البحرين كي يقبل قرضاً يدفع منه ديونه للملتزمين لكن الشيخ —رغم أن وضعه المالي كان يتدهور بسرعة— رفض العرض ، وأعلن في نفس الوقت اعتزامه أن يسيطر على العوائد بطريقة مباشرة لكنه كان يعد العدة لتجديد الامتياز لهؤلاء الملتزمين فترة جديدة بشروط أفضل . وأخيراً .. وفي نهاية سنة ١٩٠١ أصبح من المعروف أن الشيخ عيسى قد جدد التزام الملتزمين الموجودين بالفعل حتى نهاية فبراير سنة ١٩٠٦ .

١٩٠٣ :

وظلت مشكلة الضرائب في البحرين على حالها حتى كانت جولة اللورد كيرزون في الخليج في نوفمبر سنة ١٩٠٣ .. وكانت هي الموضوع الرئيسي للمفاوضات التي دارت بين صاحب العظمة نائب الملك والشيخ عيسى . وعجز الشيخ عيسى عن تقديم أسباب مقنعة بأن نظام الضرائب المقترح يسيء إلى مصالحه أو ينتقص منها ولم يستطع أن يجيب على الحجج التي ساقها اللورد كيرزون بأن هذا النظام الجديد سيخلصه من ازماته المالية ، وسيزيد من دخل الإمارة ، كما سيهيء وضعاً ثابتاً لابنه وخليفته حمد الذي وافقت حكومة الهند على الاعتراف به . ولجأ الشيخ إلى تأكيد أن المشكلة تخصه هو وحده ، واقترح أن يؤجل هذا الامر حتى موته ، ثم قال أخيراً إنه لا بد ان يشاور ابنه وأخاه في الأمر . فأصدر صاحب العظمة إنذاراً نهائياً اليه بأن هذه المشكلة لن يمكن إهمالها ، وهذا الامر لن يمكن استمراره طويلا ، وبهذا الانذار انتهت المقابلة .

١٩٠٤ :

وكشف التحقيق الذي أجراه المقيم العام . — الرائد كمبول — بعد زيارة اللورد كيرزون عن ان الامور أسوأ بكثير مما كان متصوراً . فقد تبين ان الشيخ قد أصدر ترخيصات لهؤلاء الملتزمين بجمع ضريبة نسبتها ٥٪ حتى إبريل ١٩٠٦ ، وبنسبة ٤٪ حتى يناير ١٩٠٨ . وكانت المبالغ الإجمالية لهذه العقود كما يلي :

سنة ١٩٠٣	١١٦ ٢٠٠ روبية
« ١٩٠٤	١١٧،٥٠٠ روبية
« ١٩٠٥	١٢٣ ٢٠٠ «
« ١٩٠٦	٩٦ ٢٠٠ «
« ١٩٠٧	٩٦ ٢٠٠ «

أي أن المبلغ الاجمالي هو ٥٤٩ ٣٠٠ روبية .. وفي مقابل هذا المبلغ كان الشيخ قد سحب مبالغ تصل إلى ٢١٢ ٠٠٠ من الملتزمين بل وأكثر من ذلك فقد تبين أن العوائد التي تدفع بالفعل في حالة الإدارة المباشرة تصل حوالي ٣٥٠ ٠٠٠ روبية في السنة أي ثلاثة أضعاف ما كان الشيخ يحصل عليه تقريباً .

وكان إرغام الشيخ عيسى على قبول الاصلاحات الضرورية أمراً يسيراً .. ولكن كان من المرغوب فيه أن يوافق هو عليها من تلقاء نفسه ، لهذا اوقفت هذه المشكلة حتى تستطيع حكومة الهند إحداث تغيير في طابع تمثيلها السياسي بالبحرين في سبيل مزيد من السيطرة على الشيخ . ويجب أن نشير هنا إلى أن سياسة الملتزمين هذه كانت ضعيفة ومرضية للتجار جميعاً .. ولم تكن تصيب التجارة الخارجية بأية أضرار .. لكنها كانت تلحق بحكومة البحرين خسارة كبرى .

التمثيل السياسي البريطاني في البحرين :

وفي سنة ١٨٩٩ ساد شعور بأن الوقت قد حان لإبدال الرجل

البحريني الذي يمثل الحكومة البريطانية في البحرين بمسئول بريطاني . وفيما مضى وقبل انقاص عدد العاملين في مقيمية بوشهر سنة ١٨٧٩ ، كان أحد مساعدي المقيم يرسل أحياناً ليقيم في البحرين ، ومن هذا الوقت تطورت المصالح البريطانية في البحرين ولا سيما المصالح التجارية تطوراً كبيراً . وكان الوكيل البريطاني في سنة ١٨٩٩ تاجراً من أهل البلاد اسمه أغا محمد رحيم وكانت طباعه مختلفة عن طباع شيخ البحرين. ولم يكن للشيخ أي نفوذ عليه بالمرة ، كما أنه لم يكن بريئاً كل البراءة من تهمة استغلال مكانته هذه لتحسين مصالحه التجارية الخاصة ، ولم تكن حماية الرعايا الهنود من التجار من الاضطهاد والمظالم الصغيرة التي تقع عليهم حماية كاملة ، كما أن تسوية مشاكلهم أيضاً لم تكن تتم بالسرعة المطلوبة .

١٩٠٠ :

وهكذا . وفي يناير سنة ١٩٠٠ تم تعيين موظف بريطاني في البحرين كاجراء موقت . . وفي نهاية السنة وبموافقة وزير الدولة أصبح التعيين وظيفة دائميه . وكان مستر ف. ب. بريدو مساعد الوكيل السياسي السابق في بوشهر أول من شغلها . وقد وصل إلى المنامة وتسلم مهام عمله في ١٠ فبراير سنة ١٩٠٠ .

وخلال سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ بُني مقر رسمي لمساعد الوكيل السياسي على شاطىء مدينة المنامة بتكاليف بلغت ٣١,٤٧٠ روبية . وكان لدى إنجازه أفخر بيت في الجزيرة الكبرى بالبحرين .

١٩٠١ — ١٩٠٢ :

وفي سنة ١٩٠٢ دار البحث حول تفويض المساعد السياسي في البحرين بالصلاحيات التي يخولها قانون السفن التجارية ، وبصلاحيات موثق العقود . وتقرر في النهاية عدم اتخاذ أي شيء في هذا السبيل لأن القضية لم تكن ملحة من ناحية ، ولوجود عقبات فنية من الناحية الاخرى.

وفي سنة ١٩٠٤ وبعد فشل كل المحاولات التي تمت لإقناع شيخ البحرين بقبول إصلاح نظم جمع العوائد في إمارته اقترحت حكومة الهند —وصدقت حكومة صاحبة الجلالة على هذا الاقتراح— تعزيزاً جديداً لممثل السياسة البريطانية في البحرين ، وذلك بتعيين مسئول من القائمة المعتمدة في مكتب الهند بدلا من المسئول المساعد الذي صدر القرار بتعيينه في سنة ١٩٠٠ . وتم حدوث هذا التغيير في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٠٤ ، وبدل مستر جاسكين جاء الكابتن ف. ب. بريدو الذي رقي بعد فترة قصيرة إلى منصب وكيل سياسي . وزود بفرقة من المشاة الهندية قوامها ٣٠ جندياً .

حماية الرعايا البريطانيين :

وخلال هذه الفترة التي نحن بصددها كانت الاخطاء التي ترتكب في حق الرعايا البريطانيين قليلة كما كانت الأعمال المسيئة لهيبته بريطانيا العظمى قليلة كذلك ، ولن نشير إلا الى حادثتين فقط جديرتين بالذكر .

١٨٩٧ :

ففي سنة ١٨٩٧ استطاع التاجر المفلس السيد خلاف الفرار من حبس شريده —أحد مسئولي الحاكم— ولجأ الى بيت رجل يدعى محمد خليل كان يعمل وكيلا للمقيمية البريطانية ، لكن شريدة دخل وراءه وأخرجه من البيت بمساعدة رجل آخر على رغم احتجاجات الوكيل . واعتبر الرائد ميد المقيم السياسي هذه الحادثة — وان لم يكن السيد خلاف متمتعاً بحق الحماية البريطانية— عملا مهيناً وغير لائق بهيبة بريطانيا ، وطلب تغريم كل من شريده ورفيقه مبلغ ٥٠٠ روبية ، مع تقديم اعتذارات كتابية منهما عن هذا السلوك . ووافق شيخ البحرين فوراً على هذا الطلب .. وتم إيداع مبلغ الغرامة المستحقة باسم حكومة الهند في صندوق بوشهر .

١٨٩٩ :

وفي سنة ١٨٩٩ حدثت حادثة كشفت عن ضعف الشيخ عيسى كحاكم .. بل ووضعت قضية إخلاصه للحكومة البريطانية موضع الشك . فقد كان للشيخ مخزن وضع فيه كمية من الأسلحة وكان المخزن ملكاً لوكالة فرانسيس وتايمز البريطانية - الإيرانية ، لكن ملكيتها في ذلك الوقت كانت قد نزعت بأمر من السلطات السياسية البريطانية . وقد وقع هجوم اجرامي على هذا المكان في الليل ، جرح فيه اثنان من الهنود ، من رعايا بريطانيا وكانا يشغلان جانباً من المخزن ، وهما اللذان أفسدا كل شيء بظهورهما المفاجيء أمام المهاجمين . وتبين أن زعماء الهجوم هم شريده - نفس المسئول المقرب من الحاكم الذي أشرنا اليه - وابنه فهد وشخص يدعى صالح بن رشيد كان من اقدم خدم الشيخ وأخلصهم . وتردد الشيخ في اتخاذ الإجراء السليم في القضية ، وبعد ضغط شديد من جانب السلطات البريطانية رضخ الشيخ لطلب إبعاد المعتدين من البحرين ودفع مبلغ ١٠٠٠ روبية على سبيل التعويض منها ٤٠٠ روبية للوكالة البريطانية -الايرانية و ٥٠٠ روبية للجرحى من الهنود ، واستولت الحكومة على باقي المبلغ . وعاد شريده وابنه إلى البحرين بعد عدة شهور دون موافقة حكومة الهند فأعيد طردهما .. وبعد أن استمر نفيهما حوالي السنة ، رفع الحظر عنهما بعد أن تعهد الشيخ بأن يكون مسئولا عن سلوكهما في المستقبل .

مشكلة متعلقة بالتجارة البريطانية :

وفي يونيو ١٩٠٠ قام مستر فان لينيب مدير فرع البنك الامبراطوري البريطاني في ايران بزيارة البحرين واوصى بفتح فرع للبنك فيها . وهكذا افتتح مكتب تجريبي صغير في المنامة ، وعهد بادارته إلى مواطن عربي من رعايا بريطانيا ، لكن التجار الهنود الذين كانت لهم على الشيخ ديون كثيرة استطاعوا إقناعه بعدم تشجيع هذا المصرف على الاستمرار..

وأغلق المكتب التجريبي في المنامة بعد شهرين . وفي سنة ١٩٠٣ تبين أن ضرائب الشحن في البحرين قد زيدت لنسبة مرتفعة هي ٢,٥٪ على كل أنواع البضائع ، ولكن لم يمكن اتخاذ أي إجراء بهذا الصدد لعدم وجود اتفاقية مع الشيخ حول الموضوع ، ولأن الشيخ كان بالفعل قد منع الامتياز على أساس هذه النسبة . وعلى أية حال .. فقد شرح للشيخ عيسى بأوامر من حكومة الهند بأن أرباحه هو لن تزيد شيئاً برفع نسبة العوائد على الشحن . وكانت ثمة صعوبات طبيعية كثيرة تعوق إنزال شحنات البضائع في المنامة ، وقد أمكن التغلب على بعض هذه الصعوبات سنة ١٩٠٤ حين بنى الشيخ رصيفاً للرسو كلفه حوالي ٣٠ الف روبية ، وتم فرض ضريبة معتدلة على استخدام هذا الرصيف بموافقة حكومة الهند ورأيها .

أمور أخرى :

وقد قامت سفينة البحرية الهندية «انفستيجيتور» بعملية مسح بحرية كاملة لميناء المنامة ومداخله في شتاء ١٩٠١–١٩٠٢ ، وفي سنة ١٩٠٤ قام عالم إخصائي بفحص رواسب اسفلتية عثر عليها بالقرب من جبل الدخان سنة ١٩٠٢ ، واكتشفت فيها كمية من حجارة القطران ، ولكن تبين أن وجودها أقل مما يسمح باستغلالها تجارياً فأهملت .

وقد زار اللورد كيرزون نائب الملك في الهند بزيارة البحرين خلال يومي ٢٦ و ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٠٣ أثناء جولته بالخليج المذكورة بالتفصيل في مكان آخر .

وفي ١٩٠١ اقترح صاحب أكبر نسبة من رأسمال الوكالة الهندية جانجا رام وتيكام داس وشركاهما إنشاء مستشفى خيري في البحرين لتخليد ذكرى صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا ، وتبرع بمبلغ خمسة آلاف روبية لفتح باب الاكتتاب ، وقد أمكن جمع حوالي ١٥ الف روبية أخرى ، واعتبر مبلغ العشرين الف روبية كافياً لتشييد مبنى المستشفى

ومساكن العاملين فيه ، وتطوعت حكومة الهند بتزويد المبنى بالأجهزة والمعدات اللازمة .. وتم افتتاح المستشفى أخيراً في سنة ١٩٠٥ .

وفي سنة ١٩٠٣ انتشر الطاعون في البحرين .. وكذلك الكوليرا سنة ١٩٠٤ ، وتفاصيل هذين الوباءين موجودة في الملحق الخاص بالاجراءات الصحية وتنظيمها .

★ ★ ★

التاريخ الداخلي لمشيخة البحرين خلال نفس الفترة ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

نزاع بين آل بن علي والعمامرة :

في نوفمبر سنة ١٨٩٥ نشب نزاع دموي بين قبيلة آل بن علي التي كانت هجرتها من الزبارة في مارس السابق سبب الاضطراب وبين العمامرة في البحرين ، وقتل العمامرة سلطان بن سلامة زعيم ذلك القسم من آل بن علي الذي كان يرفض الرجوع إلى البحرين وكان وحده في قارب بالقرب من رأس تنوره على ساحل الأحساء . وفي ديسمبر تلقى المقيم السياسي التماساً من عائلة القتيل سلطان بن سلامه يشكون من أن الشيخ عيسى هو الذي حرض على قتل سلطان وحرمهم من ممتلكاتهم في البحرين ، وكتب الرائد ويلسون بمعنى ذلك إلى الشيخ يطلب منه إحقاق العدالة كما تقضي بها قوانين العرب لكن تردد الشيخ عيسى في اتخاذ إجراء نحو العمامرة عزز الشكوك التي كانت تدور حوله . وفي سنة ١٨٩٦ جمع علي ــأحد أبناء سلطانــ أنصاره من البدو وحاولوا إغراء بعض آل بن علي الذين عادوا إلى البحرين للاشتراك معهم في الانتقام من العمامرة لكنه فشل في ذلك . إلا أن بعض آل بن علي الذين تعاطفوا معه غادروا البحرين وانضموا له في الغارية بقطر .. ومن الغارية ارتكبت عملية قرصنة على قارب تابع للبحرين ، وأعقبها عدة مناوشات وشغب بين بعض قوارب آل بن علي وبعض قوارب العمامرة كما هو مذكور في تاريخ قطر .

علاقات البحرين بتركيا خلال نفس الفترة
١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

بعد كبح جماح سياسة تركيا عقب فشل محاولة غزو البحرين من الزبارة في سنة ١٨٩٥ أصبحت السلطات العثمانية في الأرض المجاورة لا تمارس كثيراً من التدخل او الاهتمام بشئون الجزر .

وفي سنة ١٨٩٧ اقترح مكتب الصحة في القسطنطينية افتتاح مركز صحي في البحرين ، لكن المشروع رفض نتيجة معارضة الوفد البريطاني الذي أكد أن البحرين إمارة مستقلة تحت الحماية البريطانية . وفي ١٨٩٥ طلب الباب العالي الذي اعترف بسماحه بانشاء وكالة قنصلية بريطانية في البحرين من حكومة صاحبة الجلالة تقديم أوراق الاعتماد اليه ، ولكن تقرر الرد عليه بأن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بحقوق الحكومة التركية في أن تقدم اليها اوراق الاعتماد بالنسبة للبحرين . وقرب نهاية سنة ١٩٠٠ اغتال بعض البدو من قبيلة مرة سلمان بن دعيج ابن عم شيخ البحرين كما قتلوا بضعة أفراد كانوا معه في الظهران وهم في رحلة صـــيد وترد هذه الحادثة والنتائج التي أدت إليها ضمن تاريخ الأحساء .



العلاقات مع ايران خلال نفس الفترة
١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

مشكلة الوضع السياسي لاهالي البحرين في ايران ١٨٩٩ :

في سنة ١٨٩٩ أثار الوزير الفرنسي المفوض في طهران مشكلة حق أهل البحرين المقيمين في إيران في الحماية البريطانية بمناسبة شكوى قدمها أحد الرعايا الإيرانيين الحاصلين على الحماية الفرنسية ضد أرملة مواطن

من البحرين ، وكانت هذه المرأة ابنة عبد قد أعتق مؤخراً . وقد رفعت إلى الممثل السياسي البريطاني نظراً لاتهامات عديدة بسوء السلوك قدمها المسئول القنصلي الفرنسي ضد وكيل المقيمية البريطانية في لنجة ، وضد الوزير المفوض البريطاني . وبناء على اقتراح المقيم في الخليج -على ما يبدو- وتصديق حكومة الهند على هذا الاقتراح جاء بالرد أن شيخ البحرين مرتبط منذ سنة ١٨٨٠ باتفاقية تمنعه من عقد أية اتصالات مباشرة بينه وبين أية دولة أجنبية باستثناء بريطانيا . وأن رعاياه بالتالي تحت الحماية البريطانية .

زيارة مسئول من الجمارك الايرانية للبحرين ١٩٠١ :

وفي أول أغسطس سنة ١٩٠١ قام المدير البلجيكي للعوائد في إيران بزيارة للبحرين في باخرة إيرانية حكومية والتقى بالشيخ وأبلغه أنه مفوض من الشاه في أن يعرض عليه وضع موظفين إيرانيين للعوائد في البحرين ، على أن تكون مهمتهم هي فحص الأختام الموضوعة على شحنات السفن أثناء وجودها في آخر ميناء ايراني ثم إعادة فحص هذه الأختام بعد إبحار السفن من البحرين . كما زار هذا المسئول البلجيكي أيضاً الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وأبلغه أن السفن التي ترفض الالتزام بهذه الإجراءات في البحرين ستطرد بعد ذلك من الموانى الإيرانية .

وبعد احتجاج قدمه الوزير البريطاني المفوض في طهران عبّر رئيس الوزراء في إيران عن دهشته وأسفه لما حدث . وأعلن -وكذلك أعلن وزير الجمارك- أن هذه الإجراءات التي إتخذها مدير الجمارك لم تصدر له بتفويض من أحد .



المصالح الامريكية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

خلال هذه السنوات العشر التي نتناولها هنا بدأ المركز . الذي أنشأته الارسالية العربية التابعة لكنيسة الإصلاح الهولندية يستثير الاهتمام ، وكان هذا المركز قد انشيء في البحرين سنة ١٨٩٣ . وفي فبراير ١٨٩٩ طلب مستر زويمر مؤلف : « الجزيرة العربية ، مهد الإسلام » ورئيس هذه الإرسالية عون الرائد ميد المقيم السياسي البريطاني لشراء مقر للإرسالية لكن حكومة الهند رأت الا داعي لتدخل السلطات البريطانية في هذا الأمر وأشارت على مستر زويمر بأن يشتري الأرض التي يشاء . وبعدها بقليل بدأت الشكاوى تتواتر من شيخ البحرين وغيره من السكان من هجوم مستر زويمر والملتفين حوله على الدين الاسلامي . وكانت حكومة الهند تتلهف لاتخاذ إجراء من جانب حكومة صاحبة الجلالة لسحب هؤلاء المبشرين نتيجة ما يتهددهم من عنف محتمل . لذلك تم اتصال بين وزارة الخارجية وسفارة الولايات المتحدة الامريكية في لندن انتهت إلى إرسال خطاب من المكتب التبشيري الامريكي لمستر زويمر بتوخي منتهى الحرص اللازم في أداء واجباته .. وبعد أن فقدت أعمال هؤلاء المبشرين جدتها ، لم تعد ثمة شكاوى تتردد من شيخ البحرين او من رعاياه بشأنهم ، وفي إبريل سنة ١٩٠١ سأل مستر زويمر المقيم البريطاني عما اذا كان ثمة اتفاقية بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين تمنع هذا الأخير من أن يبيع ـ او يسمح ببيع ـ أرض للإرسالية العربية كي تقيم عليها مبنى لمستشفى .. ورد الرائد كومبول بأنه لا يعرف شيئاً عن وجود مثل هذه العقبة . وكانت حكومة الهند تميل إلى اعتبار رد الرائد كومبول متعارضاً مع الاتفاقية الشاملة لسنة ١٨٩٢ ، غير أن حكومة صاحبة الجلالة حسمت الأمر بأن ردت بأنه في مثل هذه الحالات التي لا يخشى فيها من انتقال حقوق السيادة .. أو أية حقوق إدارية أخرى . فلا داعي لإعلان نصوص هذه الاتفاقية (١٨٩٢) علناً .

وقد تم افتتاح اول مستشفى وعيادة خارجية في البحرين يضمان ٢١ سريراً بواسطة هذه الإرسالية في سنة ١٩٠٢ باسم «مستشفى ماسون التذكاري» . ومن اول نوفمبر سنة ١٩٠١ جددت حكومة الهند خدمات الطبيب الذى كانت ألحقته بالإرسالية العربية لفائدة الممثل السياسي في البحرين ، وفي سنة ١٩٠٣ ورغم قرار إنشاء «مستشفى الملكة فيكتوريا التذكاري » تقرر استمرار هذا الإجراء بالنظر إلى الخدمات التي تقدمها الإرسالية المذكورة .

★ ★ ★

المصالح الالمانية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

أدى إنشاء وكالة ألمانية تشتغل بتجارة اللؤلؤ في البحرين في سنة ١٩٠١ إلى إثارة عدة مشكلات سياسية ، فقد كانت هذه الوكالة فرعاً لمؤسسة في هامبورج هي تاروت وشتيركن وشركاهما ، وقد أنشأ هذا الفرع مستر ونكهاوس الذي كان شريكاً في فرع الخليج وعرفت باسمه ونكهاوس وشركاه . وكان مستر ونكهاوس هذا قد جاء إلى الخليج لأول مرة سنة ١٨٩٧ ، وظل مقيماً معظم الوقت في لنجة حتى سنة ١٩٠١ . وقد نجح أثناء زيارة لساحل عمان المتصالحة في الحصول على نسخ مدهشة في دقتها للاتفاقية المعقودة بين شيوخها وبين الحكومة البريطانية .. وإذا استثنينا وكالة المؤسسة البريطانية جراى وبول وشركاهم في بوشهر .. التي كان يمثلها منذ سنة ١٨٩٠ رجل من أهل البحرين يجيد الانجليزية في المنامة فقد كانت هذه الوكالة الألمانية اول وكالة اوروبية في البحرين .

منع استيراد المشروبات الروحية في البحرين ١٩٠٠ :

ولما كان لدى شيخ البحرين من الاسباب ما يحمله على الشك في أن هذه الوكالة الجديدة التى لم تكن افتتحت بعد ستميل إلى المتاجرة

بالمشروبات الروحية الرخيصة فقد نشر في سنة ١٩٠٠ أمراً يمنع تقديم المشروبات في البحرين وبمصادرة الشحنات الواردة منها إلى الجزر ، ولما كان هذا القرار لا يسري على الخمور التي يستوردها الاوربيون لاستهلاكهم الشخصي ، فلم تعترض حكومة الهند عليه .

مشكلة الوضع السياسي والحماية :

وسرعان ما برزت مشكلة شراء مستر ونكهاوس لبيت ، وحسمتها حكومة الهند في سنة ١٩٠٢ حين أفادت بأنه ما دامت القضية هي مجرد امتلاك قطعة من الأرض فقط فلا داعي للمعارضة في منح مستر ونكهاوس تصريحاً بذلك على أن يشرح له –هو وشيخ البحرين أيضاً– بأن هذا التصريح لا يعني على الإطلاق أية امتيازات إقليمية او يتيح أية علاقات مباشرة بين الممثل القنصلي لدولة أجنبية أو سواه من الممثلين السياسيين وبين حكومة البحرين .

وقد قررت حكومة الهند فعــــلا في سنة ١٩٠٠ متعلقاً بالسيد ونكهاوس أنه في حالة حدوث خلاف –تجاري أو غيره– بين واحد من رعايا دولة اوربية ومواطن من البحرين فعلى ممثل بريطانيا أن يمد حمايته لتشمل المواطن الاوربي ، وأن على الممثل البريطاني لدى الحاجة أن يؤكد حمايته له كما لو كان مواطناً بريطانياً .

★ ★ ★

المصالح الفرنسية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

في سنة ١٩٠٤ حين بدأ بعض رعايا فرنسا مشروعاً لصيد اللؤلؤ في الخليج بحث السفير الفرنسي في لندن ما إذا كان ثمة أي اعتراض على أن تصبح البحرين تابعة للوكالة القنصلية الفرنسية في بوشهر . وحين استشيرت حكومة الهند في ذلك اوصت بإرجاء الرد حتى تسوّى بعض المشكلات المعلقة بشأن صيد اللؤلؤ والتي نوردها في الملحق الخاص بذلك .

ولعلّه نتيجة ترحيل هؤلاء البحارة الفرنسيين من البحرين لم ترجع الحكومة الفرنسية مرة أخرى لتكرار ذلك السؤال .

★ ★ ★

قطع العلاقات بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥

سوء سلوك علي بن احمد . مايو – سبتمبر ١٩٠٤ :

أشرنا من قبل إلى الخلاف بين الشيخ عيسى وابن شقيقه علي بن أحمد . وفي بداية سنة ١٩٠٤ يبدو أن خلافاً جديداً قد نشب بينهما لأن الشيخ عيسى شكا للمستر جاسكن في مايو من نفس السنة من أن علي بن أحمد يجمع حوله عدداً من الأشرار لخدمته ، وأنه قد بدأ يمارس أعمال العنف والابتزاز ضد الناس ، ويبدي إحتقاراً لعمه ، بل ويشق عليه عصا الطاعة . واقترح عقد مجلس العائلة من جديد لتسوية هذه الامور ، ولكن كان من المرغوب فيه تأجيل هذه الخطوة حتى يحدث التحسن المرتقب في التمثيل السياسي البريطاني في البحرين . وفي نفس الوقت وكما كشفت الأحداث اللاحقة هبطت سيطرة الشيخ الحاكم على مدينة المنامه التي زارها مرات قليلة أولم يزرها على الإطلاق حتى إن أحداً لم يكن يجرؤ على الوقوف في وجه أعمال الفوضى والتخريب التي يقوم بها أنصار أحمد بن علي ومعظمهم من أشرار الزنوج .

اعتداء على وكالة ونشهوس وشركاه ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤ :

وفي ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠٤ حاول بعض رجال علي بن أحمد جمع الرجال بالسخرة لمهاجمة وكالة التاجر الألماني ونكهاوس ففتحوا أبواب الوكالة واعتدوا على أحد المساعدين فيها — وهو اوربي يدعى مستر باهنسون — كذلك اعتدوا على بعض الموظفين الاهليين في الوكالة . وكان علي بن احمد يشهد ما يحدث دون أن يبذل أي جهد لمنع رجاله من ارتكابه .

مهاجمة الايرانين ١٤ نوفمبر ١٩٠٤ :

وفي مساء ١٤ نوفمبر وقع انتهاك آخر للقانون لكنه أكثر خطورة . فقد حدثت مشاجرة عرضية بين أحد عبيد أحمد بن علي وأحد خدم حاجي عبد النبي كبير التجار الإيرانيين في المنامة .. ولاحت الفرصة مناسبة أمام الحرس الخاص لأحمد بن علي كي يشنوا هجوماً على كل التجار الإيرانيين .. وارتفعت صيحاتهم تطالب «بقتل المارقين» وأرسل جاسم –أحد زعماء المسلمين السنيين في البحرين– الرجال الذين كانوا يصلون في مسجده للاشتراك في الأمر الذي تطور إلى حركة منظمة معادية للشيعة ، وقد لجأ الإيرانيون جميعاً إلى بيوتهم يحتمون بها ، واستخدمت العصي فقط في هذه الاضطرابات ورغم ذلك فقد أصيب والد حاجي عبدالنبي إصابات خطيرة ، كذلك جرح سبعة من الإيرانيين الآخرين جراحاً أقل خطورة . وقام الرئيس بريدو الوكيل السياسي الجديد في البحرين والذي بذل محاولات كثيرة فاشلة للوصول إلى تسوية لقضية مستر باهنسون ، بمقابلة الشيخ بسبب هذا الاضطراب ، لكن الشيخ رفض تدخله على أساس أن الإيرانيين مسلمون وبالتالي فلا معنى لتدخله في هذا الخلاف الذي ستحسمه محاكم الشرع الموجودة في البحرين . لكن هذه المحاكم –وأعضاؤها من السنة– لم يكن متوقعاً منها أن تنصف الإيرانيين . وأخيراً تم الاتفاق بين كابتن بريدو والشيخ عيسى على انتظار تعليمات المقيم العام الذي كان آنذاك يقوم بجولة في مكان بعيد . وقد ظل الإيرانيون مغلقين محلاتهم التجارية عدة أيام خوفاً من أن يعاود رجال أحمد سيرتهم ، وكان واضحاً أن الشيخ عيسى يخشى ابن شقيقه العاصي ولا يستطيع كبح جماحه .. لكن الأمن استعيد بوصول سفينة صاحبة الجلالة « رد برست » إلى البحرين في ٢٧ نوفمبر .

وفي نفس الوقت رفع المسئولون عن الوكالة الألمانية أمر هذه الحادثة الى القنصل الألماني في بوشهر الذي كتب فوراً ومباشرة للشيخ عيسى يطلب منه التعويض ، وردت السلطات البريطانية على خطابه هذا . كما

أبرق التجار الإيرانيون المتضررون إلى الشاه في أمر هذه الاحداث وقد أجابتهم السلطات البريطانية بأنها ستتخذ الإجراءات الكفيلة برد حقوقهم اليهم .

زيارة المقيم السياسي البريطاني للبحرين ٣٠ نوفمبر ـ ١٠ ديسمبر ١٩٠٤ :

ووصل ميجور كوكس المقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى المنامة في ٣٠ نوفمبر وتولى قضية التاجر الألماني في البداية . وفي ١٤ ديسمبر تم التوصل إلى إتفاق بدفع مبلغ ١٠٠٠ روبية له كتعويض وجلد أربعة من الذين تزعموا هذا الهجوم علناً ثم منعهم من الإقامة في البحرين ، وانقضت الأيام الأربعة التالية في التحقيق في قضية التجار الإيرانين دون التوصل إلى نتيجة . وحاول الشيـــخ في البداية الزعم بأن الإيرانيين هم الذين بدأوا بالعدوان لكن الأدلة كلها كانت ضد زعمه هذا فرجع إلى موقفه الأصلي وقال إن هؤلاء الإيرانيين خاضعون لحكمه هو فقط ويجب أن تعرض هذه القضية على محـاكم البحرين . وكان وضع الإيرانيين من حيث هم أجانب يعيشون في جزر تحت الحماية البريطانية ، إلى جانب الظلم المتوقع الذي لا مهرب منه لو عرضت القضية على المحاكم السّنية يحتم عدم التنازل عن هذا المبـدأ ، ووصلت القضية إلى طريق مسدود . فغادر الميجور كوكس البحرين في ١٠ ديسمبر وأبلغ الأمر لحكومته وترك سفينة صاحبة الجلالة «رد برست» لتحافظ على النظام في المنامة . وبفضل تعهد من جانب الشيخ بترحيل أحمد بن علي وأنصاره من البحرين خلال اسبوع من رحيل المقيم ، أبحر الشاب العاصي بعد ثلاثة أسابيع متوجهاً إلى قطر يوم ١٧ ديسمبر ، وكان آخر عمل قام به هو استيلاؤه على ثلاث سفن صغيرة فيما كانت تعمل في تفريغ حمولة الباخرة البريطانية « كانجرا » .

تقديم إنذار لشيخ البحرين ٢٥ فبراير ١٩٠٥ :

وفي ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٥ رجع الميجور كوكس إلى البحرين تحمل هذه المرة أوامر رسمية بمطالب حكومة صاحبة الجلالة من الشيخ عيسى . وقد صدر التفويض له بأن يستخدم كل الوسائل التي تبدو ضرورية -بما في ذلك القوة البحرية . وقد اجتمع الآن الطواف «فوكس» والقارب المسلح «سفنكس» إلى جانب السفينة الحربية «رد برست» — في الميناء . واتخذت إجراءات إنزال قوة قوامها ١٥٠ جندياً لحماية ارواح وممتلكات الاجانب في حالة اضطرار السفن الحربية للقيام بعمل يطلب منها . وفي صباح يوم ٢٥ فبراير سلم إنذار للشيخ عيسى ، وتركت له مهلة ٢٤ ساعة لتنفيذ نصوصه . وكانت الحكومة البريطانية تطالب بابعاد ستة رجال حددت شخصياتهم ، وثبت أنهم كانوا من زعماء الهجوم على التجار الإيرانيين من البحرين ، ومعهم اولئك الأربعة الذين عوقبوا من قبل بالنفي لكنهم عادوا إلى الجزيرة ، ودفع مبلغ ٢٠٠٠ روبية كتعويض لهؤلاء التجار عن طريق الوكيل البريطاني ، وان يوضع رجال من حرس الشيخ لحماية سوق المنامه ، وأن يبعد علي بن احمد عن البحرين ولا يسمح له بالعودة لمدة خمس سنوات ، وأخيراً أن يمنع عمل السخرة للاجانب بقانون عام .

وقد أنذر الشيخ -في نص المذكرة التي سلمت اليه- بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع تحمل أي رفض لنصائحها في المستقبل ، وأنه إذا استمر على موقفه هذا غير الودي فستسحب هذه الحكومة عونها عنه ، وقد تتخذ تجاهه موقفاً مضاداً ، وأخيراً جاء في هذه الوثيقة أن تنفيذ النصوص المتعلقة بعلي بن أحمد وغيره من المعتدين يقتضي تسليمهم إلى الوكالة البريطانية ومنها سينقلون على ظهر سفينة حربية إلى أماكن محددة وخلال هذا اليوم زعم الشيخ عيسى أن أحمد ينتوي الهرب وطلب

---

(١) قرر الميجور كوكس ضرورة حضور المطلوب تسليمهم شخصيا ليمكن التعرف عليهم بعد ذلك لاحتياطات الامن في المستقبل ، علاوة على أنه لم يكن يستطيع ضمان تنفيذ أمر ابعادهم الا بنقلهم من البحرين على سفينة بريطانية .

المعونة للقبض غليه في بيته . وحين وصله العون المطلوب تبين أن علياً قد استطاع الهرب بالفعل ، وأنكر الشيخ أن تكون له أية علاقة بهرب علي ، وعرض أن تبحث قواته عن الهارب في كل أنحاء الجزر عندما يهبط الليـل ، ووافق ايضاً على إبقاء ابنه حمد كرهينة على ظهر السفينة « سفنكس » .

خضوع شيخ البحرين لمطالب بريطانيا ٢٦ فبراير ١٩٠٥ :

وفي الساعة الثامنة والنصف من الصباح التالي –وقبل انتهاء مدة الإنذار بنصف ساعة– وصل الشيخ عيسى إلى الوكالة البريطانية يصحبه ابناه حمد وعبدالله ، وهو يحمل مبلغ الغرامة المطلوبة ، والإعلان الخاص بوقف أعمال السخرة .. وأعلن أن الحرس المخصص لحراسة السوق موجود ومستعد للتفتيش . أما علي والأشخاص العشرة المطلوب تسليمهم فقد قال إنه لم يستطع العثور عليهم . وظـل الشيــــخ يؤكـد طيب نواياه ، وعاون في الاستيلاء على بيت ابن أخيه المتمرد ومنقولاته ، كذلك قواربه التي تم إحراقها . وفي ٢٨ فبراير وبعد تأكيد الشيخ عيسى أن علياً وأنصاره قد هربوا من الجزر إلى الأرض المجاورة وأصبحوا خارج نطاق سيطرته ، قرر الميجور كوكس على أساس تعهد الشيخ بدفع مكافـآت سخية لمن يقبض على أحد منهم بأنه لا ضرورة لاتخاذ إجراءات جديدة .

وقد اقترحت حكومة الهند أن تتولى الإشراف على جمارك البحرين في ظروف خاصة ، غير أن حكومة صاحبة الجلالة لم توافق على هذا . وكانت الوسيلة الوحيدة للضغط في هذا السبيل على الشيخ عيسى بعد قبوله معظم ما جاء في الإنذارهي ضرب البحرين من البر ، وكان ميجور كوكس يرى ألا ضرورة لهذا الإجراء . ثم أطلق سراح حمد –الذي كان أخـذ كرهينة– كتعبير عن إمكان قيـــــام علاقات وديـة في المستقبل وقدم الشيـخ هدية من جانبه قطعة أرض كانت الوكالة تـود شراءها منه . وقبل مغادرة المقيم في ٤ مارس لرفع الأمر للحكومة

التقى بملا جاسم وملا أحمد زعيمي المسلمين السنة في البحرين ووجه اليهما إنذاراً ، وكان هذان وأنصارهما قاموا بدور في الاضطراب الذي نسب إلى شريده في سنة ١٨٩٩ كما نسب أيضاً إلى محمد بن عبدالوهاب أحد رعايا تركيا في دارين ، وكان الرجلان من أسوأ مستشاري الشيخ (١) .

علي بن أحمد يسلم نفسه :

وقد رأت حكومة الهند أن النتيجة التي أمكن التوصل اليها كانت نتيجة مرضية عموماً ولكن استمرار وجود علي مطلق السراح كان أمراً ينطوي على شيء من التهديد للمنامة . وأخيراً في ١٨ يوليو سنة ١٩٠٥ سلم علي بن أحمد نفسه طواعية لأنه بعد أن ألف الحياة الناعمة في البحرين لم يستطع الصبر على حياة التجول والشظف بين بدو قطر ، وأثناء غيابه عن البحرين تباحث غير مرة في الشروط التي يمكن أن يعود بموجبها إلى البحرين ، وقد ذكر له رداً على تساؤله بأن الاوامر القديمة بشأنه ما زالت سارية المفعول . . وأما فيما يتعلق بالتفاصيل فعليه أن يثق بعدالة الحكومة البريطانية وتقديرها . وكان مع علي حين سلم نفسه أربعة من الرجال المطلوب تسليمهم وكذلك مجموعة من خدمه . وقد تقرر إبعاد علي بن أحمد ليقيم كسجين سياسي في بومباي براتب قدره ٦٠٠ روبية في كل شهر ، أما باقي الرجال فيسجنون لمدة ستة أشهر في السجن المركزي بحيدر آباد في السند . وقد وجه إنذار لحمد ولي العهد الذي كان مسلكه في هذه الأزمة غير مرض كمسلك أبيه جاء فيه أن اعتراف حكومة الهند به ولياً للعهد أمر يتوقف على سلوكه في المستقبل .

---

(١) أدى ملا جاسم الى احداث اضطراب في البحرين سنة ١٨٩٢ حين أشار على الشيخ بأن يزيد رسوم الوفاة بحيث تصبح ٢/١ الميراث ٠٠ وأثار هذا القرار سخط المسلمين في البحرين مما أدى الى ايقافه بسرعة ٠ أما محمد بن عبد الوهاب فيبدو أنه هو نفس الرجل الذى أحدث بعض الاضطراب في قطر سنة ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧ ٠٠ والذى خلف أباه كوزير لشيخ البحرين في ١٨٨٨ ٠

الشئون الخارجية والمصالح الاجنبية ... الخ في البحرين ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧

مكانة بريطانيا في البحرين :

لا شك في أن ازمات سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ قد دعمت وضع ونفوذ بريطانيا في البحرين وكانت العلاقة بين شيخ البحرين والوكيل السياسي البريطاني تتحسن ببطء وثبات خلال السنة التالية رغم أن الشيخ استمر يرى في النصائح التي يقدمها له الوكيل البريطاني انتقاصاً من سلطته في الشئون الداخلية . وظلت التجارة الخارجية على توسعها ونموها السريع وزادت في سنة ١٩٠٥–١٩٠٦ بنسبة ٥٧,٥٪ عن أحسن سنة ازدهرت فيها من قبل ، وفي سنة ١٩٠٦–١٩٠٧ زادت ايضاً بنسبة قدرها ٥,٥٪ـ عن السنة السابقة ، وبلغ حجم الاموال المستثمرة فيها ٤٧,٣٨٨,٢٠٢ روبية .

لكن الأحوال لم تكن مرضية على هذا النحو في كل النواحي . فلم يحدث أي تقدم في مشكلة إصلاح نظام العوائد الذي كانت الحكومة البريطانية تهتم به اهتماماً كبيراً . وكانت تجارة المهربات والمحظورات رائجة على نطاق كبير مع إيران .. وذلك أساساً لسببين : ازدياد حجم التجارة من ناحية .. ثم رغبة الشيخ في عدم تدخل أية دولة في نظام العوائد من الناحية الأخرى .

كما كان ثمة شعور أيضاً بأن جوانب كثيرة من الإدارة الداخلية في البحرين لم تكن على مستوى الدولة التي تفرض عليها الحماية . وكانت تجارة الرقيق ما زالت ناشطة .. فالرقيق يستورد دون اعتراض من قطر والأحساء وأحياناً من صور في سلطنة عمان . وكان هناك اضطهاد على مستوى كبير للرعايا .. لا من جانب شيخ البحرين وأفراد أسرة آل خليفة فقط . بل ومن جانب صغار المسئولين وجامعي الضرائب وبعض القضاة ممّن اعتادوا استخدام مناصبهم لفائدتهم الشخصية

وكان معظم الظلم يقع على عاتق المواطنين المشتغلين بالزراعة .. والذين كانوا يعيشون في حالة واضحة من البؤس متعرضين لأعمال السخرة وغيرها من المشاق .

وقد أثير موضوع البحث عن حل لهذه المشكلات جميعاً ، وعن مزيد من التحديد والوضوح لعلاقات البحرين الخاضعة لبريطانيا العظمى بعد أزمات ١٩٠٤–١٩٠٥ . ورفع الأمر مباشرة إلى حكومة صاحبة الجلالة التي قررت بدورها اتباع سياسة حذره تحصر عمل السلطات البريطانية في البحرين في توجيه السياسة الخارجية للشيخ والسيطرة عليها . أما إصلاح الإدارة الداخلية فالسبيل إلى تحقيقه هو السبيل السلمي غير المباشر عن طريق ممارسة مزيد من النفوذ على الشيخ وبكسب المزيد من ثقته .

وفي سنة ١٩٠٥ فوض الوكيل السياسي باعتاق العبيد كلما وجد فرصة مناسبة لهذا الإجراء دون الرجوع إلى المقيم العام في بوشهر . وفي هذه السنة وفي سنة ١٩٠٦ بذلت محاولات للحصول على تصديق من شيخ البحرين على وعد غير رسمي قطعه بعض زعماء البحرين في سنة ١٨٩٥ لقائد سفينة صاحب الجلالة «بيجون» بأنهم لن يبيعوا أو يشتروا أو يتعاملوا بالرقيق في المستقبل .. غير أن هذه المحاولات لم يكن لها أثر يذكر .

عمليات مسح وسواها :

وفي موسم ١٩٠٤–١٩٠٥ انتهت عملية مسح بحرية لخور القليعة أجرتها سفينة صاحبة الجلالة «رد بريست» بقيادة القائد سومرفيل . وفي ١٩٠٥ تمت عملية مسح برية لجزر أرخبيل البحرين ورسمها بنسبة بوصة واحدة لكل ميل . وفي شتاء ١٩٠٦–١٩٠٧ حدثت عدة عمليات حفائر بحثاً عن المدافن الترابية التي تشتهر بها البحرين .. وقد اجريت هذه العمليات باشراف الكابتن بريدو الوكيل السياسي بالقرب من عوالي .

العلاقات التركية :

وقد أفصحت تركيا عن اهتمام كبير بالأزمة التي نشبت بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين في سنة ١٩٠٤–١٩٠٥ ورغم تذكيرها مراراً بأن البحرين ورعاياها إنما هم خاضعون جميعاً للحماية البريطانية فقد استمرت تطالب الحكومة البريطانية بتفسير لما حدث حتى قطعت حكومة صاحب الجلالة هذه المشكلة برفض استمرار المناقشة . وباستثناء فترة قصيرة من خريف ١٩٠٥ إلى ربيع سنة ١٩٠٧ فإن البريد الرسمي التركي ظلّ ينقل من العراق إلى الأحساء عن طريق البحرين .. كما كان منذ زمن طويل . وفي سنة ١٩٠٧ تأكد أن موظفاً تركياً كان موجوداً في البحرين بهدف إعداد الترتيبات اللازمة لذلك . وكان أقرب أقرباء الشيخ عيسى وأهم مستشاريه هو محمد بن عبد الوهاب من دارين ، وكان له نفوذ كبير على الشيخ .. وفي سنة ١٩٠٦ انتشرت شائعات – واضح أنها لم تكن جميعاً بلا أساس – بأن الشيخ يود ان يضع نفسه تحت حماية تركيا .

العلاقات الايرانية :

أما الحكومة الإيرانية فرغم أنها وافقت شاكرة ممتنة على الإجراءات التي اتخذتها السلطات البريطانية في سبيل تعويض رعايا إيران الذين منوا بخسائر في اضطرابات سنة ١٩٠٥ ، فقد عادت في نفس السنة إلى تأكيد مزاعمها القديمة بالسيادة على البحرين ، وقد رفضت أن تعترف لمواطني البحرين –المقيمين في إيران– بأية حقوق تزيد عن حقوق المواطنين الإيرانيين . وفي فبراير سنة ١٩٠٦ –وبعد مناقشة طويلة ودون تعليمات محددة من حكومة صاحب الجلالة– أعلن ممثل بريطانيا في طهران أن للحكومة البريطانية حق الوقوف إلى جانب رعايا البحرين في إيران ، وأنها ليست مستعدة لتقبل مزيد من مزاعم إيران في البحرين مما اعتبر الآن « موضوعاً غير قابل للمناقشة » .

لكن المشكلة تجددت مرة أخرى في سبتمبر سنة ١٩٠٦ من جانب

كبير وزراء ايران الذي أشار في خطاب له إلى اتفاقية كابتن بروس التي لم يكن مفوضاً بعقدها في سنة ١٨٢٢ . وجاء في الرد على خطاب الوزير بهذا الصدد أن الاتفاقية التي يعنيها – ما دامت حكومة صاحبة الجلالة لم تصدق عليها– قد اعتبرت لاغية ونقل الكابتن بروس المسئول عن عقدها بعد ذلك من وظيفته ، وأن شاه إيران سحب من جانبه تصديقه على تلك الاتفاقية ووجه اللوم لأمير شيراز لأنه دخل في مثل تلك المفاوضات دون تفويض منه .

مصالح المانية وفرنسية وغيرها :

وفي ١٩٠٦ افتتحت شركة هامبورج الألمانية الامريكية للملاحة خطاً للخدمة في الخليج ووصلت أولى سفن هذا الخط الجديد «كانديا» إلى المنامة في ٢٦ أغسطس . وعين مستر ونكهاوس –ولم تكن أعماله الخاصة تسير على ما يرام– وكيلا للشركة في البحرين حيث قام بمحاولات للحصول على امتياز رفع علم هذا الخط الملاحي على بيته ، لكن الشيخ كان مصراً على رفض منحه مثل هذا الامتياز .

وفي صيف سنة ١٩٠٥ زارت البحرين أسرة فرنسية مهتمة بأمور عامة كصيد اللؤلؤ ولحق بها هناك مسيو جوجير –عدو الانجليز الشهير وتاجر السلاح في مسقط– ويبدو أن هذا الرجل كان وراء الخطابات التي يشكو فيها الشيخ عيسى من معاملة السلطات البريطانية له ، والتي أرسلها عقب وقت قصير إلى وزير الدولة لشئون الهند ، ولنائب الملك في الهند .

وفي سنة ١٩٠٥ داهم وبأ الطاعون البحرين مرة أخرى خلال فترة ثلاث سنوات –كما هو مبين في الملحق الخاص بالأوبئة– وكان من أهم ضحاياه هذه المرة شريده الشهير . وفي ١٩٠٦ كان الشيخ يميل إلى فرض ضريبة خاصة على اليهود الذين استقر منهم حوالي الخمسين في جزر البحرين خلال السنوات العشر الأخيرة لكنه رضخ لنصيحة الوكيل السياسي البريطاني للعدول عن هذه الضريبة الجديدة .

ملحق رقم (١)
الاتفاقية الاستثنائية بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية ، ١٣ مارس سنة ١٨٩٢

أقرّ أنا –« عيسى بن علي» شيخ البحرين– في وجود الليفتنانت – كولونيل أ. س. تالبوت المقيم السياسي في الخليج –بأنني بكامل إرادتي أرتبط واوافق– باسمي وباسم ذريتي ومن يخلفني على ما يأتي : –

أولا : ألا أكون طرفاً في أية اتفاقيات أو اتصالات بأية دولة أجنبية عدا بريطانيا العظمى .

ثانياً : ألا أسمح –دون موافقة الحكومة البريطانية– باقامة وكيل أو معتمد لاية دولة أجنبية على أرض البحرين .

ثالثاً : ألا أبيع أو أوجر أو أرهن أو أمنح بأية طريقة أخرى أي جزء من أجزاء البحرين لاحتلال دولة أجنبية سوى بريطانيا العظمى .

مؤرخ في البحرين .. ١٣ مارس ١٨٩٢ الموافق ١٤ شعبان ١٣٠٩

توقيع
عيسى بن علي
شيخ البحرين

توقيع
أ. س. تالبوت
ليفتانانت كولونيل –مقيم الخليج

لاندسدون
نائب الملك وحاكم عام الهند

صدق عليها صاحب السعادة نائب الملك وحاكم عام الهند في سيملا يوم ١٢ مايو ١٨٩٢ .

ه. م. دوراند
وزير الدولة لشئون الهند – وزارة الخارجية

★ ★ ★

الفصل السادس

تاريخ الاحساء ٠٠ (١)
الاحتلال الوهابي الاول للاحساء ١٧٩٥ ــ ١٨١٨

غزو الوهابيين للأحساء حوالي سنة ١٧٩٥ :

حين ظهر الوهابيون للمرة الاولى من داخل شبه الجزيرة إلى شطآن الخليج كان شيوخ قبيلة بني خالد هم حكام الأحساء ، وكانوا يمثلون إدارة وحكماً منظماً فيها قبل أن يغزوهم هؤلاء المتعصبون . وكان حكم بني خالد معتدلا ومشجعاً للتجارة ، ففي سنة ١٧٩٠ كانت ضريبة الاستيراد في ميناء القطيف لا تتجاوز ١٪ وكان التجار الأجانب يلقون معاملة طيبة .. وكانت هناك حركة تجارية مزدهرة لا بأس بها مع نجد . وكان مقر شيوخ بني خالد في واحة الأحساء .

---

(١) المراجع الوحيدة ــ باستثناء تقارير حكومة الهند ــ التى تتناول الاحداث في الاحساء وما حولها هى « يوميات سادلر » لرحلته عبر الجزيرة العربية (في سنة ١٨١٩) المنشورة في سنة ١٨٦٦ ، وكتاب بالجريف عن « وسط وشرق جزيرة العرب ٠٠ » المنشور في سنة ١٨٦٥ ٠٠ وكلا الكتابين وصفى أكثر منه تأريخى ٠ أما أكثر المصادر فائدة ــ وهى تلك التى تعتمد على وثائق رسمية ــ فهى : سجلات بومباى رقم (٢٤) سنة ١٨٥٦ وفيها تلخيص للمراسلات المتعلقة بشئون الخليج للفترة من ١٨٠١ ــ ١٨٥٣ اعداد ج٠ أ٠ سالدانها المنشور سنة ١٩٠٦ ٠ وتلخيص للتوسع التركى في أرض الجزيرة العربية ، لنفس المؤلف ، منشور سنة ١٩٠٤ ، وتلخيص أحوال البحرين من ١٨٥٤ ــ ١٩٠٤ له أيضا ، وقد نشر في ١٩٠٤ ٠ وتلخيص أحوال قطر ، لنفس المؤلف ، عن الفترة من ١٨٧٣ ــ ١٩٠٤ المنشور في ١٩٠٤ ، والتقارير الادارية السنوية للمقيمية السياسية في الخليج ٠ أما تاريخ لو عن البحرية الهندية فيقدم بعض التفاصيل المهمة عن عمل البحرية البريطانية على ساحل الاحساء ٠

تعزيز مركز الوهابيين في الأحساء ١٧٩٥ – ١٨١٠ :

وحوالي سنة ١٧٩٥ استطاع أمير الوهابيين أن يقضي على حكم بني خالد ونجح في احتلال جزء من الأحساء ، وجعلها قاعدة يمد منها نفوذه نحو الكويت والبحرين وقطر وعمان ، وتاريخ الوهابيين في كل من هذه الأقاليم موجود في الجزء الخاص بكل منها . ولن نهتم هنا إلا بأحداث الأحساء والقطيف والصحاري المجاورة لهما فقط .

وفي سنة ١٧٩٩ حدث أول اشتباك مسلح بين قوات العثمانيين والدولة الوهابية الجديدة .. لكن هذه الحملة تخص تاريخ نجد قبل أي شيء آخر .. ولهذا فهي مذكورة هناك .

وفي سنة ١٨٠٠ استولى الوهابيون على مدينة القطيف بالقوة بعد ارتكاب مذابح رهيبة بين أهلها . وفي ١٨٠١ كانت المعارضة للحكم الوهابي ما تزال مستمرة .. أو لعلها انبعثت من جديد في الأحساء .. لأنه قد ذكر في هذه السنة أن الاتصال قد انقطع بين القطيف ونجد، وان التجارة وسط الجزيرة مع الهند ، وكانت تتبع دائماً طريق الأحساء ، قد أصبحت تتخذ طريقها مروراً بالبصرة فالكويت ، لكن وضع الوهابيين في الأحساء كان قد تدعم في سنة ١٨٠٢ إلى حد جعلهم يعترفون بأنهم يقدمون المساعدات للعتوب في البحرين للخلاص من نير حاكم مسقط . وفي سنة ١٨١٠ ضمت جزر البحرين والأقاليم المجاورة لها في القطيف وقطر في حكومة وهابية واحدة ، عهد بها إلى عبدالله بن عفيصان . وكانت البحرين هي مقر هذه الحكومة . وفي سنة ١٨١١ أرغم تقدم القوات المصرية أمير الوهابيين على سحب حامياته العسكرية التي كان قد جعلها في الهفوف والقطيف ، ولكن نفوذ الوهابيين في سنة ١٨١٤ –ورغم أنه قد انتهى تماماً من البحرين– كان ما يزال سائداً في الأحساء .

استقرار رحمة بن جابر في الاحساء

قلعة رحمة بن جابر :

بني رحمة بن جابر القرصان الشهير من الجلاهمة العتوب الذي كان مستقراً في خور حسان في قطر قلعة لنفسه في الدمام على ساحل الأحساء إلى أقصى الجنوب من واحة القطيف .

الوهابيون يطردون رحمة بن جابر ١٨١٦ :

وظل رحمه مقيماً بالأحساء كممثل لمصالح الوهابيين ونصير لهم حتى سنة ١٨١٦ حين تخلى عن مناصرة قضية الوهابيين واشترك مع سيد عمان في هجوم على البحرين التي كانت إلى حدّ ما تحت حماية الوهابيين ، وبعدها وجد نفسه مرغماً على أن يعبر الخليج ويلتمس له مأوى على الأرض الإيرانية . وفي يوليو سنة ١٨١٦ ، وقبل أن يرحل رحمة نهائياً عن الساحل العربي دمّر الوهابيون قلعته في الدمام .

★ ★ ★

الاحتلال المصري الاول للاحساء ١٨١٨ ـ ١٨١٩

وصول القوات المصرية إلى الأحساء ١٨١٨ :

بعد أن استولى ابراهيم باشا قائد القوات المصرية على الدرعية عاصمة الوهابيين في سبتمبر ١٨١٨ نقل أهل المدينة إلى الأحساء ، ثم سار هو بنفسه إلى هناك ، ويبدو أنه كان يهدف إلى ضم هذا الإقليم الخصب نسبياً إلى مقره الاداري في الجزيرة العربية .

ونحن لا نعرف عن حركة القوات المصرية في الأحساء إلا أقل التفاصيل ، ولكن يبدو أن رحمة بن جابر كان يقدم معونته لإبراهيم باشا ـ وقد جاء لهذا الغرض من بوشهر ـ باخضاع ميناء الوهابيين في القطيف بنيران المدفعية . واستفاد رحمة من تفاهمه الكامل مع القوات

المصرية فعاد للاستقرار في الدمام وبدأ من جديد بناء حصنه الذي دمره الوهابيون في العام السابق . وفي نهاية سنة ١٨١٨ وصلت قوات كبيرة من العرب من ساحل القراصنة على ١٧ سفينة حربية لمعونة الوهابيين ضد القوات المصرية ، لكن وصولها جاء متأخراً جداً . وعادت القوات إلى مقرها بسلام عن طريق البحرين .

★ ★ ★

الاحداث خلال احتلال المصريين الاول للاحساء ١٨١٨ ــ ١٨١٩

رحلة الكابتن سادلر في الأحساء ثم جلاء القوات المصرية عن هذا الاقليم ١٨١٩ :

وفي ظهر يوم ١٨ يونية ١٨١٩ وصل الكابتن ج . فورستر سادلر من فرقة صاحبة الجلالة ٤٧ إلى ساحل الأحساء في مهمة خاصة لإبراهيم باشا ، على نحو ما هو موجود بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة ، لكن مرشداً جاهلا من بوشهر كان مسافراً على ظهر سفينة شركة الهند «فستال» أرشد السفينة خطأ إلى ساحل رملي ظلت جانحة فيه طول الليل . وتباطأت السلطات المصرية على الساحل في تقديم معونتها ، ولكن بعد ظهر يوم ١٩ يونيو ، وصل وفد للتهنئة من رحمة بن جابر إلى ظهر السفينة . وفي اليوم التالي وصلت السفينة بسلام إلى ميناء القطيف بإرشاد اثنين من المرشدين الأذكياء أرسلهم رحمة . وكان كابتن سادلر ينوي أن يجعل من العقير نقطة انطلاقه إلى داخل الأحساء غير أن رحمة بن جابر ونائب الحاكم المصري في القطيف استطاعا خداعه وإقناعه بالرسو في سيهات إلى أقصى الجنوب من واحة القطيف . فوصلها يوم الاثنين ٢١ من نفس الشهر ، وأدى هذا التغيير في الخطة ــ الذي لا نستطيع أن نلوم كابتن سادلر من أجله ــ إلى ضياع عدة أيام هامة جداً مما ساهم في إفشال مهمته .

ولقد كان المصريون وقت وصول الكابتن سادلر ، قد اقتنعوا بضرورة تركيز قواتهم في شبه الجزيرة ، وكانوا على وشك الجلاء عن الأحساء ، وكانت الأوامر قد صدرت لخليل آغا –نائب الحاكم المصري في القطيف– بالرجوع إلى الهفوف مع اثنين من مساعديه ، وأن يعهد بالقطيف إلى مشرف ، هو ابن شقيق الشيخ محمد شيخ بني خالد . ولم يكن الطريق مأموناً بين القطيف والهفوف حيث بدأت حوادث الهجوم على البعثات المصرية بين الهفوف ومقر قيادة إبراهيم باشا في نجد .

وكان خليل آغا ، وكل قوته لا تتجاوز ٦٠ عربياً مأجوراً انصرف معظمهم ، تد بدا عاجزاً عن القيام بعمل كبير . وقبل الكابتن سادلر عرض شيوخ بني خالد بأن يصحبوه في رحلته ، فخرج من سيهات يوم ٢٨ يونيو سنة ١٨١٩ تحت حماية المشرف لكن مسلك هذا الرجل في الصحراء كان « كالوحش الضاري الذي وجد فريسته بين يديه» ولم يكن سلوك الشيخ محمد الكبير الذى كان عاجزاً وأصم أو سلوك شقيقه ماجد أفضل من سلوك المشرف . ولم يصل كابتن سادلر إلى الهفوف قبل يوم ١١ يوليو بعد أن سُحِب في جولة طويلة إلى آبار بدراني وعزيز المليحة وأبواب وأم ربيعه والحفيره وعيندار ودميجة ، وقرية عيون . وفي كل هذه الاماكن تعرض كابتن سادلر لارهاق وقلق لا حد لهما ، وكان عليه الخضوع لما يأمره به البدو في كل هذه الأماكن .

وفي الهفوف لقي المبعوث البريطاني استقبالا حسناً من جانب محمد أغا الكاشف أو الحاكم المصري في الأحساء الذي تلقى أوامر فيما بعد بأن يسلم الإقليم لشيوخ بني خالد ويلحق بإبراهيم باشا في سدير ومعه الحامية المصرية في الأحساء ، ولم تكن هذاه الحامية تضم وقتذاك أكثر من ٢٥٠ رجلا ، وكان الضباط المصريون الذين التقى بهم الكابتن سادلر مبتهجين لاستدعائهم إلى مقر القيادة بعد أن أرهقتهم فترة طويلة من العمل في ظروف قاسية ومناخ صعب . وقد أبدى محمد أغا اهتماماً كبيراً بمهمة الكابتن سادلر ، وعرض عليه أن ينتظر ويصحبه في الانسحاب

إلى مقر القيادة الذي كان محدداً له يوم ٢٢ يوليو ، لكن محمد أغا ــبعد أن قدم لكابتن سادلر بعض الإمدادت ــتسلل وحده يوم ٢١ يوليو ، وتبعه كابتن سادلر في اليوم التالي مع الجزء الأكبر من القوات المصرية . وفي يوم ٢٤ يوليو وقبل ان يخرج من إقليم لأحساء إلى نجد مر كابتن سادلر ــمرة ثانيةــ بآبار أم ربيعه . وأثناء وجوده في الهفوف عرف أن الغزاة المصرين كانوا قد انتهجوا كل وسيلة ممكنة لتعزيز سلطتهم في الإقليم الذي احتلوه ، وعرف أيضاً أن الأهالي كانوا ينتظرون رحيلهم بفارغ الصبر .

ويبدو أن إبراهيم باشا كان يعتقد أنه حين يضع حامية في عنيزه بوسط الجزيرة يستطيع أن يظل على اتصال بالأحساء وأن يأخذ الجزية بشكل منتظم من شيوخ بني خالد الذين أطاح الوهابيون بسلطتهم ، لكنها عادت بعد رحيل القوات المصرية .

وجود وكيل بريطاني في القطيف : ١٨٢٣

ووقت زيارة الكابتن سادلر لم يكن بالقطيف هندوكي أو مسيحي واحد ، ولم يكن يجرؤ أحد على التفكير في أن يعمل وسيطاً أو سمساراً أو ما إلى ذلك . فكل من كانت تبدو عليه امارات الثراء يطالبه المصريون بالمساهمة المادية . ولكن في سنة ١٨٢٣ وأثناء رحلة المقيم السياسي على طول الشاطىء العربي كان يوجد وكيل وطني لمقيمية بوشهر في القطيف اقترح الملازم ماكلاود انتقاله إلى الشارقة على ساحل القراصنة .

★ ★ ★

أعمال رحمة بن جابر ١٨١٨ ــ ١٨٢٦

ترتيبات لاحلال السلام بين رحمة بن جابر والعتوب في البحرين : ١٨٢٤

بعد أن عاد رحمة بن جابر مرة أخرى للاستقرار في الدمام سنة ١٨١٨ أثناء احتلال القوات المصرية للاحساء بدأ في مضايقة العتوب في

البحرين وأصاب في ذلك نجاحاً متزايداً ، وأدى هذا الصراع العنيف إلى اضطراب الأمن في البحر اضطراباً جعل السلطات السياسية البريطانية تتبع كل الوسائل فيما بين ١٨٢٢ و ١٨٢٤ كما هو مذكور في تاريخ البحرين لتسوية الأمور بين الطرفين المتنازعين . واخيراً في فبراير ١٨٢٤ —وكما جاء في تاريخ البحرين— عقد الصلح بين الطرفين بشرط ألا يتدخل رحمة لمنع شيخ البحرين من إيقاع العقاب بقبيلة آل بوسميط المتمردة التي كانت استقرت مؤخراً تحت حماية رحمة في الدمام .

أحداث أخرى في سنة ١٨٢٤ :

ثم قام رحمة بن جابر بزيارة لمسقط ، ولدى عودته إلى الدمام سار مباشرة لحصار القطيف التي كان أهلها قد توقفوا عن دفع الجزية —أو فلنقل الأتاوة— التي كانوا يؤدونها له في مقابل حماية تجارتهم في البحر . وكان رحمة في ذلك الوقت يقترب من السبعين وقد أدى سوء الحظ إلى ضياع جانب كبير من مصادره المادية ، لكنه كان كما هو دائماً من حيث قوة العزم وروح الإصرار . وقد عمد شيخ بوشهر بأمر من حكومة شيراز التي اسخطها عقد الصلح بين رحمة والعتوب إلى احتجاز عائلة أحد أبناء رحمة هناك . ولجأ هذا إلى السلطات البريطانية يطلب منها أن تأذن له بإعلان الحرب على شيخ بوشهر ، لكن المسألة سويت بعد إطلاق سراح هؤلاء المحتجزين وعودتهم إلى الدمام بفضل تدخل المقيم البريطاني في بوشهر . وفي نفس الوقت فإنه بسبب خضوع أهل القطيف وربما استيلاء رحمة على بعض السفن أثناء عملياته ضدهم استطاع التخفف من مشاكله المالية .

حصار رحمة بن جابر للقطيف ١٨٢٥ :

وفي أوائل سنة ١٨٢٥ عاود رحمة زيارة مسقط ، وحصل في نفس الوقت على ترخيص من المقيم السياسي البريطاني بأن يتدخل لمناصرة الشيخ طحنون في الحرب التي كانت دائرة وقتذاك بين حكام

أبو ظبي والشارقة في عمان المتصالحة . وقرب نهاية سنة ١٨٢٥ بدأت المشاكل مرة أخرى حول الإتاوة التي كان يدفعها أهل القطيف ، وبدأ رحمة وهو يتجاهل تحذيرات المقيم الريطاني تجاهلا تاماً ينهب سفن هذا الميناء غير المسلحة ، ووضعت سفينتان حربيتان بريطانيتان نتيجة ذلك خارج الدمام وأبلغ رحمة بأنه اذا لم يكف عن هذه الغارات فستتخذ السفن الحربية عملا حاسماً ضده . لكنه تقرر أخيراً عدم القيام بأي عمل ضد رحمة إلا إذا امتدت إغاراته إلى سفن أخرى غير سفن القطيف كما وجه اليه انذار آخر . ويبدو أن عناد رحمة كان يرجع لثقته بانبعاث قوة الوهابيين من جديد . وهو يعرف أنها قوة ترحب بوجود عمليات القرصنة في البحر ولا ترفضها .

نزاع جديد بين رحمة وشيوخ البحرين :

وفي نفس الوقت تجددت القطيعة ثانية بين رحمة والعتوب في البحرين لكن الأعمال العدوانية بين الطرفين لم تبدأ إلا بعد اتخاذ السلطات البريطانية قرارها بعدم التدخل بين رحمة وأهل القطيف ومغادرة السفن الحربية البريطانية للدمام . ولم يكن أي من هذين الطرفين مستعداً للدخول في حرب شاملة منظمة ، وطلب كلاهما من المقيم البريطاني عقد الهدنه ، لكن المقيم اشترط أن يكون أهل القطيف طرفاً في هذه الهدنة ، فرفض رحمة وتركت السلطات البريطانية الأمور تسير في مجراها .

المعركة الاخيرة وموت رحمة ١٨٢٦ :

وقرب نهاية سنة ١٨٢٦ حين وجد رحمة نفسه محاصراً من أعدائه الذين احتلوا الدمام ، عبر الخليج إلى بوشهر محاولاً كسب المقيم إلى جانبه في هذه القضية . وحين فشل في تحقيق ذلك اختار معه عدداً من البلوش يقاربون الثلاثين رجلا وعاد بهم في سفينته إلى الدمام التي كان يرابط بها أسطول للبحرين . ولدى وصول رحمة إلى الدمام أطلق مدافع

سفينته تحية على سبيل الإهانة . واستفز هذا العمل العتوب استفزازاً جعل أحمد بن سلمان ابن شقيق الشيخ الكبير يقترح متطوعاً أن يهاجم سفينة رحمة بسفينته هو ، وقبل رفاقه اقتراحه . فاقترب من سفينة رحمة ودار بين السفينتين قتال حاد وحاسم ثم انسحبت سفينته إلى البحرين لتأخذ مزيداً من الرجال من بقية سفن العتوب ، ثم عادت إلى القتال حتى أيقن رحمة الذي كان قد كف بصره تماماً في ذلك الوقت أن سفينته لا بد سيتم الاستيلاء عليها من جانب هذه السفن الكثيرة التي تفوقه عدداً ورجالا .. وأيقن أيضاً ألا مهرب له .. فأمر بأن تندفع سفينته إلى سفينة العدو . واسترشد رحمة بأصغر أبنائه —وهو صبي في الثامنة— ليقوده إلى مخزن البارود في السفينة وأشعله بيده وانفجرت سفينته وترامت أشلاؤه هو ورفاقه جميعاً .. وأشعل هذا الانفجار النار في في السفينة المهاجمة بطبيعة الحال .. وغرقت ولكن بعد أن تم انقاذ الرجال الذين على ظهرها (١) .

وكان مظهر رحمة بن جابر ، كما وصفه بكنجهام وصفاً تفصيلياً حياً في سنة ١٨١٦ ، يدعو إلى النفور.. فثيابه غاية في الاتساخ ووجهه «قاس قبيح» بطبيعته زادته قبحاً الندوب والجروح وفقدان عين من عينيه . أما جسمه فكان «نحيلا ذا أطراف ضامرة .. كلها قد عملت فيها الجروح والندوب والقطوع من السيوف والحراب والرصاص .. في كل جزء منها وربما كان عددها يتجاوز عشرين جرحاً مختلفاً» وكانت العظمة التي تصل الكتف بالساعد مفقودة في ذراعه اليمنى نتيجة ضربة سيف لكنه كان يستطيع ان يقبض على الخنجر بيده اليمنى .. ويضرب به بمساعدة اليسرى . وكانت نفسية رحمة بن جابر قاسية ضارية ميالة

---

(١) هذا ما يروى عادة بهذا الصدد . ولكن نظرا لان رجال رحمة جميعا قد قتلوا ولم يبق منهم أحد ممن كان في السفينة .. فاننا لا نعرف المصدر الذى نقلت عنه كيفية حدوث الانفجار فيها .

للانتقام لكنه كان يستطيع أن يضع على وجهه قناع الهدوء بنفس البرود الذي يواجه به الآلام التي يعانيها . وبين أتباعه ـومعظمهم من العبيدـ كان يقال إنه يحفظ النظام بأحقيته المطلقة في الأمر بعقوبة الإعدام ، ولم يكن هناك رجل يجرؤ على عصيان امره . وقد اثبت رحمة حصافته في تجنبه طوال حياته أي تواطؤ مباشر مع الحكومة البريطانية ، وبحفظ علاقته الودية والوثيقة ببعض المسئولين البريطانيين في مقيمية بوشهر ، ولا بد أن نقول بأن رحمة كان يتمتع بمؤهلات قيادية حقيقية ، ورغم ذلك فقد تنفس الخليج كله الصعداء يوم قتل (١) .

★ ★ ★

الوهابيون يعودون لفتح الاحساء
١٨٢٤ ـ ١٨٣١

اشتباكات غير حاسمة بين الوهابيين وبني خالد ١٨٢٤–١٨٣٠ :

نجح بنو خالد وشيوخهم الذين استعادوا سلطتهم في الأحساء عن طريق القوات المصرية في المحافظة على مكانتهم هذه لعدة سنوات . غير ان أمير الوهابيين بعد أن اعترف بولائه للمصريين ودفع لهم الجزية ثم اشتبك في حرب مع بني خالد جعل من المتعذر وصول الاموال التي كانت تدفع لهم كل سنة من الأحساء . وقد اتخذ بنو خالد من الهفوف عاصمة لهم كما استولوا أيضاً على الميناء البحري في القطيف . وكان بدء الاشتباكات بين الوهابيين وبني خالد سنة ١٨٢٤ غير أنها ظلت حتى سنة ١٨٣٠ دون ان تصل إلى نتيجة حاسمة .

---

(١) الوصف الوحيد لرحمة بن جابر ممن رأوه هو الموجود في كتاب بكنجهام : « أسفار بلاد الآشوريين .. الخ » من ص ٣٥٦ الى ص ٣٥٨ . وواضح أن هذا الكاتب المنافق بعض الشيء لم يستطع أن يتقبل ذئب البحر العجوز .

الوهابيون يوقعون الهزيمة النهائية ببني خالد ١٨٣٠ :

وفي بداية سنة ١٨٣٠ أخذ بنو خالد زمام المبادرة بأن ساروا إلى نجد في قوات ضخمة خرج اليها فيصل بن تركي ابن الامير على رأس قوات الوهابيين لمناجزتها . وهنا أصاب سوء الحظ بني خالد بمرض وموت أعظم قوادهم العسكريين وهو الشيخ ماجد ، وتولى الشيخ محمد الذي كان السن قد تقدم به كثيراً قيادة هذه القوات بموافقة شقيق الشيخ ماجد ، لكن الشيخ محمداً كان يعرف أنه عاجز عن أن يتحمل القيادة فعهد بها إلى ابن شقيقه برغش . وسار القائد الجديد بقواته –بعد تردد– لمقابلة الوهابيين .. لكن هؤلاء تراجعوا أمام قواته .. وفي ليلة ٢٣ مارس سنة ١٨٣٠ خرج تركي بن عبدالله أمير الوهابيين بنفسه من الرياض على رأس ١٢٠٠ رجل من أتباعه ، ونجح في أن يطوق جناح جيش بني خالد ويصل إلى وبرة قاعدة عملياته ومصدر الماء له – فاستولى عليها نظراً لقلة الحراسة الموضوعة عليها(١) . وهكذا وجد بنو خالد أنفسهم بعيدين عن الماء محرومين منه ومحاصرين بين جناحين من جيش العدو . وبعد مهلة يوم واحد باشر الهجوم في الصباح التالي كلا جناحي الوهابيين ، وفي هذه المعركة هزم بنو خالد واستولى الوهابيون على نسائهم وأطفالهم وخيامهم وخيلهم وإبلهم وماشيتهم ، واستطاع الشيخ محمد وبرغش الفرار من الهفوف حيث واصلا المقاومة منها بعد قليل . لكن معظم بني خالد أعلنوا خضوعهم للوهابيين ، فتقدم هؤلاء إلى الهفوف عاصمة الأحساء ، وسرعان ما سقطت بين أيديهم وتبعتها القطيف بعد قليل .

---

(١) الاسم المذكور في التقارير هو « دبره » وليس ثمة مكان بهذا الاسم لكن « وبرة » مكان معروف فيه بئر ماء ومفترق عدة طرق في صحان ، ولا بد أنه هو المقصود . وعلى أية حال .. فكثيرا ما يحدث الخلط بين الحرفين و ، د في العربية .

السياسة المستنيرة لأمير الوهابيين في الاحساء ١٨٣١ :

وتميزت سياسة الفاتح الجديد الذي لم يكن على غرار أسلافه أو من سبقوه بالتسامح والمصالحة فاستتب له الأمر في الأحساء ، ووضع فيها بعض الحاميات واكتفى بجمع الزكاة المعتادة فقط وعاد إلى داخل الجزيرة سنة ١٨٣١ . ولا شك في أن هذا التغير جاء في مصلحة إقليم الأحساء نفسه لأن تلك الفوضى والحروب الأهلية التي سادت أثناء حكم بني خالد قد انتهت ، وقد قام الشيخ محمد شيخ بني خالد الذي بقي على قيد الحياة ببعض أعمال المقاومة ضد الوهابيين لكنها كانت جميعاً ضعيفة وبلا جدوى .



الاحداث خلال احتلال المصريين الاول للاحساء ١٨٣٠ ـ ١٨٣٨

بدأ الحكم الوهابي يحاول الامتداد من الأحساء التي اتخذها قاعدة له إلى جزر البحرين ، لكن نجاحه في هذا الاتجاه لم يكن كاملا أو مطلقاً كنجاحه في الأحساء . وظل الاحتكاك بين الوهابيين والعتوب والبحرين مصدر تهديد دائم للرفاه الاقتصادي والهدوء في المنطقة .

اقامة بشير بن رحمة على جزيرة تاروت ١٨٣١-١٨٣٢ :

وحين طلب أمير الوهابيين من شيوخ البحرين الاعتراف بالولاء له في سنة ١٨٣٠ كان يهدف إلى أن يجعل بشير بن رحمة ابن القرصان رحمة بن جابر على الدمام كمصدر إزعاج للعتوب ، وكان سيد عمان يوافق على هذا المشروع كما أنه آوى بشيراً منذ موت أبيه في سنة ١٨٢٦ .. وكان يلتمس عونه في حملة جديدة يعدها من مسقط على البحرين غير أن الوهابيين بموجب التسوية التي عقدوها مع العتوب في البحرين سنة

١٨٣١ تجاهلوا المشروع ولكنهم بعدها مباشرة وربما بفضل تدخل السيد سعيد سمحوا لبشير بالاستقرار في جزيرة تاروت المواجهة لمدينة القطيف ، وسرعان ما لحق ببشير معظم قبيلة آل بو سميط التي كانت -كأسرة بشير نفسه- على عداء صريح لشيوخ البحرين لكنه من جرّاء عداوة أهل القطيف له وجد أن معونة آل بوسميط وحدهم لا تكفي لاستمرار بقائه في دارين . وفي سنة ١٨٣٢ وعقب هدم القلعة التي كان أقامها بشير مؤخراً رجع وأنصاره المقربون معه إلى مسقط مرة أخرى .

مشاكل الوهابيين في الاحساء ١٨٣١ ــ ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣١ ولعلّه من جرّاء المشاكل التي كانت قائمة في نجد بين تركي بن عبدالله وواحد من أقربائه كان يزعم أنه الجدير بأمارة الوهابيين هاجم بعض بني خالد من العوامر الهفوف والقطيف .. لكن هجومهم فشل .

وحدث نزاع بين بني عمير من جنة ومعهم بعض أفراد من قبيلة سودان وبين سكان القطيف. وكان السبب الرئيسي هو رفض أهل القطيف الاستمرار في دفع الإتاوة التي يسلبها بنو عمير .

غير أن مشاعر الناس قد استثيرت نتيجة الخسائر التي حدثت ، خاصة ما تعرض له أحد الشيوخ على أيدى بني عمير في محاولات منهم لفرض مطالبهم بالقوة ، ولم يجد توسط أمير الوهابيين بين الطرفين شيئاً . وكان من نتائج هذا الصراع أن هاجم بنو عمير في سنة ١٨٣٢ سفينة بحرينية خارج القطيف وقتلوا ١٢ رجلا من ٣٠ كانوا على ظهرها . وفي سنة ١٨٣٣ وبتشجيع مستتر من جانب العتوب في البحرين اتخذ بنو عمير مستقراً لهم في الدمام ، وحاصروا القطيف وبدأوا يتدخلون في تجارتها .

وحين تضايق شيوخ البحرين من هذه الاضطرابات أعلنوا في سنة

١٨٣٣ ولاءهم لامير الوهابيين ، واستنجد بهم الحاكم الوهابي في القطيف وكان يظن سيده في موقف حرج .. لكن تركي بن عبدالله استطاع بهمته الفائقة أن يتغلب على الصعوبات التي يواجهها في الأحساء .. وتم جمع الزكاة —ربما للمرة الأولى— من سكان ساحل الأحساء .

استيلاء العتوب على جزيرة تاروت ١٨٣٤ :

وفي سنة ١٨٣٤ حاصر شيخ البحرين مينائي الوهابيين في القطيف والعقير ، وبعد اغتيال تركي بن عبدالله ضم جزيرة تاروت إلى البحرين وحرض بني خالد على مهاجمة الوهابيين في الهفوف والقطيف لكن الحاكم الوهابي في الهفوف عمرو بن عفيصان استطاع أن يصد هجومهم وكبدهم خسائر فادحة . وأرغم بنو خالد على اللجوء إلى جزيرة تاروت في حماية حامية البحرين هناك .

القوات المصرية تؤكد سيطرتها على الاحساء ١٨٣٥ :

وحوالي منتصف سنة ١٨٣٥ وصل إلى مسقط قادماً من مكة المكرمة تاجر معروف كان يقيم من قبل في البحرين ، واسمه عبدالله بن مشاري وكان يحمل خطابات من احمد باشا الحاكم المصري في الحجاز موجهة إلى سيد عمان وشيخ البحرين وأمير الوهابيين .. وجاء في هذه الخطابات أن لحاملها حق الالتزام بالعوائد في القطيف لمبلغ بين ٢٠ — ٢٤ الف روبية في السنة من قبل الحكومة المصرية وهو يرجو السماح له بتأدية هذا العمل دون معارضة من أحد . ويبدو أن المصريين كانوا يهدفون إلى التمهيد لإعادة فتح نجد من الغرب متوسلين لذلك باقامة قواعد على حدود أمير الوهابيين في الشرق . وقد استقبل السيد سعيد عبدالله بن مشاري استقبالا حافلا ، وقدم له سفينة تنقله من مسقط إلى القطيف ، أما فيصل بن تركي الذي استطاع الآن إبعاد قتلة أبيه وأصبح أمير الوهابيين الجديد فقد أرسل قوات كبيرة للدفاع عن

حقوق أهل القطيف ، وسرعان ما اختفى جامع العوائد المنتظر من القطيف بعد وصوله اليها مباشرة . وقد تبين أيضاً أنابناء بن مشاري كانوا قد استطاعوا الحصول على خطابات توصية من حكومة بومباي وحاولت القوة الوهابية التي ارسلت لطرد بن مشاري أن تعيد الاستيلاء على جزيرة تاروت من شيخ البحرين لكن جهودها فشلت ، وانتقم العتوب لانفسهم بأن جددوا حصار مينائي القطيف وعقير بعد أن كانوا رفعوا الحصار عنهما .

فشل الوهابيين في استعادة جزيرة تاروت وتملك العتوب للدمام ١٨٣٥
الصلح بين العتوب والوهابيين ١٨٣٦ ــ ١٨٣٨ :

وفي منتصف سنة ١٨٣٦ ، كانت القوات الإيرانية تهدد البحرين والقوات المصرية تهدد نجد ، فوجد كل من الوهابيين وشيوخ العتوب من الافضل تصفية الخلافات القائمة بينهم ، وبدأت المحاولات الأولى في هذا الاتجاه من جانب شيخ البحرين لكنها صادفت قبولا فورياً من جانب الأمير ، ووضع العتوب أنفسهم تحت حماية الوهابيين ورفعوا الحصار عن ساحل الأحساء . وفي سنة ١٨٣٧ كانت قوى أمير الوهابيين مستنفدة تماماً في الصراع العنيف الدائر في نجد بينه وبين والي المصريين هناك وكان يدعى خالداً . وشرع بنو عمير من بني خالد ، وانضم اليهم بعض بني هاجر المستقرين في الدمام تحت حماية العتوب في البحرين ، يرتكبون أعمال القرصنة ضد قوارب القطيف والعقير ، غير أن شيخ البحرين حصل على ترخيص من المقيم البريطاني في بوشهر ، وقام فوراً بأعمال حاسمة ضدهم أنهت محاولاتهم لتعكير الأمن في البحار .



الاحتلال المصرى الثانى للاحساء ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠

القوات المصرية تطرد الوهابيين ١٨٣٨ – ١٨٣٩ :

في نهاية سنة ١٨٣٨ انتهت عمليات المصريين العسكرية في نجد باستسلام أمير الوهابيين فيصل بن تركي في ديلم بالخرج حيث أرسل سجيناً إلى مصر ، وقبل هذا حدث أن دبر آل عمير من بني خالد في الهفوف مؤامرة لحساب القوات المصرية لكنها انكشفت وعاقبهم عمرو بن عفيصان أمير الوهابيين في الأحساء عقاباً رادعاً إذ أمر باعدام ثلاثة من كبار المشتركين فيها . وحين سقطت ديلم خضعت واحتا الأحساء والقطيف تلقائياً للقوات المصرية ، على حين لجأ ممثل الوهابيين إلى البحرين . وألقى المصريون القناع الذي كانوا يتقنعون به وهو مساعدة خالد المطالب بالحكم فأعلنوا أنهم يفتحون هذه الأرض باسم محمد علي باشا والي مصر . ولا نعرف على التحديد ما إذا كان خورشيد باشا القائد العام المصري الذي كان يتخذ مقر قيادته اولا في السلمية بالخرج ثم بعد ذلك في ثرمده بالوشم ـ قد زار الأحساء بنفسه ام لا .. لكن إدارة مصرية منظمة أقيمت هناك على الفور ، كما وضعت حامية من ٣٠٠ جندي غير نظامي في الهفوف ووضعت حاميات أخرى صغيرة في القطيف وسيهات والعقير على ساحل الأحساء .

أعمال القوات المصرية في الاحساء ١٨٣٩ :

وفي وقت من الأوقات بدا محتملا أن القائد المصري يود أن يمد فتوحاته لتشمل جزر البحرين وعمان أمّا ما عملته الحكومة البريطانية التي استطاعت أن تستبق هذا الهدف فهو موجود بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة وجزر البحرين .. ولكن لم يحدث صدام فعلى من جانب أي من الطرفين لذلك كان إعلان شيخ البحرين في سنة

١٨٣٩ خضوعه للمصريين شيئاً سابقاً لأوانه ولا ضرورة له على الإطلاق . وفي سنة ١٨٣٩ وأثناء احتلال المصريين للأحساء أرسلت حملة تتكون أساساً من بعض القوات النظامية المصرية إلى جانب عدد من عرب المخضبة من بني هاجر ضد بني نعيم في قطر ممّن رفضوا أن يدفعوا الجزية ، لكن اغتيال محمد أفندي الحاكم المصري في الأحساء على يد بعض الأعراب في الهفوف حتم رجوع هذه الحملة .

جلاء القوات المصرية عن الاحساء ١٨٤٠ :

وكان وضع خورشيد باشا في نجد يزداد حدة وصعوبة ، فعداء أهل البلاد جعل من المتعذر عليه أن يرسل الامدادات إلى مواقعه أو يحافظ على خطوط مواصلاته دون انقطاع ، كما أنه كان ينتظر وصول اربع سفن مسلحة تحمل أسلحة وذخائر عن طريق البحر الاحمر لكنها لم تصل ، ووصل بدلها قارب واحد في نوفمبر ١٨٣٩ كان يحمل شحنة من الذخائر. وشيئاً فشيئاً بدأ يتضح أن غزو البحرين —وهو الهدف المحتمل لتقدم المصريين حتى شواطىء الخليج— شيء لن تسمح به الحكومة البريطانية وهناك أخيراً أن سيده محمد علي باشا بدأ ينظر بغيرة وكراهية إلى نجاح قائده خورشيد باشا .

في هذه الظروف أصبح التراجع الشامل أمراً لا مفر من حدوثه . وفي الأحساء وهى أول الأقاليم التي تم جلاء القوات المصرية عنها يبدو أن ذلك قد بدأ تنفيذه في إبريل أو مايو سنة ١٨٤٠ . وكان آخر ما عملته القوات المصرية هناك هو تنفيذ حكم الإعدام في الشيخ برغش شيخ فرع آل حميد من بني خالد ، وقيل إنه أعدم انتقاماً لإطلاق النار على محمد أفندي حاكم الأحساء المصري . وأثناء انسحاب القوات المصرية كانت الحكومة البريطانية مهتمة اهتماماً كبيراً بالحصار الذي كان المصريون قد فرضوه على ساحل الأحساء ، شاملا مواني القطيف وعقير وسيهات .

الحالة الداخلية في الاحساء منذ احتلال المصريين الثاني لها حتى احتلال الاتراك ١٨٤٠ ـ ١٨٧١

إن تقسيم الاحداث التي وقعت في الأحساء خلال الجيل الذي قام بعد جلاء القوات المصرية عن هذا الاقليم في سنة ١٨٤٠ تحت عناوين الحالة الداخلية والعلاقات مع البحرين والعلاقات مع الحكومة البريطانية هو تقسيم يبدو بالضرورة سطحياً جداً .. غير أننا نطبقه هنا ابتغاء الوضوح فقط .

الأحساء تحت حكم الامير خالد ١٨٤٠ – ١٨٤٢ :

حين انسحب المصريون من نجد جعلوا من خالد –دميتهم التي أعدّوها– أميراً لنجد تعاونه فرقة من قواته تبلغ حوالي ٨٠٠ جندي نظامي . وبدأ الحاكم الجديد وكان لا يعي ضعف قواته في الواقع يحلم بالتوسع والفتح .. وهكذا خرج في اكتوبر سنة ١٨٤١ متجهاً نحو الأحساء وفي نيته ارسال حملة على عمان .. لكن الاضطرابات التي حدثت بالقرب من مقر حكمه أجبرته على الرجوع إلى نجد . وفي ديسمبر ١٨٤١ –أو أوائل سنة ١٨٤٢– استطاع عبدالله بن ثنبيان– وهو أحد منافسيه الأقوياء– أن يطرده من الرياض ، فتراجع الى القطيف مع قواته الاجنبية التي كان وجودها نفسه أمراً يرهق رعاياه ، كما كان أحد الأسباب الرئيسية لسقوطه . وكان أهل الأحساء قد بدأوا بالفعل يراسلون عبدالله الأمير الجديد . وسرعان ما أرغم أهل القطيف خالداً على إبعاد جنوده المصريين ، وطلب اللجوء لحماية مبارك ابن شيخ البحرين في قلعة الدمام المواجهة للبحر ، وقد استقبله مبارك مرحباً به كضيف ، وفي إبريل ١٨٤٢ زار شيخ البحرين في خور حسان بقطر وعومل هناك معاملة كريمة كما لقي تشجيعاً ووعداً بالمساعدة في استعادة القطيف ، وانتهت العمليات التي تمت باسمه ضد واحة الأحساء وميناء

العقير ببعض النجاح ، لكن مبارك بن عبدالله تراجع بسرعة قبل وصول جيش الأمير عبدالله المنتصر ، وبعدها رحل خالد من الدمام إلى الكويت .

الإحساء تحت حكم الأمير عبدالله ١٨٣٢ — ١٨٤٣ :

ولم تكن تحدث أحداث داخلية هامة تستحق التنويه خلال حكم عبدالله الذي تبع الأمير خالداً في الأحساء . وفي نهاية سنة ١٨٤٢ كان أهل الإحساء الذين رحبوا بهذا الامير في البداية قد بدأوا يسخطون عليه بسبب أعماله في القطيف . . ولكن لم تتبلور أية حركة ضد سلطته بين أهل الأحساء . وقد رفض بعض قبائل البدو المجاورة الخضوع له في البداية ولكن يبدو أنها ارغمت على هذا الخضوع . وفي سنة ١٨٤٣ كانت سلطته قد انتهت تماماً .

الاحساء تحت حكم الامير فيصل ١٨٤٨ — ١٨٦٣ :

وفي سنة ١٨٥١ قام فيصل الذي خلف الأمير عبدالله بزيارة قطر . وربما قام بجولة في الأحساء قبل هذا التاريخ ، ويبدو أنه كان يهدف من هذه الجولة إلى تأديب بعض قبائل البدو . وحتى ذلك اليوم ما يزال يقال إنه الحاكم الوحيد من نجد الذي استطاع أن يحقق بعض النجاح في إخضاع آل مرة المتمردين الأقوياء .



علاقات الاحساء بالبحرين خلال نفس الفترة ١٨٤٠ — ١٨٧١

ولا يبقى شيء في شئون الإحساء يستحق الذكر خلال هذه الفترة اللهم إلا علاقتها بالبحرين .. وهذه موجودة بالتفصيل الكامل في تاريخ البحرين .. لذا تجمل هذه الاحداث باختصار هنا .

دعوة لشيوخ البحرين كي يضموا اليهم الإحساء ١٨٤٠ :

في ١٨٤٠ —واثناء انسحاب القوات المصرية من البلاد دعا بعض السكان بواسطة مشرف وهو شيخ بني خالد على الارجح(١) الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين لاحتلال الأحساء وطرد خالد صنيعة المصريين منها . وكان رفض هذه الدعوة بايحاء من عبدالله الشيخ الكبير أحد أسباب الانقسام الذي تحول إلى حرب أهلية سرعان ما نشبت بين شيوخ البحرين .

الخلاف بين الوهابيين وعبدالله شيخ البحرين :

وخلال المرحلة الاولى من مراحل هذا الصراع بين الشيوخ المتنافسين في البحرين كان النصر لعبدالله الشيخ الكبير ، وانسحب محمد إلى الأحساء سنة ١٨٤٢ ومنها رحل إلى الرياض حيث أبدى عبدالله الأمير الوهابي الجديد استعداداً لتبني قضيته وكانت نتيجة هذا العمل القطيعة بين أمير الوهابيين وشيخ البحرين القائم ، فحاصر الشيخ ساحل الأحساء ومنح معظم سكان سيهات الذين هاجروا فراراً من مظالم الحاكم الوهابي في القطيف مأوى في البحرين ، وألقى الأمير من ناحيته القبض على شيخ بني هاجر المدعو شافعي وكان وثيق الصلة بشيخ البحرين . وكانت الدمام على ساحل الأحساء ما تزال تابعة للبحرين لكن بشير بن رحمة كان يزعم أيضاً أنه ورثها عن أبيه . ومن مجرى المفاوضات التي دارت لإطلاق سراح شافعي يتضح أن ميناء العقير كان ايضاً في ذلك الوقت تابعاً لشيخ البحرين لكنه لم يستمر طويلا في حوزته .

وحين طرد الشيخ عبدالله من البحرين في إبريل ١٨٤٣ أقام مع أبنائه في الدمام —المكان الوحيد الذي بقي من ممتلكاته— وهناك حاصره

(١) لا شيء يشير — على أية حال — الى أن هذا المشرف كان هو نفسه الذى لقى كابتن سادلر على يديه معاملة غير انسانية في سنة ١٨١٩ .

الشيخ محمد بعد زمن قصير يساعده بشر بن رحمه وعيسى بن علي ..
أما البر فقد كانت تحتله قوة من الوهابيين ابتداء من نهاية ١٨٤٣ .

وفي مارس ١٨٤٤ أستسلمت الدمام للوهابيين ، بل إن الشيخ عبدالله نفسه كان معرضاً للأسر في وقت ما خارج النطاق الذي كان يحاصر المدينة ، واحتل الوهابيون باسم أميرهم محمد فيصل بن تركي مما أسخط بشير بن رحمة الذي كان الشيخ محمد شيخ البحرين قد وعده بتسليمها اليه . وهذه الامور جميعاً تتعلق بتاريخ البحرين أكثر منها بتاريخ الأحساء .

الائتلاف بين الوهابيين والشيخ عبدالله شيخ البحرين السابق ١٨٤٥ — ١٨٤٧ :

وفي سنة ١٨٤٤ أو ١٨٤٥ بدأ الشيخ عبدالله مفاوضاته مع الوهابيين بهدف الاستعانة بهم ، وقدم هؤلاء العون له بسرعة ربما لأنهم وجدوا أن الشيخ محمد بمجرد أن أصبح حاكم البحرين أصبح معارضاً لنفوذهم . وفي ١٨٤٥ حين أعلنت الحرب بين الوهابيين و البحرين حاصر شيخ البحرين ساحل الأحساء وجعل في خدمته قرصاناً معروفاً يدعى حميد بن مجدل الذى سيكون لدينا الكثير لنقوله عنه حين ننتقل إلى علاقات بريطانيا بالإحساء— ونزل الشيخ السابق عبدالله سراً على ساحل الإحساء بالقرب من رأس تنوره ، وخلال اتصالات أجراها الشيخ مع ابنه مبارك الذي ظل منذ سقوط الدمام مقيماً وسط بني بدو هاجر في البر— ومع عبدالله بن سعود الحاكم الوهابي في القطيف ، كان الشيخ السابق يعد حملة على البحرين ، لكن خططه أحبطت جميعاً — —لحظة البدء في تنفيذها— نتيجة انتقال أخبارها إلى شيخ البحرين . وظل حصار الشيخ شواطىء الأحساء مستمراً طوال سنة ١٨٤٦ . وفي سبتمبر من هذه السنة استقر الشيخ عبدالله موقتا في الدمام تحت حماية الوهابيين ثم انتقل عقب فترة قصيرة إلى جزيرة تاروت ، وحدثت اشتباكات

طفيفة على البر بين الفريقين لم يشترك فيها الشيخ السابق بنفسه . وفي بداية ١٨٤٧ تخلى القرصان حميد بن مجدل وانصاره من قبيلة آل عمير عن شيخ البحرين . وحين عرف الشيخ عبدالله بهذه الخيانة انتقل من الدمام ولم يتخذ الأحساء قاعدة لعملياته بعد ذلك .

الوهابيون يجعلون أبناء الشيخ عبدالله شيخ البحرين السابق على الدمام ١٨٥٢ :

وفي ١٨٥٠ توترت العلاقات مرة أخرى بين شيخ البحرين وأمير الوهابيين وعاد الشيخ مرة أخرى في سنة ١٨٥١ إلى حصار شاطىء الإحساء . لكن أبناء الشيخ السابق عبدالله استطاعوا أختراق هذا الحصار بأسطولهم من الشاطىء الايراني ودخلوا إلى ميناء القطيف حيث وضعوا الاسطول في خدمة الامير فيصل . وأدى وصول اسطول بريطاني إلى خارج البحرين إلى إيقاف العمليات العدائية على هذه الحزر من جانب الوهابيين وحلفائهم . لكن أبناء الشيخ عبدالله تلقوا مكافأة من الوهابيين على مساعدتهم بأن سمحوا لهم باعادة احتلام الدمام .

محاولة لغزو البحرين من القطيف والدمام ١٨٥٩ :

وفي ١٨٥٩ —وكما هو مذكور بالتفصيل في تاريخ البحرين— بدأت الاستعدادات في القطيف من جانب حاكمها الوهابي ، وفي الدمام من جانب محمد ابن الشيخ السابق عبدالله لغزو البحرين .. لكن خططهم هذه أحبطها وصول الاسطول البريطاني بقيادة القائد بلفور الذي أدى إلى ايقاف كل نشاط من جانب الوهابيين إيقافاً كاملا .

السلطات البريطانية تطرد محمد بن عبدالله من الدمام ١٨٦١ :

وظل وجود محمد بن عبدالله في الدمام على علاقة وثيقة بالدولة الوهابية مدى سنوات طويلة خطراً ماثلا يتهدد البحرين ، وبعد مناقشة أعقبت أحداث سنة ١٨٥٩ قررت حكومة الهند ضرورة طرده منها .

ومن قبل حين اقترح كابتن فيلكس جونز المقيم السياسي على أمير الوهابيين إبعاد محمد بن عبدالله .. أجابه هذا الأمير بخطاب ساخط . والآن حين تكرر هذا الطلب لنفس الأمير حسب اوامر حكومة الهند لزم هذا الصمت التام . وهكذا ، في نوفمبر سنة ١٨٦١ —وكما هو مذكور في تاريخ البحرين— ارغمت نيران السفن الحربية البريطانية محمد بن عبدالله وأنصاره على الهجرة من الدمام .

هذا وإن شئون إقليم الأحساء من حيث كان قاعدة للعمليات التي أدت إلى نجاح الشيخ السابق محمد بن خليفة بمعاونة قبيلة بني هاجر من البر في غزو البحرين مذكورة بالتفصيل في تاريخ إمارة البحرين .



علاقات بريطانيا بالاحساء خلال نفس الفترة ضم الاحساء الى تركيا ١٨٧١

عملية قرصنة يرتكبها قارب من الدمام ١٨٤٠–١٨٤١ :

في أوائل سنة ١٨٣٠ حدثت عملية قرصنة على قارب كويتي من المنطقة الواقعة بين خور موسى ومدخل شط العرب ، وظل الفاعلون مجهولي الهوية حتى أغسطس سنة ١٨٤١ حين تبين أن أحد أنصار مبارك ابن عبدالله الذي كان يحكم الدمام باسم أبيه كان من المشتركين في هذا العمل . وعلى هذا الاساس طلب الى شيخ البحرين دفع مبلغ ٢٧٤ روبية « من روبيات محمد شاه » أو تسليم القرصان وقاربه . وقد رضي الشيخ بالمطلب الاول .

بعثة الملازم جوب في الإحساء ١٨٤١ :

وكان لبعثة الملازم جوب الذي زار أمير الوهابيين بالإحساء في نوفمبر ١٨٤١ علاقة بالخطط التي تردد أن الأمير ينوي تنفيذها بالنسبة لعمان والتي سنشير اليها تفصيلا في مكان آخر .

قرصنة حميد بن مجدل وعقابه ١٨٤٥-١٨٥٤ :

وفي خلال المدة من ١٨٤٥ إلى ١٨٥٤ تركز اهتمام السلطات البريطانية عدة مرات في ساحل الاحساء نتيجة أعمال السوء التي اقترفها حميد بن مجدل — وهو أحد بني عمير من قبيلة بني خالد وحليف شيخ البحرين، كما أشرنا وذلك ضد الوهابيين وفي سنة ١٨٤٥ .وكان انتقل للجانب الآخر سنة ١٨٤٧ . ففي أوائل ١٨٤٥ خرج حميد —ومعه بعض قبيلته— إلى مأواه المعتاد في جزيرة أبو علي بعد أن أصبح يعمل لصالح شيخ البحرين ، واستولى في طريقه على سفينة تابعة لخارج كانت على وشك دخول ميناء القطيف تحمل شحنة قمح م ن.ريق ، وحمل السفينة وشحنتها إلى جزيرة أبوعلي ، أما البحارة فقد سمح لهم بالعودة إلى بلدهم بسفينتهم الفارغة بعد أن جردوهم من كل ممتلكاتهم ، وقدرت الخسائر بمبلغ ١٥٠٠ روبية شاهية .. وذكر أن حميد بن مجدل حين وجه اليه تحذير بأن هذه الشحنة التي نهبها تخص فرداً تحت الحماية البريطانية ، ضحك ساخراً وتساءل : «ومن هم هؤلاء البريطانيون ؟ » .

ولم يكن ممكناً تحمل هذا الاحتقار الواضح للأمن في البحار والقائمين على حمايته ، وفي مايو سنة ١٨٤٥ ارسل المقيم مساعده الكابتن كمبول لعقاب هذا القرصان الذي اتخذ لنفسه الآن مقراً في جزيرة جنة . وتم تنفيذ هذه المهمة التي تولاها القائد هوكنز بسفينة صاحبة الجلالة رافعة العلم «كووت » والطراد « كونستانس » يعاونهما قاربان مسلحان ، بعد عدة صعوبات ملاحية ، وقد رد خميد —الذي كان يتصور أن جزيرة جنة هذه لا يمكن الوصول اليها— على الإنذار الأول الذي وجه اليه بالاستسلام بوقاحة سافرة ، لكنه حين طلع الصباح ووجد جزيرته محاصرة من كل جانب بالسفن والقوارب المسلحة سارع الى الاعتذار ، وقد ارغم على تسليم سفينته التي ظلت محتجزة حتى أكتوبر التالي ، ولم تسلم اليه الا بعد أن دفع ٢٠٥٩ روبية شاهانية نقداً و ١٤١ عيناً در

وكانت هذه العمليات مرهقة أشد الارهاق للذين قاموا بها بسبب حرارة الجو الملتهبة تلك الأيام في شهر يونيو ، وقد أثنى مجلس المديرين ثناء حاراً على الطريقة الناجحة التي سيرت بها الحملة . . .

التحركات البريطانية البحرية في القطيف ١٨٤٦ :

وفي صيف سنة ١٨٤٦ وجد الحاكم الوهابي في القطيف في نفسه من الجرأة ما يجعله يوجه خطاباً للمقيم البريطاني يطلب فيه أن تقوم السلطات البريطانية بطرد حميد بن مجدل من المنطقة وباعادة سفينة كبيرة وخمسة قوارب كان هذا قد استولى عليها من القطيف . وهدد الامير المقيم في حالة عدم تنفيذ هذه المطالب بالسماح لبني هاجر وغيرهم من قبائل البدو بارتكاب عمليات القرصنة . وقد اجيب المسئول الوهابي الغاضب على خطابه هذا إجابة ودية لكنها حاسمة نقلها اليه طرادان من بحرية صاحبة الجلالة .

تكرار القرصنة من جانب حميد بن مجدل وتكرار عقابه ١٨٤٥ :

وفي سنة ١٨٥٤ ارتكب حميد ن مجدل عملية قرصنة أخرى ــ وكان يبدو أنه قد استقر في عانق بالقرب من مدينة القطيف ــ بأن استولى على سفينة كبيرة ورفض إطلاقها رغم أن المقيم البريطاني ، كابتن كمبول ــ ذهب إليه بنفسه يطلب تسليمها ، ويبدو أنه كان يظن نفسه تحت حماية العلم التركي حماية مطلقة ، ما دام قد رفعه حيث يقيم ، وحين رفع الأمر إلى حكومة بومباي صدرت أوامرها بتحطيم السفينة التي يملكها القرصان بالقوة لو لزم الأمر ، دون تورط مع ذلك في أية اشتباكات برية .

وفي نوفمبر ١٨٥٤ وصل اسطول من سفن البحرية الهندية خارج عانق ، وكان يتكون من السفينة رافعة العلم «كليف» يقودها القائد روبنسون ، والسفينة «تيجرز» يقودها الملازم فولرتون والسفينة

«فولكلاند» يقودها القائد هيويت ، والسفينة «كونستانس» يقودها الملازم كرين . وكان الوصول إلى عانق نفسها بحراً غير ممكن ولكن شوهدت بالقرب منها سفينة أقام العرب حولها إستحكامات رملية وكانت على وشك الإبحار ، فهاجمها اسطول مكون من ١٣ قارباً .. كان أحدها مجهزاً بالبنادق والبقية يحمل كل منها مدفعين عيار ١٢ رطلا و ٦ مدافع عيار ٣ أرطال إلى جانب قوة من ٢٤٠ جندي وبحار . وخلال هذا الاشتباك انحسر المد عن القوارب البريطانية فأصبحت على أرض جافة ، فسارع اليها العرب يريدون الاستيلاء عليها ، ولكن صدتهم عنها نيران حامية من البنادق والمدفعية ، وحين انحسر الجزر ظن حميد بن مجدل الا مناص له من طلب الهدنة . فرفعت سفينته العلم الابيض ، واستسلمت السفينة ثم احرقها في الصباح التـــــالي الاسطول الذي عاد إلى الساحل لهذا الغرض . ومن جانب البريطانيين جرح عدة رجال فقط في هذا الاشتباك ، لكن خسارة العرب كانت جسيمة . كما أن الصواريخ والقذائف ثبطت من هممهم .

وقد أشرنا من قبل إلى مظاهرات البحرية البريطانية في القطيف والدمام سنة ١٨٥٩ ، وطرد القوات البريطانية محمد بن عبدالله من الدمام سنة ١٨٦١ ضمن علاقة ذلك بأحداث البحرين . وقد أثارت أعمال البريطانيين في الدمام سنة ١٨٦١ احتجاجاً عنيفاً من جانب الوالي التركي في بغداد في السنة التالية .. على أساس أن الدمام تابعة «لفيصل بك قائمقام نجد» وهي بالتالي «جزء من أملاك السلطان الموروثة» ، ورد المقيم البريطاني على هذا الاحتجاج باستنكار زعم تركيا وتأكيد حقوق بريطانيا في التعامل مباشرة مع الدولة الوهابية وأميرها .

عمليات بريطانيا في القطيف والدمام ١٨٦٦ :

وفي سنة ١٨٦٦ ، وعلي أثر انقطاع العلاقات بين الحكومة البريطانية وأمير الوهابيين بدأت سفينة صاحبة الجلالة «هاي فلاير»

بقيادة الكابتن باسلي العمل في القطيف والدمام ، وهي الاماكن الوحيدة -باستثناء العقير- التي يمكن الوصول اليها بحراً من أرض الدولة الوهابية . ويرد هذا العمل وخططه العامة بالتفصيل في الجزء الخاص بتاريخ نجد . وفي ١٣ يناير سنة ١٨٦٦ وجه إنذار -مدته ١٧ يوماً- إلى أمير الوهابيين في الرياض عن طريق ممثله في القطيف ، وفي ٣٠ يناير - وبعد مقابلة في خليج الفينستون مع الرائد بيللي المقيم السياسي - عاد كابتن باسلي مرة أخرى بسفينة صاحبة الجلالة «هاي فلاير» إلى القطيف حيث تأكد من عدم وصول رد على الانذار ، وعلى هذا فقد دخلت القوارب بقيادة الملازم فيلوز ميناء القطيف يوم ٢ فبراير وحطمت الحصن الصغير المعروف باسم برج أبو الليف كما دمرت سفينة وطنية لم تكن تستحق أن يستولى عليها ، وفي اليوم التالي ارسلت القوارب يقودها الملازم بونج لتدمير قلعة الدمام اذا تيسر لها ذلك . ونزلت فرقة منها إلى البر ، وكان عليها أن تتقدم مسافة طويلة ثم تهاجم القلعة ، لكنها فوجئت بوجود حامية فيها أكبر مما كان متوقعاً ، وتأكد المهاجمون بأنهم لن يجدوا مدخلا اليها . وعلى هذا تراجعوا إلى قواربهم بعد أن فقدوا ثلاثة رجال قتلى وجرح ضابطان وثلاثة جنود . وفي يوم ٤ فبراير جدد الملازم لونج هجومه على الدمام وقت ارتفاع المد ، ومالت القلعة نتيجة ما أصابها من طلقات الرصاص والقذائف والصواريخ ، لكنها لم تدمر تماماً وبقيت في أيدي الأعداء ، وعادت السفينة البريطانية بعد ذلك من الإحساء إلى طرف الخليج وقامت بعمليات أخرى حققت فيها مزيداً من النجاح في سور .

وربما يرجع فشل العمليات البريطانية التي تمت على شاطيء الأحساء إلى عدم وجود مسئول بريطاني ذي معرفة وخبرة على ظهر السفينة « هاي فلاير » فقد كان الممثل السياسي الوحيد الموجود مع كابتن باسلي هو وكيل المقيمية (الوطني) في الشارقة الذي أنابه الرائد بيللي بدلا منه أثناء اضطراره للتغيب .

المصالح التجارية البريطانية :

وخلال هذه الفترة استقرت جالية صغيرة تحترف التجارة من مواطني الهند البريطانية في القطيف وكانت تعمل أساساً في استيراد التجارة العامة من الهند وتصدير التمور المجففة اليها . وكانت اول وكالة تجارية هندية في القطيف هي الّتي يمتلكها كالونجا وهو تاجر ثري من كاش بدأ عمله في الأحساء سنة ١٨٦٤ تقريباً . وتبعتها وكالتان اخريان في سنة ١٨٦٦ تقريباً .



ضم الاحساء لتركيا

معنى حركة تركيا إلى الدمام :

كشفت مواقف المسئولين الاتراك في العراق تجاه شيخ الكويت عن مخطط للتوسع الاقليمي في شرق الجزيرة منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٨٦٦ . وفي سنة ١٨٧١ بدأت سياسة التوسع من جانب الحكومة العثمانية أو مسئوليها المحليين تزداد وضوحاً ، ولم تكن الأسباب المؤدية إلى هذه السياسة موجودة في الخليج نفسه ، بل ربما كانت ذات طبيعة أعم وأشمل ترتبط برغبته الحكومة التركية في تأكيد سلطتها على القارة العربية ككل .

وفي الخليج كشفت اتجاهات المسئولين الأتراك من زمن بعيد عن غيرتهم من الوضع الذي اكتسبته الحكومة البريطانية في الخليج ، ويبدو أن هدف الباب العالي كان مد سلطته إلى الساحل العربي وجزره من الكويت إلى مسقط ، لكن تحقيق هذا الهدف اعترضته عقبات طبيعية إلى جانب معارضة بريطانيا .

وكان المنفذ الأول لهذا التوسع هو مدحت باشا الحاكم التركي

للعراق في ذلك الوقت ، وأتاحت الخلافات التي نشبت بين الاسرة الوهابية الحاكمة في نجد فرصة مناسبة للتدخل . فقد نشب الصراع بمجرد موت الأمير فيصل بن تركي في سنة ١٨٦٥ بين ابنيه عبدالله وسعود ، وأفاد الاتراك من هذه الفرصة ليجعلوا من عبدالله قائمقاماً لنجد باسمهم . وحصلوا منه على اعتراف بسيادتهم على وسط الجزيرة العربية .

محادثات بين الباب العالي والحكومة البريطانية :

ويبدو أن إشارة إلى نوايا الحكومة التركية قد وصلت إلى مسامع حكومة الهند في اوائل سنة ١٨٧١ ، ففي فبراير من نفس السنة صدرت الأوامر للرائد هربرت المقيم السياسي في بغداد بتحري الأمر . ولم يجد في البداية ما يعزز هذه الشائعة لكنه أخيراً -في اواخر مارس- كتب تقريره الذي جاء فيه أن حملة تركية سترسل قريباً عن طريق البحر من العراق للقطيف للوقوف إلى جانب عبدالله في وسط الجزيرة . وعلى الفور ، لفتت حكومة الهند نظر حكومة صاحبة الجلالة إلى عدم رغبتها في نشوب هذه الحرب من جانب الباب العالي لانها ستخرق السلم في البحار ، وقد تؤدي إلى تدمير التجارة البريطانية ، إلى جانب المشكلات السياسية التي ستنجم عن حرب مثلها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أبلغ الرائد هربرت في بغداد بأن النية تتجه إلى مد السيادة العثمانية إلى « البحرين ومسقط والقبائل العربية المجاورة في جنوب الجزيرة العربية» ، وأجرت حكومة الهند اتصالا جديداً بحكومة صاحبة الجلالة ، وفي نهاية إبريل أو أوائل مايو ورد تأكد من الباب العالي في القسطنطينية بعدم وجود أية نوايا توسعية في هذه المنطقة ، وأضاف الأتراك في ردهم يقولون إن هدفهم الوحيد هو عودة الهدوء إلى نجد ، وأنهم لا يودون أبداً إحداث ما من شأنه تعكير السلم في البحار .. لكنهم سيقتصرون على نقل قوة عن طريق البحر إلى أقرب نقطة على الساحل يمكن منها السير إلى نجد في الداخل .

. وفي مايو تأكد أن مدحت باشا ـــ الذي وصف البحرين سنة ١٨٧٠ بأنها «بلاد تابعة للسيطرة العثمانية .. وهي جزء من قائمقامية نجد» ـــ كان يعرف يقيناً الأعذار التي تعلل بها الباب العالي ، فأعلن أن قائد الحملة قد صدرت له أوامر صريحة «بعدم التعرض لجزر البحرين على الإطلاق» . وفي نفس الوقت سأل شاه إيران ممثل بريطانيا في طهران عن نوايا الحكومة التركية فيما يتعلق بالبحرين ، وأبلغ بالتأكيدات التي صدرت عن الباب العالي . أما رئيس الوزراء في القسطنطينية فقد وضح أنه ساخط بعض الشيء على المصالح البريطانية واهتمامها بحركة التوسع التركية ، وأصبح ضرورياً تخليصه من اعتقاده الراسخ بأن السلطات البريطانية هي المحرض الأول للقبائل العربية كي تتمرد على سلطة تركيا في الجزيرة والخليج .

السياسة البريطانية في الخليج من حيث علاقتها بالحملة التركية :

وكان احتمال اضطراب حبل الامن في الخليج ، وهو حدث مستبعد قد اوقع حكومة الهند في مأزق ، ووضح الآن أكثر من أي وقت مضى عدم كفاية الأسس الرسمية ، أي المعتمدة على اتفاقيات قائمة بالفعل ، للتدخل العسكري في الأمر . ولم تكن المشكلة هي الاعمال العدائية بين الموقعين على اتفاقية السلم الشاملة ، بل الحرب المحتملة بين الموقعين عليها وغير الموقعين ، ولم يكن في الاتفاقية نص يتعلق بهذه الحالة . وتقدم بعض مشايخ العرب إلى الرائد بيلي المقيم العام في الخليج يتساءلون عما اذا كانت السلطات البريطانية ستمنع القبائل البحرية من الوقوف إلى جانب الأمير سعود الوهابي في نجد ضد الأتراك ، كما ارسل سعود كتاباً إلى المقيم يخطره فيه بضرورة منع شيخ الكويت من تقديم العون للاتراك ، وإلا فانه حر في أن يقوم بأعمال بحرية ضده ، ومن ناحية ، كان ثمة إحساس من جانب السلطات البريطانية بأن منع القبائل

العربية من تقديم عونها لسعود يعني تأييداً بشكل غير مباشر للحملة التركية ، ومن الناحية الاخرى ، كان ثمة خوف من أن يؤدي إطلاق حريتهم الكاملة إلى اضطراب التوازن القائم في الخليج ، والى تقديم تبريرات للأتراك يمارسون بمقتضاها مزيداً من التدخل وضم أرض هذه القبائل إلى الدولة العثمانية .

وأخيراً في ٣٠ مايو سنة ١٨٧١ صدرت التعليمات للمقيم السياسي بزيارة البحرين ليؤكد للشيخ أنه طالما ظل ملتزماً باتفاقية سنة ١٨٦١ مع الحكومة البريطانية فان هذه الحكومة -بدورها- ستوفي بالتزاماتها نحوه(١) . وفي ٥ يونيو صدرت تعليمات جديدة للرائد بيللي بأن يمنع شيوخ عمان المتصالحة من القيام بأية عمليات بحرية سواء في صف الأتراك أو ضدهم ، وأن يستخدم نفوذه مع غيرهم من الشيوخ لتحقيق السلم في البحار . ولم يرسل أي رد حتى ذلك الوقت إلى سعود أمير الوهابيين . وحين نشبت هذه الأزمة لم تكن ثمة سفينة بريطانية واحدة في الخليج . ولكن أخيراً وصلت السفينة «بولفينش» إلى البحرين يوم ٣ يونيو ، ومرت السفينة «مجباي» بجاشك يوم ٥ يونيو ووصلت السفينة «لينكس» هانجام في ١٦ يونيو .

وأبلغت الحكومة التركية بالتعليمات التي صدرت للمقيم السياسي ، وقدم كبير الوزراء شكره وامتنانه ، لكنه أضاف ، أنه اذا شاء بعض مشايخ عمان المتصالحة الوقوف إلى جانب تركيا فان الحكومة التركية لا بد أن تقبل هذا من جانبها ، فهي لا تعرف شيئاً عن اتفاقيات السلم البحرية هذه . ولتفادي هذا المأزق قدمت فوراً نسخ من الاتفاقيات المعقودة بين الحكومة البريطانية والشيوخ المتصالحين للوزير التركي .

---

(١) يبدو أن الهدف كان هو تأكيد تقديم المعونة ۰ أما في الاتفاقية فلم تعد الحكومة البريطانية بان تتجاوز حمايتها « زعماء وقبائل الخليج ۰۰ » فقط ۰

احتلال الاتراك واحة القطيف :

لكن تفاصيل هذه العمليات من جانب تركيا ناقصة في معظمها . فالجانب البحري من الحملة –كما وصفه الرائد هربرت في البصرة في أوائل مايو– كان يتكون من السفينة الحربية البخارية «برونزة» المسلحة بخمسة وعشرين مدفعاً ، والسفينة «نيبتون» وهي أصلا سفينة غير مسلحة ، ولكنها زودت بأربعة مدافع ، والسفينة «خوجة بك» وهي سفينة حراسة خشبية قديمة عليها ١٨ مدفعاً قديماً معظمها لا يساوي شيئاً ، وثلاث سفن صغيرة –أصغر من «خوجه بك»– من صنع البصرة تحمل ١٢، ٦، ٤ مدافع ، وقد اضيفت إلى الاسطول سفينتان أخريان . لكن معظم السفن المستخدمة في النقل كان على شيخ الكويت أن يقدمها ، وقد لحق هو بنفسه بالحملة ومعه ٣٠٠سفينة من سفن مينائه ، واصطحبت القوات التركية السيد محمد سعيد ابن نقيب البصرة منصور شيخ المنتفق وغيره من وجهاء العرب في العراق .. ربما «كناطقين بلسانها» أو وسطاء سياسيين لها . ونزلت القوات التركية التي كانت تتكون من حوالي ٤٠٠٠ جندي نظامي و ١٥٠٠ عربي و ٩ مدافع إلى رأس تنوره في ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ وسارت براً إلى القطيف دون أن تلقي معارضة تذكر ، ولما رفض الحاكم الوهابي في القطيف أن يستسلم هوجمت المدينة براً وبحراً في ٣ يونيو . وتم الاستيلاء عليها بعد أن استمر ضربها ثلاث ساعات . وارسلت فرقة احتلت عانق بعد مقاومة طفيفة .

واستولت هذه الفرقة على ثلاثة مدافع وكمية من الذخيرة ، ثم سارت إلى الدمام التي سقطت يوم ٥ يونيو . وهرب عبدالعزيز –ابن الأمير سعود الوهابي– من الدمام قبل سقوطها ، تاركاً وراءه سجيناً أطلق سراحه الأتراك هو محمد بن فيصل ، كما استولى الأتراك أيضاً على تسعة مدافع جديدة ومدفعين من النحاس وبعض مخازن الأسلحة الصغيرة

والذخائر . وفي نهاية يونيو عاد اسطول الكويت إلى مينائه وكانت القوات التركية ما تزال في واحة القطيف لكنها لم تتقدم بعدها .

الاعلان التركي في القطيف :

وحين وصل الأسطول التركي مدينة القطيف أصدر قائده نافذ باشا بياناً أعلن فيه أنه جاء على رأس هذه الحملة لاسترجاع سلطة عبدالله قائمقام نجد من معارضيه ، وأن غريمه سعود وأنصاره سيصفح عنهم اذا جاءوا وأعلنوا خضوعهم ، أما القبائل التي تظل هادئة مسالمة في القطيف فستحظى ولا شك بحماية تركيا وإحسانها .

تقدم القوات التركية الى واحة الاحساء :

وفي أوائل يونيو خرجت القوة التركية من القطيف إلى الهفوف ، واستغرقت هذه المسيرة عبر الصحراء –رغم عدم وجود أية مقاومة– حوالي ١٥ يوماً ، وبعدها احتلوا واحة الأحساء دون قتال ، وأبعدت الفرقة العربية –كذلك أبعد المتكلمون الوسطاء السياسيون– وأعيدوا إلى ديارهم ، ويبدو أن السبب في ذلك كان ناشئاً جزئياً عن عدم توافر الإمدادات في الجيش . وخسر آل المنتفق أثناء العودة إلى ديارهم عبر الكويت كثيراً من خيولهم لندرة الماء والكلأ . وكانت القوات التركية –منذ نزولها إلى شاطىء الأحساء– معرضة لنقص الزاد وكذلك لانتشار الحمى والكوليرا ، وقد زادت المسيرة إلى الهفوف من ضعفها .. والآن أصبحت معرضة للإبادة التامة في الأحساء بسبب الرياح الحارة وانتشار الملاريا بشكل عنيف . وفي أغسطس – حين كان عدد القوات التركية الموجودة في الأحساء كلها حوالي ٣٤٠٠ رجل موزعين على النحو الآتي : ٢٥٠٠ في الهفوف ٥٠٠ في القطيف ، ١٥٠ في العقير ، ٢٥٠ في مواقع صغيرة على الطريق –ذكر أن ثلث هذه القوات كانوا من الجنود المرضى غير القادرين على العمل – وسجل القائد التركي الذي أصبح الآن يجد

صعوبة كبيرة في الاتصال بالساحل اسماء ٩٠٠ رجل من أهل البلاد كجنود أتراك في مقابل ست روبيات في الشهر لكل منهم . وصدمت مشاعر المسلمين في الإقليم كله من جراء وصول سفينة محملة لآخرها ببائعي النبيذ والبغايا من بغداد ، ولكن يبدو أن الطبقات المشتغلة بالتجارة كانت تفضل مساوىء الإدارة التركية على القيود الرهيبة التي يفرضها الحكم الوهابي .

أعمال الوهابيين :

وفي الوقت الذي نزلت فيه القوات التركية إلى الأحساء لأول مرة ، كان الشقيقان عبدالله وسعود يقاتل واحدهما الآخر في الداخل على بعد حوالي ٢٠٠ ميل من الساحل ، ويبدو أن الكفة كانت تميل في ذلك الوقت لصالح سعود —الذي يعارض مصالح الأتراك— والذي كان يسيطر على العاصمة الرياض . وفي أغسطس وصل عبدالله إلى مقر القيادة التركية بعد أن منعته أخطار الطريق من بلوغها قبل ذلك التاريخ ، لكنه هرب في أكتوبر بعد أن تبين أن الباب العالي لا ينوي إعادته إلى السلطة . بل إلى حرمانه منها ، ثم سار من الهفوف إلى نجد يسبقه شقيقه محمد ويصحبه ابنه تركي . وفي شهر أكتوبر لم يتخذ أي من الطرفين عملا إيجابياً ، وفي نوفمبر هاجم سعود الأتراك في الأحساء لكنه هزم وارتد على أعقابه هو وجماعة من البدو إلى الصحراء باتجاه قطر حيث بقي زمناً طويلا . وفي ذلك الوقت بدأ سعود يراسل شقيقه عبدالله من أجل الصلح والتحالف معاً لقتال الأتراك ، ولكن بلا جدوى .

زيارة مدحت باشا للاحساء نوفمبر — ديسمبر ١٨٧١ :

وفي ٩ أو ١٠ نوفمبر سنة ١٨٧١ سافر مدحت باشا وكان حريصاً على أن يرى آثار عمله بأم عينيه ، من شط العرب إلى الكويت حيث قضى فيها يوماً واحداً ومنها سار في ثلاث سفن بخارية تحمل قوارب

كبيرة إلى القطيف فوصلها يوم ١٣ أو ١٤ من نفس الشهر ، وفي ٢١ منه نزل في فرقة قوامها ٣٠٠ جندي إلى العقير وسار منها إلى الهفوف .

وكان هدف زيارة مدحت باشا – كما جاء في حديث القائد التركي للرائد بيللي – هي أن يحقق في بعض اتهامات بالتخريب . وأن يقر الإدارة في الأحساء ، ثم يضع ترتيبات تقدم القوات التركية نحو الرياض . ولكن حين وجد أن حامية الأحساء في حالة يرثى لها ولا تستطيع سوى الدفاع عن نفسها .. تخلى عن هذا الهدف الأخير ، واكتفى مدحت باشا بأن أعلن عزل الحكام الوهابيين من أسرة آل سعود وعين نافذ باشا بدلهم متصرفاً في نجد . لكنه لم يتخل عن بقية خططه التي لم يستطع تنفيذها . وفي طريق عودته إلى بغداد – التي وصلها في ٢٨ ديسمبر – اشترى الوالي السفينة البخارية «سينوب» التي كانت بريطانيا من قبل تهدف لاستخدامها في تنظيم الاتصال بين البصرة والقطيف . وقد عاد مع مدحت باشا عدد كبير من الجنود غير الصالحين للعمل ، وفي أول يناير ١٨٧٢ أرسل فرقة جديدة قوامها ٣٠٠ جندي إلى الاحساء .

نتائج الحملة التركية على أحوال قطر والبحرين :

ولم يكن القائمون على تنفيذ السياسة التركية ملتزمين التزاماً تاماً بتأكيد الحكومة التركية عدم ارتكاب أي عمل عدواني ضد جزر البحرين أو ضد القبائل العربية المستقلة في المنطقة ، ففي يونيو ١٨٧١ تقريباً أنكر مدحت باشا ضمن مراسلات بينه وبين الرائد هربرت إمكان وجود أية قبائل مستقلة في نجد . وكان تعبير «نجد» الذي يستخدمه مدحت باشا معتمداً على قائمة نشرت في جريدة بغداد الرسمية تحمل بين «بيوت وحدائق نجد» مدن الشارقة ودبي وأبو ظبي في عمان المتصالحة .

وكما ذكرنا في تاريخ قطر ، كان العلم التركي مرفوعاً على ميناء الدوحة في هذا الإقليم في يوليو سنة ١٨٧١ ، وكانت حامية تركية مقيمة هناك في يناير ١٨٧٢ ومحتمل أن تكون مثل هذه المحاولات قد بذلت

أيضاً في البحرين —لولا اهتمام الحكومة البريطانية بهذه الجزر بوجود سفنها الحربية دائماً هناك— . وقد حاول الأتراك غير مرة واحدة إغراء شيخ البحرين بالوقوف إلى جوارهم كما ذكرنا ذلك في مكان آخر . فمنذ المرحلة الأولى للعمل تبين أن اللاجيء البحريني ناصر بن مبارك موجود في الجزر على رأس قوة تركية ، وأفصح شيخ أبو ظبي في وقت من الأوقات عن رغبته في التآمر مع الأتراك ، لكن اتجاهه تغير بعد زيارة قام بها لسلطان عمان سنة ١٨٧٢ ، وفي أوائل سنة ١٨٧٢ أكدت الحكومة التركية من جديد تأكيدها بأن عملياتها هذه قاصرة على تثبيت سلطتها في الأقاليم الصحراوية المتمردة ، وأشارت إلى استدعاء مدحت باشا مؤخراً إلى القسطنطينية كدليل على رغبة الباب العالي في عدم توسيع هذه العمليات .



احتلال الاتراك العسكرى للاحساء ١٨٧٢ ــ ١٨٧٤

المفاوضات مع الوهابيين :

وفي ربيع سنة ١٨٧٢ بدأت المفاوضات بين سعود ورءوف باشا ، الوالي الجديد على العراق التركي . ووصل إلى الأحساء عبد الرحمن شقيق سعود يصحبه رجل يدعى فهد بن سنيتان لبدء المحادثات مع الأتراك ، ودعي عبد الرحمن لزيارة بغداد ، حيث ألقي به في السجن حتى أغسطس سنة ١٨٧٤ . ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى وجهت إلى فهد بن سنيتان تهمة التآمر على مدحت باشا —الذي كان قد أصبح في ذلك الوقت متصرف الأحساء خلفاً لنافذ باشا— وأرسل مكبلا بالأغلال من الأحساء إلى بغداد . وفي سنة ١٨٧٣ حين سرح جنود الحامية وبذلت الجهود لإقامة اتصال دائم منتظم بين البصرة والقطيف ، بدا أن مخطط التقدم إلى الرياض قد صرف النظر عنه موقتاً على الأقل .

الحالة الداخلية :

وفي نفس الوقت بدأ أهل الأحساء يضيقون بحكم العثمانيين ويجهرون بالشكوى من مظالم جندهم وموظفيهم ، وتردد أن أهل البلاد العرب لم يكونوا يضمرون أية مودة للحكومة التركية وظلت الاوبئة على انتشارها بين جنود القوات التركية .

العلاقات ببريطانيا :

وفي ١٨٧٣–١٨٧٤ قامت السفينة البريطانية «كونستانس» باجراء عملية مسح بحرية لساحل الأحساء باتفاق خاص مع الباب العالي والسلطات التركية في العراق .

★ ★ ★

حكم الاتراك للاحساء بواسطة شيخ قبيلة بنى خالد ١٨٧٤

تعين بركة بن عرير مارس ١٨٧٤ :

وفي مارس ١٨٧٤ ، حين تبين الأتراك أن سيطرتهم على إقليم الأحساء تشكل عبئاً جسيماً على مصادرهم المالية والعسكرية ، قاموا بتجربة لم تعمر طويلا في الإدارة الإقتصادية للإقليم : وكانت تنحصر في خفض عدد جنود الحامية إلى أقصى حد ممكن ، ووضع بركة بن عرير شيخ قبيلة بني خالد التي كانت حاكمة في يوم ما كمتصرف للأحساء بدل المسئول التركي . وقد عين بركة بن عرير ناصر باشا شيخ المنتفق الذي وصل إلى رأس تنورة على رأس السفن «آشور» و «أبوس» و «لبنان» و «سينوب» ، وجاء بصحبته أحمد باشا بوصفه قائداً لما تبقى من القوات التركية . وكان على السفن أيضاً شحنة من الحبوب للقوات التركية . وعقد مؤتمر كبير في الأحساء أعلن فيه تعيين بركة بن عرير .

ثم عاد ناصر باشا إلى البصرة مع معظم القوات التركية وعدد من الأسرى من الذين يعارضون تعيين بركة متصرفاً للأحساء ، وأمد المتصرف الجديد بقوة من رجال الضبطيّة ، أو الشرطة العسكرية ، وكان الأمل أن يستطيع بها و ببدو القبائل أن يحافظ على سلطته .

التمرد والاطاحة ببركة :

وقد استمرت هذه الإجراءات عدة شهور ، بدأت تتواتر بعدها الشكاوى من أعمال المتصرف الجديد وغيرها من أعراض سخط الأهالي على الحكم التركي . وبدأت الامور في التطور . ففي مطلع خريف ١٨٧٤ أطلق سراح الأمير عبدالرحمن الوهابي وسمح له بمغادرة بغداد فسار إلى البحرين ومنها بدأ يتراسل سراً مع بعض القبائل العربية في البر(١) . وبعدها بعدة أسابيع نزل الى العقير ، فأسرع الوف الناس يلتفون حوله ، ووجد الشيخ بركة نفسه محاصراً في قلعة الهفوف ، وأرسل الأتراك –بسرعة غير معهودة فيهم– ٢٤٠٠ جندي وأربعة مدافع بقيادة ناصر باشا الذي كان مسئولا عن تعيين بركة . ووصلت القوة بحراً إلى موقع المتمردين .

وكان ما عملته هذه القوة التركية سريعاً وحاسماً ومخيفاً . فقد استطاع عبدالرحمن الفرار(٢) وتفرقت قواته في كل الاتجاهات ، واستولت القوات التركية مرة أخرى على واحة الأحساء وراحت تمارس فيها الفظائع ، وبعد أن استقرت الأمور على هذا النحو رجع ناصر باشا في فبراير ١٨٧٥ إلى العراق وترك أبنه فريد باشا مسئولا عن

---

(١) يرد هذا الاسم أحيانا « بازه .. » أو « بازى .. » .. الخ ، غير أننا نعتقد أن « بركة » هو الاسم الصحيح .

(٢) احتجت تركيا على أعمال عبد الرحمن في البحرين كما هو مذكور في تاريخ هذه الامارة .

الأحساء بدل بركة الذي عزل ، وبعدها بوقت قصير تم فصل الأحساء وغيرها من الأقاليم التابعة للبصرة عن بغداد وأصبحت ولاية مستقلة عهد بها إلى ناصر باشا ، وظل هذا الإجراء متبعاً حتى سنة ١٨٨٠ .

★ ★ ★

الاحداث التالية في الاحساء ١٨٧٥ – ١٨٧٧

أمور أخرى ١٨٧٥ – ١٨٧٨ :

وخلال السنوات الثلاث التالية لم ترد تقارير كثيرة عن الحالة الداخلية في الأحساء اللهم إلا ما يتعلق بانتقال القوات التركية الموسمي . وفي ١٨٧٦ خلف سعيد بك فريد باشا في حكم الأحساء ، وفي سنة ١٨٧٧ بدأت مفاوضات –لم تصل إلى نتيجة– بين الأتراك وعبدالله بن فيصل الوهابي بهدف تعيين هذا الأخير متصرفاً لتركيا في الأحساء .

★ ★ ★

تفشى القرصنة على ساحل الاحساء ١٨٧٨ – ١٨٨٠

جرائم القرصنة في أغسطس إلى نوفمبر ١٨٧٨ :

لقد ركز اهتمام كبير بساحل الأحساء سنة ١٨٧٨ نتيجة اندلاع عمليات القرصنة اندلاعاً خطيراً أوضح عجز الأتراك حيالها ، وقد بدأت جزر البحرين وإقليم قطر يتأثران بهذا الاضطراب الخطير في الأحساء ، وتبعاً لهذا أثيرت مشاكل كثيرة بشأن سياسة الحكومة البريطانية ناهيك عن مسئوليات الحكومة التركية ووضعها في شرق الجزيرة العربية ودار حول ذلك جدل شديد . ويبدو أن لهذه الاضطرابات من حيث أصلها علاقة وثيقة بالتمرد في القطيف .

ولكي نفهم الأبعاد الحقيقية لخطورة هذا الموقف علينا أن نشير باختصار إلى الغارات التي ارتكبها القراصنة ، ولا بد أيضاً أن نذكر بعض هذه الجرائم المتعلقة باقليم قطر لاننا لا نستطيع الإشارة اليها إلا في هذا المقام .

قامت عصابة من بني هاجر بعبور الخليج ، حيث هاجمت عدة سفن إيرانية ونهبتها في مكان قريب من جزيرة الشيخ شعيب وجرحوا رجلين من بحارتها ، ثم قاموا أيضاً بمهاجمة قارب غير معروف الجنسية ، وقتلوا بحارته واستولوا على مبلغ ١٠,٠٠٠ روبية نقداً ، وعادوا إلى قطر . وثمة عصابة أخرى كان أفرادها من بني هاجر وبعض بني مرة قامت بالاستيلاء على قارب مملوك لبني عمير في القطيف ، ونزل أفرادها به إلى البحر حيث استولوا على سفينة أخرى من سفن القطيف أيضاً وحملوها إلى الدمام حيث نهبوها ، ثم واصلوا سيرهم في سفينة القطيف حتى ساحل قطر حيث استولوا على سفينة تابعة لميناء الدوحة في مكان قريب من رأس لفان .. وأخيراً حملوا غنائمهم إلى دوحة «سلوى» حيث تخلصوا مما حصلوا عليه في جولتهم .

وقد نزلت جماعة من بدو بني هاجر يقودهم زيد بن محمد أحد رجال بني هاجر في الظهران إلى الدوحة كمسافرين على ظهر سفينة من رأس الخيمة ، وأرغموا قائد السفينة على الرسو بها في مكان على ساحل قطر ، وهناك أجبروه ، بمعاونة ١٧ بدوياً آخر كانوا في الموقع على الاتجاه نحو الساحل الإيراني . وبين جزيرتي قيس وهندرابي استولوا على سفينة صغيرة تابعة للساحل الإيراني ، وجرحوا ملاحها وابنه ، ثم عادوا إلى رأس لفان على ساحل قطر حيث نقلوا أربعة من ضحاياهم إلى قارب تابع لرأس الخيمة وسمحوا له بالسير ، واحتفظوا باثنين منهم كأسرى . كما هاجم بنو هاجر سفينة بحرينية صغيرة كانت في سبيلها من القطيف

إلى البحرين ونهبوها بالقرب من الدمام وحملوا اثنين من العبيد كانوا على ظهرها ، كما لقيت سفينة بحرينية أخرى نفس المصير في نفس المكان على يد نفس العصابة في أغلب الظن . وفي ٤ سبتمبر هوجمت سفينة قطرية كانت في طريقها إلى العقير أثناء مرورها بالزبارة ، هاجمها أهل هذا المكان في سفينتين وقتلوا ثلاثة من المسافرين وجرحوا ستة مات منهم واحد متأثراً بجراحه وخطفت فتاة صغيرة ، وتم الاستيلاء على ٧٠٠ روبية نقداً ، وكان يقود هذا الهجوم محمد بن رشيد ابن شيخ الزبارة الذي كان ابوه يطل عليه من قمة حصنه ولم يجد شيئاً يعترض عليه سوى ترك بعض الضحايا دون ان يقتلوا .

وفي دارين بجزيرة تاروت استولت عصابة من ٢٥ رجلا من بني هاجر على قارب للمدعو إبراهيم بن يوسف ، وهو تاجر محايد من رعايا بريطانيا وحمله زايد بن محمد زعيم العصابة إلى الدمام . وهناك أطلق سراح من على ظهر القارب ما عدا غلام وعبد احتفظ بهما القراصنة كما استولى بعض البدو –والراجح أنهم من بني عمير– على قارب كان راسياً داخل ميناء القطيف ، ووضعوه على ظهر سفينتهم المحملة بالتمور ، كما خطفوا الملاح وبحارين كانوا على ظهره ، ثم وجد هذا القارب وهو يعمل في خدمة القراصنة خارج جزر البحرين . كما كانت ثمة سفينة صغيرة راسية في المرسى الداخلي لميناء القطيف فأحاطت بها اربعة قوارب لبني عمير فنهبت منها ٢٠٠ روبية وسارية كبيرة وقارباً صغيراً .

كما هاجم سبعة من بني عمير قارباً تابعاً لرأس الخيمة على الشاطىء تحت أسوار قلعة القطيف نفسها ، ونهبت بضائع قيمتها ٣٦٠ روبية تقريباً ، وأطلق اللصوص النار على ضحاياهم حين حاولوا الهرب منهم سباحة فجرحوا الملاح وسحب القارب إلى عانق ، كما حملت عصابة من بني عمير أيضاً سفينة مسافرين تابعة للبحرين وحملوها خارج مدينة القطيف . وفي ٢٧ سبتمبر هاجم قارب وسفينة صغيرة تحملان

١٣ و١٦ رجلا من بني هاجر قارباً بحرينياً وصل إلى قرب مدينة القطيف ونهب اللصوص قلاعه وقاربه الصغير ومرساته ، كما نهبت ايضاً ممتلكات البحارة الشخصية وخطف القراصنة أحد العبيد ونزلوا بغنائمهم إلى الدمام .

كل هذه الحوادث التي ذكرناها — والتي ربما لم تكن مرتبة ترتيباً زمنياً متتابعاً — قد وقعت خلال شهري سبتمبر وأكتوبر سنة ١٨٧٨ .

عمليات القرصنة من ديسمبر ١٨٧٨ حتى يوليو ١٨٧٩ :

وفي نهاية ديسمبر ١٨٧٨ استولى منصور بن مناخير ، وهو شيخ من شيوخ عجمان ، وزايد بن محمد الذي أشرنا اليه قبلا بالقوة على قارب تابع للبحرين ونزلا به إلى البحر فنهبا سفينتين بالقرب من مدينة القطيف حملا من إحداهما ما قيمته ٢٠ الف روبية .. وكانت على مرمى النظر في ذلك الوقت عشر سفن تركية تنقل جنوداً من القطيف إلى العقير لكنها جميعاً تجاهلت استغاثة الضحايا . وفي اوائل ١٨٧٩ قامت عصابة جديدة من بني هاجر شجعها نجاح زيد بن محمد بعمليات قرصنة جديدة فاستولت على حمولة سفينتين تابعتين للبحرين من التمور ، وبعد ارسال غنيمتهم إلى البر ونقلها إلى الداخل ، واصلت العصابة سيرها بحثاً عن صيد جديد . وفي ١١ فبراير حدثت غارة جريئة على جزيرة البحرين قام بها حوالي ثلاثين رجلا من بني هاجر نزلوا من الظهران إلى عقارية وقتلوا أحد مواطني البحرين ، وتبعتها سلسلة كاملة الحلقات من أعمال القرصنة ارتكبها زايد بن محمد من الظهران وبقية أنصاره من بني هاجر بمعاونة بعض رجال من عجمان ، ووصلت هذه الأعمال قمتها في يوليو سنة ١٨٧٩ بهجوم على سفينة بحرينية من سفن اللؤلؤ ، وقتل أحد بحارتها وجرح ثلاثة آخرون ونهبت السفينة نفسها ، وكان عليها ما قيمته ٢٠٠٠ عزان بالإضافة إلى عبدين استولى عليهما القراصنة .. لكن أمكن استرداد السفينة بعد فترة طويلة .

وفي يونيو ١٨٧٩ قدرت الخسائر المادية التي نتجت عن هذه الحوادث بما قيمته ٦٧,٠٠٠ غران تقريباً كانت الحكومة البريطانية تهتم منها فقط بمبلغ ٨٨٣٤ غران هو قيمة ما يخص رعاياها ، وفي إحدى هذه الحالات هوجمت سفينتان متجهتان نحو كراتشي هما «هارسنجر» و «افتخار» وأطلق عليهما القراصنة النيران ونهبوهما على بعد ميلين فقط من مدينة القطيف .

وفي يونيو ويوليو ١٨٨٠ ذكرت حوادث قرصنة جديدة ارتكبها زايد بن محمد وأنصاره .

العمليات التي قامت بها كل من السلطات المحلية البريطانية والتركية :

وكان مما يسر السلطات التركية أن تتجاهل هذه الحوادث جميعها ، رغم أنها كلها قد ارتكبت من مواطنين تابعين — اسمياً على الأقل — لتركيا وفي مياه إقليمية تركية . لكن الحكومة البريطانية التي حققت السلم في الأحساء من قبل لم يسعها أن تقف طويلا مكتوفة اليدين :

١٨٧٨ :

ففي أكتوبر ١٨٧٨ ، ونتيجة الجريمة التي ارتكبت آنذاك مؤخراً في الزبارة صدرت التعليمات للرائد روس المقيم السياسي بأن يطلب من الوالي التركي في بغداد عقاب الذين ارتكبوا هذه الحادثة .. وأن يعرض عليه المساعدة البحرية من جانب بريطانيا . وفي نفس الوقت تقريباً استطاعت سفينة صاحبة الجلالة « فليتبشر » بقيادة القائد برنجل أن تستولي على ١٥ قارباً لبني عمير خارج القطيف ، كما استولت أيضاً على ثلاث سفن واربعة قوارب لبني هاجر كان من بينها قاربان مملوكان أصلا للبحرين ، وذلك في المياه جنوبي القطيف ، وسلمت كل هذه السفن والقوارب إلى الحاكم التركي للقطيف ، وقد أشادت بعمل قائد السفينة كل من حكومة الهند ووزارة الخارجية في لندن .

وفي لقاء ودي بين الرائد روس وعبدالله باشا الوالي التركي في البصرة رفض الوالي معونة السفن الحربية البريطانية لكنه وعد بتوقيع العقوبة على الزبارة اذا ثبت له أنها قد ارتكبت هذا العمل وفي هذا الوقت تقريباً لم تعد الزبارة على قيد الوجود .. فقد دمرتها تماماً القبائل العربية المعادية على نحو ما جاء في تاريخ قطر .

١٨٧٩ :

وفي يناير ١٨٧٩ ، وكانت هذه الاضطرابات ما تزال مستمرة سارت قوة تركية عن طريق البر إلى القلعة الصغيرة المعروفة باسم قلعة الحسين في الظهران لكنها لم تنجح في القاء القبض على أي من القراصنة ولا في استعادة شيء من الأشياء التي نهبت . وفي نفس هذا الوقت تقريباً جنحت السفينتان الحربيتان التركيتان «بروسا» ،و«الاسكندرية» اللتان ارسلهما وزير الحربية التركية إلى ساحل الأحساء . وفي شهر فبراير من نفس السنة —وبهدف أساسي هو حماية البحرين—رست سفينة صاحبة الجلالة «سبارتان» خارج القطيف ، وعين مساعد المقيم السياسي كابتن دوراند مؤقتاً في البحرين . وفي إبريل استعادت سفينة صاحبة الجلالة «فليتشر» سفينتين للبحرين كان القراصنة قد استولوا عليهما ، وبدا أن الأمور قد استقرت بعض الشيء . وفي يوليو من نفس السنة ، وبعد تجدد أعمال القرصنة على يد زايد بن محمد لفت نظر الباب العالي والإدارة التركية في البصرة غير مرة واحدة دون أية نتائج مرضية.. بل دون نتائج على الإطلاق . وفي نوفمبر بذلت محاولة لإغراء ضابط باشا —الذي خلف عبدالله باشا على ولاية البصرة— ليقوم بعمل لمنع القرصنة في الأحساء لكنه لم يكن مستعداً لمثل هذا العمل بحال من الأحوال وفي ديسمبر وجه المقيم البريطاني في الخليج خطابات إنذار إلى شيوخ قطر سلمها لهم الضابط البحري الأول في الخليج بتجنب الاشتراك في جرائم بني هاجر .

١٨٨٠ :

وفي إبريل ١٨٨٠ وجه خطاب إلى ضابط باشا بخصوص القرصان زايد بن محمد ، ورد هذا بأنه لم يستطع بعد القاء القبض عليه .

١٨٨١ :

وأخيراً في مارس ١٨٨١ وحين ضجر والي بعداد من فقدان السلطات البريطانية صبرها خاصة وقد قدمت شكاوى جديدة من أعمال زايد بن محمد ، أبلغ الوالي ممثل بريطانيا بأنه «ليست هناك جرائم قرصنة أو نهب سفن قام بارتكابها زايد » وأن «الحالة في قطر هادئة تمام الهدوء في البر والبحر » .

وباختصار .. فرغم أن الأحساء إقليم تركي اسمياً إلا أن الأمن على طول ساحله إن كان ذلك موجوداً أصلا لم يتحقق إلا نتيجة العمل البريطاني الذي لم يكن يستند في تلك الفترة إلى مبررات شرعية بالنسبة للأحساء .

★ ★ ★

مناقشة لحقوق تركيا في السيادة ومسئوليتها عن ساحل الاحساء وصدور الاوامر للسلطات البريطانية بالعمل في المستقبل على أساسها ١٨٧٨ ـ ١٨٨١

لقد ثارت مشكلة حادة بسبب تداخل استبدال السيادة التركية الاسمية على ساحل الأحساء بالسيادة البريطانية الفعلية ونتيجة عدم وضوح حدود هذه الحقوق التركية المزعومة ، أو التي يطالب الأتراك بالاعتراف بها . فمن ناحية ، كانت لدى بريطاتيا الرغبة في عدم الاعتداء على تركيا ، ومن الناحية الاخرى كان أي تنازل للباب العالي يعني مزيداً من عمليات القرصنة .

رأي حكومة الهند :

وجاء رأي حكومة الهند وكانت بدأت مناقشة هذه المشكلة في سنة ١٨٧٨ وأوضحت آراءها تحديداً في مايو ١٨٧٩ منكراً الاعتراف بأي حق لتركيا بالسيادة على أي مكان جنوبي العقير باستثناء مدينة الدوحة بقطر التي تقيم فيها حامية تركية . واعتبرت حكومة الهند مشيخات عمان المتصالحة خارج النفوذ التركي تماماً سواء مناطقها الساحلية أو الداخلية كما أوصت بضرورة ترتيب الأمور مع شيخ البحرين بحيث تفرض الحماية البريطانية على إمارته ، وبألا تمنعه السلطات البريطانية من مطاردة المعتدين على الجزر حتى الأرض التركية . ولضمان تحديد الوضع السياسي لهؤلاء المشايخ العرب —من وجهة نظر العلاقات الدولية— اقترح أن يدفعوا في المستقبل جزية صغيرة للحكومة البريطانية في مقابل تعهد هذه بحمايتهم أما بالنسبة لمنع القرصنة فقد أصدرت حكومة الهند تعليماتها باستمرار مطاردة السفن الحربية البريطانية للقراصنة في المياه التركية بل وحتى على الارض التركية ما دامت في نطاق مرمى مدافع السفن ، على أن يعهد الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج بمعاقبة القراصنة الذين يتم القبض عليهم تحت هذه الظروف ، وتكون السلطات التركية مسئولة عن دفع التعويض في كل الحالات التي يرتكب القرصنة فيها رعايا أقاليم تابعة لتركيا .

رأي حكومة صاحبة الجلالة :

وكان مفروضاً أن يتولى مكتب الهند تنفيذ توصيات حكومة الهند غير أن وزارة الخارجية كانت تعتقد أن قبول الباب العالي هذا المخطط —الذي كان يعني تنازلا من جانبها عن بعض المطالب الإقليمية واعترافاً بحق دولة أخرى في التدخل في مياه تركية— ليس متوقعاً . كما أن إعلان الحماية البريطانية الواضحة كان —في رأي لورد سالسبورى— سيؤدي إلى

نتائج أوخم وأخطر من هذه التي تبذل الجهود لتجنبها . وكانت وزارة الخارجية تميل إلى الأخذ بأن يكون تدخل البحرية البريطانية في المياه التركية قاصراً على الأمور الخطيرة فقط وبعد موافقة السلطات التركية المحلية على ذلك .

وقف عمل السفن الحربية البريطانية على شاطىء الاحساء مايو ١٨٧٩ :

وفي نفس الوقت ، كان موضوع استخدام السفن الحربية البريطانية ضد القراصنة في المياه التركية او على الساحل التركي قد صدر به تفويض من حكومة الهند في مارس ١٨٧٩ ورفعه قائد عام البحرية في الهند إلى الاميرالية البريطانية التي ابلغته بدورها إلى وزارة الخارجية . وفي مايو ١٨٧٩ صدرت الأوامر بإيقاف عمل هذه السفن الحربية . وأفاد المستشارون القانونيون لحكومة صاحبة الجلالة بأن هذا العمل حتى بالنسبة للظروف الخاصة غلى ساحل الأحساء أمر يمنعه القانون الدولي .

مفاوضات مع تركيا :

وبمضي الوقت ، ولعدم وجود أية دلائل تشير إلى أن هذا الاضطراب سيتوقف في القريب ، أصبح ضرورياً توجيه الانتباه بإصرار من وقت لآخر عن طريق ممثلي بريطانيا للحكومة التركية ، لكن هذه لم تقابل تلك المحاولات كلها إلا بالإرجاء والمراوغة ، وهكذا صدرت التعليمات لسفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية بأن يتخذ من الإجراءات ما يجعل الحكومة التركية تسمح بتدخل بريطاني يهدف أساساً لوقف القرصنة على مدى ثلاثة أميال شمالي العديد ، كذلك كان من المقرر التعاون مع الحكومة التركية لفرض هيبة هذه الحكومة نفسها في مياهها ، ودامت المفاوضات على هذا الاساس في القسطنطينية معظم سنة ١٨٨٠ ، لكنها لم تؤد إلى نتيجة تذكر .

ولما فشلت كل السبل المؤدية إلى تسوية هذه المشكلة تسوية ودية قررت حكومة صاحبة الجلالة أخيراً سنة ١٨٨١ ألا يتقيد ضباط البحرية البريطانية في الهند الشرقية بمسافة الاميال الثلاثة في مطاردة سفن وقوارب القراصنة في المياه التركية ، وبعدها شرح وزير الدولة لشئون الهند الأمر لحكومة الهند فأشار إلى أن الهدف من ذلك أشمل مما يبدو في الظاهر ، فهو يعني في الحقيقة أن لقادة السفن البريطانية في الخليج حرية العمل وقت الضرورة لمنع الاضطراب في البحر او توقيع العقاب على مرتكبيه ، على أن يتجنبوا -بطبيعة الحال- إثارة مشاكل لا داعي لها مع الحكومة او السلطات التركية حيث لها وجود ، وان يتجنبوا أيضاً المساس بسيادة السلطان في المناطق التي يتمتع فيها بسيطرة فعلية على طول الساحل شمالي العديد . ولم ينتج عن المفاوضات والمحادثات التي دارت من قبل -وأشرنا اليها- أي تحديد دقيق لأملاك تركيا في شرق جزيرة العرب ، والواقع قد تجنبت السلطات البريطانية إثارة هذه المشكلة مع تركيا . فقد كان من المعروف أن مزاعمها في هذا الصدد مبالغ فيها وتشمل البحرين وكل عمان . ورغم أنه لم يكن في النية الاعتراف بسيادة تركيا على البحرين أو على أي مكان شرقي خور العديد على الإطلاق ، إلا أن حكومة صاحبة الجلالة تجنبت الوصول إلى قرار بهذا الشأن .

★ ★ ★

الحكام الاتراك في الاحساء ١٨٧٨ - ١٩٠٧



يمكننا الآن مواصلة استعراض الشئون الداخلية في الأحساء من سنة ١٨٧٨ . وسنذكر اولا الحكام الذين تتابعوا على هذا الإقليم ، ثم نشير إلى الأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة ، والتي لم يكن لأشخاص الحكام تأثير كبير عليها .

المتصرفون في الاحساء ١٨٧٦ — ١٨٧٧ :

عين سعيد بك في سنة ١٨٧٦ ، وظل متصرفاً طوال السنة التالية ثم استدعي إلى العاصمة بعد أن ذاع صيته كاداري ناجح .

١٨٧٧ — ١٨٧٩ :

وكان سعيد باشا الذي خلفه مواطناً من بغداد وليس تركياً بحكم الميلاد . وكان رجلا على شيء من الذكاء والنشاط ، وخلال فترة حكمه للمرة الأولى اكتسب سمعة طيبة حببت فيه أهل الأحساء وأكسبته رضاهم فاستطاع أن يحكم الإقليم بكفاءة . وكان عزله في سنة ١٨٧٩ نتيجة الفضيحة ثم الطرد االذين حصلا لولي نعمته عبدالله باشا والي البصرة ، الذي كان قد عينه متصرفاً في الأحساء .

١٨٨٠ — ١٨٨١ :

وفي ديسمبر ١٨٧٩ أعيد تعيين سعيد بك متصرفاً في الأحساء ، وواصل سعيد سيرته الطيبة حتى عزل نهائياً سنة ١٨٨٠ . وفي نفس السنة تقرر ضم إقليم الأحساء وغيره من الأقاليم التابعة للبصرة إلى ولاية بغداد مرة أخرى .

وأرسل عبدالغني باشا من القسطنطينية خلفاً لسعيد بك ، وقيل إنه متعصب ديني وقليل الذكاء وقدأدت ثورة قبيلة عجمان في سنة ١٨٨٠ إلى إيقاف هذا الوالي وتغريمه من قبل قائد القوات العسكرية ، ورغم أن اللجنة التي ارسلت لتحقيق الأمر جاء تقريرها في صف عبدالغني باشا إلا أنه عزل في العام التالي .

١٨٨١ : ١٨٨٥ :

وعين سعيد باشا بعده متصرفاً للمرة الثانية ، وظل قائماً على أداء واجبات منصبه بكفاءة وروح ودية من ١٨٨١ إلى ١٨٨٥ . وفي سنة

١٨٨٤ فصلت أقاليم البصرة بما فيها الأحساء فصلا نهائياً عن بغداد وأصبحت ولاية مستقلة .

١٨٨٥ — ١٨٨٦ :

وجاء نظيف باشا خلفاً لسعيد باشا في نوفمبر ١٨٨٥ ، لكن المدة التي قضاها متصرفاً كانت مدة قصيرة انتهت في سنة ١٨٨٦ .

١٨٨٧ — ١٨٩٠ :

وظل خلفه محمد صالح باشا متصرفاً خلال المدة من مارس ١٨٨٦ إلى أوائل ١٨٨٧ . ومن ١٨٨٧ إلى يناير ١٨٩٠ كان يحكم الأحساء رفعت بك ، وخلال مدة حكمه قام نافذ باشا والي البصرة بزيارة القطيف والعقير . ويرجع عزله في الاحساء حسب إحدى الروايات إلى خلاف بينه وبين السلطات العسكرية فيها ، لكن الأكثر احتمالا هو ان عزله جاء نتيجة تغيير والي البصرة . ففي ذلك الوقت ترك نافذ باشا الولاية لهداية باشا . ويبدو أن رفعت بك كان رجلا إدارياً ناجحاً .

١٨٩٠ — ١٨٩١ :

أما المدة من ١٨٩٠ إلى ١٨٩١ فقد قضاها عاكف بك متصرفاً للأحساء ، وكان هذا ضابطاً عسكرياً لديه برامج مستفيضة للإصلاح السياسي والتوسع ، لكنه كان عاجزاً عن تنفيذ معظمها . وقد ترك عاكف بك متصرفية الأحساء نتيجة اعتلال صحته في أوائل ١٨٩١ وقيل إنه مات في الطريق قبل ان يصل إلى منزله . .

١٨٩١ — ١٨٩٤ :

وفي مايو ١٨٩١ تولى سعيد باشا متصرفية الأحساء للمرة الثالثة ، وظل بها حتى استقال في إبريل ١٨٩٤ ، وخلال فترة حكمه قام والي البصرة بجولة في الأحساء استمرت من أكتوبر ١٨٩٢ إلى مايو ١٨٩٣

وسنشير اليها تفصيلا فيما بعد ، وقد بذلت بعض الجهود ــفيما يبدو ــ لتحسين الإدارة ، ونقل قائمقام القطيف في يوليو ١٨٩٣ وعين بدله رءوف أفندي في يناير ١٨٩٤ .

١٨٩٤ - ١٨٩٦ :

وكان الحاكم التالي هو ابراهيم باشا ــالذي كان مسئولا من قبل عن الحديدةــ وظل في عمله حتى سنة ١٨٩٦ .

١٨٩٦ - ١٩٠٠ :

ثم عين سعيد باشا في الأحساء للمرة الرابعة . واستدعى نهائياً في ١٩٠٠ . وفي محادثة مع الوكيل السياسي البريطاني المساعد في البحرين ــأثناء رحلته الأخيرة من العراق في يناير ١٩٠١ــ أرجع سعيد باشا عزله إلى مؤامرات القائد العسكري في الأحساء الذي وصفه بأنه «تركي جاهل» ويبدو أن سياسة سعيد باشا الأخيرة في الأحساء كانت تعتمد على تكوين قوة عسكرية محلية من أهل البلاد ، في مواجهة قوة الاحتلال التركية الموجودة بقيادة القائد العسكري ، ويبدو ان هذا القائد قد استطاع إقناع السلطات العليا بأن نتيجة سياسة سعيد باشا المتسامحة مع أهل البلاد هي تصدير السلاح بكميات كبيرة اليهم مما أصبح يهدد أمن جيش الاحتلال التركي . وقد مات سعيد باشا متقاعداً في بغداد سنة ١٩٠٥ .

وخلف القائد العسكري في الأحساء سعيد باشا كمتصرف للإقليم . ويبدو أن مبالغة أعدائه في وصف خلقه وشخصيته كانت تقوم على أساس أنه لم يبق في وظيفته إلا لسبتمبر ١٩٠١ حين استبعد بعد أن ساد السخط الشامل من أعماله الاستبدادية .

١٩٠٠ - ١٩٠١ :

وخلفه قائد عسكري آخر هو توفيق بك متصرفاً للأحساء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩٠٢ – ١٩٠٥ :

وفي ١٩٠٢ عين مسئول مدني متصرفاً للأحساء هو السيد طالب باشا ابن نقيب البصرة الذي وصل الأحساء في يونيو من هذه السنة ، وأبدى السيد طالب نشاطاً كبيراً في تسوية المشاكل القبلية . لكن تصرفاته غير المشروعة كانت بلا حدود ، وقد بلغت قمتها في أوائل سنة ١٩٠٣ حين نهب بيت حاجي منصور باشا وهو رجل من البهرة في القطيف كان مدير أملاك الدائرة السنية في الأحساء وأغنى تاجر في الاقليم كله . وقد اتهمه السيد طالب بعدم الولاء للحكومة التركية كما أمر بسجن شقيقه أحمد بن جمعه . وبلغت الغنائم التي نهبت من بيت حاجي منصور حمولة ثلاث سفن ورد ذكر رحيلها في تقرير ممثل بريطانيا في البحرين . وأشار القنصل البريطاني في البصرة إلى ما يؤكد وصول السفن وحمولتها إلى مقر السيد طالب في صبيحات على شط العرب . واستدعى طالب باشا مؤقتاً في أكتوبر ١٩٠٣ وعين فائق باشا القائد العسكري متصرفاً خلال فترة غيابه ، لكنه لم ينقل نهائياً من عمله إلا في فبراير سنة ١٩٠٥ ، ويبدو أن معاملته السيئة لحاجي منصور كانت هي السبب الرئيسي في عزله(١) .

وكان الحاكم التالي هو نجيب باشا ، وفي عهده ظلت المشاكل قائمة بين حاجي منصور باشا وجامعي العوائد في الإقليم ، وقد وقف إلى جانب هؤلاء –الذين كانوا تحت حماية طالب باشا– المسئولون عن السلطة العسكرية بشكل عام وبعض المسئولين المدنيين ، وكان نجيب باشا ما يزال في الحكم في أوائل سنة ١٩٠٧ .

---

(١) يبدو أن طالب باشا كان قد كتب مذكرة طويلة ذات طابع اسلامى شامل عن السياسة التركية في جزيرة العرب ، وقد حصل السفير البريطانى في القسطنطينية على نسخة منها .

الإدارة المالية والعامة في الأحساء ١٨٧٧ ــ ١٩٠٧ :

ومنذ البداية ، كانت حكومة الأحساء عبئاً مالياً بالنسبة للحكومة التركية ، ويرجع معظم المشاكل السياسية التي كان على الحكام المحليين مواجهتها إلى محاولات المتصرفين الدائمة بأوامر من الباب العالي لتنمية عوائد الإقليم حتى تتوازن الواردات والنفقات.

١٨٨٢ :

في بداية ١٨٨٢ وربما بأمر من عبدالغني باشا بدأ تحصيل عوائد الميناء في دارين على السفن الداخلة إلى ميناء القطيف او الخارجة منه ، كما بذلت محاولات كثيرة لتحصيل متأخرات الضرائب الزراعية المقدرة بمبلغ ١٧٠ ألف روبية عن القرى المحيطة بواحة الأحساء . وبالنسبة لهذا المطلب الأخير ، فقد كان معظم هذه المتأخرات مفروضاً على زراعات كان يملكها الأمراء الوهابيون ثم آلت إلى الحكومة التركية ، وبار معظمها نتيجة الاهمال . وفي إحدى المرات خرجت قوات مسلحة بالمدافع لتطالب أهل إحدى القرى بدفع العوائد ، وحين وصلت القرية وجدتها مهجورة من أهلها تماماً .

١٨٨٧ ــ ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٧ بذلت محاولة محمومة لانشاء ميناء في دارين على المحيط بهدف تحويل تجارة الأحساء ووسط الجزيرة عن البحرين ، لكن التجربة فشلت فشلا ذريعاً ، ولم تستمر في السنة التالية .

١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٩١ ذكر أن سخطاً شاملا ساد أهل القطيف نتيجة «القوانين الجديدة» الخاصة بضرائب الارض والأيلولة والوصية . وكان سبب هذه الاضطرابات فتح مكتب في الأحساء لقسم تسجيل الاراضي

الذي أدخل إلى العراق لاول مرة سنة ١٨٨٩ وكان لا بد أن يمتد إلى الأحساء بعد ذلك .

١٨٩٤ – ١٨٩٥ :

وخلال سنة ١٨٩٤ ظل الصراع قائماً في القطيف بين التجار وجامعي العوائد من الاتراك ، وكان يتعلق بفرض ضريبة على التمور المعدة للتصدير ، وكان جامعو الضرائب يطالبون التجار بمتأخر سنتين من هذه الضريبة . ورغم الوفود التي ارسلت إلى البصرة ، ورغم الهجرة إلى البحرين يبدو أن السلطات التركية قد حققت ما كانت تريده . وقد حدثت هذه الأحداث أثناء حكم ابراهيم باشا الذي حاول أيضاً تحصيل مزيد من الضرائب من بدو عجمان وآل مرة وغيرهم لكن النتيجة النهائية لذلك كانت – كما سنرى – هي استدراج المتصرف إلى نزاع قائم بين قبيلتين من قبائل البدو .

١٩٠٠ :

وقرب نهاية سنة ١٩٠٠ صدرت التعليمات لحاكم الأحساء بتحصيل ضريبة قدرها ١٢ الف ليرة من الإقليم لصالح الخزينة التركية – الامبراطورية ، وقد أثار هذا القرار مزيداً من السخط بين الأغنياء من أهل الإقليم الذين كان سيقع على كاهلهم هذا العبء الجديد .

١٩٠١ :

وفي سنة ١٩٠١ ذكر المتصرف المتقاعد في الأحساء – أثناء وجوده بالبحرين – أن العوائد السنوية للإقليم كانت ٦٠ الف ليرة تلتهم نفقات الجيش منها ٥٤ الفاً ، وما يتبقى لا يكفي الخدمات المدنية .

١٩٠٣ :

وذكر أيضاً ان احصاء أشجار النخيل في واحة الأحساء الذي أجرى

سنة ١٩٠٣ قد أدى إلى زيادة عدد الأشجار الخاضعة للضريبة فيما بعد .

١٩٠٤ – ١٩٠٦ :

وقد ارتفعت مدخولات الجمارك لسنة ١٩٠٥–١٩٠٦ بنسبة تزيد عن ٣٧٪ مما كانت عليه في السنة الماضية ، وفي ١٩٠٦–١٩٠٧ زادت أيضاً بنسبة ١٢,٥٪ عما كانت عليه في ١٩٠٥–١٩٠٦ ، وفي خريف سنة ١٩٠٥ وربيع سنة ١٩٠٦ بذلت محاولة لإحصاء السكان في القطيف وواحة الأحساء وكان واضحاً أن ذلك يهدف إلى فرض ضريبة على الرؤوس لكن الاضطرابات العنيفة التي حدثت في الهفوف والمبرز اوقفت هذا الإحصاء .

★ ★ ★

الادارة السياسية والاضطرابات بين القبائل
١٨٧٨ – ١٩٠٧

كان الوضع السياسي في الأحساء –اذا استثنينا الواحتين الكبريين– يسوده الاضطراب وفقدان الأمن بشكل عام ، ولم يتحسن هذا الوضع خلال الثلاثين سنة التالية ، بل لعله ازداد سوءاً على سوء .

تمرد سنة ١٨٧٨ :

ففي صيف ١٨٧٨ حدث تمرد على السلطة التركية تزعمه محمد وعبد الرحمن ابنا سعود أمير الوهابيين السابق في واحة القطيف ، وسقطت الدمام بسرعة في أيدي الوهابيين ، وحاصرت حشود البدو مدينة القطيف . لكن هؤلاء تفرقوا حين ظهرت سفينة صاحبة الجلالة «فلتشر» مصادفة على الساحل ثم وصلت تعزيزات تركية قوية من العراق. وفي ديسمبر لم يستطع إبنا سعود مواصلة التمرد فلجآ إلى البحرين ولكن

لم يسمح لهما بالبقاء فيها . كما لجأ أيضاً كثير من أهالي القطيف إلى البحرين بعد حصار البدو لمدينتهم .

١٨٧٩ :

وفي سنة ١٨٧٩ ، ونتيجة الغارات التي ارتكبها بعض بني خالد حول القطيف انتقل سعيد باشا اليهم على ظهر القارب المسلح «اسكندرية» ودمر حصناً من حصونهم ، لعله المعروف باسم قصر آل صبيح على الساحل شمالا ، وبعدها أعلن هؤلاء العصاة خضوعهم ووعدوا بالعدول عن هذا المسلك مستقبلا . لكن المتصرف لم يستطع شيئاً ضد قبيلة بني هاجر العنيدة المتمردة ، فقد استطاع زايد بن محمد ، القرصان الشهير من هذه القبيلة استدراج تاجر ثري من تجار الأحساء وقتله .

١٨٨٠ — ١٨٨١ :

وفي ١٨٨٠ هاجمت قبيلة عجمان واحة الأحساء متصورة أنها ستأخذ الحامية التركية على غرة ، لكن السلطات التركية كانت تعرف نواياهم مسبقاً فاستقبلتهم استقبالا حامياً فقتلت ٦٠ رجلا من رجالهم وأسرت اثنين من شيوخهم . ويبدو ان المتصرف المدني عبدالغني باشا كان يعتبر هو المسئول محلياً عن هذه الحادثة . . حتى إن قائد القوات العسكرية مضى إلى حد القبض عليه نتيجة إتهامات وجهت اليه بصدد هذه الحادثة كما أشرنا من قبل . وأثناء عودة سعيد باشا إلى الأحساء في سنة ١٨٨١ حاول استدراج شيوخ قبيلة عجمان للعودة إلى الأحساء التي هربوا منها ، لكنهم ظلوا فترة مصرين على رفض هذا الاستدراج .

١٨٨٠ — ١٨٨٢ :

وخلال عدة سنوات تلت ، ظل إقليم الأحساء في سلام ، ولكن الاضطرابات عادت مرة أخرى في سنة ١٨٩٠ ، ففي اواخر هذه السنة

أو أوائل سنة ١٨٩١ قام بدو آل مرة بنهب قافلة تمور ضخمة واشترك معهم بنو هاجر وسواهم من القبائل . وأدى هذا العمل إلى توقف الحكومة التركية عن دفع الإعانات التي كانت تدفعها للقبائل ، وأعدم بعض البدو نتيجة هذه الغارة . ويبدو ان عاكف بك المتصرف في ذلك الوقت قد شرع بتكوين قوة على ظهور الجمال لتولي مثل هذه الامور مع قبائل البدو ولحراسة القوافل بين الهفوف والعقير ، كما اقترح أيضاً إقامة عدد من المراكز يوضع بكل منها عدد من الجند ، وأقيمت بالفعل عدة مراكز .

١٨٩٢ — ١٨٩٣ :

وربما نتيجة هذه الإجراءات ظل المسافرون بين الهفوف والعقير لا يتعرضون لأية مضايقات ما بقي من سنة ١٨٩١ وجزءً من ١٨٩٢ ، ولكن في ١٤ مايو ١٨٩٢ قام بدو قبائل المناصير وبني هاجر وآل مرة —وقد تجمع منهم أكثر من ٣٠٠ رجل— بتمرد خطير فهاجموا قافلة مسافرة من الهفوف إلى العقير في حراسة فرقة تركية من ٢٥ جندي ، فقتلوا ١٥ منهم وجرحوا ١٠ وحملوا معهم ٥٠ الف روبية نقداً وما قيمته ٢٠ الف روبية من البضائع ، كما نهبوا أيضاً ٤٠ حاجاً كانوا مسافرين بصحبة القافلة ، وبدأت حوادث سرقات عديدة —تنسب إلى بني هاجر وآل مرة— تحدث في الهفوف مما جعل أهل المدينة لا يجرءون على الخروج في رحلات إلا مصحوبين بحماية ما لا يقل عن ٢٠ رجلا مسلحاً وبصحبة أدلاء وأصدقاء من القبائل .

وحوالي منتصف اكتوبر ١٨٩٢ وصل والي البصرة إلى القطيف ليحقق في أحوال الأحساء وسار عن طريق العقير إلى الهفوف . وكان أول ما فعله في الهفوف هو أن أخذ الأمان من أهل المدينة وما جاورها على ألا يشتركوا مع أهل القبائل المتمردة الذين تراجعوا إلى الصحراء .

وفي فبراير ١٨٩٣ حين كان الوالي في نزهة قصيرة بقطر ــ كان الاعراب يتولون حماية القوافل المسافرة بين العقير والهفوف والقوات النظامية تتكفل بالإغارة على القبائل البدوية الهاربة إلى داخل الصحراء . وحققت في ذلك بعض النجاح ، وفي هذا الوقت تقريباً يبدو أن الأتراك قد طلبوا معونة شيخ الكويت الذي جاء بعدها إلى الأحساء مع فرقة من الرجال المسلحين . وفي مايو ١٨٩٣ عاد والي البصرة عن طريق القطيف بعد أن شهد بعينيه كارثة كانت تحيق بالأتراك في قطر ، لقد فشل في أن يعيد الأمن والنظام في الإقليم وظل طريق العقير ــ الهفوف يعتبر طريقاً غير مأمون . وفي يونيو ١٨٩٣ كان يتوقع حدوث هجوم شامل من المناصير وبنى هاجر وآل مرة على قبيلة بني خالد ، وزودت القوافل الخارجة من العقير مرة أخرى بالحرس العسكري ، لكن هذه الغارة المنتظرة لم تحدث .

١٨٩٤ ــ ١٨٩٥ :

وفي فبراير ١٨٩٤ هوجمت قافلة في الطريق من الهفوف إلى القطيف. هاجمها بدو قبيلة الدواسر لكنهم تراجعوا عن القافلة حين وجدوا أنها في حماية دليل من الدواسر . وفي ١٨٩٥ حين طلب المتصرف من القبائل زيادة الضرائب التي تدفعها تعللت قبيلة عجمان بعدم استطاعتها دفع شيء الا اذا استرجعت الغنائم التي نهبها منهم بنو مطير ، فقام الحاكم ، بمعاونة عجمان وغيرها من القبائل بمهاجمة بني مطير والاستيلاء على بعض ماشيتهم .

١٨٩٨ :

وفي إبريل استدرج بعض بني مرة قافلة البريد ونهبوها في الطريق بين القطيف والهفوف ، وتولت قوات الخيالة مطاردة هؤلاء اللصوص من الهفوف . وفي هذا الوقت نفسه هاجم الدواسر عصابة آل مرة ، وحين وصلت القوات التركية حملت على الدواسر ، وكانت النتيجة

هي قتل اثنين من الجنود الأتراك وجرح اثنين آخرين واستيلاء الدواسر على ثلاثة من خيول الفرسان .

١٩٠١ — ١٩٠٢ :

وفي ١٩٠١ ازدادت مرة أخرى خطورة الطريق بين الهفوف والعقير وفي ٣٠ إبريل سنة ١٩٠٢ هوجمت قافلة كانت على الساحل في حماية ١٢٠ فارساً نظامياً و ٣٠ جندياً نظامياً من المشاة و ٨٠ رجلا من خيالة الضبطية . وقد هاجم القافلة واستولى عليها رجال آل مرة وبني هاجر ، وكان ابرز المشتركين في هذا الهجوم الذي حدث في القفطية على بعد ١٥ ميلا من العقير فرع آل بحيح من آل مرة .

وقد قتل رجال الحرس أو أسروا حيث أخذهم البدو كرهائن في مقابل أقربائهم المسجونين في الهفوف ، وتجاوزت أسلاب هؤلاء اللصوص مبلغاً يقارب المليون روبية بالإضافة إلى حوالي ٦٠٠ بعير و ٣٠٠ حمار . وفي يونيو ١٩٠٢ وصل طالب باشا متصرفاً للاحساء ، وفي يوليو زودت الحامية التركية هناك بخمسمائة جندي من المشاة ، ٢٠٠ فارس و ٤ مدافع خفيفة . وفي ١٠ سبتمبر استطاعت فرقة تركية أرسلت من الهفوف أن تفاجيء معسكراً كبيراً لآل مرة وتأخذهم على غرة في مكان يسمى الزرنوقه على بعد ٤٠ ميلا جنوبي واحة الأحساء ، وقد قتل في هذه المباغتة عرب كثيرون من بينهم شقيق أحد شيوخ آل بهية ، ووقع الكثير من أملاك البدو في أيدي الأتراك . ومنع المتصرف الجديد للأحساء أهل الإقليم من التجارة مع آل مرة ، وفي أكتوبر من نفس السنة ، وبعد اشتباك مع معسكر آل مرة استطاع الأتراك الاستيلاء على قافلة من ٨٠ بعيراً محملة بالأرز والتمر مملوكة لهذه القبيلة . وقد خسر الأتراك ارواح جنود كثيرين في هذا الاشتباك . وبادر المسئول التركي فوضع مراكز للضبطيّة في جزر المسلمية وجنة هادفاً لتعزيز سيطرته على القبائل ولتأكيد سيادته على الساحل الشمالي .

وفي بداية ١٩٠٣ ، كان الوضع الداخلي ما يزال في حالة سيئة لأن فرقة جديدة قد اضيفت في يناير من هذا العام لحامية الأحساء .

١٩٠٦ ــ ١٩٠٧ :

وفي يناير ١٩٠٦ حدثت اشتباكات خطيرة في الرقيقة ــوهي ارض واسعة تجمع بها البدو على مسافة ميل واحد جنوبي الهفوف بين قبيلتي عجمان وآل مرة .. لكن تدخل الأتراك اوقف هذا القتال بينهما . وبعدها بيوم او يومين قتل محمد بن شريم شيخ آل مرة ، ويبدو أن قبيلته قد اعتبرت الأتراك مسئولين بشكل من الاشكال عن هذا الحادث ، وكانت النتيجة أنه في ٣ مارس التالي كمن آل مرة وبنو هاجر والمناصير لقافلة ضخمة بين الهفوف والعقير ، واستولوا عليها بالقرب من مكان يدعى بريمان على بعد خمسة أميال فقط من القفضية حيث حدثت مثل هذه الكارثة سنة ١٩٠٢ . وفي هذه المرة قتل ٤٥ رجلا من رجال الحرس التركي إلى جانب عدد من راكبي الجمال والمسافرين ، وحمل اللصوص اموالا وبضائع تجاوزت ٣٠٠ الف روبية . ولم يتخذ الاتراك أية إجراءات بقصد الانتقام . وفي إبريل وأغسطس وسبتمبر نهبت قوافل أخرى عديدة على أيدي البدو في مختلف الطرق المؤدية إلى واحة الأحساء او الخارجة منها . وفي أغسطس حدث اشتباك بين أهل المبرز وقبيلة عجمان .. ضاعت فيه أرواح بعض الأفراد من الجانبين ، وفي اكتوبر من نفس السنة حدث صراع أكثر خطورة بين أهل مدينة الهفوف تعاونهم القوات التركية من ناحية ، وبدو عدة قبائل من الناحية الأخرى ، وفي هذا الاشتباك خسر أكثر من ٢٠ جندياً تركياً ارواحهم ، كما خسرت القوات التركية مدفعاً(١) . وفي نهاية ديسمبر بدأ العسكريون

(١) حسب ما ورد في خطاب جاء من الطابور الغازى في الهفوف الى البصرة ، كانت خسائر الاتراك أكثر جسامة : ضابطان و ٧٦ جنديا من القتلى ، و ٥٩ رجلا جريحا ، و ٨٥ بغلا ، و ١٤١ بندقيــة ، ومدفع واحد ، كما نهب العرب قرية شقيق وأحرقوها ، وهذا المدفع ــ كما جاء في هذا المصدر نفسه ــ ثم استرجاعه بعد دفع مبلغ ٧٠٠ روبية .

المسرحون يصلون من البصرة إلى الأحساء ، واستفادت السلطات التركية من هذه الزيادة في عدد الحامية التركية لتخضع واحة الأحساء وما حولها وتنشر فيها السلم ، ولكن بدأ انسحاب هؤلاء المسرحين بعد قليل بسبب الظروف الصعبة التي كانوا يؤدون واجباتهم في ظلها في الأحساء . وفي فبراير ١٩٠٧ أسرع سعدون باشا زعيم المبرز وابنه إلى البصرة ليؤكدا للسلطات التركية هناك براءة ساحتهما من الاضطراب الدائر في الاحساء .

★ ★ ★

عمليات القرصنة على ساحل الاحساء
١٨٨١ ـ ١٩٠٧

أحداث القرصنة من ١٨٨١ إلى ١٨٨٨ ووقوف الاتراك موقف المتفرج :

وفي نفس الوقت ، استمرت عمليات القرصنة على طول ساحل إقليم الأحساء لكنها كانت بمستوى أقل من هذا الاجتياح الوبائي الذي حدث في الخروج على القوانين في البحر في ١٨٧٨ إلى ١٨٨٠ .

١٨٨١ :

في مايو ١٨٨١ حاول قرصان بني هاجر الشهير زايد بن محمد أن يستولي على بعض القوارب التي يملكها بنو عمير لكنه فشل ، وتبعت ذلك عمليات قرصنة محدودة بالقرب من القطيف وبين القطيف والبحرين ، وأخيراً هاجم بنو هاجر قارباً لبني عمير وقتلوا رجلين كانا فيه . ورغم أن هذه الاعتداءات كلها ارتكبت جوار القطيف مباشرة إلا أن السلطات التركية المسئولة لم تحرك ساكناً لمعاقبة المعتدين من بني هاجر .

١٨٨٣ :

وفي يونيو سنة ١٨٨٣ استولى قراصنة بني هاجر على سفينة تابعة للبحرين بالقرب من ساحل القطيف ونهبوها بعد أن أصابوا ملاّحها بجراح مميتة . وبعدها بشهر استطاعت السلطات التركية في القطيف رد أربعة عبيد كانوا قد حملوا في هذا الهجوم إلى أصحابهم .

١٨٨٤ :

وفي أغسطس ١٨٨٤ ارتكب بنو هاجر عملية قرصنة جديدة على قارب لقطر كان راسياً خارج القطيف ، وألقت السلطات التركية القبض على بعض الرجال من بني هاجر .

١٨٨٦ :

وفي ١٨٨٦ حدثت عدة حوادث قرصنة في ميناء القطيف .. كانت الخسارة فيها جميعاً تقع على سفن وقوارب تابعة للبحرين ، وكان استمرار هؤلاء القراصنة في أعمالهم دون ان تستطيع قوة ردعهم سبباً لسخط شيخ البحرين ، وساد شعور بالخطورة وفقدان الأمن على طول الساحل ، وجاءت سفينة بخارية تركية فرست خارج ميناء القطيف بعد أن تكررت هذه الأعمال .. ورغم ذلك وحتى ذلك التاريخ لم تبذل السلطات التركية أي جهد جاد لردع المعتدين وعقابهم .

١٨٨٧ :

وفي سنة ١٨٨٧ حدثت اعتداءات كثيرة . في أول اغسطس استولى بنو هاجر على قارب بحريني ونهبوا منه ما قيمته ٦٤٥ روبية ، وفي يوليو استولوا أيضاً على قارب صيد كويتي يساوي حوالي ٤٠٠ روبية خارج رأس تنورة ، وقد جرح أربعة رجال كانوا فيه . وفي سبتمبر هاجمت عصابة من ٣٠ بدوياً قاربا يملكه شقيق شيخ البحرين كان راسياً في ميناء القطيف وسلبوا منه كل شيء له قيمة ، وفي ١٤

سبتمبر تعرض قارب كويتي خارج دارين لهجوم عصابة من البدو وتجاوزت الخسارة ٢٣١٨ روبية . وفي ١٦ أكتوبر قامت عصابةمن بني هاجر بمهاجمة قارب بحريني خارج عانق . وفي ٢٧ أكتوبر هاجم بنو هاجر سفينتين — احداهما تابعة للكويت والأخرى للبحرين —بالقرب من العقير ، وجرحوا بحارين وخمسة من المسافرين وحملوا كل شيء أمكنهم حمله من السفينتين .

١٨٨٨ :

وفي إبريل ومايو ١٨٨٨ حدثت حادثتان أو ثلاث حوادث جديدة في مياه القطيف رغم أن نافذ باشا والي البصرة كان قد زار القطيف في فبراير من نفس السنة وأخذ عهداً على محمد بن عبدالوهاب في دارين بأن يمنع ارتكاب عمليات القرصنة فيما جاوره .

محادثات حول هذه القرصنة بين الحكومة البريطانية والباب العالي ١٨٨٣ — ١٨٨٩ :

وفي ١٨٨٣ وعلى أثر حوادث القرصنة التي ارتكبت في هذه السنة لفتت حكومة صاحبة الجلالة انظار الباب العالي إلى ما يحدث ، ولكن بالنظر إلى رغبة حكومة صاحبة الجلالة في عدم إثارة موضوع حق تركيا في السيادة على الساحل الشرقي لجزيرة العرب فانها لم تتخذ خطوات أخرى في هذا السبيل وأهملت الأمر . وفي ١٨٨٧ و ١٨٨٨ وجه قارب تركي مسلح عدة انذارات للقراصنة على ساحل الأحساء . لكن هذا كان إجراءاً خاطئاً كل الخطأ فقبيلة بني هاجر التي كان يجب توقيع العقاب عليها بشكل خاص لم تكن قبيلة مشتغلة بالبحر وإنما كانت تمارس عمليات القرصنة دائماً باستخدام سفن وقوارب تحصل عليها عن طريق الإيجار او السرقة ، كما ان المياه التي كانت تقوم بعملياتها فيها كانت مياهاً ضحلة جداً حتى لا تسهل فيها حركة سفينة بخارية مسلحة . ثم إن زيارة القطع البحرية التركية المسلحة في الخليج لم تكن أمراً

لا جدوى منه وحسب ، ولكن غير مرغوب فيه ايضاً ، وقد بذلت جهود كثيرة لاقناع الباب العالي بأن المطلوب هو القيام بعمل على البر ، ولهذا أقيمت قاعدة عسكرية صغيرة لمنع القرصنة في رأس تنورة سنة ١٨٨٩ ، وهدأت حدة القلق الذي كان ينتاب حكومة صاحبة الجلالة ، فقد توقفت عمليات القرصنة فترة قصيرة ، وحين بدأت مرة أخرى ، قام الاتراك بمحاولة للقضاء على القراصنة في البر .

انفجار جديد للقرصنة ، وتـــدابير فاشلة للسلطات التركية ١٨٩١ – ١٨٩٢ :

وفي موسم صيد اللؤلؤ لسنة ١٨٩١ و ١٨٩٢ تجددت حوادث القرصنة مرة أخرى على ساحل الأحساء . ففي ١٨ يونيو ١٨٩١ قامت عصابة من ١٤ رجلا يعتقد أنهم من بني هاجر باطلاق النار على سفينة صغيرة راسية في سيهات فقتلوا أحد بحارتها والقوا بالباقين في البحر ، وقد ارسلت قوات تركية –على ما يبدو– لمطاردة المعتدين لكنها لم تستطع العثور عليهم . ثم هاجمت نفس العصابة قارباً آخر ودمرته تدميراً تاماً بعد أن قتل أفرادها واحداً من بحارته ، وخرج قارب تركي مسلح للبحث عن العصابة لكنه ايضاً لم يستطع العثور عليها . وفي يوليو هاجم ١٨ رجلا من بني هاجر سفينة صغيرة تابعة للقطيف في مكان قريب من العقير ، وجرح واحد من البحارة ، ونقل كل ما كان على ظهر السفينة كذلك ساربها نفسه وعبدان وابن عم البحار ، وفي هذه الأثناء خرجت قوة تركية لمطاردة هؤلاء المعتدين لكنها لم تفعل شيئاً . وفي ٢٠ اغسطس استولى ١٦ من بني هاجر على سفينة صغيرة تابعة للطاهري وهي مكان على الساحل الإيراني وكانت محملة ببضائع خاصة بالبحرين ، فنهبوها وحملوا منها بضائع قيمتها ٢٤٩٥ روبية نقلوها إلى دوحة سلوى ولم يحرك الأتراك ساكناً في هذه المرة . وفي العام التالي وبدقّة أول مايو سنة ١٨٩٢ هاجم ثلاثة من البدو قارباً لدارين كان متوجهاً إلى القطيف . وفي ٢١ مايو استولى بنو هاجر على سفينتين تابعتين للقطيف ،

وبعد مطاردة للقراصنة تولاها محمد بن عبدالوهاب من أبرز وجهاء القطيف أمكن استرجاع إحدى السفينتين . وفي ١٨٩٢ وضعت سلطات القطيف قارباً به ٢٠ جندياً تركياً لحماية القوارب المسافرة بين القطيف والبحرين .. ولكن رغم هذا حدثت عمليات قرصنة دون ان يتلقّى القائمون بها أي عقاب .

تصرفات السلطات البريطانية حيال هذه القرصنة ١٨٩١ — ١٨٩٢ :

وبهدف إعادة الأمن والنظام قدم الرائد تالبوت المقيم السياسي في الخليج اقتراحاً صدق عليه الرائد موكلر المقيم في بغداد وهو ان تلتمس السلطات البريطانية موافقة الحكومة العثمانية على أن تقوم الطوافات البريطانية المسلحة بعمل للقضاء على القرصنة في مياه القطيف ، سواء بالتعاون مع السفن التركية او مستقلة عنها . غير ان حكومة صاحبة الجلالة قررت استمرار نظام العمل البحري المنفرد الذي كان متبعاً سنة ١٨٨١ ، بحيث لم تر داعياً لطلب موافقة الحكومة التركية او معاونتها ، وكانت السلطات التركية تقدم شيئاً من التعويض عن بعض عمليات القرصنة .. ولكن حكومة صاحبة الجلالة قررت عدم الرجوع إلى السلطات التركية بخصوص أية تعويضات .

عمليات قرصنة أخرى :

وفي سبتمبر ١٨٩٣ هاجم ١٥ رجلا من اللصوص قارباً كويتياً كان راسياً في القطيف فأصابوا أحد بحارته بجراح ، وقتلوا واحداً آخر . وقد قام بعض حرس الجمارك من الأتراك بمطاردة اللصوص بلا جدوى .

وفي ١٨٩٥ قام رجل عربي بمفرده(١) —كان مسافراً في قارب من القطيف إلى البحرين بصحبة تلك تشاند داس من الوكاله الهندية المعروفة

(١) يبدو أن هذا الرجل العربى المشار اليه هو أحمد بن سلمان الذى اصبح لاحقا من مشاهير القراصنة •

باسم جانجارام تيكام داس وشركاه في البحرين— قام بهجوم وحشي غادر على رفيقه المسافر الهندوكي واستطاع هذا ان ينجو بنفسه بعد أن قطعت يده واصيب بجراح أخرى خطيرة حين القى بنفسه خارج القارب . ونزل العربي بعدها إلى الشاطىء ومعه كل ما كان في القارب —ومعظمه من اللالىء— وبلغت قيمته أكثر من ٤٠ الف روبية . ومن التقارير لا يبدو أن أية مطالبة قدمت بالتعويض أو الاعتذار عما حدث لرجل من رعايا بريطانيا .

١٨٩٦ :

وفي ١٨٩٦ أصبح وجود القوارب التركية المسلحة في الإحساء أكثر من ذي قبل . لكن بني هاجر رغم ذلك ارتكبوا المزيد من عمليات القرصنة في مياه البحرين .

تفاقم عمليات القرصنة ١٨٩٩ — ١٩٠٠ :

وفي سنة ١٨٩٩ بدأ انفجار جديد خطير للقرصنة على ساحل الإحساء وكان موجهاً كالمعتاد ضد سفن البحرين وهى أغنى السفن وأقلها تسليحاً في هذه المياه .

وبدأت اولى هذه الأعمال في ١١ أغسطس ١٨٩٩ بالهجوم على قارب بحريني على شاطيء اللؤلؤ في المكان المعروف باسم شيكاته شمال غرب البحرين .. وكان اللصوص من عمير هالة دارين بجزيرة تاروت ، وتجاوزت قيمة المسروقات ١٥٠٠ روبية .

وفي العام التالي في ١٧ أغسطس ١٩٠٠ هوجم قارب بحريني آخر خارج رأس تنورة ومرة أخرى هاجمه أهل دارين ، واستطاعوا أن ينهبوا منه مسروقات بلغت قيمتها ٣٩٢٤ روبية ، كما غرق مسافر القى بنفسه إلى البحر هرباً من القراصنة . وفي ٢ سبتمبر سنة ١٩٠٠ استولى قراصنة بني هاجر على سفينة بحرينية على بعد عدة أميال فقط من مدينة المنامة ، وبلغت الخسائر في هذه الحادثة ٧٣٢ روبية ،

وفي نفس اليوم أغار بنو هاجر أنفسهم على بعض الأعراب في جزيرة أم نعسان . وفي ٦ سبتمبر هاجم آل محمد من بني هاجر قارباً بحرينياً بالقرب من العقير ، وجرح رجلان ونهبت أشياء كثيرة كان معظمها لتجار الإحساء .

مسلك الاتراك تجاه حوادث القرصنة في ١٨٩٩-١٩٠٠ :

وفي آخر هذه الحوادث اهتم سعيد باشا متصرف الإحساء بارسال قوات نظامية استولت على إبل هذه القبيلة وألقت القبض على شيوخها ، كما دفع تعويضات مناسبة لتجار الأحساء الذين وقعت عليهم الحسارة .. غير أنه لم يدفع شيئاً على هذا النحو لرعايا البحرين . وفي حادثتي القرصنة برأس تنورة وشكانة .. لم يتلق مواطنو البحرين الذين نهبت أموالهم سوى تعويضات جزئية فقط . وقد لفت البريطانيون -عن طريق القنصل العام في بغداد- أنظار الوالي إلى هذه الحقيقة ، لكن هذا الأخير ظل يعامل رعايا البحرين بفظاظة ، ورفض في النهاية مبدأ مناقشة هذا الأمر لأن البحرين تابعة لتركيا كما زعم وليس لبريطانيا .

وفي أغسطس ١٩٠١ قدمت مطالب جديدة لوالي البصرة بطلب التعويض او العمل على وقف عمليات القرصنة ولكن بلا جدوى . وبقدر معلوماتنا ، نستطيع القول بأن الإجراءات التي اتخذت من جانب تركيا للمحافظة على السلام في البحر ظلت كما كانت عليه في الماضي ، كما درج الأتراك في حالات نادرة على إرسال قارب مسلح من القطيف إلى البحرين ، يقضي عدة أيام في المنامة ثم يعود أدراجه مباشرة إلى الساحل التركي .

زيارة سفينة صاحبة الجلالة سفنكس للقطيف ١٩٠٢ :

وهكذا ، ولتأكيد الخطوات التي اتخذت من جانب تركيا -اذا كان ثمة مثل هذه الخطوات- سمح لسفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» بزيارة القطيف ، وتمت الزيارة بالفعل في فبراير سنة ١٩٠٢ ، غير أن

النتائج لم تكن مرضية ولم يتيسر الحصول على المعلومات المطلوبة . ومن الناحية الأخرى لقي قائد السفينة البريطانية والوكيل السياسي المساعد في البحرين الذي كان يصحبه – معاملة مهينة ، فقد احتجزا أولا في مبنى الجمارك ، ثم في الميناء بعد ذلك ، وبصعوبة شديدة استطاعا مقابلة القائمقام ولكن لم يسمح لهما ابداً بالدخول إلى المدينة .

قرصنة أحمد بن سلمان ١٩٠٢ – ١٩٠٧ :

وفي سنة ١٩٠٢ بدأت سلسلة جديدة من أعمال الاضطرابات البحرية وظهر قائد جديد للقراصنة سرعان ما أثبت جدارته بأن يكون خلفاً لزايد بن محمد هو أحمد بن سلمان –ابن أحد أفراد الأسرة الحاكمة في البحرين من ابنة شيخ من شيوخ آل محمد من بني هاجر ، وكان أحمد فاراً من البحرين منذ وقت طويل عاش بعضه في قطر . لكنه الآن كان مستقراً تماماً على أرض تركية .

١٩٠٢ :

ففي أوائل يوليو سنة ١٩٠٢ قام هذا الرجل بصحبة بعض رفاقه من بني هاجر بسرقة قارب من سيهات بالقرب من القطيف ونزلوا به إلى البحر بهدف القرصنة ، لكنهم اضطروا للرجوع إلى الشاطىء نتيجة رياح معاكسة . وهناك استعادت القارب جماعة مسلحة من سيهات . وفي ٤ أغسطس نجح أحمد في سرقة قارب آخر من سنابس على جزيرة تاروت ، وعبر في نفس اليوم الخليج إلى جزيرة أم نعسان بامارة البحرين حيث استطاع الاستيلاء على قارب بحريني حمولته ٢٨ طناً ، وساقه بحمولته وبحارته إلى الظهران . وفي ١٢ أغسطس استخدم أحمد القارب الجديد ليستولي على سفينة بحرينية أخرى كانت في الظعائن بقطر وعاد إلى القاعدة التي اتخذها لعملياته –وهي الآن دوحة ضلوم– وقد غنم ما قيمته أكثر من ٥٤٠٠ روبية معظمها من اللالىء . وحتى هذا الوقت ، ظل أحمد على علاقة ما بقطر ، فحتى سبتمبر سنة ١٩٠٢ كانت عائلته

ما تزال تقيم في السميسمة ، وقد نقل إلى هناك جانباً مما غنم في أم نعسان .. لكنه جعل أسلاب قرصنته الثانية على الأرض التركية وسرعان ما تبعته عائلته إلى هناك . وفي أكتوبر ١٩٠٢ –ونتيجة طلبات قدمتها السلطات البريطانية إلى والي البصرة ألقى متصرف الأحساء القبض على أحمد ، وقام المتصرف –بناء على اتصال مباشر به ودون وساطة بريطانيا – بردّ عبد حمل في القرصنة الثانية لمالكه في البحرين ووعد برد بقية الأسلاب .

١٩٠٣ :

وفي يوليو ١٩٠٣ جاءت الأخبار بأن أحمد بعد أن أطلق سراحه أو سمح له بالفرار كان مقيماً مع أربعة رفاق من آل عمير في عانق ، ثم في سيهات ينتظرون فرصة سانحة لتكرار فرصتهم . ووضعت هذه الحقيقة تحت بصر السلطات العثمانية التي اعترفت في ردّها بأنها تبذل الجهود لالقاء القبض عليه ، وأنه قد استطاع الهرب بطول الساحل في اتجاه الكويت ، لكن هذه التأكيدات كلها انكشف كذبها حين ظهر أحمد في الأحساء وقام في ١٢ أغسطس بعملية فاشلة للاستيلاء على قارب من الدمام ، وفي هذه الأثناء حاكمته محاكم الأحساء غيابياً ، وحكمت عليه « بالسجن خمسة عشر عاماً » .

١٩٠٤ :

ولم يسمع شي بعد عن أحمد حتى صيف سنة ١٩٠٤ حين ظهر في أول أغسطس يقود قارباً على ساحل القطيف بالقرب من صفوه ، وبعدها بعدة أيام قام و ١٤ رجلا من رفاقه باطلاق النيران على سفينة قطرية راسية في فشت الديبل ، وحملوا منها اسلاباً تبلغ قيمتها ٣٦٤٢ روبية ، وكانت هذه حادثة القرصنة الوحيدة التي تردد فيها اسم أحمد خلال سنة ١٩٠٤ ، وظل الشاطىء التركي على حالته من فقدان الأمن ، ففي ليلة ٤ ديسمبر ١٩٠٤ وثب اللصوص إلى سفينة إيرانية راسية في القطيف وقتلوا ثلاثة من بحارتها ثم حملوا معهم ما قيمته ٢٠٠٠ روبية .

وفي هذه الحادثة ألقت السلطات التركية في البداية القبض على ثلاثة من سكان جزيرة تاروت واثنين آخرين من المشتبه فيهم .. لكن الإيرانيين لم يحصلوا على أي تعويض. وبعدها بعدة أسابيع عاد الايرانيون في قارب شراعي في قوة كبيرة ، وهاجموا اول قارب محلي شاهدوه —وكان تابعاً لدارين— وقتلوا ثلاثة من الرعايا الأتراك .

١٩٠٥ :

وفي ٢٥ يونيو ١٩٠٥ عاد أحمد بن سلمان —وكانت عائلته آنذاك مستقرة في عانق بالقرب من القطيف— إلى الظهور واستولى على قارب ، ثم استولى على آخر في اليوم التالي ، وفي هاتين العمليتين قتل رجلان وجرح آخران ونهبت أسلاب قيمتها ٣٦٠٠ روبية . وبعدها بشهر قام عشرة رجال من البدو —كانوا يزعمون أنهم من أنصار أحمد بن سلمان— بالهجوم على سفينة بين القطيف والبحرين وحملوا منها —بعد أن قتلوا صبياً وجرحوا رجلين— أسلاباً قيمتها ١٠٠٠ روبية ، وفي أكتوبر قام ثلاثة من البدو كانوا مسافرين في قارب من الدوحة بقطر إلى البحرين— بالانقضاض على بقية الركاب ونهب أموالهم وأمتعتهم ، ثم ارغموا قائد القارب على تغيير طريقه إلى الظهران بساحل الأحساء .

١٩٠٦ :

وفي أوائل يوليو ١٩٠٦ عاد أحمد بن سلمان للظهور مرة أخرى فاستولى على قاربين صغيرين تابعين للبحرين على ساحل الظهران أثناء انشغال البحارة بالبحث عن أخشاب للنيران ، فاغرق أحد القاربين وركب الآخر هو وبعض رفاقه وهم عشرة رجال من بني هاجر وآل مرة ، وكان معظم القراصنة رجالا من غير المشتغلين بالبحر ، لذلك أتعبهم دوار البحر كثيراً ، واضطروا لقضاء اسبوع كامل على البر بالقرب من رأس البريكات —وكان الطقس خلالها سيئاً— واستطاعوا بعدها الإبحار إلى دوحة عين السيح . وفي ١٤ يوليو وقعوا على قارب من

البديع كان يحمل مسافرين إلى القطيف ، ولم يكن بهذا القارب سوى بندقيتين فقط لكن الرجال أحسنوا استخدامهما بحيث جرحوا أحمد بن سلمان نفسه وقتلوا مساعده الأول وهو رجل من آل مرة . وأدت هذه الحادثة إلى توقف العصابة عن نشاطها طوال ذلك الموسم .

عمل السلطات البريطانية حيال قرصنة أحمد بن سلمان ١٩٠٥ – ١٩٠٧ :

وفي يونيو ويوليو ١٩٠٥ خرج الكابتن ف. ب. بريدو الوكيل السياسي في البحرين في رحلتين شراعيتين استغرقت كل منهما أربعة أيام للبحث عن أحمد بن سلمان صحبه فيهما حوالي ٥٠ رجلا مسلحاً من رجال شيخ البحرين لكنه لم يستطع اكتشاف مخبأ القرصان . لكن كابتن بريدو عثر على عبد هارب من عبيد أحمد شهد بعينيه عملية القرصنة الثانية التي ارتكبها سيده ، وقد أرسل إلى القطيف ليدلى بشهادته أمام السلطات التركية . ويبدو أن القائمقام التركي هناك ألقى بالشاهد في السجن لكنه أيضاً ألقى القبض على أربعة رجال من أنصار أحمد ، وردت العصابة على هذا العمل بقرصنة ثالثة ارتكبت في يوليو . وفي سبتمبر قام كابتن بريدو بزيارة القطيف حيث التقى بالقائمقام الجديد الذي وصل مؤخراً لقاء ودياً كانت نتيجته إطلاق سراح العبد الذي كان شاهداً ، ثم أعتق في ما بعد . وفي صيف سنة ١٩٠٦ حين عاد أحمد بن سلمان إلى الظهور ظل قارب بريطاني مسلح موجوداً في البحرين أو على شواطىء اللؤلؤ طوال موسم الغوص . وفي أغسطس زار هذا القرصان الدوحة ، ورغم أن زيارته هذه تمت خلسة فيما يبدو فقد طلبت السلطات البريطانية تفسيراً لزيارته من الشيخ جاسم . ولم يتخذ أي إجراء آخر .

١٩٠٧ :

وفي يونيو ١٩٠٧ وبعد ما أشيع من أن أحمد على وشك أن يعاود

أعمال القرصنة قامت سفينة صاحبة الجلالة « لابونج » بزيارة القطيف لكي يناقش قائدها هذا الأمر في لقاء ودي مع القائمقام ، الا أن الاخير رفض الاجتماع وقوبل الضابط البريطاني ورفاقه بمعاملة بلغت من السوء ما جعل حكومة صاحبة الجلالة تتقدم باحتجاجات على ذلك إلى الباب العالي .

★ ★ ★

علاقة بريطانيا بالاحساء ١٨٧١ ـ ١٩٠٧

العلاقات العامة والسياسية :

نبدأ الآن الحديث عن علاقات بريطانيا بالأحساء وكان معظم هذه العلاقات متعلقاً بعمليات القرصنة مما أشرنا اليه فيما سبق ، أو بأمور البحرين وسنشير اليه فيما بعد ونكتفي هنا بالإشارة إلى أنه في سنة ١٨٨٤ كانت السفينة «مبارك» وهي سفينة تاجر هندي في البحرين راسية في ميناء القطيف فأرغمتها السلطات التركية على أن تنقل جنوداً من القطيف إلى العقير . وحين رفع ممثلو بريطانيا الأمر إلى الباب العالي ، دفع التعويض عن هذا العمل وقد قدر بمبلغ ٥٠ روبية .

العلاقات التجارية :

وقد سبق أن أشرنا إلى وجود جالية هندية كانت تعمل في التجارة بالقطيف قبل أن يحتلها الأتراك ، وسنواصل الآن متابعة أخبار هذه الجالية

١٨٧١ ـ ١٨٩٠ :

وباحتلال الأتراك الفعلي للأحساء وإقامة دور للجمارك والعوائد انتهت الفترة الذهبية للتجارة الخارجية وإن ظلت حالة الجالية الهندية المشتغلة بالتجارة على حالها من الازدهار عدة سنوات تالية . وقد قدر حجم التجارة بين أيدي هؤلاء التجار ـ حين كانوا في قمة رخائهم ـ بما لا يقل

عن ١٥ لاكاً من الروبيات كل سنة . وفي المواسم التي تزدحم بالعمل كان يضاف اليهم حوالي ٦٠ تاجراً هندوكياً أيضاً تصحب سبعة منهم عائلاتهم في القطيف .

وحوالي سنة ١٨٨٠ بذل هانجام رام تيكام داس وشركاه — وهو أحد كبار التجار الهنود في البحرين — جهوداً كبيرة لتحسين حال الجالية بأن أقام وكالة قوية تكون مسئولة عن تجارة الهنود في القطيف ، وتبعته في ذلك وكالة هندية أخرى .

١٨٩٠ — ١٨٩٧ :

وأخيراً بدأت تجارة الهنود في الانهيار بسبب تعسف جامعي الضرائب والعقبات التي يقيمها أمامهم المسئولون في الميناء بايعاز من التجار المحليين ولمصلحتهم . وكانت البضائع المصدرة إلى الهند خاضعة لضريبة قدرها ١٪ فقط لكن الضريبة التي كانت تجمع بالفعل كانت تصل إلى ٨٪ . وكان المفروض أن ترد نسبة الـ ٧٪ عندما يثبت وصول هذه البضائع إلى الهند. لكن محصلي الضرائب نادراً ما كانوا يفعلون ذلك ، وقد قدرت الضرائب الزائدة التي حصلت من التجار الهنود في ثلاثة المواسم المنتهية سنة ١٨٩٤ بمبلغ يتجاوز ١٩,٥٠٠ روبية ، بلغ ما تمت استعادته منها —بعد طلب ممثلي بريطانيا من الباب العالي— مبلغ ٥٠١٢ روبية فقط . وكانت المضايقات الأخرى التي يشكو منها التجار الهنود تتمثل في التأخير المتعمد لوزن بضائعهم أو حجز سفنهم مدداً طويلة دون مبرر في الحجر الصحي ، وكذلك في الأوامر التي كانت تجعل من المتعذر عليهم الحصول على دواب يستخدمونها في نقل بضائعهم ، وفي تقصير السلطات التركية في تقديم العون لهم لاسترجاع ديونهم . وزادت الاضطرابات السياسية ومظاهر الخروج على القانون من صعوبات الموقف ، وبعد الهجوم العنيف الذي شُنّ في سنة ١٨٩٥ على بيت أحد أصحاب وكالة السادة جانجارام تيكام داس وشركاه ، انسحب التجار الهنود

تدريجياً من القطيف كلها ، وأصبح عملهم خلال سنة ١٨٩٧ هو نصف وربما ثلث ما كان عليه . وما بقي من العمل كان يسير سيراً سيئاً عن طريق وكلاء مسلمين من أهل البلاد .

١٩٠١ – ١٩٠٣ :

وحاول تجار الهند البريطانية في البحرين، بما عهد عنهم من إصرار ، تعزيز مركزهم في القطيف ، فعرضوا ،في سنة ١٩٠١ أن يسهموا بدفع مبلغ ١٢٠٠ روبية في كل سنة –لمدة خمس سنوات– في مقابل تعيين وكيل قنصلي بريطاني في القطيف . وفي نوفمبر سنة ١٩٠٣ –وبمناسبة زيارة لورد كيرزون للبحرين – جددوا طلبهم بإيجاد حماية قنصلية في الأحساء، وعرضوا أن يساهموا في نفقاتها بمبلغ ٢٠٠٠روبية في كل سنة . وكانت ضرورة القيام بعمل إيجابي ضرورة ملحة ، ما دام المبلغ الذي جمع دون وجه حق من تجار الهند البريطانية قد وصل في سنة ١٩٠٣ فقط إلى أكثر من ٢٥ الف روبية . وقد تم لفت نظر الباب العالي إلى هذه الإجراءات عن طريق ممثلي بريطانيا العظمى ، وتم الحصول على وعد من والي البصرة بتصحيح هذا الوضع وبردّ المبالغ التي سبق تحصيلها دون حق . ونتيجة هذا الوعد ، تم التخلي عن المشروع المقترح وهو الحصول على اعتراف بالوكيل السياسي في البحرين كوكيل قنصلي للأحساء أيضاً ، ثم تعيين وكيل أهلي تابع له في القطيف .

★ ★ ★

علاقات الاحساء الخارجية بدول أخرى غير بريطانيا العظمى ١٨٧١ – ١٩٠٧

ظلت العلاقة الوثيقة بين الإحساء والبحرين بسبب اعتماد هذا الإقليم تجارياً على إمارة البحرين مستمرة بحكم الضرورة في ظل الحكم التركي . وكانت هذه الإمارة هي التي تتأثر مباشرة بأعمال القراصنة

على الساحل التركي مما وصفناها سابقاً ، وكانت الأحساء هي القاعدة –كما شرحنا ذلك في تاريخ البحرين– التي تود تركيا أن تنطلق منها لتأكيد سيطرتها على جزر البحرين .

مذبحة شيوخ البحرين وأنصارهم في الإحساء وعمل السلطات البريطانية حيال ذلك ١٩٠٠ – ١٩٠٤ :

وقد وقعت حادثة مؤسفة –لا تتصل بأي من هذه المشاكل– لكننا لا نستطيع إهمالها ، ففي نهاية سنة ١٩٠٠ خرج سلمان بن دعيج ابن عم عيسى بن علي شيخ البحرين للصيد بالصقور على شاطىء الظهران في الإحساء ، وكان بصحبته ابناه دعيج وبشير وابن شقيق له اسمه عبدالرحمن ابن راشد ، وتبع الشيوخ ٢٠ خادماً وأربعة أدلاء : أحدهم من آل مره ، والثاني من عجمان والباقيان من بني هاجر . وفي الصباح الباكر ليوم ٣ ديسمبر هوجم مخيم الشيوخ إلى جوار بئر ابن عقدان على مسافة خمسة أميال من دوحة عين السيح .. هاجمته عصابة مكونة من حوالي خمسين رجلا من بدو آل مرة التابعين لآل بحيح يقودهم راشد بن مقارح شيخ فرع آل بحيح الذي قتل ابن من ابنائه في العام السابق في عراك نشب مع العمامرة رعايا شيخ البحرين . ولم ينج من هذه الجماعة كلها سوى بشير ابن الشيخ سلمان واثنين من رجال القبائل استطاعوا النجاة من الموت ، وفروا جرحى . كما قتل أيضاً رجل من دواسر البحرين كان خارجاً للصيد مع جماعة أخرى ولكن تصادف أن كان في خيمة الشيخ سلمان وقت حدوث هذه المباغتة فشاركه المصير . ومن الجانب الآخر قتل القائد راشد وابن من ابنائه كما جرح واحد أو أكثر من رجال القبائل . وحمل آل بحيح معهم فيما حملوا ثلاثين بعيراً وعشرين بندقية . وكان يبدو أن هدفهم هو النهب لا الانتقام ، وكان مسلكهم هذا منافياً لكل التقاليد العربية . وقد قام محمد بن عبدالوهاب من القطيف بالسفر إلى مكان الحادثة خصيصاً للقيام بدفن جثث الشيخ سلمان ورفاقه .

وقام القنصل البريطاني في البصرة بابلاغ النبأ مباشرة إلى والي البصرة وكان من المتوقع أن تبادر السلطات التركية لتقديم التعويض العاجل. ويبدو أن هذه السلطات في البداية كانت تقلل من شأن الانتقام من آل بحيح، وكانت أيضاً تخشى الإجراءات الانتقامية التي قد يقوم بها شيخ البحرين ضد هذه القبيلة. والحقيقة إن خطاباتهم لشيخ البحرين كشفت عن استعدادهم لقبول قيام الشيخ بالانتقام منهم، لكن هذه السلطات بمجرد أن عرفت قدرة هذه القبيلة على الإفلات والمراوغة، وعرفت أيضاً أن السلطات البريطانية ستحول بين شيخ البحرين والقيام بعمل انتقامي مفاجىء هدأت حماستها وأصبحت تنظر للقضية ببرود واضح.

وقد تأخرت حكومة صاحبة الجلالة في تقديم مطالبها واحتجاجاتها الشديدة إلى الباب العالي بسبب شكها فيما اذا كانت سلطة تركيا تمتد جنوباً حتى مكان وقوع الحادثة، لكنها أخيراً — في أغسطس سنة ١٩٠١ قدمتها على أساس أن آل بحيح يقيمون في أرض تابعة لتركيا، وقبل أن تقع الكارثة التي وقعت للاتراك كما ذكرنا سابقاً في القفطية بالقرب من العقير في إبريل ١٩٠٢ كانت الحكومة التركية قد خضعت لمطالب بريطانيا فيما يتعلق بمذبحة الظهران حتى إنها أرسلت أوامر صريحة مشددة إلى مسئوليها المحليين لإلقاء القبض على القتلة وعقابهم. وبما أن آل بحيح قاموا أيضاً بدور بارز في مذبحة الأتراك في القفطية فقد زود هؤلاء بمبرر جديد للعمل. وزاد احتمال نجاح المفاوضات المتعلقة بقضية شيخ البحرين خاصة بعد انتصار القوات العثمانية على آل مرة في سبتمبر سنة ١٩٠٢.

وفي نفس الوقت طلبت حكومة الهند من شيخ البحرين أن يحدد التعويض الذي يرى أنه يستحقه. وأجاب الشيخ بأن قتل ثلاثة من أقربائه لا بد أن يقابل بتسليم ثلاثة في مقابلهم ودون قيد اوشرط من آل بحيح. وبالنسبة لديه الدم فانه يستحق مبلغ ٢٣,٥٢٠ روبية عن العشرين تابعاً والضيف الدوسري. أما قيمة الممتلكات التي نهبوها فتصل

إلى ١١,٦٢٠ روبية . وقد اعترض الأتراك على هذه المطالب ، من حيث نوعها وكمها كذلك ، ومن المحتمل أن نجاحهم وانتصارهم على تلك القبيلة كان لا يكاد يكفي لتغطية تعويضاتهم هم عن كارثة القفطية . وفي الداخل ، تقدم آل بحيح —عن طريق آل ثاني شيوخ الدوحة في قطر— بطلب لشيخ البحرين لتسوية الأمور تسوية ودية . وسمحت السلطات البريطانية للشيخ باجابتهم إلى مطلبهم ، غير أن آل بحيح تراجعوا أخيراً، ولم تبدأ المفاوضات المنتظرة .

وفي سنة ١٩٠٣ حين لم تكن أية خطوات قد اتخذت من جانب السلطات التركية لتعويض شيخ البحرين عن هذه الكارثة استمرت المفاوضات دائرة حولها بين الحكومة البريطانية والباب العالي ، وثبت كذب إدعاء السلطات التركية بأن هؤلاء القتلة قد لقوا حتفهم في الاشتباكات التالية مع القوات التركية . وسرعان ما وضح أن الباب العالي لا يود ولا يستطيع أن يقوم بأي عمل بهذا الصدد ، وقررت حكومة صاحب الجلالة الترخيص لشيخ البحرين بالثأر من آل بحيح على ألا يقوم بعمله هذا في إقليم تابع لتركيا . وأبلغ هذا القرار للباب العالي في أكتوبر سنة ١٩٠٤ ، لكن الترخيص سحب من الشيخ نظراً لسوء تصرفه في بعض الأمور الوارد تفصيلها في تاريخ البحرين .

وفي فبراير ١٩٠٥ حدث اعتداء جديد على رعايا البحرين من جانب قبيلة آل بحيح في دوحة حويقيل في برّ القارة ، وكان الضحايا في هذه المرة هم بحارة سفينتين صغيرتين تابعتين للحد في جزيرة المحرق نزلوا إلى البر لجمع بعض الأخشاب فهاجمتهم عصابة من ٣٥ بدوياً ، وجرح عبد كان مملوكاً لهم . وفي ١٩٠٧ يبدو ان آل بحيح كانوا يعتبرون أنفسهم بسبب منع الشيخ لهم من الدخول إلى البحرين على عداء دموي لكل أهل هذه الجزر من العرب .

العلاقات بقطر وعمان المتصالحة :

وكان المتصرفون الاتراك للأحساء –بعد احتلال هذا الاقليم– هم الادوات الرئيسية في التوسع التركي باتجاه قطر وعمان المتصالحة لكن أعمالهم بهذا الصدد تتعلق بتاريخ قطر .. وهي مذكورة في مكان آخر .

العلاقات مع الكويت :

وقد أشرنا من قبل إلى استخدام الكويت أحياناً كقاعدة عمليات ، وكذلك أشرنا إلى المعونة التي قدمها شيخ الكويت للأتراك في احتلال الأحساء سنة ١٨٧١ ، كما ذكرنا كذلك تعاون المفرزة الكويتية بقيادة الشيخ مبارك نفسه لاستعادة الاحساء سنة ١٨٩٣ ، وقرب نهاية سنة ١٨٩٩ أصدر سلطان تركيا إرادة سلطانية بمد خط برقي بين البصرة والقطيف عن طريق الكويت ، ولكن لم تتخذ أية خطوات لتنفيذ هذا المشروع .

العلاقات مع نجد :

وقد أشرنا قبلا إلى المفاوضات والمحادثات التي دارت بين الأتراك في الإحساء والحكام الوهابيين في وسط الجزيرة بقدر ما يتعلق هذا باحتلال الأحساء ، وبخطط تركيا للتوسع في نجد .

وفي ١٨٩٢ قدم الأتراك ملجأ ومرتباً لعبدالرحمن زعيم آل سعود في نجد الذي طرده ابن رشيد في وسط الجزيرة العربية .

كما كان ثمة اتصال يتم أحياناً مع ابن رشيد أمير جبل شمر . وهكذا حين هاجم ابن رشيد قبيلة عجمان في مارس ١٨٩٤ في مكان يدعى سلوى ناحية الكويت لجأت هذه القبيلة إلى السلطات التركية تطالبها بالتعويض على أساس أنهم تدفع الجزية للباب العالي . وكتب متصرف الأحساء باسمهم إلى الأمير إبن الرشيد لكن هذا أجابه ببساطة بأن أهل هذه القبيلة «لصوص.. وإنه اتخذت بحقهم اجراءات تكفل

سيادة النظام والقانون» . وفي ١٨٩٥ شكا ابن الرشيد بأن المواصلات بين الكويت ونجد تهددها غارات قبيلة عجمان وآل مره وغيرهما من القبائل الخاضعة اسمياً لتركيا وطالب إما أن يقوم المتصرف باخضاع تلك القبائل او يسمح له بالقيام بذلك ، ولكن يبدو أن الرد الوحيد الذي جاءه كان هجوماً من جانب قوات المتصرف بمساعدة قبيلة عجمان على آل مطير ، وهي القبيلة التي كانت تعتبر دائماً تحت حماية الأمير ابن رشيد ، والتي سبق أن اشرنا اليها من قبل .

وفي يوليو واغسطس ١٩٠٥ زار عبدالعزيز ـ ابن أمير الوهابيين الذي أصبحت له الغلبة على ابن رشيد في وسط الجزيرة ـ ناحية صحراء الجافورة المجاورة لدوحة سلوى . ويبدو ان وجوده هناك رغم كونه مسئولا تركياً اسمياً على الأقل كان محرجاً للسلطات التركية في الأحساء . لكنه استقبل الطابور التركي الغازي الذي مر لزيارته في معسكره في دعيلج بصحراء الجافورة .



الفصل السابع

تاريخ الكويت (١)
التاريخ القـديم

العتوب يؤسسون الكويت ١٨١٦ :

على الرغم من إن تأسيس مدينة الكويت ليس حدثاً موغلا في القدم فهونهب لروايات وأقاويل مختلفة ومتعارضة . ولكن لاشك في أن المستقرين هناك كانوا من العتوب وهي قبيلة تتكون من ثلاثة فروع رئيسية : الجلاهمة وآل خليفة وآل الصباح ، وقيل إن أصل القبيلة من عنيزة شمال وسط الجزيرة (٢) . ويبدو إن مدينة الكويت قد خرجت إلى

---

(١) فيما يتعلق بالحقائق الخاصة بتاريخ الكويت لم نرجع كما فعلنا بالنسبة لقطر والبحرين والاحساء الى التقارير والمذكرات الرسمية . ويمكننا أن نذكر المراجع المنشورة الآتية : كتاب آيفز « رحلة .. » سنة ١٧٧٣ . والجزء من « مراسلات موناتليش » الخاص من يوليو الى ديسمبر ١٨٠٥ ، وكتاب بريدج : « تاريخ مختصر للوهابيين .. » ١٨٣٤ . وكتاب ستوكيلر : « الحج في خمسة عشر شهرا .. » ١٨٣٢ ا ومقال بيللى وكولفيل بعنوان « جولة حديثة حول القسم الشمالى من الخليج .. » المنشور في مجلة الجمعية الجغرافية في بومباى مجلد رقم (١٧) سنة ١٨٦٥ . وتقرير بيللى بعنوان : « تقرير عن رحلة الى عاصمة الوهابيين في الرياض .. » سنة ١٨٠٦ ، وتقرير بيللى أيضا بعنوان : « تقرير عن القبائل الموجودة حول شواطىء الخليج .. » سنة ١٨٧٤ . والمصادر الرسمية التى تحوى معظم المعلومات هى « مختارات بومباى .. » رقم (٢٤) سنة ١٨٥٦ ، و « مختصر المراسلات المتعلقة بشئون الخليج .. » من سنة ١٨٠١ الى ١٨٥٣ اختيار ج. أ. سالدنها سنة ١٩٠٦ ، و « مختصر شئون الكويت .. » لنفس المؤلف سنة ١٩٠٤ ، و « مختصر في أحوال نجد .. » له أيضا سنة ١٩٠٤ الى جانب التقارير الادارية السنوية من المقيمية السياسية في الخليج .

(٢) كان ثمة قسم رابع أيضا هو آل فضيل لكنهم لم يلعبوا دورا هاما في التاريخ .

الوجود مع بداية القرن الثامن عشر ، وتحدد إحدى الروايات هذه البداية بسنة ١٧١٦ . ومن الاسم نفسه نستطيع أن نفهم أنها كانت مجرد مستوطنة عربية صغيرة تقوم على حمايتها قلعة صغيرة . وحسب رواية ما يزال يرددها آل الصباح حكام الكويت إلى اليوم ، فان أجدادهم قد جاءوا إلى الكويت بعد أن طردهم الأتراك من أم قصر على خور الزبير وهو مكان قديم كانوا يتخذونه لقطع الطريق على القوافل المتجهة إلى البصرة أو القادمة منها وكذلك للقرصنة على السفن في شط العرب . وحين أنشئت الكويت كان شيخ الجلاهمة رجلا يدعى جابر ، وشيخ آل خليفة هو خليفة بن محمد ، وشيخ آل الصباح حسب إحدى الروايات هو شيخاً يسمى سليمان بن أحمد ، وكان لآل الصباح لون من السيطرة السياسية على بقية فروع القبيلة . وتقول رواية أخرى بأن شيخ آل الصباح في ذلك الوقت كان رجلا يدعى رحيم .

نمو المستوطنة السريع ١٧١٦ – ١٧٦٦ :

ونمت مدينة الكويت من حيث الثروة والأهمية نمواً عظيماً في الخمسين سنة الأولى التي أعقبت تأسيسها ، ونجح العتوب بواسطة تحالفهم البحري مع سواهم من القبائل المجاورة في أن يدعموا وجودهم في مواجهة بني خالد الذين كانوا حتى وقت قريب آنذاك يسيطرون على كل الساحل شمال شرقي شبه الجزيرة . وكان شيخ الكويت في الفترة من حوالي سنة ١٧٥٦ حتى سنة ١٧٦٢ هو الشيخ صباح الذي خلفه ابنه الشيخ عبدالله .

علاقات الهولنديين في خارَج بشيخ الكويت ١٧٥٨ :

وفي ١٧٥٨ ، حين مر دكتور آيفر ورفاقه بخارَج في طريقهم من من الهند إلى اوروبا ، كنت تقوم علاقات ودية وثيقة بين البارون نيبهاوزن المسئول عن المستعمرة الهولندية في خارَج وشيخ الكويت الذي كان

«يدين له كثيراً .. بل ربما كان واقعاً تحت نفوذه ، وقد قام البارون باتخاذ الإجراءات المناسبة لسفر مجموعة الرحالة البريطانيين بمصاحبة قافلة تسير من الكويت إلى صحراء حلب وهو طريق على صعوبته كان أقصر بكثير من طريق البصرة وبغداد . وعلى هذا الاساس ارسل قارب في ٣١ مارس ليعود بشيخ الكويت إلى خارج لكن القارب لم يعد إلا في ١٤ إبريل . وحين جاء الشيخ وأملى شروطه كانت مبالغاً فيها مبالغة جعلت البارون يتساءل عن إمكانية تنفيذ الخطة التي اقترحها ، ولتنقذه جماعة البريطانيين من هذا الحرج الذي أحس به أعلن أفرادها أنهم لأسباب عديدة يفضلون مواصلة طريقهم المعتاد عن طريق البصرة وبغداد .

هجرة آل خليفة والجلاهمة من الكويت إلى الزبارة في قطر ١٧٦٦ :

وفي سنة ١٧٦٦ ، وفي ظروف لا يمكن أن تفسّر إلا تفسيراً خيالياً خالصاً ، انعزل فرع آل خليفة عن بقية القبيلة وانفصلوا في الزبارة بقطر حيث اسسوا لهم مستوطنة مستقلة . وتبعهم الجلاهمة بعد فترة قصيرة ، وظل آل الصباح فقط يسيطرون على الكويت سيطرة مطلقة .

أثر سقوط البصرة في أيدي الايرانيين على الكويت ١٧٧٦–١٧٧٩ :

وظلت العلاقات الودية قائمة بين العتوب في الكويت وهؤلاء الذين في الزبارة ، ولو حدث وانقطعت هذه العلاقات الى حين فهي ما تلبث أن تستعيد سيرة الود سريعاً . وفي سنة ١٧٧٦ لجأ واحد من شيوخ الكويت وعدد من وجهاء السكان فيها إلى الزبارة بعد استيلاء الإيرانيين على البصرة . ولم تضارّ الكويت ، كما كان يخشى من احتلال الإيرانيين للبصرة ، بل ان جزء كبير من تجارة البصرة تحول إلى الكويت عقب الاحتلال الإيراني .

بداية علاقة بريطانيا بالكويت ١٧٧٥ – ١٧٧٨ :

ويبدأ التاريخ المسجل لعلاقات بريطانيا بالكويت في سنة ١٧٧٥

حين احتل الإيرانيون البصرة وبدأ ارسال البريد الصحراوي من الخليج إلى صحراء حلب يتوجه إلى طريق الكويت بدل الزبير ، واستمر هذا الإجراء طوال احتلال الإيرانيين للبصرة حتى سنة ١٧٧٩ . لكن هذا الطريق لم يكن آمناً ، ولم يكن على المسافرين أية رقابة ، وقد ضاعت مرة حزمة من الرسائل في نهاية ١٧٧٨ .

الكويت تابعة للبصرة ١٧٧٥ :

وفي ١٧٧٥ كان ينظر إلى الكويت على أنها تابعة للبصرة ، وحين تعطل الاسطول البريطاني ـ التركي في شط العرب لدى انتقال الوكالة البريطانية إلى بوشهر ، كانت الكويت مرفأ آمناً يمكن فيه نزول المواطنين الأتراك والعرب .

القاء القبض على ضابط فرنسي في الكويت ١٧٧٨ :

وقد وقعت حادثة غير مألوفة في الكويت في نهاية ١٧٧٨ أو أوائل ١٧٧٩ . ففي ٣ أغسطس ١٧٧٨ خرج مسيو بوريل دي بورج وهو ضابط فرنسي شاب من مارسيليا يحمل رسائل مكتوبة بالشيفرة للسلطات الفرنسية في بوندشيري وموريشوس . وسافر الضابط عن طريق حلب إلى الخليج . وبعد مسيرة ١٥ يوماً من البصرة هددته جماعة من البدو ، وكان من سوء حظه أن أطلق النار على رجل منهم . وجرح الضابط جرحاً خطيراً بضربة سيف ، وأنقذ نفسه بأن احتمى بأكبر هؤلاء اللصوص سناً وتعهد له بدفع مبلغ ١٠٠ جنيه انجليزي اذا نقله سالماً إلى الكويت . ولدى وصوله إلى الكويت استطاع أن يقترض المبلغ المطلوب من رجل ارمني هناك ، وكتب إلى مسيو روسو القنصل الفرنسي في البصرة يطلب اليه تزويده بما يمكنه من إكمال رحلته إلى بوندشيري . ويبدو أن المقيم الفرنسي قد رفض أو لعله تردد في تقديم المعونة لمواطنه الفرنسي . لأن العرب حاملي البريد نقلوه معهم إلى الوكالة البريطانية في البصرة . وهكذا عرفت السلطات البريطانية بوجود مسيو دي بورج في الكويت .

ونشبت آنذاك مشكلة حادة ، لان تقريراً جاء إلى البصرة باعلان الحرب بين بريطانيا وفرنسا(١) . وفي هذه الحالة كان يصبح من المحتم على السلطات البريطانية في خارج أن تلقي القبض على مثل هذه البعثات الفرنسية المتجولة . لكن العواقب كانت ستكون وخيمة بالنسبة للمقيم البريطاني لو اتخذ إجزاءً على أساس تقرير ثبت فيما بعد أنه غير صحيح . وقرر مستر و. ديجيس لاتوش كمسئول عن الوكالة البريطانية ، وربما كعمل طيب من جانبه وإنساني إلى أبعد الحدود — القاء القبض على الضابط الفرنسي ، وأرسل وكيله مستر ابراهام في باخرة لتنفيذ القرار .

ورست السفينة على مسافة من المدينة ، وبعد أن هبط الظلام نزل مستر ابراهام يصحبه الكابتن شريف وهو رجل قوي البنية جداً في قارب إلى البر ، وكانت أهم العقبات التي تجابه تنفيذ مهمتهم هي معارضة شيخ الكويت الذي كان رغم نواياه الطيبة تجاه الحكومة البريطانية يعارض معارضة شديدة في إلقاء القبض على رجل ينزل في ضيافته ، وبعد نقاش طويل أمكن التخلص من هذه المعارضة ربما بناء على تأكيد بأن مسيو دي بورج لم يكن سوى مدني مفلس هارب . ومضى ممثل بريطانيا بعد ذلك إلى بيت مسيو دي بورج ، وحين فتح الضابط الفرنسي الباب —ولم يكن عليه سوى قميصه فقط لانه كان ينتظر رداً من المقيم الفرنسي في البصرة على ما يبدو— فاجأه الكابتن شريف بأن أوثق ذراعيه بقوة ، ودخل مستر ابراهام لتفتيش منزله ، واستطاع العثور على هذه الرسائل ، لكن مسيو دي بورج استطاع اتلاف مفتاح الشيفرة الذي كان في ثنية سترته وهكذا لم يستطع أحد أن يعرف فحوى الرسائل على وجه التحديد . ومن المفرح أن نعرف أن مسيو دي بورج حين وصوله إلى

---

(١) لم يكن هذا التقرير غير صحيح • فقد كانت هناك حرب بين فرنسا وبريطانيا في المدة من ١٧٧٨ الى ١٧٨٣ بسبب وقوف فرنسا صراحة الى جانب الولايات المتحدة الامريكية في حرب الاستقلال •

البصرة كان قد اكتسب بفضل سوء حظه والاعتداء الذي تعرض له «شفقة» هؤلاء الذين القوا القبض عليه . كما كان ساخطاً على مسيو روسو إلى درجة أنه رفض القيام بأي اتصال بالقنصلية الفرنسية . وأصبح مسيو دي بورج موضع « كل رعاية واهتمام » لدى المسئولين عن الوكالة البريطانية ، حتى إن جراحـــــه التي كانت بلغت حداً خطيراً لعدم توفر وسائل العلاج قد التأمت تماماً ، ثم ارسل أخيراً في الطريق إلى بلاده عن طريق حلب «مزوداً بكل معونة ممكنة من جانب السادة العاملين في وكالتنا» .

مشاركة عتوب الكويت في فتح العتوب للبحرين ١٧٨٣ :

وكما ذكرنا في تاريخ البحرين ، ساهم عتوب الكويت بدور هام في طرد الإيرانيين من جزر البحرين وفي إعادة البحرين إمارة عربية يحكمها أقرباؤهم العتوب في الزبارة . وقبلها بثلاث سنوات ـأي في سنة ١٧٨٠ـ اشترك العتوب في الكويت والعتوب في الزبارة في حرب ضد قبيلة بني كعب فيعربستان . لكننا لا نعرف شيئاً عن أسباب هذه الحرب وظروفها .

تجارة الكويت ١٧٧٥ ـ ١٧٩٠ :

وكانت الكويت ـالتي كان رخاؤها آنذاك يسير في اتجاه عكسي مع رخاء البصرةـ قد أفادت فائدة كبرى من احتلال الإيرانيين للبصرة ، لأن تجارة الهند التي كانت تتخذ طريقها عبر بغداد وحلب ثم القسطنطينية قد تحولت إلى الكويت بين ١٧٧٥ و ١٧٧٩ بل حتى بعد هذا التاريخ . وفي سنة ١٨٧١ كان بعض التجار مع حلب ما يزالون يفضلون طريق القوافل مباشرة إلى الكويت لتفادي دفع الضريبة الي فرضها باشا بغداد على التجارة المارّة بالبصرة . . . .

وفي ١٧٩٠ بدأت الكويت تأخذ نصيبها من الرخاء التجاري الذي جلبه فتح البحرين على قبيلة العتوب كلها لاشتغال أفرادها في تجارة النقل واستيراد البضائع من مسقط والزبارة والقطيف والبحرين ، وفرضت الضريبة على البضائع المستورة بنسبة ١٪ فقط .

انتقال وكالة البصرة (البريطانية) مؤقتا الى الكويت ١٧٩٣ ــ ١٧٩٥

نظام الوكالة والعاملون بها :

كانت نتيجة الصعوبات والعقبات التي وضعتها السلطات التركية في وجه الوكالة البريطانية في البصرة كما بينا في تاريخ العراق التركي أن قررت الوكالة الانسحاب مؤقتاً إلى الكويت ، وتم ذلك في ٣٠ إبريل ١٧٩٣(١) وبقيت الوكالة بالكويت حتى ٢٦ أغسطس ١٧٩٥ . ونستطيع أن نستنتج من اختيار الكويت مقراً تلجأ اليه الوكالة التي انسحبت من العراق التركي أن الكويت لم تكن في سنة ١٧٩٣ وبأي حال من الأحوال رغم كل ما يقال ـــ تابعة لتركيا . وكان المسئول عن الوكالة آنذاك هو مستر س. مانستي وهو رجل لعب دوراً هاماً ونشيطاً إلى حد ما في العلاقات بين بريطانيا والعراق التركي في هذه الفترة ، وكان ممن صحبه في هذه الرحلة الوكيل الآخر مستر هارفورد جونز الذي اشتهر فيما بعد بالسير هارفورد جونز سفير بريطانيا في إيران . كذلك صحبهم أيضاً مستر رينو الذي اشتهر بعد ذلك بأنه أول اوربي يقوم بزيارة الدرعية في نجد . ولحماية الوكالة في الكويت ظل طراد صغير راسياً في الخليج ، ووضعت فرقة حرس من الهنود يقودها ضابط هندي على الشاطىء . لكن العاملين في هذه الوكالة عانوا الكثير من حرارة الجو اللاهبة في الكويت مما سبب لهم ليالي طويلة ارقة بلا نوم » ومن الماء «الذي هو سيء دائماً ، ويتغير طعمه من يوم ليوم .. فمرة هو مالح .. وأخرى حلو ، وثالثة مر» ، وقد اضطر مستر هارفورد جونز ـــنتيجة تدهور صحته ـــ الى السفر في إجازة إلى اوربا .

(١) يذكر سير هارفورد جونز بريدجس في كتاب « الوهابى .. » هذا التاريخ على أنه سنة ١٧٩٢ .. لكن هذه ولا شك زلة قلم .

عدوان الوهابيين على الكويت ١٧٩٣ – ١٧٩٥ :

وأثناء إقامة الوكالة البريطانية في الكويت كان الوهابيون في حرب معها وكانوا متحرقين لإخضاع الكويت لسلطانهم وكثيراً ما ظهروا في جوارها وعلى أطرافها مسببين الخوف والهلع ، وكانت المدينة في ذلك الوقت لا تتوفر لها الحماية الكافية . فحولها سور من الطين كثيراً ما يتصدع في أيام المطر مما يفزع الناس ، لكن هؤلاء دائماً كانوا يتشجعون لثقتهم في الشيخ عبدالله بن صباح الذي تردد وصفه بأنه رجل قوي جدير بالزعامة . وكانوا يرون فيه أباً أكثر منه حاكماً ، لكن اعتداء الوهابيين لم ينتج عنه على أية حال سوى وضع مجموعة من ١٠ أو ١٢ بدوياً حول آبار المياه التي استولوا عليها ، واستطاع حملة البنادق ذات الفتيل في المدينة إجلاءهم عنها بعد اشتباك من بعيد لم يقتل فيه أحد . لكن الوهابيين من ناحيتهم كانوا يعاملون كل من يلقونه حول المدينة في الليل معاملة غير انسانية على الإطلاق . فيقتلون الرجال على الفور ويستولون على النساء . ومن الثابت كما يروى دكتور سيتزن أن مستر رينو رأى بعينيه رجلين من الوهابيين يذبحان رجلا كويتياً سيء الحظ على الساحل ثم يغسلان يديهما بدمه . وأثناء الفترة التي قضتها الوكالة البريطانية في الكويت حدث هجوم واحد فقط –وأمكن صده– من جانب الوهابيين . وكان موقف الوكالة البريطانية من هذا الصراع موقفاً غير واضح ، وكان من المفروض من الناحية النظرية أن يكون موقفاً حيادياً(١) .

---

(١) لا يتفق ما ذكره سير هـ. ج. بريدجس بهذا الصدد في كتابه « الوهابى .. » (من ص ١٢ الى ١٦) مع ما ذكره مستر رينو في حديثه الى دكتور سيتزن . (انظر كتاب فون زاش) « مراسلات مونتاليش .. » من يوليو الى ديسمبر ١٨٠٥ ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥) . فسير هارفورد يذكر أن هذا الهجوم الذى قام به حوالى ٥٠٠ وهابى قد استطاع صده مدفع واحد قديم أمر الشيخ بنقله =

تاريخ الكويت من انتقال الوكالة البريطانية الى وصول القوات المصرية للاحساء ١٧٩٥ - ١٨٣٨

التاريخ الداخلي :

خلال أكثر من أربعين سنة بعد عودة الوكالة البريطانية إلى البصرة ، لم يكن اسم الكويت يتردد في تقارير الخليج إلا نادراً .

ففي سنة ١٨٢٠ ذكر ان بالكويت سكاناً مسلحين يتراوح عددهم بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ رجل ، منهم عدة مئات فقط يرجع أصلهم إلى العتوب .. وأنها تعتمد في مصادرها المائية على جزيرة فيلكه . وفي ١٨٣٩ كان يخضع لسلطة شيخ الكويت معظم القبائل البدوية على الساحل جنوباً حتى رأس الخفجي ، وقدرت وارداتها بما قيمته ٥٠٠,٠٠٠ روبية وصادراتها بما قيمته ١٠٠,٠٠٠ ، وذكر أيضاً أن الكويت ، التي كان الرخاء يسودها ، بفضل السياسة السلمية التي ينتهجها حاكمها لها قوة بحرية تجارية قوامها١٥ سفينة. تتراوح حمولتها من ٤٥٠ إلى ١٠٠٠ طن ،

= من احدى سفنه ، كما أن سير هارفورد حريص على أن يثبت أن الوكالة البريطانية لم تقم بأى دور في هذا العمل .. بل يزيد مؤكدا أن العلاقات الطيبة كانت قائمة بينها وبين ابن سعود . أما مستر رينو فيؤكد - من الناحية الاخرى - ان المهاجمين كانوا على ٢٠٠٠ بعير ، يحمل كل بعير رجلين .. الراكب الامامى مسلح ببندقية ، وزميله مسلح برمح ليحميه أثناء اعادة مـلأ بندقيته بالرصاص ، وهو يزعم أيضا أن مستر مانستى أصـدر أوامره بانزال مدفعين من الطراد البريطاني في الميناء ، وأمر الجنود الهنود بالاشتراك في صد الوهابيين ، وان الوهـابيين قد خسروا كثيرين من رجالهم بسبب نيران الطراد البريطانى نفسه أثناء فرارهم على الساحل ، ويضيف أن رد الوهابيين على هذا الاشتراك من جانب الوكالة البريطانية تمثل في هجومهم على بريدها الصحراوى مما تسبب في رحلته هو الى الدرعية . وسير هارفورد لا شك مصـدر أكثر اطلاعا ، لكننا في نفس الوقت لا نستطيع اعتبار كل ما جاء في رواية مستر رينو من نسج الخيال .

و ٢٠ تتراوح حمولتها من ١٢٠ إلى ٥٠ طناً و ١٥٠ قارباً آخر تتراوح حمولتها من ١٥٠ إلى ٢٥٠ طناً . وفي ١٨٣١ امتدت المدينة ميلا واحداً على طول الشاطىء بعمق قدره ميل إلى الداخل ، وأصبحت شوارعها أكثر اتساعاً من شوارع مسقط وبوشهر ، لكن الدفاع الوحيد عنها ظل مجرد سور لا يبلغ سمكه أكثر من قدم واحد يحيط بالمدينة من ناحية الصحراء وقد حفر خلفه خندق جعلت فيه ثغرتان للمدافع يحرس كلاً منهما ثلاث بوابات . وفرض الشيخ في سنة ١٨٣١ ضريبة قدرها ٢٪ على كل الواردات لكنه لم يجعل لنفسه قوة مسلحة .

ويبدو أن تضامن العتوب في الكويت مع ابناء عمومتهم في البحرين وقطر ظل سائداً طوال هذه الفترة ، وظلت مشيخة الكويت تقاوم ـبنجاح على وجه العموم ثم بحماية من جانب تركيا فيما بعدـ محاولات أمراء الوهابيين ضمها إلى منطقة حكمهم . وحكم الشيخ عبدالله بن صباح الكويت حتى سنة ١٨١٢ حين مات مأسوفاً عليه وعلى حكمه المتسامح الذي أتاح نمو التجارة واتاح أيضا تضاعف السكان في مدينته ، وخلف الشيخ عبدالله ابنه جابر بن عبدالله .

وفي سنة ١٨٣١ قام اسطول الكويت بتقديم المساعدة لأسطول عرب بني كعب في حصار البصرة لصالح داود باشا الذي كان على وشك أن يعزل عن العراق التركي . وفي نفس الوقت تقريباً بدأ رخاء الكويت وازدهارها يتزايدان سريعا بفضل الكوارث التي حلت بالبصرة .

علاقة الكويت بالبحرين :

وفي سنة ١٨٠٠ أو ١٨٠١ إثر سماح الكويت بلجوء بعض رؤساء العتوب الذين طردهم السيد سعيد من البحرين اليها ، قام السيد سعيد من مسقط بزيارة للكويت باسطوله على سبيل الاستعراض والمظاهر العسكرية ، ان لم يكن للهجوم الفعلي عليها . ويبدو أنه حظي من شيخ الكويت على تكريم أصبح فيما بعد يراه حقا على كل العتوب .

وفي سنة ١٨٠٩ ، وقبيل الحملة البريطانية الاولى على رأس الخيمة ، استطاع القرصان المشتغل بالسياسة رحمة بن جابر– وقد أدخل عتوب الكويت ضمن دائرة كراهيته الشديدة لبريطانيا والبريطانيين– أن يستولي على ٢٠ سفينة كويتية كانت في طريقها إلى مسقط . وهدد عبدالله بن الصباح شيخ الكويت –الذي كان واحد من أبنائه مسئولا عن حراسة هذه القافلة ولقي مصرعه في الحادثة– بالقيام بعمل بحري ضد رحمة وخور حسان ، ولكن يبدو أنه لم يستطع تنفيذ تهديده هذا . وفي سنة ١٨١٧ ترددت سفن الكويت على موانى البحرين وقد حمل وجودها هناك القوسم على تحويل نشاطهم ضد السفن البحرينية إلى سفن إيران في الجانب الآخر من الخليج .

علاقات الكويت بالوهابيين :

ثم أدىّ نزول سيد عمان الى جزر البحرين في سنة ١٨٠٠ و ١٨٠٢ إلى عقد صلح موقت بين العتوب في الكويت وأقربائهم العتوب في البحرين وبين الوهابيين . وفي سنة ١٨٠٣ –وبأمر من الوهابيين وبعد تردد كبير من جانب أهل الكويت – هجر هؤلاء موسم صيد اللؤلؤ وراحوا يطوفون البحار ضد سلطان مسقط مع أقربائهم أهل البحرين وقواسم رأس الخيمة في عمان المتصالحة ، ويبدو أنهم لم يحققوا شيئاً من هذه الأعمال الا الفشل .

وفي ١٨٠٥ ، وحين خاف شيوخ العتوب في الكويت والزبارة من نوايا الحكومة البريطانية الواضحة لإيقـــاع العقاب بالقواسم القراصنة في رأس الخيمة أعلن هؤلاء الشيوخ أنهم من رعايا أمير الوهابيين ، وأشاروا إلى احتمال قيام الأمير بارغامهم على التعرّض للتجارة البريطانية ، وطلبوا أن تؤمن لهم السلطات البريطانية حق اللجوء إلى البحرين في حالة قطع علاقتهم بالوهابيين . لكن طلباتهم هذه لم تقبل .

وقبل ذلك بزمن وفي سنة ١٨٠١ على وجه التقريب ، أدت المشاكل القائمة بين الوهابيين ورعاياهم في الأحساء إلى مزيد من التطور

في الكويت ، فقد تحول طريق تجارة الهند إلى اواسط شبه الجزيرة عن مجراه المعتاد مروراً بالأحساء وأصبحت موانى الكويت والبصرة —بدل القطيف والعقير — تستخدم مدخلا لقلب شبه الجزيرة . وفي سنة ١٨٠٩ تبين أن امير الوهابيين بعد أن رفض شيخ الكويت دفع الجزية له إثر صد الحملة الوهابية على الكويت في سنة ١٨٠٨ كان يحرض شيخ القواسم وسيد عمان للقيام بحملة بحرية على الكويت .. لكن اياً منهما لم يجد أن هذا الغرض يستحق القبول من جانبه . وفي سنة ١٨١٣—١٨١٤ أصبح ميناء الكويت مستقلا تماماً عن نفوذ الوهابيين .

علاقات الكويت بتركيا :

وفي ١٨٢٩ ، ذكر ان شيخ الكويت قد اعترف بخضوعه للأتراك وأنه يدفع اليهم كل سنة جزية سنوية قدرها ٤٠ كيساً من الارز و ٤٠٠ سباطة من التمور ، وأنه يتلقى في كل سنة خلعة تكريماً له . وحوالي سنة ١٨٣٦ —وحسب اوامر السلطات التركية— قدم شيخ الكويت عونه للأتراك في القضاء على تمرد أهل مدينة الزبير ، غير ان عونه كان قاصراً على حصار مداخل المدينة من ناحية البحر . وحين سقطت المدينة لجأ واحد من شيوخ عائلة زهير في مدينة الزبير ويدعى يعقوب إلى الكويت .. ومن هناك قيل إنه باع للشيخ إمارة «صوفية» في إقليم المعامير بشط العرب وقد أثارت هذه الحادثة كما سنرى لاحقاً مشاكل كثيرة في المستقبل .

وفي سنة ١٨٠٩ عرض شيخ الكويت أن يشترك في الحملة البريطانية على برأس الخيمة باسطوله الذي كان اضخم من اسطول القواسم لكن القيادة البريطانية رفضت هذا العرض .

علاقة الكويت بعربستان :

وفي سنة ١٨٣٧ ، يبدو أن الشيخ ثامر شيخ قبيلة كعب في إقليم عربستان كان قد لجأ موقتاً إلى الكويت إثر احتلال تركيا لمدينة المحمرة .. . .

علاقات بريطانيا بالكويت :

وفي ١٨٢١–١٨٢٢ ، انتقلت المقيمية البريطانية في البصرة في أعقاب الصعوبات التي كانت تواجهها من جانب السلطات التركية المحلية إلى جزيرة يبدو أنها جزيرة فيلكة التابعة لإمارة الكويت(١) . وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٢١ ترك الكابتن تيلور المسئول آنذاك موقتاً عن المقيمية العلم في البصرة وأقام بالكويت حتى ١٩ إبريل سنة ١٨٢٢ حين عاد هو والمقيمية كلها إلى البصرة .

ويبدو أن السلطات البريطانية قد أهملت شأن الكويت فترة طويلة بعد ذلك . وحين زار الرحالة ستوكويلر هذا الميناء في سنة ١٨٣١ ، تأكد من أنه لم يهبط به اوربي واحد منذ سنين واتضح ذلك من استغراب الناس من مظهره ، واندفاعهم لتأمل شكله وثيابه بدهشة بالغة .

★ ★ ★

حالة الكويت بعد احتلال القوات المصرية للاحساء ١٨٣٨ – ١٨٤٠

تعين وكيل مصري في الكويت ١٨٣٨ – ١٨٣٩ :

وفي سنة ١٨٣٨ حين وصلت القوات المصرية إلى ساحل الأحساء على الخليج ارسلت وكيلا عنها ليقيم في الكويت على أنه وكيل لشراء الإمدادات اللازمة ، وقد استطاع بالفعل أن يسير عدة قوارب محملة بالشعير إلى القطيف . لكن الهدف الحقيقي من إقامته هناك كان العمل كمبعوث سياسي يتولى جمع الأخبار تمهيداً لخطة خورشيد باشا قائد القوات المصرية لانتزاع العراق من تركيا . وكان شيخ الكويت يعامله معاملة

(١) يمكننا أن نستنتج من هذه الظروف (انظر الفقرة السابقة) أن الكويت لم تكن حتى ذلك الوقت تابعة تبعية تامة لتركيا .. وربما وردت هذه الاشارة الى « جزيرة .. » من باب الخطأ .

متميزة . فيمنحه مكان الصدارة دائماً في كل مجالسه . وكانت الشحنة الوحيدة من الذخيرة والعتاد التي وصلت الى القوات المصرية طوال فترة احتلالها الاحساء هي شحنة حملتها إلى القطيف في نوفمبر ١٨٣٩ سفينة كويتية من ميناء الحديدة على البحر الأحمر . وكان أسطول الكويت في ذلك الوقت — كما قيل — كبيراً ومجهزاً تجهيزاً طيباً .

مقابلة غير لائقة من شيخ الكويت للسلطات السياسية البريطانية اكتوبر — نوفمبر ١٨٣٩ :

وكان الشيخ جابر شيخ الكويت صديقاً دائماً للحكومة البريطانية ، ولم يحدث أبداً أن جانب الذوق أو اللياقة في مراسلاته المكتوبة ، لكنه في سنة ١٨٣٩ — ربما بسبب إهمال المسئولين المحليين في الحكومة البريطانية لعقد الاتفاقيات وإقامة العلاقات الشخصية به ، ونتيجة فزعه أيضاً — كشيخ البحرين — من نجاح قوات محمد علي في الجزيرة العربية — حدث أن عامل شيخ الكويت مسئولا بريطانياً معاملة فظة تجافي اللياقة . وذلك أنه في يوم ٣٠ أكتوبر ١٨٣٩ وصل الملازم إدموندز مساعد المقيم السياسي البريطاني في بوشهر مبعوثاً عنه ليقابل الشيخ جابر ويتباحث معه بشأن إنشاء خط بريدي بريطاني عبر الصحراء من الكويت إلى البحر المتوسط . ووصل ادموندز إلى الميناء على سفينة حربية بريطانية أطلقت مدافعها بالتحية لشيخ الكويت كالمعتاد فلم يرد الشيخ التحية . وحين ارسلت اليه رسالة مكتوبة من المقيم رد شفوياً واعداً برد مكتوب في الصباح التالي . ولم يحدث ما كان يحدث دائماً حين يرحب الشيوخ بزيارة مسئول بريطاني فيصعد أنصارهم وأقاربهم إلى ظهر السفينة للتحية ، وظل الملازم إدموندز على ظهر سفينته دون ان يتم أي اتصال بينه وبين الشيخ حتى انقضت ثلاثة أيام ، وحينذاك طلب مقابلة الشيخ جابر ، وسمح له بأن يلقاه .. وكان الرجل حين لقي الملازم إدموندز محاطاً بقوم كثيرين ، وهم فقط بالقيام عن مقعده ، ولم يرفع من فمه الغليون الذي كان يدخنه ، وأنكر أن من عادة الكويت أن ترد التحية

التي تطلقها السفن البريطانية . لكنه قدم اليه رداً مكتوباً من قبل على خطاب المقيم .

واتفق الملازم إدموندز والكابتن هينيل المقيم السياسي على أن هذا المسلك الغريب من جانب الشيخ جابر لم يكن صادراً عن نوايا سيئة نحو السلطات البريطانية لكنه كان يهدف لخداع الوكيل المصري عن حقيقة العلاقة القائمة بينه وبين السلطات البريطانية . وأخذت حكومة الهند بوجهة نظرهما فقررت عدم ارسال انذارات للشيخ بصدد هذه الحادثة .

مشكلة إقامة قاعدة بريطانية في منطقة الكويت ١٨٣٩ :

وأثناء عودة الملازم إدموندز إلى بوشهر مضى لزيارة جزيرة فيلكه، وكتب تقريراً عنها جاء فيه أنها لا تصلح كقاعدة بحرية وعسكرية بريطانية بدل خارج لكنه كان معجباً بمزايا ميناء الكويت نفسه ، وذكر في تقريره أنه يصلح لأغراض كثيرة للحكومة البريطانية ، وربما لنفس الغرض أيضاً كتب الملازم فيلكس جونز من البحرية الهندية تقريراً عن ميناء الكويت في نفس السنة .

★ ★ ★

تاريخ الكويت من جلاء القوات المصرية عن الاحساء حتى احتلال الاتراك للكويت وضمها الى الامبراطورية العثمانية ١٨٤٠ ـ ١٨٧١

وخلال الثلاثين سنة التي أعقبت جلاء القوات المصرية عن شرقي جزيرة العرب كانت أهم العلاقات السياسية للكويت هي القائمة بينها وبين العراق التركي . لكن العلاقات الودية ظلت قائمة بينها وبين ممثل الحكومة البريطانية في الخليج ، وكان ثمة دلائل على ازدياد التقارب بين حكام الكويت ووسط الجزيرة . ومن الناحية الأخرى ، فان علاقة شيوخ الكويت بأقربائهم في البحرين ، وهي العلاقة التي توقفت منذ سنة

١٨٢٠ وعادت تبعث من جديد لفترة قصيرة من ١٨٤٣–١٨٤٦ ، قد وصلت الآن نهايتها تماماً .

التاريخ الداخلي :

وكان حاكم الكويت خلال الجزء الاكبر من هذه الفترة هو الشيخ جابر إلى أن مات في سنة ١٨٥٩ تقريباً وخلفه ابنه الشيخ صباح . ووصف الشيخ صباح في سنة ١٨٦٣ بأنه نحيل طويل القامة تجاوز عمره الثمانين خشن المظهر لكنه شفوق رحيم ، وكان يحكم الكويت كأب يجلس كل يوم إلى باب بيته ينظر شئون أبنائه ، ولم يكن المسئولون في الكويت يتدخلون كثيراً في شئون رعاياهم ونادراً ما كانت توقع عقوبات بأحد ، وكان الشيخ يحتفظ بالسلطة السياسية لكن السلطة القضائية كانت في يد القاضي وحده ، ولم تكن ثمة عوائد أو غيرها من الوان الضرائب ، وكان المبلغ المخصص للأغراض العامة يصل إلى حوالي ٢٠ الف روبية كل سنة يدفعها التجار وسواهم عن طواعية ، وكان التسامح الديني من جانب الشيخ الحاكم يمتد ليشمل حتى اليهود ، وخارج حدود المدينة كان نفوذ الشيخ يمتد حوالي ثمانية أميال أو عشرة ولم يكن مسموحاً للبدو بدخول مدينة الكويت مسلحين . وحين مات الشيخ صباح في سنة ١٨٦٦ تقريباً خلفه أكبر أبنائه عبد الله .

علاقة الكويت بالبحرين :

وقد ذكرنا بالتفصيل في تاريخ إمارة البحرين تدخل الشيخ جابر في شئون البحرين نتيجة الصراع الذي كان دائراً فيها بين عبدالله ومحمد آل خليفة . ويكفي هنا القول بأن شيخ الكويت توجّه برغبة من جانبه وبموافقة السلطات البريطانية– لزيارة البحرين وحاول هناك أن يعقد صلحاً بين شيوخها ولكن دون جدوى . وفي سنة ١٨٤٣ أو ١٨٤٤ حاول تقديم الإمدادات إلى قلعة الشيخ عبدا لله في الدمام وكانت قوات الوهابيين تحاصرها آنذاك من البر وأسطول الشيخ محمد من

البحر لكن السلطات البريطانية حالت بينه وبين ذلك . وفي سنة ١٨٤٤ وبعد سقوط الدمام سمح للشيخ عبدالله بأن يلجأ إلى مدينة الكويت ، وأخيراً سمح للشيخ السابق بالبقاء فيها من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٦ ، وكان طوال هذه الفترة حريصاً ـ كما طلب منه المقيم البريطاني في بوشهر بشكل خاص ـ على أن يمنع الشيخ عبدالله من إثارة الشغب في البحر ، وفي سنة ١٨٦٩ نفي الشيخ محمد أحد شيوخ البحرين السابقين إلى الكويت لكنه لم يبق بها طويلا .

علاقة الكويت بنجد :

وفي هذه الفترة التي نحن بصددها خفت حدة عداء شيخ الكويت للدولة الوهابية ـ بعد أن كان الموقف قد اتخذ طابع العداء الصريح أو ، في أفضل الأحوال ، الخلاف الذي لا شك فيه . وفي سنة ١٨٤١ لجأ للكويت عبد الله بن ثنيان قريب أمير الوهابيين خالد ومنافسه ، وظل بها فترة قصيرة فقط ، عاد بعدها قبل أن تنتهي السنة إلى وسط الجزيرة حيث استطاع أن يتغلب على خالد ، فلجأ هذا بدوره إلى الكويت . وفي ١٨٦٣ قامت علاقات ودية بين شيخ الكويت وفيصل ابن تركي حاكم نجد عندئذ ، لكن شيخ الكويت لم يكن يدفع أية جزية للوهابيين . وفي سنة ١٨٦٦ كما سنرى لاحقاً قدم الامير الوهابي عبد الله ـ الذي ظل مقيماً كوكيل في الكويت لأغراض سياسية كما فعل أبوه تماماً من قبل في سنة ١٨٥١ ـ عوناً لشيخ الكويت في نزاع بينه وبين الأتراك . وربما في هذا الوقت ـ كما جاء في تاريخ نجد ـ عاد عبدالله إلى الكويت بعد إغارة على بعض قبائل العراق التركي .

علاقة الكويت بعربستان :

وفي سنة ١٨٤١ يبدو أن الشيخ ثامر شيخ بني كعب عاد مرة أخرى فلجأ للكويت بعد أن طرده حاكم إقليم عربستان الفارسي من مشيخته لكنه سرعان ما رحل إلى البصرة .

علاقة بريطانيا بالكويت :

ويبدو أن المراسلات الرسمية بين المقيم البريطاني في الخليج وشيخ الكويت لم تكن دائمة ، لكن العلاقة الشخصية بينهما ظلت قائمة على أساس قوي . وفي سنة ١٨٦٣ قام الرائد بيللي المقيم العام وبصحبته دكتور كولفيل بزيارة للكويت ، فوصل في يوم ٣ مارس إلى الجهرة برأ عن طريق البصرة ، ومن هناك صحبه مبارك ابن الشيخ إلى الكويت حيث قضى يومين مع الشيخ صباح . وفي ٧ مارس أعد شيخ الكويت ترتيبات رحيل المقيم إلى الأرض التركية ، وقضى هذا يومين في الأخوار المجاورة لجزيرة بوبيان . وقد بدأت رحلة الرائد بيللي المشهورة إلى الرياض ربيع سنة ١٨٦٥ من الكويت ، حيث قضى فيها عدة أسابيع منها أسبوع في الجهرة ليرتب أموره ، وينتظر إذن أمير الوهابيين . ولا شك في أن الرائد بيللي قد استطاع أن يتعرف بوضوح على مستقبل الكويت المحتمل كميناء تجاري ونقطة التقاء لتجارة البحر وسواها ، إلى جانب صلاحيتها —في ظروف خاصة— كي تكون قاعدة لمحطة تلغراف بريطانية او مستودعات للفحم ، بل إنه أيضاً قد ذكر بدقة رائعة ضرورة وصول البواخر إلى خور عبدالله في طريقها إلى العاصمة التجارية للعراق التركي ، وأن يربطه في يوم من الأيام خط حديدي بالبحر المتوسط . وفي إبريل ١٨٦٦ بدأت بواخر شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية تتردد على ميناء الكويت .. لكن زياراتها هذه أوقفت بعد فترة قصيرة لأسباب سياسية سنشير اليها لاحقاً .

علاقة الكويت بتركيا ١٨٤٠ — ١٨٦٣ :

وكانت علاقة الكويت بسوى هذه الدول الأجنبية علاقات واهية في معظمها نتيجة التصاقها بتركيا . وفي سنة ١٨٤٧ حذا شيخ البحرين حذو شيخ الكويت الذي أعلن أنه ينوي —في ظروف خاصة أن «يضع نفسه تحت حماية الباب العالي» . وفي سنة ١٨٦٣ أكّد الشيخ صباح للمقيم السياسي أن حكام الكويت كانوا دائماً يدفعون الجزية

لتركيا ، لكن الرائد بيللي استطاع أن يتأكد من مصادر أخرى أن شيخ الكويت قد رفع العلم التركي عدة سنوات ، وان سبب توقفه عن رفعه على سفنه هو ان التجارة التي تحملها هذه السفن لم تكن تلقى معاملة طيبة في بومباي . وكانت الأسباب التي دفعت شيخ الكويت إلى التوقف عن رفع العلم هي نفسها التي دفعت شيخ البحرين لهذا العمل نفسه سنة ١٨٤٧ .

ولا يرد في سنة ١٨٦٣ أية إشارة إلى الجزية التي تدفعها الكويت إثباتاً لسيادتها وفي مقابل حماية الباب العالي المزعومة لمدخل شط العرب .

خلاف حول إمارة صوفيّة في الارض التركية :

وفي ١٨٦٦ نشأت المشاكل حول تملك الشيخ صباح لإمارة صوفيّة على شط العرب التي قيل إن الشيخ جابر قد اشتراها من أحد أفراد عائلة الزهير بمدينة الزبير منذ ثلاثين سنة . وقد أثار المشكلة القائمقام التركي نتيجة شكاوى تلقاها من عائلة الزهير تفيد أن الرجل الذي عقد الصفقة مع الشيخ جابر لم يكن يملك سوى جزء صغير من المدينة فقط ، وطلب في نفس الوقت من الشيخ صباح أن يطرد من الأرض التابعة له في فاو بعض المزارعين الذين هاجروا من ارض إيرانية . وقد كشفت السلطات التركية منذ البداية عن وقوفها إلى جانب عائلة الزهير وشكاواها ، وبالكاد أفلت عبدالله بن صباح —الذي ارسله ابوه وكيلا عنه لمناقشة الأمر في البصرة — من السجن لانه رفض ان يتعهد على مسئوليته الشخصية بدفع نتاج سبع سنوات كان المدّعون يزعمون أنها من حقوقهم . وأخيراً حسم والي بغداد هذا الخلاف لصالح شيخ الكويت ، وقد نظر أهل الكويت إلى أعمال السلطات التركية بهذا الصدد على أنها تهدف للإيقاع بينهم وبين أهل مدينة الزبير ، وبدأوا يتهيأون للصراع . وأخيراً جاء أمر والي بغداد بأحقية شيخ الكويت في إمارة صوفية ربما لانه قد رفع اليه تقرير يؤكد أن شيخ الكويت سيقوم بالهجوم على مدينة

الزبير اذا لم يكن القرار في صالحه ، وأنه قد تلقى وعداً بتقديم المعونة والسلاح له من أمير الوهابيين .

خطط تركيا بالنسبة للكويت ، وتوقف خط الملاحة البخارية البريطاني ١٨٦٦ :

وفي سنة ١٨٦٦ حاول نامق باشا الحاكم التركي في العراق أن يحول سيطرة الباب العالي الاسمية على الكويت الى سيطرة فعلية ، وطلب إرسال سفينتين مساحتين من القسطنطينية ، وفهم الرائد كيمبول المقيم البريطاني في بغداد أن «حرية الكويت المكتسبة منذ زمن بعيد» ستصبح قريباً مجرد أثر من آثار الماضي .

وكانت السلطات التركية في العراق تنظر بحسد وغيرة الى زيارة البواخر التجارية البريطانية للكويت ، وقد حاولت جمع الاحصاءات التي تؤكد أن رخاء الكويت التجاري أمر يضر بمصالح البصرة . وفزع شيخ الكويت من خطط تركيا ونواياها نحوه فالتمس من السلطات البريطانية ألا تقف البواخر البريطانية بميناء الكويت ، وقد أوصى الرائد كيمبول بوقف الخدمة الملاحية البريطانية فيها .

★ ★ ★

الشيخ عبد الله بن صباح ١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

ظل عبدالله بن صباح يحكم الكويت منذ موت أبيه في سنة ١٨٦٦ على الأرجح حتى وفاته في سنة ١٨٩٢ .

★ ★ ★

علاقات الكويت بالباب العالى ١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

مساهمة الكويت في الحملة التركية على الاحساء ١٨٧١ :

يبدو أن عبدالله بن صباح ظل على علاقة وثيقة بالحكومة التركية طوال مدة حكمه ، وأنه كان مطيعاً ومتحمساً لان يكون أداة للسياسة التركية وفي سنة ١٨٧٠ او ١٨٧١ كان هو الوسيط الذي من خلاله قدم عبد الله بن فيصل أمير الوهابيين المعزول عونه للأتراك . وفي سنة ١٨٧٠ قدم الشيخ عبدالله وسائل النقل البحري المؤلفة من ٣٠٠ سفينة أهلية لنقل القوات التركية المتجهة لفتح الاحساء ، وقد صحب الحملة بنفسه ، وعن طريقه تم إقناع شيخ الدوحة في قطر برفع العلم التركي .

وحين ذهب مدحت باشا والي بغداد في جولة تفتيشية بإقليم الأحساء قبل نهاية السنة توقف يوماً في الكويت قيه انه خلاله «نصب» الشيخ عبدالله على الكويت . وواضح أنه كان « قائمقاماً» للحكومة التركية في الكويت من المراسلات التركية التي اعتبرت أن الكويت أصبحت تابعة لتركيا في الوقت الذي أصبحت فيه الأحساء كذلك .

★ ★ ★

علاقات الكويت بالوهابيين ١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

وفي وقت ما بين سنتي ١٨٧٢ و ١٨٧٤ سمح شيخ الكويت لعبدالله ابن فيصل المطـــالب بالإمارة الوهابية والذي كان موقفه من تركيا مشكوكاً فيه بعض الشيء بالإقامة إلى جوار الكويت .

وفي سنة ١٨٧٢ وكما هو مذكور في تاريخ نجـــد هدد الأمير سعود أمير الوهابيين مدينة الكويت ، لكن الشيخ استطاع أن يهاجمه بعد أن استدرج أنصاره بعيداً وأن يرغمه على الفرار ، وحوالي سنة

١٨٨٤ كان يبدو أن شيخ الكويت يناصر أمير شمر الذي بدأ باعتداءات على الوهابيين .

★ ★ ★

علاقات الكويت ببريطانيا العظمى
١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

عزوف بريطانيا عن شئون الكويت :

يبدو في أثناء حكم الشيخ عبد الله أن السلطات البريطانية في الخليج لم تكن لها علاقة مباشرة بالكويت حيث كان ينظر إلى هذا المكان على أنه تابع لسيطرة تركيا إلى حد كثير أو قليل . وفي سنة ١٨٧٦ أشار الرائد بريـــــدو المقيم السياسي البريطاني آنذاك إلى الكويت هي والقطيف والعقير على أنها موانى تركية على الخليج . وفي سنة ١٨٨٨ ، ونتيجة الخوف من تقدم الأتراك نحو عمان أبلغت حكومة صاحبة الجلالة السفير البريطاني في القسطنطينية بأنها لا توافق على الاعتراف بأية حقوق لتركيا على الساحل العربي جنوبي القطيف ، وأنها تود لو مارست الحكومة التركية سلطانها داخل هذه الحدود ، أما الشيوخ المحليون جنوب القطيف فان حكومة صاحبة الجلالة تعتقد أنهم مستقلون ولم يتم إبلاغ الباب العالي بهذا في حينه . وكانت الأوامر التي صدرت في سنة ١٨٨١ بتفويض ضباط البحرية البريطانية بالعمل اذا دعت الضرورة لمنع القرصنة حتى في المياه التركية تشمل ساحل الكويت كساحل قطر والأحساء على حدٍّ سواء .



علاقات الكويت بالامارات والقبائل العربية
١٨٦٦ ـ ١٨٩٢

زيارة مبارك للبحرين : ١٨٨٣ :

شهدت سنة ١٨٦٩ نفي الشيخ محمد شيخ البحرين السابق إلى الكويت لكنه لم يمكث بها طويلا . وفي سنة ١٨٨٣ قام مبارك الأخ الأصغر غير الشقيق لشيخ الكويت بزيارة ودية للبحرين ، وهناك لقي ترحيباً وكرم ضيافة ورحل محملا بالهدايا . وقبل هذا التاريخ سبق للسلطات التركية أن استخدمت مبارك مندوباً سياسياً لها غير مرة ، وكانت هذه الحقيقة تستدعي أن يكون في البحرين تحت مراقبة دقيقة ، ولكن لم يتضح أنه كان لزيارته تلك أية دوافع سياسية .

النزاع مع بني هاجر ١٨٩٢ :

وفي مارس سنة ١٨٩٢ حدث هجوم على قبيلة بني هاجر ــ ربما في الأحساء ــ من جانب قريب لشيخ الكويت قتل فيه أربعة منهم وحمل عدداً كبيراً من ابلهم وأغنامهم ، وبعدها بقليل انتقم بنو هاجر لأنفسهم بأن هاجموا قارباً كويتياً في الليل وقتلوا اثنين من بحارته .

★ ★ ★

الشيخ محمد بن صباح ١٨٩٢ ـ ١٨٩٦

التاريخ الداخلي للكويت وعلاقاته بتركيا ١٨٩٢ ـ ١٨٩٦

وجاء بعد الشيخ عبد الله أخوه الشقيق محمد ، وكانت فترة حكمه قصيرة ولولا الطريقة التي انتهت بها ما استحقت أن تذكر .

إرسال قوات لمعاونة الاتراك في الاحساء ١٨٩٣ :

ولم يمض وقت طويل على تولي الشيخ محمد حكم الكويت حتى طلب منه الأتراك التعاون معهم في إقرار الأمور بالأحساء التي كانت قد

بدأت تضطرب اضطراباً خطيراً في سنة ١٨٩٢ . وفي مارس ١٨٩٣ وصل مبارك بن الصباح إلى الأحساء لهذا الغرض ومعه قوات كبيرة من البدو جاءت سراً عن طريق البر من الكويت .

اغتيال الشيخ محمد ١٨٩٦ :

وفي مايو ١٨٩٦ قتل الشيخ محمداً أخوه الشقيق جراح لحساب أخيه غير الشقيق مبارك ، وقيل إن مباركاً بنفسه هو الذي قتل الشيخ محمد ، وتكفل واحد آخر من الأسرة يعاونه رجل من قبيلة عجمان بقتل جراح . ولا تتضح لنا الأسباب الحقيقية لهذه الحادثة .. هل كان الخلاف على قضايا عامة أم شخصية ؟ أم كان مجرد جشع وطموح من جانب مبارك ؟ . وتقول إحدى الروايات ان الشيخ محمداً كان مكروهاً كحاكم بشكل عام ، والمؤكد أن شعب الكويت لم يبد أسفاً واضحاً لمقتله .



العلاقات البريطانية مع الكويت ١٨٩٢ ـ ١٨٩٦

مكانة الكويت السياسية :

خلال فترة حكم الشيخ محمد القصيرة ظلت العلاقات بين بريطانيا والكويت كما هي غارقة في اللامبالاة ، ولم تبدأ أية دلائل على أن الحكومة البريطانية قد غيرت وجهة نظرها بالنسبة لوضع الكويت السياسي . وفي إبريل ١٨٩٣ كتب المستر س. فورد السفير البريطاني في القسطنطينية رسمياً إلى وزير الخارجية التركية يبلغه أن حكومة صاحبة الجلالة تعترف بحقوق تركيا في السيادة على طول الساحل من البصرة إلى القطيف . وفي سنة ١٨٩٥ حدثت حادثة قرصنة في شط العرب كانت ضحيتها السفينة «هاريباسا» وهي سفينة تحت الحماية البريطانية ، وقد أدت ظروف هذه الحادثة لاحقاً لدى موت الشيخ محمد إلى إثارة شكوك السلطات البريطانية بصدد طبيعة العلاقة بين شيخ الكويت والحكومة التركية.

الشيخ مبارك بن صباح ابتداء من سنة ١٨٩٦
التاريخ العام للكويت منذ تولى الشيخ مبارك حتى الاتفاقية الخاصة مع بريطانيا العظمى
١٨٩٦ – ١٨٩٩

اعمال أبناء محمد وجراح ١٨٩٦ – ١٨٩٨ :

خلال السنوات الثلاث الاولى من حكم الشيخ مبارك ظل موقفه حرجاً وخطيراً نتيجة خوفه من انتقام بقية أفراد عائلته و لافتقاره إلى العون الخارجي .

وانتقل أبناء الشيخ محمد القتيل وأخيه جراح إلى العراق التركي بعد أن أقاموا فترة قصيرة بالكويت حيث ناصرهم وتولى قضيتهم قريبهم من ناحية الأم(١) – يوسف بن عبدالله «ويذكر اسمه عادة يوسف بن ابراهيم» وهو تاجر ثري ومن كبار ملاك الاراضي في ولاية البصرة ، وبذل يوسف كل جهده لاقناع والي البصرة ، أو حتى ابن رشيد أمير جبل شمر ، بتبني قضية هؤلاء الأبناء ولم يفوت فرصة لتكدير الشيخ مبارك . ففي ٣٠ يونيـــو ١٨٩٧ أرسلت حملة من القوارب أعدها يوسف على ساحل إقليم الهنديان في إيران ووصلت خارج الكويت لكنها اضطرت إلى الرجوع دون ان تطلق طلقة واحدة بعد أن وجدت الميناء محصناً ومستعداً للدفاع .

وربما بايعاز من يوسف ، تقدم أهل مدينة الزبير الواقعة على الحدود

(١) كانت هذه العلاقة في الحقيقة معقدة بعض الشيء . فعلى بن جابر – أصغر اخـوة الشيخ صباح شيخ الـكويت تزوج صغرى بنات على بن محمد بن ابراهيم ، وأنجب منها ثلاثة فتيات ، تزوجت كبراهن بالشيخ محمد ، وأصبحت أم ابنائه صباح وسعود وخالد وعربى ، وتزوجت الوسطى جراح وأنجبت منه ابنا هو حمود وفتاة تزوجت ابن عمها صباح بن محمد ، وتزوجت البنت الكبرى لعلى بن محمد بن ابراهيم بعبد الله – ابن عم أبيها – وولدت له يوسف .

الترّكية بالتماس للباب العالي يطلبون فيه إبعاد مبارك عن الكويت ، وبذل واحد من أبناء الشيخ محمد جهوداً كثيرة مع السلطات السياسية البريطانية وعرض أن يقبل وضع نفسه تحت حمايتها إذا استعادت له بنفوذها حقوقه في الكويت . وفي أغسطس ١٨٩٧ ظهر يوسف في البحرين ربما بعد أن طردته السلطات الترّكية من العراق نتيجة فراره من الكويت وذلك ليطلب عون السلطات البريطانية ، لكنه أبلغ بأنها لا تستطيع أن تقدم له عوناً ضد شيخ الكويت . وفي نفس الوقت راح شيخ الكويت يطلب تحكيم شيخ البحرين ، لكن هذا الاقتراح الذي كانت حكومة الهند مستعدة للموافقة عليه لم يؤدّ إلى شيء بسبب زهادة شيخ البحرين في أن يكون حكماً في هذا النزاع . وخلال سنة ١٨٩٧ و ١٨٩٨ تردد مراراً أن أبناء إخوة الشيخ يتأهبون للهجوم على الكويت ، لكن هذا أعلن في ثبات وهدوء أنه قادر على رد أي هجوم .

موقف السلطات الترّكية من الشيخ مبارك :

وكان موقف السلطات الترّكية من الشيخ مبارك محايداً ، وظل كذلك زمناً طويلا ، فقد صور حمدي باشا والي البصرة آنذاك لأول مرة حكم مبارك في الكويت على أنه فرصة لإقامة علاقات تركية وثيقة بها . ورغم أن مبارك اعترف في هذه المناسبة بولائه للسلطان بل ورفع العلم الترّكي –كما لاحظ ذلك الضابط الذي كان يقود سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» أثناء زيارة قام بها للكويت في يوليو ١٨٩٦– إلا أنه ظل زمناً طويلا دون ان يدخل في مفاوضات او مباحثات مع السلطات الترّكية . فمن ناحيته كانت هناك الجهود التي يبذلها أبناء إخوة الشيخ وأقاربهم والاعتبارات السياسية التي يراها والي البصرة ، ومن الناحية الأخرى كانت هناك الرشاوى الضخمة التي يقدمها الشيخ مبارك لرجب باشا مشير قوات الجيش في بغداد ولشيخ الإسلام والشيخ عبد الهادي في القسطنطينية ولآخرين أيضاً انكشفوا فيما بعد . وفي نفس الوقت لم تكن سياسة الوالي في الاستيعاب الإداري مرفوضة كلها ،

وفي فبراير ١٨٩٧ –استباقاً للقرارات التي وافق عليها مكتب الصحة العامة بالقسطنطينية في هذه السنة– وصل مسئول تركي عن الحجر الصحي وأقام في الكويت دون أي احتجاج على قدر ما نعرف من جانب الشيخ . وأخيراً وفي ديسمبر ١٨٩٧ أبلغ محسن باشا الذي خلف حمدي باشا والياً على البصرة برقياً من حكومته بأن ارادة سلطانية صدرت بتعيين الشيخ مبارك قائمقاماً للكويت . وبدأ اسم الشيخ يتردد بعد ذلك في التقارير الرسمية للولاية ، وبدأت مراسلاته من البصرة على هذا الاساس، وقد جعل له راتب قدره ١٥٠ كاراً من التمور كل سنة ، أصبحت بعد ذلك راتباً نقدياً قدره ٣٠٠ جنيه تقريباً في العام الواحد .

عدوان شيخ الدوحة في قطر ١٨٩٧–١٨٩٨ :

وبجانب الخطر الماثل دائماً في أوضاع مبارك كان على هذا الشيخ أن يواجه قبل مضي وقت طويل تحالفاً واسعاً لكنه ضعيف نشأ عن زيارة يوسف بن ابراهيم للبحرين في صيف ١٨٩٧ . وفي سبتمبر من نفس السنة ذكر أن جاسم بن محمد شيخ آل ثاني في الدوحة بقطر يعد العدة لهجوم على الكويت من البر والبحر يشترك فيه مع ابن شقيق شيخ الكويت ، وأنه يحاول أيضاً إغراء ابن رشيد بالانضمام اليهم كما يحاول إبعاد قبيلة عجمان عن مناصرة الشيخ مبارك . وفي بداية نوفمبر كان واضحاً أن هذه الخطة بسبيلها إلى التنفيذ رغم معارضة تركيا ، لكنها لم تنفذ بالفعل . وفي نفس الوقت اوقع شيخ الكويت بعض العقاب بقبيلة بني هاجر التي كانت من أنصار شيخ الدوحة ، وفي أوائل سنة ١٨٩٨ حدث تمرد محدود على الأتراك في الدوحة كان مردّه الاعتقاد السائد بأن هجوم شيخ الكويت على بني هاجر كان بتحريض من الأتراك .

وفي نوفمبر ١٨٩٨ ارسلت السلطات التركية نقيب البصرة لمحاولة الوصول إلى تسوية بين الشيخين لكن مهمته فشلت .

شكوك بريطانيا في طبيعة العلاقة بين شيخ الكويت والحكومة التركية ١٨٩٦ – ١٨٩٧ :

وبسبب هذه الاحداث وأمثالها بدأ اهتمام حكومة صاحبة الجلالة يتجه شيئاً فشيئاً نحو الكويت ، وبدأ يتبلور بين المسئولين البريطانيين رأي بأن علاقة الحكومة التركية بالكويت أقل قوة مما كان مفترضاً بشكل عام في السنوات الاخيرة . وانتشرت شائعة سخيفة في دوائر القصر بالقسطنطينية في سنة ١٨٩٦ تقول بأن المقيم البريطاني في الخليج هو الذي حرض على قتل إخوة الشيخ مبارك . ونتيجة هذه الشائعة قام السفير البريطاني في القسطنطينية بتحريات واسعة كشفت عن أنه –حتى في القسطنطينية– هناك من يؤكد أن الكويت مستقلة تمام الاستقلال عن تركيا . وفي نهاية سنة ١٨٩٦ حين كانت حادثة القرصنة على السفينة «هاريباسا» موضع الاهتمام آنذاك قدم اقتراح باعتبار شيخ الكويت مسئولا عن هذه الحادثة لأسباب مذكورة في تاريخ العراق التركي ، غير أن الاقتراح لم يعجب السفير البريطاني في القسطنطينية . وكان سير ب. كوري يعتقد أن شيخ الكويت على الرغم من اعترافه بسيادة الباب العالي إنما هو حاكم مستقل في الحقيقة ولا يخضع للسلطان إلا خضوعاً إسمياً فقط ، غير أن حاكم الهند رأى في أوائل سنة ١٨٩٧ –ولأسباب عملية– تجنب هذا الرأي ونصح بأن تلقى مسئولية اعمال شيخ الكويت على عاتق تركيا . وأخيراً ، ونتيجة معلومات تلقاها سفير بريطانيا في القسطنطينية من كابتن هوايت الذي كان منذ فترة قصيرة مساعد الوكيل السياسي في البصرة ، وبمناسبة تقدم سير ب. كوري يطلب رأي حكومة صاحبة الجلالة فيما يتعلق بسيطرة تركيا على الكويت ، جاء الرد بأن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف على الإطلاق بأن الكويت تابعة للحماية التركية لكنها تعتقد في نفس الوقت بأنه من الصعب وربما من المستحيل إنكار وجود نفوذ تركي فيها .

محاولة الشيخ اكتساب الحماية البريطانية فبراير–أغسطس ١٨٩٧ :

ولم يقدم المقيم السياسي البريطاني في الخليج أي احتجاج ضد الجريمة التي ارتكبها الشيخ مبارك وتولى بها حكم الكويت ، لكن الشيخ حين قامت سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» بزيارة الميناء في يوليو ١٨٩٦ أبدى إمارات واضحة تدل على خوفه الشديد ، فرفض زيارة السفينة ، وراوغ في الإجابة على الاسئلة التي وجهت اليه بشأن رفعه العلم التركي . وكان الانطباع الذي خرج به القائد بيكر من زيارته هذه ان الكويت –رغم أنها مستقلة نظرياً– إلا أنها واقعة تحت النفوذ التركي الذي ازداد بشكل خاص منذ تولى الشيخ مبارك الحكم . وظلت الأمور كما هي حتى فبراير ١٨٩٧ –الشهر الذي ارسل فيه الأتراك مسئولا صحياً إلى الكويت– حين طلب الشيخ مبارك فجأة أن يقابل الرائد ويلسون المقيم السياسي او وكيلا عنه . وبالنظر إلى الشائعات التي ترامت منذ شهور في القسطنطينية حول تدخل السلطات البريطانية في الكويت فقد رفع الأمر إلى حكومة صاحبة الجلالة ، وردت هذه بأنه يمكن السماح له بالمقابلة على أن يتولاها المقيم السياسي ، وأصبح معروفاً بعد ذلك أن الهدف كان طلب الشيخ مبارك الحماية البريطانية . وفي نفس الوقت حدثت واقعة القرصنة على السفينة «هاريباسا» فصدرت التعليمات من حكومة صاحبة الجلالة للمقيم العام في مايو بأن يبلغ شيخ الكويت –حين يلتقي به– بأنه سيعتبر مسئولا في المستقبل اذا ما استمر رعاياه في ارتكاب قرصنتهم على السفن التي تحت الحماية البريطانية . وكان هذا اول دليل يشير إلى أن حكومة صاحبة الجلالة قد غيرت رأيها فيما يتعلق بالوضع السياسي لشيخ الكويت . وحتى منتصف يوليو– أي بعد انقضاء ثلاثة أسابيع على الهجوم الذي حاوله يوسف الابراهيم على الكويت– لم يحدث أي لقاء بين المقيم والشيخ مبارك ، وبعدها عرف أن ممثلا للشيخ قد وصل إلى البحرين وهو في سبيله لمقابلة المقيم السياسي الرائد ميد في بوشهر ، لكن هذا الرجل حين عرف باحتمال وجود يوسف بن ابراهيم في

البحرين عاد ادراجه إلى الكويت دون أن يؤدي مهمته . وفي هذا الوقت نفسه حدثت حادثة قرصنة جديدة في مياه الكويت .

زيارة مستر جاسكين للكويت سبتمبر ١٨٩٧ :

وفي أغسطس أرسل الشيخ مبارك يقول إنه لا يجد بين رجاله رجلا ذكياً بما يكفي لإرساله ممثلا له إلى بوشهر ، وهو لهذا يرجو إرسال مندوب من المقيمية اليه يستطيع أن يشرح له وجهة نظره . وعلى هذا ارسل مستر ج. س. جاسكين –المساعد الإضافي للمقيم– إلى الكويت على سفنية صاحبة الجلالة «لورانس» فوصلها في ٥ سبتمبر ١٨٩٧ . ورفض الشيخ الذي كانت مفاوضاته مع الباب العالي متوقفة تماماً أن يصعد إلى ظهر السفينة حتى لا يخالف السلطات التركية ، وتم بينهما لقاءان على البر حضرهما أيضاً كابتن هبويت قائد السفينة البريطانية . وفيما يتعلق بالقرصنة في مصب شط العرب فقد أنكر الشيخ أن يكون رعايا الكويت بين المرتكبين لهذه العمليات ، لكنه أعترف بأن بعض أهل إمارته على النهر ممن ليست له أية سيطرة عليهم قد يكونون من بينهم ، وقال أيضاً إنه عرض أن يقوم بحراسة مصب النهر لكن السلطات التركية رفضت السماح له بذلك ، وأن القوارب الكويتيه لا تستطيع الآن أن تقترب من شط العرب إلا في مجموعات من قاربين أو ثلاثة توفيراً للحماية ، وهو مستعد للتعاون –ووضع كل إمكانياته لذلك– مع الحكومة البريطانية في منع القرصنة . وبالإشارة إلى مطلب الشيخ الذي كان الهدف الأول من زيارة مستر جاسكين فقد ذكر أنه هو وشعبه يريدون –لكي يمنعوا الأتراك من ضم الكويت بعد أن ثبت أنه لا يمكن الاعتماد عليهم– أن يضعوا أنفسهم تحت الحماية البريطانية تماماً كشيخ البحرين وشيوخ عمان المتصالحة . وتعهد اذا اجيب إلى طلبه هذا بمساعدة الحكومة البريطانية بكل إمكاناته لتحقيق السلام والأمن في هذه المنطقة من الخليج .

الحكومة البريطانية ترفض طلب شيخ الكويت اكتوبر ١٨٩٧ :

ورفع طلب الشيخ مباشرة إلى حكومة صاحبة الجلالة . وردت هذه بأنه لا داعي لوضع الكويت تحت الحماية او التدخل في شئوبها أكثر مما هو ضروري لتحقيق السلم العام في منطقة الخليج . وبعدها بعدة أيام وفي يوم ٢٠ أكتوبر عندما ورد تقرير يفيد أن قارباً تركياً مسلحاً كان بطريقه من البصرة إلى الكويت أثارت حكومة الهند المسألة مرة أخرى فأشارت إلى أن الكويت فيما يبـــــدو مركز للقرصنة (١) وسوق لتجارة الرقيق ، وتساءلت : ألا يجوز في هذه الظروف تغيير السياسة ؟ لكن وزير الدولة لشئون الهند أكد التعليمات التي أصدرها من قبل ، وأضاف أنه لا شيء في الوضع السياسي للكويت يمنع ضباط البحرية البريطانية من تحميل شيخ الكويت مسئولية كاملة عن حوادث القرصنة التي تقع في حدوده .

الشيخ مبارك يجدد محاولاته – نوفمبر ١٨٩٧ :

وفي نوفمبر ١٨٩٧ وفي الوقت الذي ساد فيه الاعتقاد باقتراب الهجوم الذي يعده الشيخ جاسم شيخ الدوحة ويوسف شيخ دوره على الكويت ارسلت سفينة صاحبة الجلالة « بيجون » لتراقب الأحداث على شاطىء الكويت . وصدرت التعليمات لقائدها بعدم التدخل إلا اذا حدث تهديد للمصالح البريطانية مباشرة ، وانتهز الشيخ مبارك الفرصة فكرر طلب الحماية البريطانية .

اخطار تهدد الكويت من جانب روسيا وتركيا ١٨٩٨ :

وأخيراً وفي سنة ١٨٩٨ ، جاءت الظروف التي ارغمت الحكومة البريطانية على اتخاذ إجراءات استبعاد النفوذ الاجنبي من الكويت . فقد

---

(١) لنا أن نشك في صحة هذا الزعم ، فقد حـــدث نوع من الخلط بين الكويت ومقاطعات الشيخ في العراق التركى • ولم تحدث أى شكاوى – لا قبل هذا التاريخ ولا بعده – من حوادث قرصنة ارتكبها أهل الكويت •

كان هناك ما يدعو للظن بأن الحكومة الروسية تفكر في إقامة مستودع للفحم في الكويت ، كما كانت الجهود تبذل للحصول على حق امتياز من الباب العالي يمنح للكونت كابنيست ، وهو مواطن روسي ، مد خط حديدي من البحر المتوسط إلى الخليج ، وهي خطة ستؤدي في حالة عدم وجود أية اتفاقية بين الحكومة البريطانية وشيخ الكويت إلى خلق امتيازات إقليمية لروسيا في أرض الكويت . وفي نفس الوقت ، ورغم الاعتراف الأخير بالشيخ مبارك كقائمقام فقد شاب العلاقات بين الشيخ والسلطات التركية توتر لم تتضح اسبابه ، كما ذكر أيضاً نبأ تعيين لجنة تركية لبحث الشكاوى المقدمة ضد شيخ الكويت ، وتناثرت الشائعات عن احتمال ارسال قوات تركية من البصره إلى الكويت .

★ ★ ★

الاتفاقية المانعة مع بريطانيا ٢٣ يناير ١٨٩٩

أوامر حكومة صاحبة الجلالة :

وفي يناير ١٨٩٩ ، ولإيقاف تلك الخطة الروسية ، قررت حكومة صاحبة الجلالة عقد اتفاقية مع شيخ الكويت على نسق الاتفاقية التي وقعت مع سلطان عمان في ٢٠ مارس ١٨٩١ تقيده هو وخلفاءه بعدم التنازل عن أي جزء من ارض الكويت بغير موافقة الحكومة البريطانية . وبهذه الطريقة كما كان مؤملا يصبح ممكنا تفادي اتخاذ خطوات صريحة نحو إعلان الحماية البريطانية على الكويت . وكان العرض الذي سيعرض على الشيخ في مقابل ذلك هو أن يتسلم مبلغ ٥٠٠٠ جنيه أو أقل كدفعة مقطوعة أو يتقاضى معونة سنوية لا تتجاوز ٢٠٠ جنيه .

توقيع الاتفاقية ونصوصها ١٨٩٩ :

وحسب هذه الأوامر توجه الرائد ميـــد المقيم السياسي في الخليج على سفينة صاحبة الجلالة «لورانس» إلى الكويت فوصلها في ٢١ يناير

١٨٩٩ ، وكانت السفينة التركية الصغيرة «زحاف» موجودة في الميناء لكنها غادرته في اليوم التالي . وفي يوم ٢٣ يناير وقع الشيخ مبارك الاتفاقية المطلوبة ، وفيها تعهد ، هو وأبناؤه وخلفاؤه من بعده بعدم السماح لممثل أية دولة أو حكومة أجنبية بالإقامة في الكويت أو سواها من الأرض التابعة له دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية ، وألا يبيع أو يؤجر أو يرهن أو يعطي أو يتنازل -بغرض الاحتلال أو أي غرض سواه- عن أي جزء من أرضه لدولة أجنبية أو رعايا دولة أجنبية دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية . وكان هذا النص الأخير يمتد ليشمل الاراضي التي كانت تابعة للشيخ في ذلك الوقت ومملوكة لأية حكومة أخرى أو لرعاياها . وكان حمود وجابر شقيقا الشيخ مبارك حاضرين عند توقيع الاتفاقية، لكنهما رفضا أن يصدقا عليها لعدم موافقتهما على نصوصها ، لكن الشيخ مبارك أكد للرائد ميد أن موافقة أخويه ليست أمراً ضرورياً كي تسري هذه الاتفاقية عليه وعلى خلفائه من بعده .

خطاب تأكيد للاتفاقية ٢٣ يناير ١٨٩٩ :

وبعدها سلم الرائد ميـــد خطاباً للشيخ يؤكد له فيه باسم الحكومة البريطانية نوايا الحكومة الطيبة نحوه ونحو ورثته وخلفائه ما ظلوا على التزامهم بنصوص هذه الاتفاقية . وفي هذه الوثيقة تمت الإشارة إلى طابعها السري . وقد تم دفع مبلغ ١٥ الف روبية للشيخ عقب توقيعها (١) .

تفسير الشروط التي لم يصدر تفويض بشأنها :

وبعدها شرح الرائد ميد أنه أكد شرط عدم استقبال ممثلي أية دولة أجنبية بعد أن أشار الشيخ إلى أن ثمة طلباً قد قدم اليه بالفعل من فرنسا . وكان النص الخاص بالأرض المملوكة بالفعل لرعايا دولة

---

(١) النص الكامل لهذه الاتفاقية وللخطاب الملحق بها موجود في الملحق رقم (١) لهذا الفصل .

أجنبية مقصوداً به التحفظ على نقل ملكية المنازل التي للرعايا الأتراك في الكويت إلى الروس او غيرهم .

التصديق على الاتفاقية ١٦ فبراير ١٨٩٩ :

وحين رفعت نصوص الاتفاقية إلى حكومة صاحبة الجلالة وافقت على الإجراءات التي قام بها المقيم السياسي وفوضته بالتصديق عليها رغم أنها قد تجاوزت ما كان مسموحاً به . وهكذا تم التصديق عليها في ١٦ فبراير ، وكان ثمة أمل لدى الشيخ مبارك مستمد من اوامر وزير الدولة في أن الحكومة البريطانية لا بد ستبذل كل جهودها لحماية مصالحه ومصالح اخوته في مقاطعاتهم بفاو داعمة بذلك مطالب أبناء إخوته في تلك الأرض التركية . أما مبلغ الألف جنيه الذى دفع للشيخ مبارك فقد ساهمت الحكومة الأم بنصفه وحكومة الهند بالنصف الباقي .



التاريخ العام للكويت من توقيع الاتفاقية المانعة حتى تعيين وكيل سياسى بريطاني فيها ١٨٩٩ ـ ١٩٠٤

محاولات الاتراك لتأكيد سيطرتهم على الكويت ومقاومة الشيخ يناير – سبتمبر ١٨٩٩ :

وشهدت الأشهر القليلة التالية جهوداً موصولة من جانب السلطات التركية في البصرة لتأكيد سيادتها على الكويت ربما بسبب معرفتهم بالاتفاقية التي عقدت بين الشيخ مبارك وبريطانيا . وكان الشيخ مبارك من ناحيته جموحاً مصراً على موقفه هذا لأول مرة ، وتوتر الموقف بين الطرفين . وأثناء زيارة الرائد ميـــد للكويت احتج المسئول التركي الصحي المعين هناك على نزول المقيم العام وجماعته من السفينة «لورانس» من حيث أنه خرق للتنظيمات الصحية التركية ، وقد أهملت هذه

الاحتجاجات ، وتبعها احتجاج آخر من الحكومة التركية لم يؤد أيضاً إلى نتيجة . وفي فبراير ١٨٩٩ ساد التوقع بأن يقوم الاتراك بعملية بحرية على الكويت ، وناقشت حكومة صاحبة الجلالة إجراءات الحماية التي يجب اتخاذها ، ثم أصدرت اوامرها بأنه من الممكن اذا دعت الحاجة توجيه إنذار إلى الباب العالي . وفيما عدا ذلك فعلى السفن الحربية البريطانية أن تتجنب أي استخدام للقوة . ويبدو أن الحالة وصلت حداً من التأزم —في شهر مارس— دفع حكومة الهند لأن تأمر ببقاء سفينة صاحبة الجلالة «لابونج» بالقرب من شاطىء الكويت ، وفي نفس الشهر وصلت السفينة الحربية الروسية «جلياك» إلى ميناء الكويت ، والتقى القنصل الروسي في بغداد —الذي كان على ظهر السفينة— بشيخ الكويت لقاء عادياً . وفي مايو فرض الشيخ مبارك حين بدا الآن متلهفاً للتسرع في تسوية الامور مع الحكومة التركية عوائد جمركية منظمة قدرها ٥٪ على كل الواردات بما فيها القادمة من ميناء البصرة وغيرها من الموانى التركية التي كانت حتى ذلك الوقت معفاة من العوائد إعفاءً كاملا . وفي يوم ٢ سبتمبر وصل مدير تركي للميناء —يصحبه خمسة جنود— لتولي إدارة ميناء الكويت ، لكن الشيخ رفض استقبالهم ، وارغم المدير على العودة إلى البصرة في اليوم التالي . ووصلت اوامر من القسطنطينية إلى البصرة باعتبار هذه المسألة منتهية . وبعدها تردد أن الأتراك يعتزمون إنشاء دار للعوائد في الكويت كذلك ربط فاو بالقطيف تلغرافياً عن طريق الكويت وان السلطات العسكرية التركية تطالب باستخدام العمل المسلح ضد الكويت .

انذار من الحكومة البريطانية للباب العالي ١٨٩٩ :

بعد هذه الدلائل التي تشير إلى نشاط السياسة التركية قدم السفير البريطاني في القسطنطينية —حسب أوامر حكومة صاحبة الجلالة— انذاراً للباب العالي بأن الحكومة البريطانية وإن لم تكن لها أية أطماع في الكويت فهي ترتبط بعلاقات ودية مع شيخها ، وانه اذا قامت السلطات التركية

بأية محاولة لفرض سيطرتها او رقابتها على الجمارك في الكويت دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية فلا مفر من نشوب مشكلة خطيرة . وأكد وزير الخارجية التركية رداً على هذا الانذار أن قضية استقبال الشيخ لمندوب عوائد تركي قد انتهت ، وأنه ليست هناك أية نوايا لإقامة دار عوائد عثمانية في الكويت او لإرسال حملة عسكرية اليها لأنه رغم أن والي بغداد قد اقترح القيام بهذه الأعمال إلا أن السلطان قد رفضها . وبعدها ذكر للسفير البريطاني أن لهجة انذاره هذا قد ازعجت السلطان كثيراً وهو يعتبر هذا الانذار رغبة من جانب الحكومة البريطانية في التدخل في حرية السلطان في إدارة ارض تابعة لتركيا ، لكن السير ن. اوكونر تحاشى مناقشة القضية الأساسية وهي تبعية الكويت لتركيا واكتفى بأن كرر إنذاره الذي قدمه من قبل ، واعتبرت القضية منتهية لفترة . كما صدر أيضاً تحذير لوالي البصرة من قبل القنصل البريطاني هناك بعدم اتخاذ أي عمل عدائي ضد الكويت .

تودد الشيخ لحكومة إيران اكتوبر ١٨٩٩ :

وفي الشهر التالي ، اكتوبر ١٨٩٩ ، تأكد أن الشيخ مبارك قد تقدم إلى شاه إيران عن طريق شيخ المحمرة بطلب شموله بالحماية الإيرانية . وكان الشيخ يهدف بهذه الحركة التي لم يبذل أية محاولة لإخفائها إلى اختبار مدى اهتمام الحكومة البريطانية بأمور الكويت وقد رفض الشاه طلب الشيخ على أية حال .

تغيير والي البصرة ١٨٩٩ :

وفي نفس الوقت كان الشيخ مبارك قد اتخذ إجراءاته —عن طريق التآمر في البصرة— لمواجهة النتائج الاكثر خطورة التي قد تنجم عن سياسته تلك غير المتهادنة مع تركيا ، ونجح بالتعاون مع نقيب البصرة في نقل حمدي باشا والي البصرة آنذاك وكان مسئولا نزيهاً لكنه لم يكن محبوباً وعيّن بدله في خريف سنة ١٨٩٩ محسن باشا ، وهو ضابط

عسكري ، كان مستعداً لان يرفع امور الكويت إلى الباب العالي في ضوء جديد .

وكان بين الاخطار الرئيسية التي كان على الشيخ مبارك أن يتفاداها في ذلك الوقت خطر القاء القبض عليه أثناء الزيارة الرسمية التي قام بها شخصياً للبصرة .. دلالة على خضوعه وتبعيته التي اصرت عليها الحكومة التركية إصراراً شديداً . ولعب محسن باشا دوره بمهارة ، فلم تستمر إعتداءات تركيا على استقلال الشيخ مبارك أكثر من عام ونصف ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل ان الشيخ مبارك استطاع أن يقوم بزيارته الرسمية للبصرة بسلام ، وهناك تلقى تكريماً خاصاً من السلطان ، واستطاع أيضاً أن يجاهر فيما بعد بعدائه للعميل التركي ابن رشيد في نجد ، بل وأن يضع يده على جزء من اراضيه .

زيارة لجنة الخطوط الالمانية للكويت يناير ١٩٠٠ :

وقبل هذه الأحداث قامت بعثة المانية بزيارة الكويت للبحث عن موقع مناسب لنهاية خط بغداد الحديدي المقترح ، وكان يرئس هذه البعثة الهر ستمريش القنصل الألماني العام في القسطنطينية . وكانت مهمته —لولا وجود إتفاقية سنة ١٨٩٩ — شبيهة بالمشروع الروسي للخط الحديدي نفسه ، وقد نقل قائد سفينة صاحبة الجلالة «ميلبوميني» انذاراً إلى الشيخ بألا يتخذ أية اجراءات في هذا الصدد قبل موافقة حكومة الهند عليها ، وقد كان يمكن أن تؤدي هذه الحادثة إلى الإضرار بمصالح بريطانيا العظمى في الخليج . ومن رواية الشيخ مبارك للقائه بهذه البعثة في الكويت بتاريخ ١٩ يناير سنة ١٩٠٠ وهي رواية أيدها التقرير التالي للبعثة نفسها يبدو أن الشيخ قد أفصح عن عدم ترحيبه باقامة نهاية الخط الحديدي على ارضه ، وأنه أوضح أيضاً لاعضاء البعثة أنه هو المسيطر الوحيد على ارضه لا سلطان تركيا . ويبدو أن اعضاء البعثة حاولوا أن يبدأوا معه المحادثات بشأن شراء كاظمة على رأس خليج الكويت

واستئجار الارض المحيطة بكويكب وغاضي وهي خطة تعني وضع اليد على مساحة تزيد عن ٢٠ ميلا مربعاً ، لكن أهدافهم هذه احبطها التزام الشيخ مبارك التزاماً دقيقاً باتفاقيته مع الحكومة البريطانية من ناحية ، وشكه في نوايا هذه البعثة وخشيته من أن تكون مناورة بارعة في التنكر والتخفي من جانب الأتراك . وفي البصرة صرح رئيس البعثة بأن المسؤولين عن مشروع الخط الحديدي سيتفاهمون مع السلطات التركية مباشرة ويهملون شيخ الكويت .

وأدت هذه الأعمال من جانب لجنة الخط الحديدي في بغداد إلى ضرورة إبلاغ بريطانيا رأيها فيما يتعلق بالكويت وبمنتهى الوضوح للباب العالي والحكومة الإيرانية . وعلى هذا قام سفير صاحب الجلالة في القسطنطينية في ١٥ إبريل سنة ١٩٠٠ خلال لقاء بينه وبين وزير الخارجية التركية بتوضيح مفاده أن الحكومة البريطانية رغم كونها لا تود التدخل في شئون تركيا في الخليج ، فهي تود أن تظل الحالة القائمة هناك كما هي . وهي لا تستطيع ان تظل ساكنة تنظر بلا مبالاة إلى أي عمل يكون من شأنه تغيير الحالة القائمة او يمنح دولا أجنبية أخرى حقوقاً أو امتيازات اقليمية في أرض الكويت . وفي نفس اليوم التقى سير ن . أوكونر بالسفير الألماني ، وحتى لا يدع سبيلا لأي نوع من الغموض شرح له بوضوح وضع بريطانيا في الكويت .. وأوضح له أن شيخ الكويت ليس حراً في أن يبيع لشركة خط بغداد ، او يؤجر لها ، كاظمة أو أي جزء آخر من ارض الكويت دون موافقة حكومة صاحبة الجلالة .

اندلاع النزاع في وسط الجزيرة ١٩٠٠ :

والآن نعود لاستئناف متابعة الخط الرئيسي لروايتنا . في صيف سنة ١٩٠٠ بدأت سلسلة من الحركات أدت إلى توغل الشيخ مبارك في داخل وسط الجزيرة وإلى عودة الحكم الوهابي في جنوب نجد . ومنذ سنة ١٨٩٧ كان عبدالرحمن بن سعود ــمنافس عبدالعزيز ابن رشيد في

نجد ــ مقيماً في الكويت متقاعداً في ضيافة الشيخ ، وكان هذا في ذاته سبباً كافياً لاثارة عداء ابن رشيد لشيخ الكويت . ولا شك في أن سخط أمير شمر الطبيعي على شيخ الكويت الذي استضاف اعداءه ، قد الهبه أبناء إخوة الشيخ ويوسف بن ابراهيم من دوره الذي حاول الاستنجداد بابن رشيد منذ وقت طويل ، ويبدو انه أصبح ساعده الايمن في سنة ١٩٠٠ . ولا نعرف على وجه اليقين كيف بدأت الأعمال العدوانية في وسط الجزيرة . كل ما نعرفه ان ابن سعود رحل عن الكويت في أغسطس سنة ١٩٠٠ ، وطلب في الشهر التالي وبعد أن أصاب قدراً من النجاح إمدادات من حامية الشيخ مبارك . وفي نفس هذا الوقت ، او ربما بعده بقليل ، بدأ سعدون باشا زعيم قبيلة المنتفق الخارج على سلطات العراق التركي يشن بعض الغارات على القبائل العربية المجاورة المستقرة على الفرات والمواليه لابن رشيد . وكانت الدلائل تشير بوضوح إلى أنه يرتكب هذه الاعمال متواطئاً مع شيخ الكويت . وكان الشيخ مبارك نفسه بعيداً عن بلده أثناء زيارة السفينة الفرنسية الحكومية «دروم» للكويت من ١٤ إلى ١٦ أكتوبر . كذلك لم يكن الشيخ مبارك موجوداً حين وصل الرائد كمبـــول المقيم البريطاني في الخليج إلى الكويت في أوائل الفترة الاخيرة من الشهر نفسه ليقنع الشيخ بالكف عن الاشتراك في هذه الاعمال التي قد تقدم للسلطات التركية مبرراً للتدخل . وفي ضوء الاحداث التالية كان واضحاً أنه كان بالصحراء طوال هذه المدة يحاول أن يقدم لابن سعود كل ما يستطيع تقديمه .

تدخل والي البصرة ــ نوفمبر ١٩٠٠ :

وفي نهاية اكتوبر سنة ١٩٠٠ ظهر ابن رشيد في السماره على الفرات ومعه أنصار كثيرون ، وطلب من الحكومة التركية تعويضاً عن الأضرار التي الحقها سعدون باشا برعاياه وتعويضاً آخر من شيخ الكويت وانصافاً لأبناء إخوته ، وهدد بالهجوم على الكويت اذا لم يجب إلى مطالبه . وفي نفس الوقت كان شيخ الكويت قد انضم إلى سعدون باشا

وأصبح الصدام بينهما وبين ابن رشيد أمراً محتوماً . لكن الأتراك تدخلوا في اللحظة المناسبة بنجاح كبير . فمن خلال نفوذ السيد أحمد والسيد طالب ابني نقيب البصرة تم اقناع ابن رشيد بالرجوع إلى مقره ، وإقناع شيخ الكويت بمقابلة والي البصرة في الرافضية .. في منزل ريفي يملكه النقيب هناك بالقرب من مدينة الزبير وهناك أقنع سعدون باشا بوسائل أخرى كي يختفي موقتاً عن مسرح الأحداث . وفي يوم ١٧ نوفمبر وصل مبارك مع الوالي صديقه محسن باشا إلى البصرة حيث قضى فيها اليوم التالي ، وتلقى وساماً مجيدياً من الطبقة الثانية ، ووعد بألا يقيم أية علاقات «بالدول الأجنبية» ، وعاد في ٢٤ من نفس الشهر سالماً إلى الكويت . وهكذا ارضى الشيخ مبارك رغبة الاتراك في أن يقوم بزيارة رسمية لهم ، وحقق محسن باشا انتصاراً حاسماً .. فالى جانب أنه استطاع منع صدام خطير من الوقوع .. فقد أكد سيطرة الباب العالي على اثنين من كبار زعماء الجزيرة .

شيخ الكويت يغزو وسط الجزيرة ديسمبر ١٩٠٠ — مارس ١٩٠١ :

لكن هذه الإجراءات التي اتخذت كانت زائفة كلها .. فخضوع الشيخ مبارك لتركيا كان خضوعاً كاذباً .. فقد كان ينتهج بالفعل سياسة مستقلة كل الاستقلال وراح ابن رشيد يضطهد قبائل البدو التي تناصر شيخ الكويت في صحراء الدهناء والسمان . وفي ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٠ بعد أن أعلن الشيخ مبارك أنه لا يستطيع أن يمتنع عن العمليات العدائية هذه ما دام ابن رشيد يؤوي يوسف بن ابراهيم من دوره ويحميه ، وسار الشيخ على رأس قواته إلى حفار حيث كان يظن ان ابن رشيد معسكراً هناك ، وكانت قوات الكويت اساساً تتكون من بدو العوازم والرشايده ومطير وعجمان وبني هاجر وبني خالد ، لكنها أيضاً كانت تضم حوالي ١٠٠٠ رجل من سكان مدينة الكويت ولاجئي نجد . وفي بداية فبراير

١٩٠١ ارغم شيخ الكويت –بسبب هزيمة بعض أنصاره من بني مطير– إلى التراجع قريباً من الكويت .. لكن تراجعه كان لفترة قصيرة فقط .

وقبل ذلك كان قد صدر اليه تحذير في خطاب من الحكومة البريطانية بأنها لاترغب في مظاهرات استعراض القوة من جانبه، وأنه ما دام لم يلتزم بهذه النصيحة فلا داعي لتكرارها ونجد تفاصيل هجومه التالي على وسط الجزيرة مذكورة في تاريخ نجد . لقد كانت في البداية انتصاراً رائعاً فاستطاع احتلال القصيم وعين ابن سعود حاكماً اسمياً للرياض ، وبدأت جماعة من عائلة ابن رشيد تفاوض الغازي المنتصر ، وعزز الشيخ مبارك مركزة بين أنصاره من البدو بزواجه من ابنة سلطان الدويش وهو قائد مشهور في بني مطير . ثم جاء الاشتباك الدموي التالي يوم ١٧ مارس في صريف ، على بعد حوالي ٢٠ ميلا شمال شرق بريده في القصيم ، وكانت الخسارة فادحة لكلا الجانبين لكنها غيرت الموقف كله وأرغمت شيخ الكويت على الانسحاب السريع من نجد . وساد القلق الكويت كلها ، وتناثرت الشائعات بان الشيخ نفسه كان بين القتلى ، ووصل الشيخ إلى عاصمته سالماً غير جريح في ٣١ مارس ، وتبعه بعد عدة أيام ابن سعود وسعدون باشا ، وكافح الجيش الكويتي الذي تفرق في طريق العودة جماعات صغيرة لكي يصل لبلده لكن ٥٠ رجلا على الاقل(١) لم يعودوا ابداً من بينهم حمود شقيق الشيخ وابنه صباح وخليفة ابن شقيق الشيخ ، وكانوا جميعاً من ضحايا معركة ١٧ مارس .

زيارة والي البصرة للكويت وطلب الشيخ الحماية البريطانية – مايو ١٩٠١ :

وسرعان ما عادت هذه المغامرة بنتائج وخيمة على الشيخ في الداخل ،

(١) ربما كانت الخسارة في هذه المعركة أكثر من ٥٠ رجلا بكثير. وقد حددت الروايات الشعبية المتواترة في سنة ١٩٠٧ عدد القتلى بأكثر من ٧٠٠ رجل من أهل الكويت . قتل منهم حوالى ١٥٠ رجلا كأسرى بعد انتهاء المعركة .

فقد بدا ان الحكومة التركية تود تعيين مشير بغداد وكيلا لها في تحقيق هذا الأمر مما كان من شأنه حرمان شيخ الكويت من ثمار تفاهمه مع محسن باشا ، بل ربما عرضت هذا المسئول نفسه للمتاعب ، غير ان المفاوضات بقيت –حتى ذلك الوقت– بين يدي الوالي . وظل محسن باشا ضيفاً على شيخ الكويت من ١٩ إلى ٢٣ مايو سنة ١٩٠١ ، واستغل خوف مبارك وضغط عليه لقبول وجود حامية تركية في الكويت ، لكن الشيخ رغم استمراره في معاملة ضيفه باحترام كبير ومرافقته بنفسه حتى فاو في طريق عودته إلى البصرة– لم يقرر شيئاً ، غير أنه أحس بحاجة شديدة إلى العون والتأييد بعد هذه المحاولة الداخلية لإغرائه بالتنازل عن استقلاله فاتصل في ٢٨ مايو بواسطة قائد سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج يطلب منه ان تسارع الحكومة البريطانية باعلان حمايتها الدائمة على الكويت في أقرب وقت ممكن . وتأكد أنه اتصل في نفس اليوم أيضاً بالقنصل الروسي العام في بغداد . لكن حكومة صاحبة الجلالة لم تقتنع باعلان الحماية على الكويت نظراً لما يتضمنه هذا العمل من مشاكل دولية ومن جهود تالية للسيطرة على أعمال الشيخ ، فرفضت اقتراح الشيخ في يونيو من نفس السنة . كذلك أيضاً رفض طلب ابن رشيد للحماية البريطانية في نفس الوقت تقريباً .

حادثة في الكويت تؤدي للتفاهم بين بريطانيا وتركيا على إبقاء الحالة الراهنة في الكويت كما هي أغسطس – سبتمبر ١٩٠١ :

وحين كان طلب الشيخ ما يزال قيد البحث اتخذ موقف الحكومة التركية طابع التهديد والوعيد ، ففي الفرات كانت تتجمع قوات كبيرة كان يعتقد أنها متجهة إلى الكويت ، وكان سلطان تركيا – استجابة لنفوذ السفير الألماني والروسي في بغداد– يوالي طلبه برقياً من والي البصرة بأن يقيم في الكويت –وبالوسائل السلمية– داراً للعوائد ومكتباً للبرق ، كأدلة عيانية لسيادة تركيا . ولمواجهة هذا الخطر فوض قائد السفينة

البريطانية المسلحة «برسيوس» ، وكان آنذاك في الكويت ، بتعليمات من حكومة صاحب الجلالة بأن يمنع نزول أية قوات تركية إلى الكويت بالقوة إذا اقتضى الأمر ، وقام الرائد كيمبول المقيم السياسي بزيارة الكويت لإبلاغ الشيخ بتوفير الحماية والعون على شرط أن يظل على التزامه باتفاقية ١٨٩٩ . وفي ٢٤ أغسطس سنة ١٩٠١ أصدر قائد السفينة «برسيوس» إنذاراً إلى القائد التركي بعدم إنزال قوات تركية إلى أرض الكويت ، وأمضى القائد يوم ٢٥ كله يحاول عبثاً أن يحصل منه على اعتراف بالسيادة العثمانية دون جدوى . فمضى إلى فاو وهو يتهدد الشيخ بالعقاب في المستقبل ، وتلقت الحكومة البريطانية احتجاجات على ما عملته السفينة «برسيوس» من السفيرين الالماني والتركي في لندن ، وفي الاحتجاج الذي قدمه السفير التركي جاء أن اتفاقية سنة ١٨٩٩ اتفاقية غير صحيحة لأنها عقدت مع مسئول تابع لتركيا . وكان رد حكومة صاحب الجلالة على السفيرين معاً أن الحكومة البريطانية لا ترغب في تغيير الوضع القائم في الكويت . وفي ٩ سبتمبر انتهت المحادثات الدائرة بين الحكومة البريطانية والباب العالي بشأن الكويت —فيما يبدو— باتفاقهما على ابقاء الوضع القائم فيها كما هو .

الفزع في الكويت من اقتراب ابن رشيد سبتمبر — أكتوبر ١٩٠١ :

وفي الوقت الذي كانت هذه المفاوضات تدور فيه بأوربا لم يكن ابن رشيد ملتزماً بالسكون ، ففي نهاية سبتمبر أغار بعض أنصاره على معسكر للرشايده بالقرب من الجهرة ، ورغم أنهم تراجعوا أخيراً إلا أنهم استطاعوا أن يحملوا معهم أسلاباً كثيرة وأن يقتلوا بضعة رجال من قوة الكويت التي ارسلت لهم . وسارع البدو في كل الصحراء المجاورة إلى التجمع بالقرب من الكويت التماساً للحماية ، وامتد معسكر طويل يضم آلافاً من البدو بماشيتهم وأغنامهم بطول الساحل حتى رأس الارض لكن غارة ثانية قام بها أنصار ابن رشيد على منطقة قريبة من جبل حموده ورأس مشاعة كانت أقل نجاحاً من الأولى ، وتراجع المغيرون نحو وسط

الجزيرة ، وذاب هذا التجمع الكبير من البدو في الكويت كما جاء .
وظل ابن رشيد مقيماً زمناً آخر في حفار ، وكانت إقامته هذه مضافا لها أعمال الأتراك تسبب للشيخ مبارك قلقاً عظيماً . وخلال هذه الفترة المضطربة كانت عدة قوارب بريطانية مسلحة موجودة دائماً على أهبة الاستعداد في الكويت أو قريباً منها ، وخولت حكومة الهند السلطات البحرية استخدام القوة لصد أي هجوم من جانب ابن رشيد ، ووضع الضابط البحري الأول مخططاً للدفاع عن المدينة . وقد كشفت الخبرة المستفادة من هذه المناسبة أن الكويت لا يمكن الدفاع عنها ضد الهجوم البري عن طريق البحر فقط . وفي مقابل نوايا بريطانيا في الوقوف إلى جانب الشيخ طلبت السلطات البريطانية منه أن يتعهد باطاعة كل النصائح التي تصدر اليه منها فوعد بذلك .

ازمة في الكويت بسبب محاولة للأتراك لتغيير الوضع القائم فيها نوفمبر – ديسمبر ١٩٠١ :

وفي منتصف نوفمبر ١٩٠١ –وبعد أن تحرك ابن رشيد هابطاً من حفار إلى صفوان– وهي مكان على الحدود بين العراق التركي والكويت ، قام نقيب البصرة بزيارة الكويت حسب اوامر برقية من سلطان تركيا . وقد جاء في هذه البرقية لوالي البصرة أن يرسل النقيب لمقابلة الشيخ مبارك وتحذيره من نتيجة التهور والطيش في أعماله هذه .. وأن يرجع عن غيه ويلتمس لنفسه الأمان بالعودة إلى الدين والخضوع للسلطان ، وتقول إحدى الروايات أن الشيخ مبارك رد على ذلك بأنه على الولاء للباب العالي وشكا من أعمال ابن رشيد ويوسف ابن ابراهيم من دوره ضده ، ولكن يبدو أن النقيب قد ذكر في تقريره لحكومته أن الشيخ قد رفض الاعتراف بتبعيته للسلطان وأشار على السلطات التركية بالرجوع إلى الحكومة البريطانية لكنه بفضل نشاط السفير البريطاني في القسطنطينية لم يقر الباب العالي أعمال نقيب البصرة .

ثم حدثت بعد اسبوعين من هذا التاريخ محاولة أخرى أكثر خطورة

لقلب النظام القائم في الكويت والذي تعهدت الحكومة البريطانية بالإبقاء عليه ، وذلك حين رست السفينة المسلحة التركية « زحاف » في ميناء الكويت في أول ديسمبر تحمل النقيب وشقيق والي البصرة ، وكان في خليج الكويت آنذاك من السفن البريطانية الطراد «بومون» والقارب المسلح «ردبريست» . وقدم إنذار تركي للشيخ يطلب منه إما قبول حامية تركية عسكرية ، على أن تكون تابعة لأوامره ، أو السفر للتقاعد بعيداً في القسطنطينية أو ما جاورها . ووضح أن الأتراك يفضلون هذا الحل البديل . وفي ٣ ديسمبر طلب الشيخ إمهاله ثلاثة أيام يقدم بعدها إجابته ، وفي ٤ ديسمبر خرجت السفينة «ردبريست» من الميناء وعليها رسالة لبوشهر . فسحب المسئول التركي هذه المهلة وطلب من الشيخ الرد فوراً ، ووصلت السفينة «سفنكس» من بوشهر دون ضمان كتابي بالحماية من المقيم البريطاني كما كان يود الشيخ مبارك الذي تردد كثيراً لكنه قام ـ تحت ضغط من القائد البحري الأول الموجود بالكويت ـ بابلاغ مندوبي السلطان أخيراً بأن السلطات البريطانية تمنعه بالقوة من إبداء رأيه ، وأكد ذلك كابتن سيمونس شخصياً للمسئولين الأتراك . وحين فشلت مهمة المبعوثين تراجعا بالسفينة «زحاف» وغادرا الميناء في الصباح الباكر من اليوم التالي ، وقضى كابتن سيمونس الليلة التالية في بيت الشيخ من قبيل الحيطة . وحتى يوم ٦ ديسمبر بعد أن انقضت الأزمة لم تكن وصلت بعد أوامر حكومة صاحبة الجلالة التي تعتبر ما قام به النقيب خرقاً للتفاهم القائم بين تركيا وبريطانيا ، وأن حكومة بريطانيا تؤيد شيخ الكويت ولن تسمح بأي هجوم من جانب القوات أو السفن التركية على الكويت ، وأن على الشيخ عدم مغادرة الكويت والاستمرار في الوفاء بنصوص اتفاقيته مع الحكومة البريطانية . وتلقى الشيخ هذه الرسالة بسعادة غامرة ، وقام بابلاغها إلى جميع رجاله ذوي الشأن ، وفي وقت بعثة النقيب وربما بعدها بقليل نقل محسن باشا من ولاية البصرة .

تهديد الاتراك وابن رشيد بالهجوم على الكويت والإجراءات التي . اتخذتها السلطات البريطانية للدفاع عن الجهرة والكويت ديسمبر سنة ١٩٠١ — يناير سنة ١٩٠٢ :

واستنكر الباب العالي ودوائر القصر في القسطنطينية أعمال الوكلاء الأتراك في الكويت ، ورغم ذلك ففي نهاية ديسمبر سنة ١٩٠١ كان ابن رشيد بصفة دائمة مع بعض قواته متواجداً في إقليم البصرة ، واتصالاته دائمة بالوالي والمشير وأدت الأوامر بتقديم إمدادات ضخمة له ، والتعليمات التي صدرت من القسطنطينية بمنحه معونة مالية ضخمة من خزانة البصرة التي كانت خـــاويه آنذاك إلى توقع قيام حملة برية على الكويت من جانب القوات المشتركة للأتراك والأمير . وفي نفس الوقت صدر أمر بمنع تصدير البضائع من البصرة إلى الكويت فزاد من المخاوف . واتخذت القوة البحرية البريطانية استعداداتها للتعاون في الدفاع عن المدينة ، فتم تحصين قلعة الشيخ في الجهرة في مدخل خليج الكويت ، وفي أول يناير سنة ١٩٠٢ صدر أمر من بومباي للسفينتين «فوكس» و «برسيوس» باللحاق بالسفن «بومون» و «سفنكس» و «ردبريست» التي كانت موجودة بالفعل في الكويت ومعها مدافع إضافية ، وقد يكون خوف ابن رشيد من هذه الإجراءات ، وربما لأن الأتراك نصحوه بالتراجع سبب عدم تقدمه أكثر من مكانه الذي كان فيه . بل وشاع بعدها مباشرة أنه قد تراجع حتى وصل آبار لينة داخل حدود إقليمه هو ، وعندها انتهى الفزع ، وأنزلت المدافع الاضافية من ظهور السفن . وقد شهد هذه الأزمة في الكويت الطراد تحت الحماية الروسية «فارياج» الذي وصلها في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠١ وغادرها في ٢٣ منه بعد أن عرض على الشيخ عدة مرات «معاونته في تحقيق استقلاله» .

الاتراك يقومون باحتلال ام قصر وصفوان وجزيرة ببيان ١٩٠٢ :

لكن الأتراك لم يتخلوا عن محاولاتهم اخضاع شيخ الكويت

بطريقة أو بأخرى . فنهاية نشاطهم في اتجاه ما كان يعني بدايته في اتجاه آخر مما استدعى تغيراً في تكتيكهم وخططهم ونقل مسألة الكويت إلى مرحلة أخرى . وجاء تقرير يفيد أن قواعد تركية عسكرية قد أقيمت في أم قصر وصفوان ، وصدرت الاوامر بتسيير قارب بريطاني مسلح إلى خور عبدالله وخور الصبيح لاختبار صحة هذه المعلومات . وقامت سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» بأداء هذه المهمة بعد أسبوع من التأكد من وجود قاعدة عسكرية تركية بها ٤٠ جندياً في أم القصر ، وحامية أكبر منها في صفوان . وخلال هذه الجولة استطاع القائد كب أن يجمع معلومات هامة وذات قيمة عن خور عبدالله ، وذلك بالنسبة لأهميته لمشروع الخط الحديدي الذي سبق أن أشرنا اليه . وفي رحلة العودة اكتشف كب أن قاعدة عسكرية تركية بها حامية من عشرين جندياً أقيمت على الجانب الشرقي من جزيرة بوبيان لكن هذه الحامية لم يستمر وجودها أكثر من اسبوعين .

وفي مارس من نفس السنة زيدت حامية البصرة زيادة كبيرة ، وساد الخوف من ان تحتل هقيجة وصبيحة وهما مكانان على الأرض التي تواجه غرب جزيرة بوبيان . ولإحباط مثل هذه المحاولة وجهت النصيحة للشيخ مبارك باحتلال هقيجة احتلالا فعلياً ، فأرسل اليها حامية من ٤٠ رجلا . وفي نفس الوقت تردد في القسطنطينية أن الأتراك لم يعودوا يعتبرون كاظمه في خليج الكويت مكاناً مناسباً لنهاية الخط الحديدي ، وذكر أيضاً أن اهتمامهم قد انصرف بهذا الصدد إلى خور عبدالله وما يجاوره . وذكرت حكومة صاحب الجلالة أنه اعتماداً على المعلومات المتوفرة حالياً عن ملكية هذه الأماكن في الماضي لا يمكن وصف احتلال تركيا لأم القصر وصفوان وبوبيان بخرق للاتفاق الخاص بالإبقاء على الوضع الراهن أو مبرراً للمطالبة بانهاء الاحتلال التركي ولكن الباب العالي أبلغ بأن حكومة صاحب الجلالة ترجو ألا يكون في احتلال هذه الأماكن ماينتقص من حقوق

شيخ الكويت . وبالصدفة ، وأثناء هذه المحادثات ، أبلغت حكومة صاحب الجلالة حكومة الهند اعترافها بأن الكويت جزء من الأرض العثمانية في نطاق الحدود التي كررتها من قبل ، وهي أن خضوعها للسلطان ليس خضوعاً كاملا بل ان شيخها يتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال الفعلي ، ولكن يجب القول أيضاً بأن هذا الرأي لم يتم إبلاغه للباب العالي كما كان مقصوداً . وبلغ خوف شيخ الكويت من سياسة التسلل البطيء هذه التي يمارسها الأتراك معه حداً جعله يعرض رشوة ضخمة على والي البصرة من أجل إيقاف هذه السياسة لكن الوالي رفض قبول الرشوة .

وفي إبريل ١٩٠٢ اشتكى الشيخ من محاولة احتلال جزيرة المسلمية الواقعة إلى أقصى الجنوب من ارضه ، أو من منطقة نفوذه ، بقوات تركية من القطيف . ولكن لما ثبت أن هذه الجزيرة واقعة داخل حدود سنجق الأحساء لم يلق الشيخ مبارك تشجيعاً من الحكومة البريطانية لاعتراضه على هذا الحق المشروع .

وسائل تركية أخرى لمضايقة شيخ الكويت ١٩٠٢ :

وفي نفس الوقت لجأت الحكومة التركية إلى ممارسة أساليب أخرى —سوى هذا الالتفاف الاقليمي— لمضايقة شيخ الكويت وإرغامه على أن يتخلى عن جفائه لهم . فقد رفع أبناء إخوته في العراق التركي قضايا أمام المحاكم التركية خاصة بأملاك الأسرة هناك ، وانتزعت فعلا أجزاء من أرضه سببت له شيئاً من العجز المادي . كما تكرر كثيراً حدوث اغارات على ماشية الرعايا الكويتيين على الحدود بالقرب من صفوان . وقد تأكد أن يوسف بن ابراهيم من دوره هو الذي ينظم هذه الإغارات الصغيرة ، وأن الحامية التركية في صفوان لا تبذل أي جهد لمنعه عنها ، لكن أهل الكويت كانوا يردون عليها بإغارات مماثلة في بعض الاحيان ، كما حدث

هجوم أيضاً على صبيحه وعلى خور الصبيحة من قِبَل رجال يوسف الذين ساقوا معهم عدداً كبيراً من الإبل . وفي ٢٨ مايو ١٩٠٢ القي القبض علي وكيل الشيخ في البصرة وفتش بيته بزعم أنه مراسل لصحيفة عربية اسمها «الخلافة» كانت في ذلك الوقت تطبع في لندن وتنشر في كل ارجاء الامبراطورية العثمانية تحريضاً لها ، وقد ثبت اشتراكه في هذا العمل فحكم عليه بالسجن مدة عشر سنوات في قلعة صغيرة بعيدة . وكان هذا العمل ضربة قوية لنفوذ شيخ الكويت ، ولم تكن هذه الحادثة خلواً من الدلالة السياسية ، فقد كان من بين الاوراق التي اخذت من بيت الوكيل ما يلقي الضوء على علاقة الشيخ بالحكومة البريطانية ، كما وقعت في أيدي العثمانيين أيضاً حجج أملاك الشيخ مبارك الموجودة بالعراق التركي ، لكن وساطة الدبلوماسية البريطانية استطاعت استعادتها ، ولم تكن هذه حادثة غير هامة بالنسبة للشيخ ما دامت قضية الخلاف على هذه الأرض بينه وبين أبناء إخوته لم تحسم بعد .

علاقة الكويت بنجد ، وضمان الحماية الكاملة لها من قِبَل الحكومة البريطانية أغسطس — اكتوبر ١٩٠٢ :

واستمرت الغارات على اقليم الكويت من قِبَل البدو المناصرين لابن رشيد ، وفي اغسطس سنة ١٩٠٢ حدث قتال بين بعض هؤلاء وعدد من رعايا شيخ الكويت في مكان لعله آبار الصبيحة على بعد ثلاثين ميلا فقط من الكويت نفسها . وفي هذه الأثناء انقلبت الحالة في نجد مؤقتاً لصالح ابن رشيد ، ولما كان يُخْشى من ان يسارع الشيخ مبارك إلى نصرة حليفه ابن سعود ، فقد أصدر المقيم العام البريطاني تحذيراً صريحاً له —بناء على اوامر حكومة صاحب الجلالة— بعدم القيام بأي عمل من هذا النوع لئلا ينتج عنه إقحامه في صراع داخل نجد أو مع الحكومة التركية . وفي نفس الوقت وبسبب هذا الاتجاه العدائي من خصوم الشيخ فقد طلب رسمياً من المقيم العام تزويده

بمدفعين أو ثلاثة لوضعها على قلعته في الجهرة وصد هجوم ابن رشيد اذا حاول الهجوم من هذه الناحية ، لكن طلبه رفض خشية أن يستخدم هذه الاسلحة في أعمال هجومية ، وأبلغ في مقابل ذلك بعد منتصف أكتوبر سنة ١٩٠٢ أنه اذا ظل موجوداً بالكويت ، وظل على التزامه بنصوص اتفاقية ١٨٩٩ ، فان الحكومة البريطانية تعتبر نفسها مسئولة عن الدفاع عن الكويت وخليجه ، وسخط الشيخ على هذا الاجراء لكنه ظل ملتزماً باتباع النصائح التي تقدم اليه .

محاولة اعداء الشيخ مباغتة الكويت سبتمبر ١٩٠٢ :

وكانت أخطر الهجمات المباشرة التي كان على الشيخ مبارك أن يواجهها ولا ندري أكانت بتحريض من الحكومة التركية أم بغير ذلك الهجمة التي استعد لها يوسف بن عبدالله من دوره وكانت تهدف إلى الاستيلاء المباغت على مدينة الكويت ، وربما اغتيال شيخها أيضاً . فقد جاء عدد كبير من عرب الشريفات على الساحل الإيراني يقودهم عتبي بن محمد وحمود بن جراح من ابناء إخوة الشيخ مسلحين تسليحاً جيداً بالبنادق .. وصعدوا إلى ظهور القوارب في دوره على شط العرب ، وخرجوا يتلكأون في البحر الواسع انتظاراً لحلول الظلام وقد وصلت أخبار هذه الحملة إلى فاو ·فعرفها القائد ارمسترونج قائد سفينة صاحبة الجلالة «لابونج» فأسرع إلى الكويت لإبلاغ أهلها لكنه وجد المدينة مستعدة بسلاحها للقاء الغزاة بفضل أخبار تلقاها الشيخ من مواطنيه . وفي اليوم التالي دار البحث بلا جدوى عن الأعداء او سفنهم ، وفي صباح يوم ٥ استطاع القارب البريطاني المسلح اكتشاف مكان وجودهم في خور عبد الله فتولى مباشرة مطاردة اثنتين من سفنهم تحملان من ١٠٠ إلى ١٥٠ رجلا عربياً مسلحين بالبنادق ولم تكن السفينتان ترفعان أي أعلام ، وحين خرجتا من شط العرب جنحتا الى منطقة ضحلة كثيرة الأوحال ، وبعد أن اختفتا جيداً بين

الحشائش والأعشاب الطويلة انطلقت النيران الحامية منهما على القارب المسلح الذي يطاردهما ، وقتل بحار انجليزي وجرح اثنان .. ولكن تم الاستيلاء على السفينتين بكل معداتهما حتى سلالم التسلق ، وقد ثبت فيما بعد أن إحداهما كانت ليوسف بن عبد الله شخصياً ، وعلى أي حال فقد تم إحراقهما مباشرة في عرض البحر بعد الثلاثة أميال المحددة للمياه الإقليمية . وسنجد بقية تفاصيل هذه الحادثة في مكان لاحق . . لكن النتيجة الرئيسية التي تهم الكويت كانت هرب او طرد يوسف من العراق التركي إلى نجد حيث ارتبط بابن رشيد . لكنه قبل أن يغادر العراق اشترك في حملة هجوم أخيره من الزبير على بعض القبائل المقيمة في حماية الشيخ مباركِ إلى جوار الجهرة .

مظاهرة لابن رشيد ضد الكويت ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ :

وبهذه الحادثة التي وصفناها ، نستطيع القول بأن المحاولات الخطيرة لقلب حكم الشيخ مبارك من خارج الكويت قد انتهت ، وبدأ اهتمام الأتراك يتحول عنها إلى وسط الجزيرة حيث كان الصراع قائماً في ذلك الوقت بين ابن سعود وابن رشيد هناك ، ويبقى فقط أن نشير إلى سلسلة من الحركات الصغيرة فيما جاور الكويت .

ففي ديسمبر سنة ١٩٠٢ عاد ابن رشيد يدخل إقليم الكويت ، وتقدم فيه حتى أصبح على مسيرة ١٢ ساعة من المدينة ، لكن رجال الشيخ مبارك استطاعوا أن يصدوه في حفار ، وتحرك الشيخ بنفسه إلى الجهرة حيث راح يجمع الرجال ويعبئهم استعداداً للدفاع . . وربما للهجوم . وقد خشيت السلطات التركية أن يكون هذا التجمع في الجهرة من أجل الهجوم على مدينة الزبير ، وطلب وزير الدولة تحذير شيخ الكويت مرة أخرى من القيام بأعمال يكون من شأنها إقحامها في مشكلات مع وسط الجزيرة أو مع الحكومة التركية ، غير أن الرائد كيمبول ،

المقيم البريطاني كان قد استبق هذه التعليمات فالتقى بالشيخ مبارك لقاء ودياً طويلا في يوم ١٨ يناير ١٩٠٣ واستطاع إقناعه بالعدول عن القيام بأي عمل ضد ابن رشيد في وسط الجزيرة خاصة وأن قوى هذا الامير كما أكد الشيخ مبارك نفسه كانت بسبيلها إلى الوهن . وبعد ذلك ، وفي بداية مارس سنة ١٩٠٣ قام امير الوهابيين يرافقه شقيقه محمد بزيارة للكويت للاجتماع بالشيخ مبارك ، وفي ذلك الوقت كان جابر ابن شيخ الكويت ما يزال معسكراً في الجهرة بقوات كبيرة وكانت هذه نهاية الفزع الذي سببه ابن رشيد لأهل الكويت.

زيارة سفن حربية روسية وفرنسية للكويت ١٩٠٢-١٩٠٣ :

وفي هذه الظروف التي تحسنت كثيراً ، لم تؤد زيارة الطراد الروسي «آسكون» للكويت في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٢ ، والزيارة المشتركة التي قام بها الطرادان الفرنسي «انفرنيت» والروسي «بويارين» لها واستمرت من ٤ إلى ٨ مارس سنة ١٩٠٣ إلى أية مخاوف بشأن الموقف المحلي . وفي الزيارة الأخيرة هذه دارت محادثات بين القنصل الروسي العام في بوشهر وعبدالعزيز بن سعود الذي تصادف وجوده بالكويت آنذاك نوقشت فيها مشاكل وسط الجزيرة .

وأكدت الزيارة التي قام بها صاحب السعادة لورد كيرزون نائب الملك وحاكم عام الهند للكويت والتي استمرت يومي ٢٨و٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٣ -وتفاصيلها مذكورة في مكان آخر- أكدت تدعيم نفوذ بريطانيا في هذه الإمارة ، وأوضحت العلاقة الودية التي تربط شيخها بالحكومة البريطانية ، واعتماده على هذه الدولة لحمايته . والحقيقة إن الشيخ بمجرد أن تسلم سيفاً هدية له من يدي نائب الملك وصف نفسه تلقائياً بأنه قد أصبح «ضابطاً عسكرياً من ضباط الامبراطورية البريطانية» ، وكانت الهتافات التي قوبل بها صاحب العظمة حين نزوله إلى أرض الكويت تؤكد شعبية الارتباط ببريطانيا ، ولا يجب أن نهمل

الانطباع الذي تركته مشاهدة أسطول الهند الشرقية في نفوس أهل البلاد وشيخها كنتيجة سياسية هامة من نتائج رحلة صاحب العظمة في الخليج ، وقد صعد الشيخ مبارك إلى ظهر السفينة الحربية رافعة العلم «هياسينث» وكان سعيداً بما رآه . فقد كانت المرة الأولى التي يصعد فيها الى ظهر سفينة حربية كبيرة .

وقد تمت مقابلة خاصة بين عظمته والشيخ مبارك على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « هاردنج » وفيه أكد صاحب العظمة نصحه للشيخ مبارك بأن ينأى بنفسه عن أي صراع وسط الجزيرة ، وأكد له أن الحكومة البريطانية قد وعدت بحمايته وحماية الكويت من أي هجوم عليهما ، لكنها لا تستطيع أن تتدخل إذا زج بنفسه في مشاكل وسط الجزيرة ، وأكد الشيخ مبارك رداً على ذلك أنه قد فهم نصيحة عظمته فهماً صحيحاً ، وانه سيلتزم بتنفيذها . وفي ٣٠ نوفمبر دخلت سفينة صاحبة الجلالة «لورانس» —وعلى ظهرها لورد كيرزون— خور عبدالله وصعدت حتى لقاء خور أم قصر بخور الزبير حيث بقيت هناك فترة قصيرة .



تعيين وكيل سياسى بريطاني في الكويت ١٩٠٤

اقتراح انشاء مكتب بريد ومستوصف في الكويت ١٩٠١—١٩٠٤ :

وبعد زيارة صاحب العظمة نائب الملك مباشرةً ، قررت الحكومة البريطانية الاستفادة من الفرصة المتاحة كي تؤمن بإجراء واحد تحسين الاتصال البريدى بالكويت ، ومد الخدمة الطبية إلى هذه المدينة ، ورفع درجه التمثيل السياسي البريطاني مع شيخها . وفي يوليو سنة ١٩٠١ افتتحت شركة الهند البريطانية للملاحة البحرية وكالة لها في الكويت ،

وجعلت هذا الميناء بين الموانى التي تقف عندها بواخرها . وفي نوفمبر من نفس السنة اقترح الشيخ مبارك نفسه إنشاء مكتب بريد بريطاني في الكويت ، ولكن بالنظر إلى أن مكتباً للبريد لا يمكن إقامته إلا كجزء من مؤسسة سياسية بريطانية ، ولم يكن الوقت آنذاك قد حان لتغيير ممثل بريطانيا السياسي في الكويت الذي كان حتى ذلك الوقت رجلا صحفياً من أهل البلاد فقد أهمل اقتراح الشيخ بعض الوقت . على أن الشيخ جدد طلب فتح مكتب بريدي أثناء زيارة لورد كيرزون للكويت فتقرر افتتاحه في سنة ١٩٠٤ على أن يعهد به إلى معاون طبي من أهل البلاد يمارس فيه أيضاً عمله الطبي بين الناس . وكان الشرط الوحيد الذي اشترطته الحكومة البريطانية ووافق عليه الشيخ مبارك هو ألا يسمح من جانبه لأية دولة أخرى بانشاء مكتب بريدي في أرضه ، وقد تم ترتيب اتفاقية بينهما تقضي بهذا نصها موجود بمكان آخر من هذا الكتاب . وفي يوليوسنة ١٩٠٤ —وبعد أن تم اتخاذ الإجراءات التمهيدية— تقرر التوقف موقتاً عن العمل بالنظر إلى المفاوضات التي كانت دائرة آنذاك في القسطنطينية لجلاء الأتراك عن جزيرة بوبيان .

إقامة وكالة سياسية بريطانية في الكويت اغسطس ١٩٠٤ :

وقد قدر لهذا المكتب البريدي ألا يبدأ عمله ، ثم أهمل بسبب اهتمام الحكومة البريطانية في صيف سنة ١٩٠٣ بأمر آخر أكثر خطورة هو رغبتها في أن تعين مسئولا بريطانيا «ضابطاً» في الكويت تكون مهمته الأولى بل المقصود به أصلا كبح النوايا العدوانية للشيخ مبارك . وفي ربيع سنة ١٩٠٤ وعلى أثر تدخل الأتراك في شئون وسط الجزيرة مما جعل ابن سعود حليف الشيخ مبارك في مركز ضعيف تجدد التفكير في تعيين المسئول السياسي البريطاني في الكويت ، ولكن لأهداف أخرى وعلى نطاق اوسع هذه المرة . وفي ٢٤ يونيو ١٩٠٤ أصدرت حكومة صاحبة الجلالة اوامرها بارسال وكيل سياسي بريطاني

إلى الكويت ، وفي ٦ أغسطس وصل الكابتن س. ج. نوكس من بوشهر إلى الكويت واعتمده الشيخ فوراً وأحسن استقباله ، وأغلقت وكالة للأنباء كانت قائمة ، ثم التحق بالعمل بعد ذلك مساعد جراح بصفته المهنية ، ورغم أن مساعداً مسئولا عن البريد قد وفد معه فإن مكتب البريد لم يباشر أعماله حتى ذلك الحين .

التعليمات الصادرة للوكيل السياسي قبل تعيينه :

وكانت التعليمات الصادرة للكابتن نوكس تكشف سياسة حكومة الهند بصدد الوكالة السياسية فقد أكدت : إن الهدف الأول من وجود الوكيل السياسي هو العمل على إقامة العلاقات الودية وتدعيمها مع الشيخ وغيره من الشخصيات الهامة في الكويت كما أن عليه تأمين حماية مصالح التجارة والتجار البريطانيين في الكويت والمشتغلين بالاتجار عبر الطرق الممتدة إلى الجزيرة العربية . وكذلك مراقبة تحركات الأتراك على حدود إقليم الكويت بيقظة وحذر وأن يؤكد الحدود الحقيقية لسيطرة الشيخ الفعلية على خور الصبيحة . وعلى الوكيل السياسي أن يذكر في تقاريره أولا بأول أية أحداث تشير إلى نوايا من جانب الأتراك أو غيرهم من الدول للتدخل في الوضع الراهن بالكويت أو تغييره ، كذلك أية إشارات تتكشف له عن وجود خطط قائمة لدى دول أجنبية فيما يتعلق بالمرافيء الطبيعية داخل إقليم الكويت وما جاوره . وعليه أيضاً أن يوجه جهداً خاصاً لمنطقة خور عبدالله والمياه المجاورة لجزيرة بوبيان وأم قصر . وعلى الوكيل السياسي أن يبذل جهده للحصول على أخبار صحيحة أولا بأول فور حدوثها عن الصراع الدائر على السلطة بين عائلتي ابن سعود وابن رشيد في نجد . وعليه أخيراً أن يتحرى حقيقة ما يقال عن توريد الأسلحة إلى الكويت خاصة لابن سعود ، وما لم تصله تعليمات أخرى عليه ألا يسمح للشيخ بالاستمرار في تجارة الاسلحة او بالكف عن ذلك تماما .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٤ شكت الحكومة التركية من تعيين وكيل بريطاني في الكويت واعتبرت هذا الإجراء خرقاً للاتفاق على إبقاء الحالة القائمة كما هي . وكانت ثمة مشكلة هامة قائمة بين الحكومتين التركية والبريطانية حول قاعدة عدن مما جعلت الوقت غير ملائم بالمرة لإثارة قضية الكويت ، لهذا قررت حكومة صاحب الجلالة سحب وكيلها المعين مؤخراً بمجرد أن يتيسر ذلك ، على أن يكون انسحابه هذا بصورة مؤقتة فقط وبكيفية لا تنم عن أي معنى من معاني التنازل أو الخضوع لإرادة تركيا . وكان كابتن نوكس قد نجح أثناء إقامته القصيرة بالكويت في تنفيذ التعليمات الصادرة له مما كان بمقدوره تنفيذها بالتعاون مع الشيخ مبارك لذلك لم تشب الفترة التي قضاها هناك شائبة واحدة تعكر سير العمل .

وظل كابتن نوكس بالكويت حتى ١٦ مايو سنة ١٩٠٥ حين ارغمه المرض على ان يسافر في إجازة إلى انجلترا ، وهكذا جاء سحبه المؤقت بطريقة جنبت الشيخ نتائج سيئة كانت ستترتب على هذا الانسحاب لو تم بطريقة أخرى . وظلت الأعمال العادية في الوكالة بيد المساعد الطبي داود الرحمن حتى عودة كابتن نوكس في ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ .

* * *

التاريخ العام للكويت منذ قيام الوكالة السياسية البريطانية ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

والآن نستطيع متابعة مشكلة أو اثنتين من المشاكل التي ظلت معلقة تشغل الأذهان عقب وصول الكابتن نوكس إلى الكويت ، لكن بعض التفاصيل الضرورية المتعلقة بها تقتضينا الرجوع إلى ما قبل سنة ١٩٠٤ .

قضية ممتلكات شيخ الكويت في العراق التركي ١٩٠١—١٩٠٤ :

أشرنا من قبل إلى الخلاف الدائر بين الشيخ وابناء إخوته اللاجئين

حول بعض أملاك الأسرة في العراق التركي على شط العرب ، ورأينا كيف كان الشيخ يأمل عقب توقيع الاتفاقية المانعة في سنة ١٨٩٩ في استخدام النفوذ البريطاني من أجل عدم المساس بمصالحه هناك . وكانت الأراضي والضياع التي يدور عليها الخلاف والتي تشمل أنصبة المستحقين فيها تقع في جارديلان وجزيرة عجيراوية بالقرب من البصرة وفي زين المواجهة لمصب نهر قارون ، وفي صوفية باقليم الدواسر ، وفي فاو . وقد ظل الشيخ يؤجل المشكلة لمدة سنتين عن طريق رفضه الخضوع لحكم المحاكم التركية ، لكن الأتراك بعد أن قرروا في ديسمبر سنة ١٩٠١ كسر معارضته لهم في الكويت استدعوه ليدافع عن قضيته أمام محكمة البصرة ، وحين لم يستطع الشيخ الذهاب بطبيعة الحال أصدرت المحكمة حكمها غيابياً وكان يقضي بأن يسلم الشيخ لابناء إخوته ضيعه زين . و لجأ الشيخ مبارك مباشرة إلى السلطان التركي الذي أمر في أوائل سنة ١٩٠٢ بتعيين لجنة لحسم الخلاف بين الشيخ وأبناء إخوته . واخيراً وبعد تسويف طويل وصعوبات كثيرة تم التوصل إلى اتفاق بين حاجي منصور ممثلا للشيخ مبارك وعبدالوهاب آل قرطاس ممثلا للجانب الآخر ومستر كراو القنصل البريطاني في البصرة والذي قام بدور في هذه القضية حسب تعليمات صدرت من القسطنطينية ، وبعد تصديق اللجنة على هذه الاتفاقية وقبول الأطراف المتنازعة لها ارسلت كوثيقة رسمية إلى البصرة في ١١ يوليو ١٩٠٤ وهناك لم يعتمدها والي البصرة ومجلس الولاية فقط بل اعتمدها أيضاً القنصل البريطاني هناك كطلب الشيخ مبارك . وكانت الخلاصة العامة لهذه الاتفاقية هي أن يضع الشيخ مبارك يده على الأملاك الموجودة في فاو كملكية خاصة ومطلقة له ، على حين يتملك الطرف الآخر الاملاك الموجودة في جارديلان وجزيرة عجيراوية وزين وصوفية ومبلغ نقدي قيمته ٧٢٩٦ لبرة عثمانية . أما نصيب أبناء الأخوة في أملاك مورثيهم المنقولة في الكويت فقد ذكر في الاتفاقية دون ان يؤثر

عليها أي تأثير ، فقد نص على أن تظل حقوق الطرفين هناك دون أي تغيير ولكن ثبتت أيضاً صحة الحجج التي قدمها الشيخ مبارك لبعض هذه الاملاك المنقولة .

وفي أوائل سنة ١٩٠٤ تقدم الشيخ مبارك يطلب قرضاً من حكومة الهند قيمته ١٠٠ الف روبية ليتمكن من تنفيذ نصوص الاتفاقية المذكورة وأسرعت حكومة الهند إلى المبادرة بتقديم القرض دون فوائد على شرط ألا يقوم الشيخ بالاقتراض من أي مصدر آخر دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية قبل سداده هذا الدين كاملا ، وحددت نهاية سنة ١٩٠٥ موعداً لهذا السداد . وقام الشيخ الذي كان يثبت دائماً أنه رجل عملي وناجح بسداد التزامه هذا قبل حلول موعد السداد بسنة كاملة .

وقد حدثت حادثة في ضيعة الشيخ بفاو أدت إلى شيء من الاضطراب في ذلك الوقت وإن لم تكن لها أية دلالة سياسية ، ففي ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٤ جاء وكيل زراعة الشيخ إلى قائد سفينة صاحب الجلالة «ميرلين» بجثة رجل وإمرأة عربيين وثلاثة من جنود الجاندرمة الأتراك زعم أنهم قتلوهما ، لكن قائد السفينة «ميرلين» رفض أن يتسلم هؤلاء الثلاثة الذين ألقى الوكيل القبض عليهم ، واعتبرت الحادثة منتهية .

وفي سنة ١٩٠٤ وبعد زيارة لورد كيرزون التفتيشية لخور عبدالله رفعت حكومة الهند إلى حكومة صاحب الجلالة رغبتها الحارة في عدم السماح لأية دولة أجنبية ليست موالية للنفوذ البريطاني بوضع يدها على أي من جانبي هذا الخور ، فهو أنسب الأماكن لنهاية الخط الحديدي من بغداد إلى الخليج . كما اثيرت مشكلة جزيرة بوبيان التي كان شيخ الكويت يؤكد أنها تابعة لإمارته فيما الحكومة البريطانية تعتبر احتلال الأتراك لها خرقا للاتفاق القائم على إبقاء الاوضاع كما هي في الكويت . وكانت إثارتها بالوسائل الديبلوماسية في القسطنطينية ، ولكن لم تتح فرصة مناسبة لجلاء الأتراك عن هذه الجزيرة وبقيت حاميتهم فيها .

علاقات الكويت بتركيا ووسط الجزيرة العربية
خلال نفس الفترة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

وساطة شيخ الكويت بين السلطات التركية وابن سعود فبراير ١٩٠٥ :

تحدثنا في تاريخ نجد عن كيفية ارسال قوة تركية في مايو سنة ١٩٠٤ من العراق لمعاونة ابن رشيد ، وكيف لقيت الهزيمة على يد ابن سعود وحلفائه بالقصيم في الصيف التالي ، وكيف أن الأتراك أعدوا في شتاء ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ حملتهم الثانية التي أفزعت ابن سعود حتى جعلته يعقد اتفاقية يوافق بمقتضاها على أن تحتل القصيم قوات عثمانية . ويكفي هنا القول بأن هذه الاتفاقية قد تم التوصل اليها أساساً عن طريق الشيخ مبارك شيخ الكويت الذي قبل دور الوسيط على غير توقع حيث عقد اجتماعان لهذه المباحثات على الحدود بين الكويت والعراق الأول في صفوان بتاريخ ٨ فبراير والثاني قرب آبار القشعانية في ١٣ منه بين ابن سعود ومخلص باشا الوالي المعين حديثاً في البصرة و شهد كلا الاجتماعين الشيخ مبارك مع حرس كثير لكنه رفض بعد أن اجتمع الطرفان معاً أن يقوم بدور إيجابي في مفاوضاتهما .

وكان استخدام الشيخ مبارك في مراسلاته الخاصة بهذا الصدد للقب «حاكم الكويت وشيخ قبائلها» بدلا من «قائمقام الكويت» يثير استياء تركيا، لكن هذا لم يؤثر على سير المحادثات . وقد اقترح الوالي في أحد هذه الاجتماعات إرسال مسئولين مدنيين وقوات تركية إلى الكويت لكن الشيخ مبارك رفض ذلك العرض كما ثبت لاحقاً مبيناً أنه ملتزم بالولاء لارتباطاته مع الحكومة البريطانية .

العلاقات التالية للشيخ مبارك بالباب العالي ١٩٠٥ـ١٩٠٧ :

ولعلّ الخدمات التي أداها الشيخ مبـــارك جعلت علاقته بالسلطات التركية في البصرة من سنة ١٩٠٥ فصاعداً علاقة أكثر

وداً . وفي أغسطس ١٩٠٥ ساهم الشيخ بمبلغ ٤٥٠ ليرة عثمانية لبناء ثكنات تركية جديدة في البصرة ، وحين قبلت هذه العطية من جانبه أعلن الشيخ ولاءه للسلطان ووعد بدفع ٢٠٠ ليرة عثمانية أخرى . وفي ١٩٠٥ بدأ سيل من الجنود والضباط الأتراك الهاربين من نجد يتدفق على الكويت فكانوا يصلونها في حالة تعسة ، وكان الشيخ مبارك يأمر بإطعامهم ومساعدتهم في السير إلى البصرة ، وكان عدد هؤلاء اللاجئين في مارس سنة ١٩٠٦ حوالي ٥٠٠ رجل . وفي أغسطس من نفس السنة وصل الفريق صدقي باشا بنفسه ومعه حرس من حوالي ١٥٠ رجلا ، وفي ديسمبر وصل فوج جديد من ٨٠٠ رجل كان هو آخر ما تبقى من قوة الاحتلال التركية في القصيم المجاورة للكويت ، ولم يسمح الشيخ لهذا الفوج الاخير بدخول الكويت ربما لخوفه من ان يحاول احتلالها . وفي سبيل جمع وإعادة ذلك الحشد المشرد أصدرت السلطات التركية امرها باطلاق سراح عبدالعزيز وكيل شيخ الكويت في العراق التركي الذي كان مسجوناً وتدخلت السلطات البريطانية لتخفيف مدة سجنه ، وسمح له بالسفر إلى الكويت ، ثم سمح له بعد ذلك بالإقامة تحت المراقبة في العراق . ولم تكن ثمة خشية من هربه نظراً لوجود أملاكه في العراق التركي.

ومن خريف سنة ١٩٠٥ حتى ربيع سنة ١٩٠٧ كان البريد التركي الرسمي بين العراق والأحساء ينقل عن طريق البر عبر الكويت بدلا من نقله بواسطة باخرة بريطانية عبر البحرين كما كان متبعاً . غير ان الشيخ مبارك رفض تماماً الدخول في أية اتفاقيات بشأن هذا البريد أو أن يكون مسئولا عن تأمينه ، واخيراً رجع البريد إلى طريقه القديم . وفي أغسطس سنة ١٩٠٦ أعلن أن الشيخ مبارك قد أسهم بمبلغ ٥٠٠ ليرة عثمانية لميزانية سكة حديد الحجاز ، لكن هذا المبلغ لم يكن أول تبرع من جانبه للمشروع ، إذ سبق أن تسلم بالفعل في يناير سنة ١٩٠٤ الوسام الذي يمنحه السلطان لكبار المتبرعين له .

علاقات الشيخ مبارك بوسط الجزيرة بين ١٩٠٥–١٩٠٧ :

وبعد سنة ١٩٠٥ ظلت العلاقات الودية سائدة بين شيخ الكويت وأمير الوهابيين ، وكان الاول قد بدأ في سنة ١٩٠٦ اتخاذ الإجراءات لعقد صلح في نجد طلبه ابن رشيد . وبعد موت يوسف بن عبدالله بالقرب من حائل في يناير سنة ١٩٠٦ بدا من جانب شيخ الكويت نوع من التعاطف مع أمير شمر . وفي مارس سنة ١٩٠٦ بدا أن الشيخ مبارك (او هكذا زُعِمَ على الأقل) يحاول مشروعاً خيالياً لتقسيم ودي لوسط الجزيرة بحيث يصبح جبل شمر وما حوله ملكاً لابن رشيد ، ومعظم اجزاء نجد الجنوبية لابن سعود ويستولي هو لنفسه على القصيم وأملاك الوهابيين في سدير والوشم .

وفي يوليو سنة ١٩٠٦ نجحت جهوده الودية لتحقيق السلام ، وبدأت قوافل الحج تخرج من الكويت إلى مكة ، بعد أن انقطعت بعد الحروب في نجد . وفي سنة ١٩٠٦ بلغ عدد الخارجين للحج أكثر من الفي نسمة .



علاقة الكويت ببريطانيا العظمى
١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

وعلى رغم توقف الأعمال العدائية بين شيخ الكويت والأتراك ظلت علاقة الشيخ بالحكومة البريطانية وممثليها في الكويت ظلت علاقة ممتازة . وكان الاستثناء الوحيد لذلك سوء تفاهم محدود وقع نتيجة التبليغات التي قدمها كابتن نوكس بأوامر من الحكومة متعلقة بتجارة الاسلحة في الكويت ، والحديث عن هذه الازمة وارد في الملحق الخاص بموضوع تجارة السلاح .

مشكلة العلم الكويتي :

ووقعت مشكلة جذبت اليها الاهتمام وقتاً ما في سنة ١٩٠٧ لكنها ظلت بلا حل ، وهي ضرورة قبول شيخ الكويت علماً مميزاً عن العلم التركي . ففي سنة ١٩٠١ قدم اقتراح بضرورة استحداث علم غير العلم التركي وذلك لعدة أسباب ، أهمها التناقض بين منع القوات التركية من النزول إلى أرض الكويت ورفع العلم التركي فوق هذه الارض في نفس الوقت . وارتأت الحكومة ضرورة رفع الشيخ العلم العربي الأحمر ، لكن الشيخ قال انه —ومن قبله أبوه وجده— رفعوا العلم الموجود عليه الهلال رمزاً للإسلام لا لتبعية تركيا . ولكن جاءت الاتفاقية التي عقدت بين الحكومة البريطانية والباب العالي في سبتمبر سنة ١٩٠١ لإبقاء الحالة الراهنة في الكويت كما هي لتضع حلا لهذه المشكلة — وقتاً ما .

وفي سنة ١٩٠٤ ومن جرّاء مناقشات سنشير اليها فيما بعد متعلقة بحماية الرعايا الكويتيين في إيران تجدّدت مشكلة علم الكويت ، وصدرت اوامر حكومة صاحب الجلالة بالتفاهم مع الشيخ حول هذا الموضوع في يوليو سنة ١٩٠٥ . وأفصح الشيخ آنئذ عن رغبته في أن يكون له علم مميز عن العلم التركي عليه الهلال نفسه ولكن مضافاً اليه كلمة «الكويت» ، كما طلب أيضاً شهادات بهذه الجنسية للسفن التابعة للميناء .

وفي مارس سنة ١٩٠٦ تردد الشيخ نظراً لعدم وجود أي ضمان بعدم مضايقة سفنه في الموانى التركية في أن تستخدم الحروف اللاتينية في العلم ووافق على ضرورة أن تكون كلمة «الكويت» مكتوبة باللغة العربية ، ووافقت حكومة صاحب الجلالة على العلم المقترح للكويت بعد أن تم أخيراً الاتفاق عليه ، ولكن مرة أخرى عاد الشيخ في سبتمبر سنة ١٩٠٦ يقول إنه حتى التغيير الطفيف الذي أدخل على العلم قد يدفع السلطات

في الموانى التركية إلى مضايقة سفن الكويت كما طلب ضماناً من الحكومة البريطانية بهذا الصدد . ومرة أخرى رفعت حكومة الهند هذا الأمر إلى حكومة صاحب الجلالة .

استكشافات أرضية ومسح بحري ١٩٠٤–١٩٠٧ :

وقد تم انتهاز فرصة موافقة شيخ الكويت على هذا بعد تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت للحصول على المعلومات الدقيقة فيما يتعلق بما يحيط بالكويت براً وبحراً . وفي ديسمبر سنة ١٩٠٤ خرجت جماعة من الضباط المسهمين في هذا الدليل عن طريق البر بصحبة كابتن نوكس إلى الحدود الكويتية التركية ، وانتهزت هذه الفرصة لإجراء عملية مسح واسعة من الجهرة والسواحل الشمالية لخليج الكويت إلى موقعي صفوان وأم القصر على الحدود التركية . وفي إبريل ١٩٠٥ قام كابتن نوكس بجولة جنوبي الكويت ووصل في إبريل سنة ١٩٠٥ إلى خفار ، الموقع البعيد الهام الذي لم يكن اوربي واحد قد وصل اليه من قبل على الحدود بين إقليم الكويت ووسط الجزيرة ، وفي كلتا الرحلتين قدم الشيخ مبارك للكابتن نوكس حرساً من البدو . وفي شتاء ١٩٠٦–١٩٠٧ قام الوكيل السياسي برحلتين هامتين جنوبي الكويت وقد امكن أن تصحبه السيدة نوكس في رحلته الاولى منهما .

وقد بدأت سفينة صاحب الجلالة «انفستجيتور» عملية مسح بحري لخليج الكويت في نوفمبر سنة ١٩٠٤ ، واستمرت موسماً بعد آخر حتى تم العمل في نوفمبر سنة ١٩٠٧ .



علاقة الكويت بايران ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

إدارة الجمارك الامبراطورية الايرانية تضطهد رعايا الكويت ١٩٠٤ـ١٩٠٥ :

في سبتمبر سنة ١٩٠٤ ساد السخط الشعور العام في الكويت نتيجة استيلاء الباخرة الإيرانية المخصصة للعوائد «مظفري» على سفينتين صغيرتين تابعتين للكويت بغير مبرر ، وعمت الشكوى في ذات الوقت من تدخل مسئولي إدارة العوائد التي كان أعيـــد تنظيمها مؤخراً في أعمال أصحاب القوارب الكويتيين على الساحل الإيراني واضطهادهم . ولم يكن الزعم بأن هذه القوارب الكويتية تعمل في تصدير الأسلحة إلى إيران زعماً بلا أساس ، لكن اضطهاد هذه السفن الكويتية بلغ حداً جعل من المحتم أن ترفع حكومة الهند الأمر إلى وزير الدولة وإلى الوزير البريطاني المفوض في طهران .

وضع وحماية رعايا الكويت في إيران ١٩٠٤ـ١٩٠٦ :

وفي مارس ١٩٠٥ ناقش الوزير البريطاني المفوض في طهران مشكلة رعايا الكويت في إيران بعد ظهور تلك المشاكل مع الحكومة الإيرانية وشرّع سير أ. هاردنجز أن الكويت ليست بحكم الأمر الواقع الفعلي تابعة لتركيا . وليس لهذه أية سيطرة على الكويت . وقد حاول بتعليمات من حكومة صاحبة الجلالة أن يكسب الرعايا الكويتيين في إيران نفس المكانة والاحترام اللذين تعامل بهما بريطانيا رعايا أفغانستان أي «قبول التوصيات والرغبات الودية من جانب حكومة بريطانيا تجاههم» ، ولكن بدا أن الحكومة الإيرانية برغم أنها لا تعارض تدخل الممثلين القنصليين والدبيلوماسيين البريطانيين من أجل رعايا الكويت إلا أنها لا تود أن تضع هذا التدخل موضع التنفيذ خشية إغضاب الحكومة التركية التي قام ممثلها فعلا بالاحتجاج لدى الحكومة الإيرانية على تدخل المقيم البريطاني في بوشهر في أمور الكويتيين . وأخيراً أصدرت الحكومة الإيرانية اوامرها للمدير العام للجمارك في بوشهر بألا

يعامل سفن الكويت هذه المعاملة الخشنة حتى لا تبدو مشكلة السفن الكويتية واضحة على مثل هذا النحو ، ولكن عليه في نفس الوقت ألا يعترف بتدخل المقيم السياسي البريطاني في قضايا الرعايا الكويتيين . وحتى سنة ١٩٠٧ لم يتم التوصل إلى أية اتفاقية لتسوية هذا الامر .

صداقة بين الشيخ مبارك وشيخ المحمرة :

وقامت علاقة صداقة وثيقة بين الشيخ مبارك شيخ الكويت والشيخ خزعل شيخ المحمرة ، لكن الاساس الذي قامت عليه هذه الصداقة لم يكن واضحاً ، إلا إذا كان هذا الاساس هو تشابه وضعهما السياسي . وقد قام الشيخ مبارك بعدة زيارات للمحمرة والفيلية .

★ ★ ★

علاقات الكويت بالدول الاوربية سوى بريطانيا العظمى ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

وبعد سنة ١٩٠٤ لم تفصح أية دولة اوربية باستثناء بريطانيا العظمى عن اهتمام واضح بأمور الكويت .

وفي سبتمبر ١٩٠٤ وعقب وصول كابتن نوكس مباشرة إلى الكويت تلقى الشيخ تبليغاً من البصرة بأن يحاول الاستفادة من وجود بعض المسئولين الروس ممن كانوا حينذاك بالبصرة محاولاً الاستعانة بهم للتوصل إلى تسوية مع تركيا ، وأضيف إلى ذلك أن الحكومتين الروسية والفرنسية تتعهدان بضمان هذه التسوية إذا ما وافق الشيخ على قبول قنصل روسي وآخر فرنسي في الكويت . ولم يتم التعرف على المصدر الفعلي وراء هذا الاتصال الذي رد عليه الشيخ مبارك رداً رسمياً بلا معنى . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٥ وصل مستر باهنسون ممثل شركة ووكهاوس وشركاه في البحرين إلى الكويت لبحث أحوالها التجارية ، غير أن الشيخ لم يسمح له بأن يقيم فيها طويلا .

الاحوال الداخلية في امارة الكويت
١٩٠٤ ـ ١٩٠٧

لم تكن السلطات البريطانية قبل تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت تبدي اهتماماً كبيراً بشئون الكويت الداخلية لكنه بعد ذلك التعيين أصبحت السلطات تمارس الاهتمام بشئون الكويت بقدر ما تفيد مصالح بريطانيا من الرخاء العام في الكويت واستقرار حكومتها ، وكان واضحاً أنه ما من أحد يستطيع إدارة شئون الكويت الداخلية أفضل من الشيخ مبارك .

وقد مات اثنان من ابناء الشيخ مبارك في سنة ١٩٠٦ أحدهما ابنه الاصغر فهد الذي كان ارسل قبل عامين للعلاج في الهند . وكان الهدف من انشاء مستوصف إلى حد ما العناية بابن الشيخ .

الشئون المالية :

ورغم التزايد العظيم في تجارة الكويت فقد زاد الشيخ كل الضرائب مما أثار بعض التذمر ، وقد رفعت العوائد الجمركية بشكل خاص ولكن بذلت جهود كثيرة لتقديم بعض التسهيلات للتجار مثل إعداد مخزن حجري كبير لبضائعهم مزود بالحراس وجميع وسائل الأمن. وكان قسم العوائد على العموم يدار إدارة جيدة تحت اشراف عبيد الشيخ مبارك ، كما رفعت ضرائب التصدير والاستيراد على البضائع التي تستخدم طريق البر . وفي سنة ١٩٠٧ تواترت الشكاوى من ضرائب جديدة باهظة فرضها الشيخ على المواطنين الذين ذهبوا إلى الحج حين عودتهم . وكانت أخطر شكوى من دافعي الضرائب تتمثل في الطلب الذي طلبه الشيخ في يناير ١٩٠٧ من أصحاب البيوت المقامة على ارض قدمها الشيخ مجاناً . وكان جزء كبير من المدينة يتشكل منها . فقد طلب لمن شاء الإحتفاظ ببيته أن يدفع ثلاثة ارباع قيمة المباني ثمناً للارض ،

أو ان يقبل ربع هذهالقيمة ويخلي المنزل . وكانت هذه الضرائب الباهظة سمة من سمات الإدارة في الكويت ، ولم تكنأسبابها الحقيقية واضحة خاصة أنها فرضت في وقت ساد فيه الرخاء والإزدهار. في ١٩٠٦–١٩٠٧ اشترى الشيخ مبارك يختاً بخارياً بما قيمته مائة الف روبية ، وربما كان ثمن هذا اليخت ناهيك عن نفقات صيانته أحد أسباب الأزمة المالية التي واجهها الشيخ منذ ذلك الوقت .

شئون القبائل :

وكانت أمور القبائل في الكويت مستتبة بحيث إننا لم نسمع عنها شيئاً ، وكانت المعارضة لما يريده الشيخ مبارك من القبائل الواقعة تحت نفوذه معارضة لا تذكر . وقريباً من نهاية فبراير ١٩٠٧ أغار بعض أفراد قبيلة عجمان على العـــــرب المقيمين في الصحراء حول مدينة الكويت ممن هم في حمايتها مباشرة . غير أن الشيخ مبارك شرع فوراً في الرد على هذه الغزوة لولا أن أعلن أهل القبيلة خضوعهم ووعدوا بدفع التعويض كاملا وسلموا محمد بن حثلين ، أحد شيوخهم وكان حينذاك سجيناً في الكويت. وقد أدى تجنيد السكان لأداء الخدمة العسكرية ضد قبيلة عجمان ، وفي مناسبة أخرى جمع الزكاة من مختلف قبائل البدو إلى إثارة شيء من الاستياء من الشيخ في مدينة الكويت .



ملحق رقم (١) اتفاقية شيخ الكويت بصدد عدم قبول ممثلين لاى دولة أجنبية ، وعدم التنازل عن أى أرض اقليمية لاية دولة أجنبية ، أو لرعاياها ٠ ٢٣ يناير ١٨٩٩

إن الغرض من كتابة هذه الاتفاقية المشروعة المعظمة هو النص على أنه قد تم الاتفاق بين العقيد مالـــكولم جـون ميـــــد المقيم السياسي لحكومة صاحبة الجلالة ممثلا للحكومة البريطانية طرفاً أول وبين الشيخ مبارك بن الشيخ صباح شيخ الكويت طرفاً ثانياً ، على أن الشيخ المذكور مبارك بن الشيخ صباح قد تعهد وهو في كامل حريته وإرادته هو وخلفه ومن يعقبه بألا يستقبل وكيلا أو ممثلا لحكومة دولة أجنبية في أرض الكويت أو سواها داخل حدوده الاقليمية دون موافقة مسبقة من جانب الحكومة البريطانية .

كما يتعهد الشيخ أيضاً هو وخلفه ومن يعقبه بألا يبيع أو يتنازل أو يؤجر أو يرهن أو يتنازل بأى شكل آخرمن أشكال التنازل عن أي جزء من اراضيه الإقليمية للاحتلال أو ســـواه من الأغراض من قِبَلِ حكومة او رعايا أية دولة أجنبية أخرى دون موافقة مسبقة من حكومة صاحبة الجلالة على أهداف هذا التنازل . وتمتد هذه الاتفاقية لتشمل أي جزء من إقليم الشيخ مبارك المذكور يكون اليوم في ملكية رعايا أية حكومة أخرى .

وقد وقع هذه الوثيقة القانونية الواجبة الاحترام كل من العقيد مالـــــكولم جـــــون ميـــــد المقيم السياسي لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية في الخليج والشيخ مبارك بن الشيخ صباح . الاول ممثلا للحكومة البريطانية والثاني ممثلا لنفسه ولعقبه ومن يخلفه . وكلاهما وبحضور الشهود مهـــــر هذه الوثيقة بتوقيعه في اليوم العاشر من

مضان سنة ١٣١٦ الموافق اليوم الثالث والعشرين من يناير ١٨٩٩ .

توقيع : م. ج. ميد . خاتم : مبارك آل صباح

المقيم السياسي في الخليج

الشهود

توقيع : أ. ويكهام هور . خاتم : محمد رحيم بن

كابتن بجيش الامبراطورية عبد النبي سفير

توقيع : ج. كالكوت جاخكين .



خطاب مرفق بنص الاتفاقية المذكورة

في ٢٣ يناير ١٨٩٩ .

من العقيد م. ج. ميد المقيم السياسي في الخليج .

إلى الشيخ مبارك بن صباح ، شيخ الكويت .

بعد التحية . نظراً لاتمام توقيع الاتفـــاقية التي أسعدنا إبرامها بينكم ، الشيخ مبارك بن صباح ، ممثلا لنفسه ولخلفه ومن يعقبه ، من ناحية ، وبيننا ممثلي حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فانني أوكد لكم بصفتكم حاكماً للكويت نوايا الحكومة البريطانية الطيبة نحوكم ونحو خلفكم ومن يعقبكم ما دمتم ملتزمين أنتم وخلفكم ومن يعقبكم بتنفيذ الوثيقة المشار اليها بدقة وإخلاص .

وسترسل ثلاث نسخ من هذه الوثيقة إلى الهند للتصديق عليها من قبل صاحب العظمة كيرزون لورد كدلستون ، نائب صاحبة الجلالة الامبراطورية والحاكم العام في الهند ، ولدى وصولها ساسلم لكم

نسخة بعد التصديق عليها ، كما أنني سأتخذ من جانبي الإجراءات اللازمة لارسال مبلغ ١٥ الف روبية لكم من الخزانة البريطانية كما جرى الاتفاق بيننا . وإن من أهم الشروط لتنفيذ هذه الاتفاقية هو بقاؤها في سرية مطلقة ، وألا تعلن أو تذاع بأي شكل دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية .



الفصل الثامن

تاريخ نجد ووسط الجزيرة العربية ★

الحركة الوهابية

يبدأ التاريخ الحديث لوسط الجزيرة العربية بقيام الوهابيين الذين أصبحوا هم الذين يحددون سَيْرَ الأحداث فيها إلى حد كبير . ولهذا فمن الضروري ونحن نهتم بتناول هذة الحقبة التاريخية ان نشير إلى أصل الحركة الوهابية .

---

(١) هذه هى أهم المصادر الرئيسية لتاريخ نجد : كتاب كورانزس « تاريخ الوهابيين » سنة ١٨١٠ ، وكتاب سادلر : « يوميات رحلة عبر جزيرة العرب ·· سنة ١٨١٩ » المنشور سنة ١٨٦٦ ، وكتاب مينجن « تاريخ مصر في ظل حكم محمد على ·· » سنة ١٨٢٣ (لم أتمكن من الحصول على هذا الكتاب ··) وكتاب بيركهارت : توطئة لدراسة تاريخ الوهابيين ·· » · ١٨٣٤ · « مختارات بومباى » المجلد (١٤) ، « الخليج ··» ١٨٥٦ · كذلك كتاب بالجريف : «حكاية رحلة استمرت سنة في وسط وشرق جزيرة العرب ·· ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣ ·· » المنشور في سنة ١٨٦٥ · وتقرير الرائد ل· بيلى « تقرير عن رحلة الى الرياض عاصمة الوهابيين » سنة ١٨٦٦ ، وكتاب الرائد أ· روس « ذكريات في نجد ·· » الموجود في التقرير الادارى للخليج عن سنة ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠ · وكتاب مستر س· م· دوتى : « أسفار في صحارى الجزيرة ·· » ١٨٨٨ · وكتاب البارون أ· نولد « رحلة في جزيرة العرب ـ بالالمانية ·· » سنة ١٨٩٥ · وتلخيص مستر أ· ج· سالدنها : « ملخص أحوال نجد ·· » ١٨٠٤ ـ ١٩٥ · وفي كتابات مستر س· هيوبر بعض المعلومات التاريخية المتعلقة بنجد ·

مؤسس الوهابية :

إن المعلومات التي تتوفر عن مؤسس جماعة الوهابيين رغم أنه عاش منذ قرن ونصف فقط ، ورغم أن الاهتمام كان منصبّاً منذ البداية إلى النتائج السياسية لأعمال الوهابيين– نقول إن المعلومات المتوفرة المتفق عليها قليلة والباقي نهب الروايات المتضاربة . فمن المتفق عليه أنه خرج من بني تميم وهي قبيلة زراعية قوية في نجد ، وتحدد سنة ١٦٩١ كسنة ميلاده . أما شرف المكان الذي ولد فيه فمتنازع عليه بين مدينة حوطة في الجنوب وقرية عيينه في وادي جنيعه بل حتى اسمه مختلف عليه ، فيقول البعض إنه عبدالوهاب ويؤكد البعض الآخر أن عبدالوهاب هو اسم أبيه . وأنه هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان . وقد تلقى العلم في الخارج في البصرة ودمشق وربما غيرهما لكنه عاد اخيراً إلى بلده حيث بدأ في سنة ١٦٧٢ يدعو إلى التعاليم التي اعتنقها خلال دراسته ، وتقول الرواية التي تحدد مسقط رأسه بقرية عيينه إنه بدأ في دعوته العامة يواجه معارضة اضطرته لنقل نشاطه إلى مدينة الدرعية المجاورة . لكن كل المصادر تجمع على أن السنوات الاخيرة التي قضاها بالدرعية كانت السنوات التي بلغ فيها نفوذه أقصاه ، وقيل إنه تزوج عشرين مرة وكان له ثمانية عشر ابناً ، ويحدد يوم ١٤ يونيو سنة ١٧٨٧ يوماً لوفاته .

الدعوة الوهابية في جانبها الديني الاصلي :

وكانت حركة الوهابيين في بدايتها حركة دينية خالصة ، لكنها اكتسبت بعد ذلك بفعل الظروف من حولها طابعاً دنيوياً وسياسياً . وفي البداية كانت هذه الدعوة دعوة إصلاحية بالنسبة للدين الإسلامي وممارسته ودعوة للعودة إلى الحياة الإسلامية الأولى في رهدها وبساطتها ، واتخذت الحركة في جوهرها طابع الاحتجاج على الخرافة والترف في العالم الإسلامي . ومن المتفق عليه بشكل عام أن الدعوة الوهابية ملتزمة تمام الالتزام بما جاء بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي المعترف به ،

والاختلاف بين الوهابي المخلص والمسلم العادي إنما يرجع لأن هذا الأخير بعيد عن التمسك بروح الدين الإسلامي أكثر مما يرجع لانحراف الأول عن هذا الدين .

الوهابية في جانبها السياسي فيما بعد :

وكان تزايد المؤمنين بهذه الدعوة في وسط الجزيرة من جرّاء فشلها في أن تلقى القبول في مكان غيرها قد جعل لها في نجد أهمية سياسية وقومية ، بل وأهمية عسكرية أيضاً . وأدت العقيدة المشتركة إلى تهيئة الناس للخضوع لسلطة إدارية واحدة وهي سلطة أخضعت الأفراد للشريعه وجمعتهم من المدن والأقاليم في إمارة واحدة متماسكة ومنظمة . ولما تحققت هذه الوحدة الداخلية دفعت الحماسة العسكرية هؤلاء الأفراد إلى التفكير في نشر عقيدتهم خارج حدود إمارتهم ، وربما داعب طموحهم أيضاً انتشار عقيدتهم حتى اقاليم البحر الأحمر والحجاز واليمن ، أما الصراعات العنيفة التي سرعان ما بدأت بين الوهابيين والقوى المختلفة من جيرانهم ، والتي استمرت باستمرار دعوتهم إلى عقيدتهم هذه فلا نستطيع أن نعتبر أياً من الجانبين المتصارعين مسئولا عنها مسئولية كاملة . فالوهابيون من جانبهم كانوا متعصبين أشد التعصب خاصة ضد الأتراك الذين كانوا يعتبرونهم غير مسلمين من حيث أخلاقهم ومظاهر حياتهم ، في حين أن خصومهم — الذين كانوا يعرفون ما في الدعوة الوهابية من صدق منطقي كانوا يسخطون على تمسك الوهابيين بأهداب الدين والفضيلة ويلجأون إلى مختلف اساليب سوء التفسير والتصوير . والنتيجة هي أن كلا من الجانبين كان يخرج الآخر عن الإسلام وكان الوهابيون يعلنون بروح أكثر ميلا إلى الحرب أن ارواح أعدائهم وممتلكاتهم حلال لهم بحكم خروجهم على الدين ، وسيضطلعون هم (أي الوهابيون) بتنفيذ هذا الحكم .

ومن ناحية أخرى يجب أن نعترف بأن معظم الذين تزعموا معارضة الحركة الوهابية كانو أشخاصاً مثل أشراف مكة ، تهدد هذه الحركة مصالحهم المادية ، وتهاجم مصادر هيبتهم باعتبارهم قيمين على أضرحة الاولياء . ومن ناحية أخرى يجب القول بأن معظم الوهابيين ممن لم يتفهموا الامور في مبادئها العامة والشاملة كانوا يتصرفون بشكل يتسم دائماً بضيق الافق والجمود ، من ذلك تدخلهم في التفاصيل الثانوية مثل تحريم لبس ثياب الحرير والتحلي بالذهب وحمل المسابح وتحريم التدخين ، كذلك كانوا يعتبرون أعمال النهب والسلب ضد من لا يؤمنون بدعوتهم لا مجرد إجراء مشروع ، بل فرضاً لازماً . ولم يتصل الوهابيون الأوائل بالمسيحيين واليهود كثيراً في بداية حركتهم ولكن يبدو أن مشاعرهم نحو هؤلاء كانت أقل حدة ومرارة مما كانت عليه بالنسبة لهؤلاء الذين يعتبرونهم مسلمين كذبة .

وسوف تتضح هذه الملاحظات التمهيدية في استعراضنا المقبل لتاريخ الدولة الوهابية في نجد .



محمد بن سعود قبل سنة ١٧٦٥

كان محمد بن سعود شيخ الدرعية أول رئيس زمني يقبل تعاليم الوهابيين ويحاول أن يصلح من نظام حكمه لتحقيقها . وفي مدينته وتحت حمايته عاش محمد بن عبد الوهاب آخر مراحل حياته وأحفلها بالنشاط . ومحمد بن سعود ينتمي إلى عائلة معروفة باسم آل مقرن من فرع المساليخ من قسم ولد علي من قبيلة عنيزه ، ومن اسم ابيه اشتق الاسم البديل للعائلة فأصبحت العائلة السعودية ، وقد أطلق اسم ابن سعود —الذي ما يزال قائماً حتى اليوم— تمييزاً لأمير الوهابيين من «ابن رشيد» أمير جبل شمر آنذاك . وكان محمد بن سعود وقت اعتناقه المذهب

الوهابي على خلاف مع دحام ابن الدويش شيخ مدينة الرياض المجاورة . ومكنته القوة التي امده بها الوهابيون من التغلب على خصمه الذي اضطر إلى أن يخضع ويدفع الجزية . ثم انتقل ابن سعود بقواته إلى إقليم الأحساء شرقاً ليهاجم بني خالد —الذين كانوا يحكمون هذا الاقليم منذ حوالي مائة سنة— لكنه لم يفلح(١) .

★ ★ ★

عبد العزيز بن محمد ١٧٦٥ ـ ١٨٠٣

وخلف محمد بعد موته ابنه عبد العزيز الذي كان كثيراً ما يتولى قيادة جنود الوهابيين والذي كان قد تزوج من ابنة المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

★ ★ ★

الاحوال في نجد ١٧٦٥ ـ ١٨٠٣

حين تولى عبد العزيز حكم الوهابيين عهد بقيادة الجنود وتوجيه العمليات العسكرية إلى ابنه سعود الذي تولى هذا العمل وحقق فيه نجاحاً كبيراً .

إخضاع الرياض ١٧٧٢ :

فالرياض —بعد أن كانت تدفع الجزية— تم إخضاعها نهائياً في ١٧٧٢ ، ولجأ الشيخ دحام بن الدويش إلى الأحساء ، وضمت الرياض إلى أملاك الوهابيين .

---

(١) تقول احدى الروايات ـ ان محمدا ـ بعد أن استطاع توحيد جزء كبير من وسط الجزيرة ـ بما في ذلك جبل شمر أيضا ـ لم يشأ أن « يهدم الجبل على رأسه .. » أو بتعبير آخر أن يثير حفيظة القوى المجاورة التى تمثل خطرا . واذا كان الامر كذلك ، فلا شك في أن سياسة الحذر والانكماش هذه قد استبدلها ابنه بسياسة أخرى عدائية .

إغتيال الامير عبدالعزيز ١٨٠٣ :

ولا تشـــير التواريخ التي بين أيدينا لهذه الفـــترة من تاريخ نجد حتى تذكر اغتيال عبدالعزيز الذي حدث في الدرعية في يوم يختلف في تحديده ما بين ٤ أكتوبر و ١٢ نوفمبر ١٨٠٣ . وقد اغتيل في المسجد وقت صلاة العشاء على يدأ حد السادةالإيرانيين الذى كان الوهابيون قد قتلوا بعض أقاربه ، وقد أعدم القاتل فوراً ، وكان عمر عبد العزيز وقت مصرعه حسبما يروى ٨٢ عاماً(١) .



عمليات الوهابيين العسكرية في غرب الجزيرة ١٧٦٥ ـ ١٨٠٣

ثم ابتـدأت حركة الوهابيين المتحمسين القـوية لنشر دعوتهم ، وكان اتجاه تحركهم غرباً أكثر من اتجاهها نحو الأقاليم التركية على شاطىء البحر الاحمر .

الحرب مع شريف مكة ١٨٩٢ ــ ١٩٠٢ :

وفي سنة ١٧٩٢ أو ١٧٩٣ بدأت الأعمال العدائية بين الامير الوهابي وغالب شريف مكة الذي كانت آراؤه السياسية والدينية لا تتفق وآراءهم بطبيعة الحال . واستمرت الحرب بين الجانبين زمناً طويلا ، وتمثلت في شكل إغارات متفرقة وإغارات مضادة تقوم بها القبائل الموالية لكل من الجانبين على القبائل الموالية للجانب الآخر . وفي وقت من الأوقات رجحت كفة الشريف غالب ، فقد ظل سنة كاملة مسيطراً على

---

(١) كورانسيز في كتابه « تاريخ الوهابيين » أكثر وضوحا ، فهـــو يذكر أن القاتل ــ الذى استخدم الخنجر في تنفيذ جريمته ــ كان درويشا كرديا التحق بالخدمة العسكرية مـــع الامير عبد العزيز بهدف قتله ، لان الوهابيين ذبحوا ثلاثة من أبنائه في مذبحة كربلاء سنة ١٨٠١ .

القرية الصحراوية «لعلها شقرا» في نجد ، غير أنه استطاع الإفلات مرة أخرى من قبضة الوهابيين وهرب مع عدد قليل من أنصاره فقط إلى بيشاه . وفي سنة ١٧٩٩ استطاع سعد –ابن امير الوهابيين أن يأتي إلى مكة ومعه عدد كبير من أنصـــاره المسلحين ، وكرر هذا العمل في السنة التالية ، وتلك أعمال معناها بالمصطلح الحديث استعراضات عسكرية . وفي سنة ١٨٠١ خضعت القبائل المستقرة في إقليم الطائف لنفوذ الوهابيين ، وولى الأمير عليها شيخ البدو عثمان المضايفه الذي كان صهر الشريف غالب لكنه كان على عداء له منذ سنوات عديدة .

استيلاء الوهابيين على الطائف وقنفذه ١٨٠٢ – ١٨٠٣ :

وفي سنة ١٨٠٢ استسلمت للشيخ عثمان مدينة الطائف المسماه «بستان مكة المكرمة» وهي التي تقـــع على مسيرة يومين فقط شرقي الاماكن المقدسة ، وأعمل الوهابيون السيف في أهل المدينة حتى الأطفال والنساء ، وقبل نهاية السنة نفسها استطاع الوهابيون أن ينتزعوا ميناء قنفده على البحر الاحمر من قبضة الشريف غالب .

استيلاء الوهابيين على مكة ١٨٠٣ :

وفي إبريل او مايو سنة ١٨٠٣ وبعد دفاع استمر شهرين أو ثلاثة أشهر سقطت مكة في أيدي الوهابيين بعد أن حاصروها حتى لم يعد أهلها يجدون طعاماً أو شراباً وهكذا استولى سعود على المدينة المقدسة . وخلال إقامة الوهابيين القصيرة فيها كان مسلكهم معتدلا إلى حد كبير ، لكن القبور التي كان المسلمون يتبركون بها سويت بالأرض ، ودعا الوهابيون إلى إصلاح الأخلاق وتعديل القيم ، وقبل أن يغادروا مكة جعلوا عليها أميراً باسمهم هو عون شقيق الشريف غالب . أما الشريف غالب نفسه فقد فر حين سقطت مكة في أيدي الوهابيين إلى جده على شاطيء البحر الأحمر واعتصم بها ، وإلى هناك سارت وراءه بعض قوات الوهابيين لكنها لم تستطع أن تقهر استحكاماته فاضطرت إلى وقف

المحاولة والعودة بعد ١١ يوماً . وقد خضعت الآن للوهابيين أكثرية قبيلة حارب التي كانت تقاومهم ، كذلك خضعت لهم أيضاً ينبع وهي ميناء على البحر الاحمر ، أما المدينة فلم تستسلم بعد رغم حصارها ، وبدأ مرض الدوسنتاريا يسري في معسكر الغزاة .

الصلح ودعوة الشريف إلى مكة ١٨٠٣ :

وفي يوليو سنة ١٨٠٣ حين عادت معظم قوات الوهابيين إلى نجد رجع الشريف غالب من جدة ، وأخضع حاميتين صغيرتين كان الوهابيون تركوهما وراءهما في مكة واستعاد حكم المدينة ، لكنه بعدها أعلن خضوعه لأمير الوهابيين بشروط أفضل . فقد اعترف له الأمير بأن يظل مسئولا عن العوائد والنفوذ السياسي في المدينة ، كما استثناه هو وأهلها من دفع الجزية له . وفي مقابل ذلك تعهد الشريف بألا يأخذ رسوماً جمركية في جدة من الوهابيين .



عمليات الوهابيين العسكرية في شرقي الجزيرة ١٧٦٥ ـ ١٨٠٣

ورغم انشغال الوهابيين واهتمامهم البالغ بالأقاليم الساحلية الممتدة على البحر الأحمر ، كانت طاقاتهم ومصادرهم تسمح لهم أيضاً بأن يستعرضوا نشاطهم على طول الساحل العربي من الخليج حيث حققت دعوتهم انتصاراً واضحاً .

هجوم الوهابيين على الكويت ١٧٩٣ ـ ١٧٩٥ :

وخلال الفترة من ١٧٩٣ الى ١٧٩٥ وفي الوقت الذي انتقلت فيه الوكالة البريطانية موقتاً من البصرة إلى الكويت شن الوهابيون عدة غارات وهجمات على مدينة الكويت ، لكنهم لم يحققوا أي نجاح ، وقد أشرنا إلى بعض تفاصيل هذه الأعمال العدوانية في تاريخ إمارة

الكويت ، أما طبيعة العلاقات القائمة بين ممثل الحكومة البريطانية في الكويت وأمير الوهابيين فتكتنفها الشكوك . فمن ناحية ، تردد أن الهدايا كانت تحمل بانتظام إلى أمير الوهابيين الذي كان من جانبه يقوم بتوفير الحماية لخط البريد الصحراوي البريطاني إلى أوربا(١) . وقد قيل من الناحية الأخرى إن الوكالة البريطانية في الكويت قد ساعدت أهل الكويت في صد هجمات الوهابيين وأبدى الأمير عبد العزيز بعدها دلائل سخطه واضحة . وفي ١٧٩٨ — ١٧٩٩ كذلك في سنة ١٨٠٢ سارت حملات الأتراك على الوهابيين عبر الكويت كما سنرى .

فتح الوهابيين للإحساء :

وتم للوهابيين فتح إقليم الاحساء تماماً في سنة ١٧٩٥ بعد أن خضع معظمه في ١٧٩٢ ، ووضع الإقليم تحت حكم أفراد من الوهابيين وغيرهم من الدعاه . وهكذا أصبحت الأحساء قاعدة لمنطلق الوهابيين نحو التوسع في شرق الجزيرة ، وبعدها بعدة سنين كما سنرى أصبحت الاحساء ارض المعركة الأولى بين الوهابيين والاتراك .

تدخل الوهابيين في شئون البحرين ١٨٠٢ — ١٨٠٣ :

وبمجرد أن تدعم مركز الوهابيين في الاحساء ، بدأوا يحاولون مد نفوذهم إلى البحرين ، ومن خلال مساعداتهم كما هو مذكور في تاريخ البحرين استطاع العتوب حكام البحرين أن يصدوا السيد سلطان مسقط عن اتخاذ قواعد دائمة له في الجزر . وفي ١٨٠٣ يبدو أن شيخ البحرين سلمان بن أحمد قام بزيارة أمير الوهابيين ومعه مبلغ من المال لدفعه كجزية ، غير أنه اعفى من هذا الدفع .

ومن الأحساء أيضاً خرجت قوات الوهابيين يقودها حريق وهو

---

(١) حسب ما يذكره كورانزس (ص ٥٠) فقد تعهد الامير بحماية البريد البريطانى طالما ظل الصلح قائما بينه وبين باشا بغداد . لكنه أمر بقتل رجل — على أى حال — لانه حاول التعرض لهذا البريد .

عبد نوبي إلى واحة البريمي وتمت له السيطرة عليها واحتلالها بهدف مواصلة العمل مستقبلا ضد إمارات عمان المتصالحة وسلطنة عمان ، وتفاصيل عملياتهم في هذا الاتجاه مذكورة ضمن تواريخ مختلف الإمارات المعنية . وفي منتصف ١٨٠٢ امتد النفوذ الوهابي على طول الساحل من جوار الكويت إلى دبي .

احتلال الوهابيين للبريمي وعلاقتهم بعمان ١٨٠٠ ـ ١٨٠٣ :

وفي سنة ١٨٠٣ ، وفي أعقاب العون الذي قدمه السيد سلطان مسقط لعدوهم الشريف غالب شريف مكة ، قام الوهابيون باعلان الحرب على السلطان ، واستطاعوا بإرغام العتوب في الكويت والبحرين والقواسم في رأس الخيمة على مهاجمته في البحر أن يضعوا سلطان عمان في مأزق خطير . ولكن تم الصلح بعد ذلك مباشرة على أن يدفع السلطان جزية سنوية قدرها ١٢ الف روبية لأمير الوهابيين ، ويسمح بوجود ممثل سياسي لهم عنده . لكن هذا الصلح سرعان ما خرقه الوهابيون الذين يبدو أن هدفهم كان إخضاع عمان إخضاعاً تاماً بطريق الغزو ، لكن أخبار اغتيال الامير عبد العزيز التي وصلت في نهاية هذه السنة ، ارغمتهم على أن يوقفوا نشاطهم هذا زمناً . وفي نفس الوقت كان السيد بدر الذي خلف السيد سلطان على مسقط فيما بعد قد ترك عمان ولحق بالوهابيين .



عدوان الوهابيين على العراق التركي ١٧٦٥ ـ ١٨٠٣

اغارات الوهابيين على حدود العراق ١٧٨٤ـ١٧٩٨ :

منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٧٨٤ بدأ الوهابيون يثيرون الفزع في قلوب حكام العراق الأتراك . وخلال السنوات العشر التالية تزايد

خطرهم تزايداً مطرداً ، وكانت هجماتهم التي يشنونها على أماكن بعيدة كل البعد عن الموقعة تحقق النجاح في معظم الأوقات . وكانت السرعة التي يستطيع بها الوهابيون حشد قوة ما ، ثم السرعة التي تنطلق بها هذه القوة في سبيلها إلى هدفها ، أمراً يندهش له دائماً العثمانيون الذين تميزت عملياتهم بالبطء ، وأصبح الريف والقرى والمدن الصغيرة على الحدود الغربية للعراق هدفاً سهلاً لغارات الوهابيين لا سيما منطقة النهاية السفلى لإقليم البصرة ، وفي بعض الأحيان ونظراً لان باشوية بغداد لم تكن تستطيع أن تقدم الحماية اللازمة كان الأهالي يدفعون للوهابيين الأتاوات التي يطلبونها منهم .

وقد قضى الوهابيون على قوة قبيلة بني خالد التي كان يمكن أن تصدهم عن هذا الزحف أثناء فتحهم للأحساء سنتي ١٧٩٢ و ١٧٩٥ ، ومن ذلك الوقت فصاعداً راح الباب العالي يتخذ من الإجراءات ما يكفل سيادته على ممتلكاته . خصوصاً أن تآمر شريف مكة ، وشكاوى الحجاج الإيرانيين وغيرهم من الحجاج قد دفعت الباب العالي إلى الإسراع بالعمل .

الحملة التركية الاولى على الوهابيين ١٧٩٨–١٧٩٩ :

ولمدة سنتين او ثلاث سنوات ظل الباب العالي عاجزاً عن إقناع ممثله في بغداد الذي لم يكن آنذاك سوى الرجل القوي والنشيط سليمان باشا بإعداد حملة على الوهابيين ، ولكن أخيراً في سنة ١٧٩٨ وبعد أن أصبحت غارات الوهابيين تهدد حتى مدينة الحلة تخلى سليمان باشا عن معارضته التي كانت قائمة على اعتبارات شخصية ومالية . وأعد الوالي قوة قوامها حوالي خمسة آلاف جندي يصحبهم طابور من المدفعية لم يكن على درجة كبيرة من الكفاءة . ثم أضيفت اليها قوة أخرى تعادل ضعف عددها تقريباً من قبائل شمر وظافر والمنتفق . ويبدو أن الجزء النظامي من هذه الحملة الذي كان معسكراً في سبتمبر سنة ١٧٩٨ على الضفة اليمنى لدجلة في بغداد وصل إلى البصرة في أواخر ديسمبر . وكانت

الحملة كلها تحت قيادة علي باشا وكان هذا ياوراً شخصياً لسليمان باشا وهو أصلا عبد رقيق من جورجيا لكنه تزوج بابنة سيده وقد وصفه أحد الذين عرفوه(١) بأنه «رجل جاهل مغرور عنيد خائن وسيء الخلق» ونظراً لجهله بالشئون العسكرية رمعاملته السيئة لزعماء قبائل البدو الذين كان عليه أن يعتمد عليهم فقد تنبأ الكثيرون بفشل الحملة وانهيارها حتى قبل ان تتحرك . وكان هدف الحملة هو عاصمة الوهابيين في الدرعية ، وكان مقرراً أن تسلك اليها الطريق الطويل الاكثر أمناً الأحساء . وقد أخضعت الحملة هذه الواحة في طريقها .

ومن البصرة سار علي باشا براً إلى الأحساء ، حيث استطاعت قواته احتلال مواقع الوهابيين فيها كافة باستثناء كوت الهفوف وقصر سعود في المبرز ، فقد استطاع هذان الموقعان الصمود لهجمات غير مركزة وإطلاق نيران مدفعيه دون مهارة أكثر من شهرين . وأخيراً رضخ علي باشا لنصيحة معاونيه العرب ومن أشهرهم محمد بك الذي كان يظن أنه يراسل الوهابيين فرفع الحصار عنهما ورجع أدراجه إلى البصرة .

لكن سعوداً ابن امير الوهابيين سد عليه طريق العودة عند الثج في وادي المياه ، وظل الجيشان يواجهان أحدهما الآخر لمدة ثلاثة ايام ولا يستطيع أيهما أن يغامر بالهجوم على الآخر ثم عُقدت هدنة مدتها ست سنوات بين الوهابيين وباشوية بغداد في مايو ١٧٩٩ ، وللتصديق على هذه الهدنة عاد مبعوث عن الوهابيين مع علي باشا لبغداد . وفي نفس الوقت قام سعود بزيارة الأحساء فكافأ الحاميات الموجودة في كوت الهفوف وقصر صهود لثباتها وعاقب أفراد تلك التي استسلمت للأتراك ، على طريقة الوهابيين المشهورة أي بمصادرة جميع أملاكهم . وتمت

---

(١) هكذا وصفة سير هـ. ج. بريدجس لكن مستر مانستي من الناحية الاخرى وصفه بأنه « شاب شجاع ومتحمس » .

تسوية الأمور أخيراً بين الباشا وامير الوهابيين في بغداد بعد تعاظم وصلف واضحين من ممثل الوهابيين(١) .

وكانت النتيجة الرئيسية لهذه الحملة الفاشلة هي استهتار الوهابيين التالي بالقوات التركية ، فلا عجب أن رأينا الوهابيين لا يلتزمون بشروط هذه الهدنة التزاماً كاملا . لكن كان لديهم شيء من العذر على أية حال ، فقد قام بعض الأعراب بمهاجمة قافلة للحجاج الإيرانيين يحرسها الوهابيون في المنطقة الواقعة بين الحلة والنجف ونهبوها . وبدأت عصابات السلب والنهب الآن تمارس نشاطها في إقليم البصرة ، وبلغت الأمور ذروتها عندما مني سليمان باشا بهزيمة ساحقة على يد الوهابيين ، فعجلت بموته «وسادت العالم الاسلامي سحابة من الأسى ، بينما تعززت مكانة هذه الطائفة «الوهابيين» وتزايدت ثقتهم بأنفسهم» .

مذبحة كربلاء ٢٠ ابريل ١٨٠١ :

وفي صباح ١٨ من ذي الحجة الموافق الاربعاء ٢٠ إبريل سنة ١٨٠١ على الأرجح ظهرت حشود الوهابيين فجأة في كربلاء وكان كثير من أهلها قد هجروها في ذلك الوقت للحج إلى النجف وهي فرصة لا بد أن العدو بني خطته عليها ، وقد قدرت قوة الغزاة هذه المرة حسبما تقول عدة مصادر بما لايقل عن ستة آلاف . وقد جعل على كل جمل رجلان . وبعد أن توقف الوهابيون قليلا وأقاموا معسكراً صغيراً في الحدائق الواقعة غربي المدينة ، وبعد أن ارسلوا فرقتين اتخذتا مواقعهما في الشمال والجنوب ، بدأوا بمهاجمة بوابة المدينة المواجهة للخانقاه عن طريق مربط القوافل هناك ، ولم يمض وقت طويل حتى استطاعت مدفعيتهم(١) إحداث ثغرات في سور المدينة . واستطاع

---

(١) يصف لنا سير هـ. ج. بريدجس ـ الذى كان شاهد عيان ـ المشهد الهزلى الذى جرى لدى استقبال الباشا لممثل الوهابيين .

(٢) هكذا تقول احدى الروايات .. لكن الوهابيين لم تـكن لديهم مدفعية .

النقيب ، السيد مرتضى ، والحاكم المدني في كربلاء الهرب عن طريق بوابة أخرى ، وساد المدينة ذعر شامل . واندفع الوهابيون مباشرة إلى مقام الإمام الحسين لان التقديس الذي كان يحظى به يتنافى مع عقائدهم . وخلال هذا اليوم نهب الوهابيون القبر والمقام بقدر ما استطاعوا حتى السياج النحاسي المضروب حوله استطاعوا أن ينتزعوا نصفه ، ثم اكتسحوا شوارع المدينة كلها عدا الجزء الذي يقع فيه قبر عباس ينهبون المنازل ويقتلون كل رجل يلتقون به في هذه المنازل ؛ وبعد الظهر ، انسحبت قوات الوهابيين من المدينة واختفت في الصحراء وحملوا معهم كما قيل حمولة أكثر من مائتي جمل ومما نهبوه من الأماكن المقدسة وغيرها عدا عن الأسرى . وحدثت كل هذه المأساة في زمن لم يتجاوز ثماني ساعات .

وقد قدر عدد القتلى من أهل كربلاء في هذا اليوم المريع بحوالي ثلاثة آلاف ، لكن البحث التالي أثبت أن العدد أكثر من هذ بكثير وربما بلغ أكثر من خمسة آلاف رجل ذبح منهم حوالي ٥٠٠ حول قبر الحسين فقط . ولم يقتل من الوهابيين حسبما قيل سوى رجل واحد . وساد الحزن السنة التالية كلها بين من تبقى في المدينة الحزينة ، ولم يخفف منه إلا ما قدمه مستر هارفورد جونز «سير هـ.ج. بريدجس فيما بعد» المقيم في بغداد باسم شركة الهند الشرقية المعظمة ، والمعونة التي اكتتب بها الإيرانيون لافتداء الأسرى . وتولى المقيم في بغداد هذا الامر أيضاً وأثمرت جهوده .. فأطلق سراح حوالي ٢٠٠ رجل منهم ونقلوا إلى إيران كما ارادوا .

وبعد انسحاب الوهابيين من كربلاء هاجموا النجف لكنهم صدوا عنها ، فاغاروا على بعض المستعمرات الصغيرة على شط العرب وصدهم عنها أهل مدينة الزبير .

الحملة التركية الثانية على الوهابيين سنة ١٨٠٢ على الأرجح :

وأصبح موقف سليمان باشا بعد هذه المذبحة حرجاً . فرغم أن الباب

العالي لم يكن ينوي عزله عن وظيفته إلا أنه كان محتملا أن يقوم شاه إيران الذى كان معظم الضحايا من رعاياه بعمل حاسم ضده كأن يطالبه بتعويض عن كل الخسائر التي لحقت بأثر الشيعة المقدس في كربلاء . وحتى لا تتكرر المأساة في النجف نقلت الأشياء الثمينة الموجودة في مقام الإمام علي موقتاً إلى قبر الإمام موسى حسبما روى في في الكاظمية بالقرب من بغداد . ولاستعادة هيبة تركيا وإيران مرة أخرى شرع سليمان باشا في إعداد حملة ضخمة معظمها من قوات البدو هذه المرة للسير إلى الدرعية . وكان يقود هذه الحملة ثويني شيخ المنتفق وتضم قوات من قبائل ضفير وشمر وكعب ومن المنتفق أيضاً ، لكنها انتهت كحملة علي باشا السابقة إلى كارثة . فأثناء توقف الحملة عند آبار الصبيحة على بعد ثلاثين ميلا جنوب الكويت قام عبد باغتيال ثويني واقترب سعود أمير الوهابيين بقواته فوقعت الحملة كلها في الفوضى والاضطراب أما القسم النظامي (غير البدو) من الحملة فلم يستطع أن يجد طريقه في الصحراء وتهدده العطش بالموت ، فاستسلم معظمهم للوهابيين . أما من كان مصيره الاستسلام لقبائل جنوب نجد الاكثر تعصباً مثل قحطان وعتيبه فقد قتل . وأدت الكوارث المتتابعة هذه إلى القضاء على سليمان باشا فمات في ٧ أغسطس ١٩٠٢ .

أما استسلام الأتراك عموماً لهذه الاستفزازات الخطيرة من جانب الوهابيين فلا يمكن فهمه إلا من حيث ارتباطه بوضعهم في اوربا الذي كان خلال الفترة من ١٧٦٨ إلى ١٨٠٨ في تدهور مستمر نتيجة أسباب خارجية في البداية ثم داخلية بعد ذلك (١) .

(١) في سنة ١٧٦٨ أعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب برا وبحرا على كاترين امبراطورة روسيا • واستطاع الروس احتلال القرم ، وتوالت خسائر الاتراك ولم يوقفها الا عقد الهدنة التي تم بموجبها تقسيم بولندا • وفي سنة ١٧٧٣ نشبت الحرب مرة أخرى وظلت دائرة حتى صلح كوتشك ــ كينارجى في سنة ١٧٧٤ وأصبحت القرم بمقتضى هذا الصلح مستقلة عن تركيا ، وأصبحت أزوف وكيرتش وكنبورن تابعة لروسيا • وفي سنة ١٧٨٣ ضمت الامبراطورة كاترين القرم نهائيا الى روسيا ، وفي سنة ١٧٨٨ قامت النمسا وروسيا =

سعود بن عبد العزيز (١٨٠٣ ـ ١٨١٤)

تولى سعود إمارة الوهابيين بعد أبيه بغير معارضة لأن اباه عبدالعزيز كان قد عينه أميراً قبل موته . وكان سعود يمثل الحاكم الوهابي أصدق تمثيل من حيث إدارته ومن حيث حياته اليومية أيضاً ومن هنا اعتقد أن الحديث عنه وعن شخصيته ـ لهذه الأسباب ـ ليس خارج الموضوع (١)

شخصية سعود :

كان سعود رجلا وسيماً ، لحيته أطول من المألوف ، وكان شعر شاربه كثيفاً جداً حتى أطلق عليه لقب « أبو الشوارب » ، وكان صوته عميقاً هادئاً ونفاذاً . وكان ضليعاً في التشريع الإسلامي ، ومن حيث قدرته على تطبيق هذه الشرائع لم يتفوق عليه واحد من الأمراء الوهابيين ، وكان الناس يطمعون في عدله بقدر ما يرهبون قسوته . أما مشاعره العائلية وقوتها ، وصفاء عقله وإخلاصه لأصدقائه وتمسكه

= بهجوم مشترك على تركيا بهدف السلب والاتلاف . وفي ١٧٩١ عبرت الجيوش الروسية نهر الدانوب ، وفي ١٧٩٢ عقدت معاهدة جاسي التى انتقل بمقتضاها اقليم تفليس والاقليم الممتد بين القرم والدنياستر من تركيا الى روسيا . وبعد تولى الامبراطور بول في روسيا ظلت تركيا وروسيا كما هما في مواجهة قوات نابليون التى احتلت مصر التابعة لتركيا في سنة ١٧٩٨ . غير أن الانكشارية المتمردين ، وحكام الاقاليم غير المخلصين ، والرعايا المسيحيين الساخطين .. سرعان ما ساروا جميعا بالامبراطورية التركية في سبيل التدهور . وفي سنة ١٨٠١ تمردت الصرب على تسلط الانكشارية أولا ثم على السلطة التركية كلها فيما بعد ، وفي سنة ١٨٠٥ حدث هجوم جديد غير ناجح من قبل روسيا على تركيا التى أصبحت الآن حليفة لفرنسا ، ثم قامت قوات بحرية بريطانية بعملياتها على القسطنطينية ، وفي سنة ١٨٠٧ عزل الانكشارية السلطان سليم الثالث ، وخلال مدة حكم السلطان محمود الثانى الذى خلفه (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) توقف بعض الشيء انحلال الامبراطورية التركية .

(١) المصدر الرئيسى هنا هو بيركهارت بطبيعة الحال ، وكتابه القيم : « توطئه لتاريخ الوهابيين .. » وهو كنز حقيقى للدارسين المهتمين بالموضوع .

بكلمته فقد كانت كلها فوق مستوى الريب ، لكنه كان ضيق الصدر دائماً . ولا يستطيع أن يتحمل الخديعة وذا طبع متقلب كثيراً جداً . وكان يلبس أبسط اللباس ومسلكه متواضع وقد أبطل كل الاحتفالات والمظاهر واستبدل ذلك بكرم ضيافة اشتهر عنه . وكان سعود في شؤونه الشخصية العائلية معتدلا ومقتصداً إلى أبعد الحدود ، وان كان البعض يتهمه بالجشع وحب الثراء خاصة بعد نهب كربلاء ومدن الحجاز ، وبأن دوافعه لمصادرة الأموال والممتلكات كانت تختلط فيها الحماسة لتطبيق الشريعة بالمصالح الشخصية . وتمثل مظهر إسرافه الوحيد في الخيول التي كان يملك أجمل مجموعة عربية أصيلة منها . فقد كان يحتفظ في الدرعية بأكثر من ثلاثمائه او أربعمائه منها غير الموجود في الأحساء ، كما كان لديه أيضاً مجموعة من أحسن الجمال الصالحة للركوب . وقد قيل إن سعود اشترك في معركة أيام أبيه وهو في الثانية عشرة ، وكان في شبابه يقوم دائماً بأدوار هامة في القوات الوهابية وكان كثيراً ما يقودها . لكنه بعد أن تولى الإمارة لم يعد يعرض نفسه لهذا الخطر في الميدان حتى بدأت الشكوك تسري بين الناس حول شجاعته . فقد ظل بعد اغتيال أبيه يرتدي سراً درعاً حديدية تحت ثيابه ، وأثناء زياراته لمكة كان يحيط نفسه بإجراءات أمن غير عادية ، وفي الدرعية نادراً ما كان يخرج من بيته إلا في يوم الجمعة ، وطوال مدة حكمه كانت مقابلته شخصياً أمراً بالغ الصعوبة . كما كشف أيضاً عن شيء من عدم الثقة بأخوته ، ولم يول أياً من أبنائه سلطة ما إلا ابنه عبدالله لكنه استعان بهم كثيراً في عملياته العسكرية .

الادارة العامة للامير الوهابي :

ولم يكن وضع سعود أبداً وضع الحاكم اوالملك المطلق .. لكنه كان أقرب لأن يكون شيخاً كبيراً من شيوخ العرب يحكم مستمداً مبررات حكمه من نفوذه الذي يدع للأفراد قدراً كبيراً من الحرية بمعنى أنه لم يكن يستطيع أن يتجاهل آراءهم ورغباتهم ، وكانت سلطة الامير تتجاوز سلطات الباقين لا لشيء إلا لأنه كان يعتبر تجسيداً لمذهب

الوهابيين وكان الناس لهذا السبب يخضعون له بارادتهم . وكان الامير حريصاً قدر الطاقة على توفير السلطة الوراثية للعائلات المخلصة في ولائها للدعوة الوهابية ، أما غير المخلصين فقد كان يقضي على نفوذهم بأن ينقل كبارهم إلى الدرعية ويجعل مكانهم الأغراب . وفي معظم الأحيان كان المعينون في وظائف السلطة يتم انتخابهم محلياً ويصدق الأمير على هذا الانتخاب فقط . وكانت منطقة نفوذ الوهابيين مقسمة إلى أقاليم أهمها خلال عهد سعود الأحساء والقصيم وجبل شمر والحرمين (مكة والمدينة والحجاز باستثناء الأماكن المقدسة وحتى جنوبي الطائف) واليمن ، والبحرين ، وقطر ، وربما عمان أيضاً . وكان المسئولون في هذه الأقاليم باستثناء الأحساء التي اتخذها سعود قاعده له وعاصمة وجعل حكمها في يده كانوا يقومون بمهام الحكومة المحلية ، وكانوا كلهم بمن فيهم الشريف غالب في مكة من الرؤساء ذوي النفوذ المنحدر اليهم بالوراثة ، وتنحصر أعمالهم بالاضافة لمسئوليتهم في الرقابة السياسية في جمع الضرائب وتجهيز قوات عسكرية بالقدر الذي تطلبه الحكومة المركزية . أما القانون وتطبيق العدالة فلم يكونا من عمل هؤلاء بل عمل القضاة الذين يتم اختيارهم اختياراً دقيقاً في الدرعية وارسالهم إلى حيث يمارسون عملهم في الأقاليم . وبالنسبة لتعيين لهؤلاء كما هو بالنسبة للحكام أيضاً كان لا بد دائماً من موافقة الأمير . وفي أوقات السلم كان سعود يلتزم بنصيحة أسرة مؤسس المذهب الوهابي المعروف باسم «اولاد الشيخ» التي كانت في الحقيقة بمثابة مجلس غير رسمي للدولة .

ميل الحكومة الوهابية إلى الاصلاح في الداخل :

وكان اتجاه حكومة نجد ونظامها يعتبران بالنسبة للحكومات قبلها متحضرين كثيراً . فقد كان تطبيق الشرع وسيادة النظام من بين أهداف الحكومة فضلا عن القضاء على الحروب المحلية والنزاعات الشخصية ، وابدال هذه بعقوبات توقعها الدولة او بتعويضات تدفعها ، وقد استخدم منتهى القسوة في تنفيذ هذه الأهداف حتى يمكننا

القول بأن الحرية المطلقة التي كان يمارسها العرب في تسوية خلافاتهم ونزاعاتهم انتهت ووضعت حولها قيود إلى شديدة . وكانت مسئولية القضاء على الجرائم لا سيما النهب والسرقات ملقاة على عاتق الحكام المحليين ويحاسبون عنها حاباً عسيراً . فكثيراً ما كان يوقع العقاب بكل من فشل في منع ارتكاب الجرائم قبل وقوعها وحاول أمير الوهابيين أيضاً بالترغيب عن الطلاق رفع المستوى الخلقي بين رجاله . وكان جانب كبير من هذا النظام منفراً للبدو الذين اعتادوا أن يعيشوا على النهب والسلب ، ولا بد أنهم سخطوا أشد السخط على هذه البدعة الجديدة التي تقضي بنبذ الاعراف القديمة الخاصة بالجماعة القبلية وما اليها(١) .
وكان هذا الأمن الذي بسطه الحكم الوهابي خيراً على أهل المدن ، رغم أن هؤلاء أيضاً كانت لهم شكاواهم . وعلى أي حال ، فيبدو أن معظم الرأي العام كان يؤيد الأمير في إصلاحاته . كانت العقوبات قاسية ، لكنها كانت في معظمها مفيدة للخزانة العامة لأنها كانت تأخذ شكل الغرامات المالية وكانت عقوبة الإعدام موجودة لكنها كانت نادرة ولا تطبق إلا في حالة القتل عمداً باستخدام السلاح . أما بالنسبة للرجال ذوي المكانة فقد كانت اقسى العقوبات هي حلاقة اللحية ، وكانت تدفع غرامات مالية ضخمة لتلافي هذه العقوبة المهينة .

الجوانب الدينية في الإدارة :

وتميزت الإدارة على وجه العموم بدرجة أقل من التعصب الديني الذي كان متوقعاً من القائمين بالإدارة ، فبعد السنوات القليلة الأولى لم يعد أحد يحرم تدخين التبغ في الخلوه حتى في نجد ، وبعد ١٨١٠ حين فشلت الجهود لمنع الاتصال «بالكفرة» ، انتظمت مرة أخرى خطوط التجارة مع العراق والشام . لكن إقامة الصلوات الخمس كانت أمراً

(١) بالنسبة لقوانين الحماية القبلية انظر : بيللى : « رحلة الى عاصمة الوهابيين في الرياض .. » الملحق (١٣) .

يحرص على الالتزام به وتنفيذه حتى لو استدعى الامر الضرب بالعصي .
وكانت سياسة سعود التجارية سياسة متحررة ، ورغم منعه الربا إلا أنه لم يكن يتدخل في شئون من كانوا يجلبون بضاعتهم رخيصة ويبيعونها بأغلى الأثمان حتى في أوقات القحط والندرة .

النظام المالي في الحكومة الوهابية :

وكانت الادارة المالية في حكومة الوهابيين بسيطة الاجراءات وفعالة . وكانت أملاك الدولة هي المصدر الرئيسي للعوائد وهي وتتكون أساساً من أراضي المتمردين وسواهم من المجرمين التي كانت تصادرها الدولة ، وكثيراً ما كانت تعاد لاصحابها الأصليين يستأجرونها في مقابل نصف أو ثلث المحصول . وكانت هذه الأملاك كثيرة ممتدة فهي تشمل في القصيم على سبيل المثال معظم الارض الصالحة للزراعة . وكان المصدر الثاني للعوائد هو الزكاة أو الجزية وكانت تجبى من مختلف الناس حسب النصوص التي حددها القرآن فكانت الارض غير المستصلحة تدفع عشر محصولها والأرض المستصلحة تدفع جزء من اثني عشر منه من غلتها ، ويدفع (١) التجار نسبة ٢,٥٪ من رأسمالهم ، ويقسمون على قيمة رأس مالهم الذي تقدر عليه الزكاة ـ وكان خمس الغنائم التي يحصل عليها من الحروب مع «الكفرة» تخصص للأعمال العامة ، والباقي يوزع على أفراد القوة التي اشتركت في الحرب . وفي السنوات الأولى للوهابيين حين كانت حروبهم ناشبة في الحجاز واليمن والعراق وساحل الخليج في وقت واحد كانت هذه الغنائم مصدراً هاماً لخزانة الدولة لا شك فيه . كما أن مختلف الغرامات التي كانت تفرض كانت تعود بدخل لا بأس به على الخزينة العامة ، وكانت تحصل من البدو عيناً في صورة خيول ومواش وأغنام .

وكل هذه العوائد باستثناء زكاة البدو التي كانت تدفع لأمير الوهابيين مباشرة ويبقيها لنفقاته الشخصية كانت تجمع مع الاحتياطات الكثيرة ضد الرشوة والاختلاس ، وتحمل إلى بيت المال أو الخزانة

(١) هكذا وردت في الاصل الانجليزى وهكذا لم يوفق المؤلف في تظاهره بمعرفة الاسلام

العامة– الموجودة في كل إقليم ، ومن هذه الأموال التي تدخل إلى بيوت المال المختلفة كان يحمل الربع من كل منها لبيت المال العام في الدرعية وينفق الباقي على الأغراض العامة المحلية . ولم يكن المبلغ الإجمالي الذي يصل الخزانة العامة من هذا الريع يتجاوز مليون روبية كل سنة ، لكنها وصلت في إحدى سنوات حكم سعود كما يقال إلى مليوني دولار . ومن هذه الخزانة العامة كانت تدفع التعويضات للوهابيين الذين لحقت بهم الخسارة على أيدي العدو ولمن بحاجة إلى العون بسبب فقدان ماشيتهم بفعل الحوادث أو المرض ، ولكن في عهد سعود كانت هذه النفقات تعادل جزءاً قليلا من الدخل ، فلا جرم كان هناك وفر مدخر في الدرعية . وكانت زكاة البدو التي كانت تجمع منهم في ربيع كل سنة حول أماكن المياه تقدم للامير مباشرة وتتكفل بنفقات سخائه ومرتبات حرسه ، ونفقات الأقارب والضيوف الذين ينالون الطعام على موائده والذين كان يقدر عددهم بين ٤٠٠ و ٥٠٠ نسمه كل يوم ، وبلغت نفقات الحرس الخاص مبلغاً لا يقل عن ١٠ آلاف جنيه استرليني .

وكان من أبرز مظاهر نظام الوهابيين منع اغتصاب المال او قبول الهدايا الإجبارية بأى شكل حتى إن أسوأ اتهام وجّه للأمير سعود هو أنه كان يتحايل ليصادر املاكاً هو شخصياً طامع فيها . ولم تكن لحاكم الوهابيين عملة خاصة بل كان الريال هو العملة المستخدمة في نجد أما العملة التركية فكان يرفض تداولها دائماً بزعم أنها مزيفة .

نظام الوهابيين العسكري :

كانت الحرب تدار وفق التقاليد البدوية المعروفة ، فباستثناء حرس الأمير الذي يتقاضى رواتب ، وكان عددهم يبلغ حوالي ٣٠٠ رجل ، عدا أبنائه وأتباعهم فلم يكن ثمة جيش نظامي ثابت ، لكن كل الذكور من ١٨ إلى ٦٠ سنة كانوا يعتبرن جنوداً في الدولة عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية حينما يطلب اليهم ذلك ، وأحياناً كان يستدعى

بعض جنود الإقليم فقط . وأحياناً أخرى كان يستدعى الجنود جميعاً ، وكانت الغرامات الباهظة تفرض على هؤلاء الذين يهربون أو يختفون بعد استدعائهم . وربما كانت هذه الخدمة العسكرية الإلزامية في الميدان هي السمة المنفردة من حكومة الوهابيين وعلى الأقل لدى سكان المدن المستقرين ، وكان الأمر شديد الوطأة على أصحاب الخيول فباعوها حتى أصبح عددها في نجد أقل مما كان عليه كثيراً ، وكان حملة البنادق من أهل المدن والقرى هم الذين قاموا بدور رئيسي في مذبحة كربلاء ، وكان يطلب من الجندي الوهابي المتجه إلى ميدان القتال أن يقدم إضافة لسلاحه وفرسه أو جمله مساهمة في الحملة حددت بمائة رطل من الدقيق و ٥٠ أو ٦٠ رطلا من التمر ، ٢٠ رطلا من الزبد ، وغرارة من القمح أو الشعير لدابته وقربة ماء . وكان النظام العسكري الوهابي ملائماً للغزوات والغارات ودوريات الاستطلاع ، لكنه لم يكن يسمح باحتلال دائم في أرض أجنبية ، وفي الحقيقة إن الوهابيين لم تكن لهم حامية من الجنود ترابط لمدة طويلة في مكان خارجي إلا في المدينة . وكان الوهابيون متفوقين في القيام بالغارات السريعة المدمرة على أعدائهم ويعتمدون عليها لتحطيم معنوياتهم . وكان هذا يتم دائماً بسرية وحرص شديدين ، فلم يكن القائد يخبر رجاله بوجهة الحملة ، بل إنه كان يتعمد السير في اتجاه خاطىء . وفي الغزوة الوهابية التي اجتاحت حوران في الشام سارت قوات الوهابيين مدة ٣٣ يوماً متواصلة قبل أن تصل هدفها ، ودمرت في طريقها قرى كثيرة ، ولم يكن أمام باشا دمشق غير مهلة يومين لاتخاذ الترتيبات الدفاعية ضدهم . وكانت شجاعة الوهابيين في القتال مستمدة من إيمانهم بأن من يقتل منهم فهو شهيد في الجنة ، وكان من المشين لاي منهم أن يتراجع عن القتال .

وفي العمليات العدائية التي تمت في الحجاز خلال الفترة الأخيرة من حكم سعود لم يحدث مرة واحدة أن انقذ رجل وهابي حياة جندي

تركي واحد . ومن الناحية الاخرى فاذا قدم للرجل «الامان» سواء كان أماناً عاماً يشمل الروح والمال او كان يشمل الروح فقط فقد كان يتم الالتزام به التزاماً دقيقاً . كما كانوا يحترمون دائماً أعراض النساء .

وقد ذكرت هذه التفاصيل كلها لأنها هي التي تضع تاريخ الوهابيين في سياق معقول . ومن المحتمل ان هذا النظام الوهابي الذي كان مطبقاً على عهد سعود يعتبر حتى اليوم النظام النموذجي للحكم الوهابي .



التاريخ الداخلي لنجد ١٨٠٣ ـ ١٨١٤

يبدو أن نشاط الوهابيين العظيم خارج حدودهم على عهد أميرهم سعود قد حجب احداثاً كثيرة وقعت في نجد ، ثم إن العداء والانغلاق المتبادلين بين أهل نجد وجيرانهم ساهما في القاء مزيد من الغموض على الشئون الداخلية في وسط الجزيرة . وقيل إن تمرداً داخلياً لا نعرف زمانه او مداه على وجه التحديد قد حدث في إقليم حريق لكنه قمع بسرعة . وفي سنة ١٨٠٨ ضرب نطاق من السرية على ما يدور بالداخل لمدة سنتين أو ثلاث. وفي ١٨٠٩ أضاف الوهابيون إلى أملاكهم واحة الجوف ـ الأمير الشمالية لأن باشا دمشق كان قد قام بمحاولة لم يقدر لها النجاح لإعداد حملة على هذا المكان . ومات سعود بالحمى في الدمام في ربيع سنة ١٨١٤ ، وتاريخ موته على وجه التحديد مختلف عليه لكنه بين ١٠ و ١٧ إبريل ، ويقدر عمره وقت وفاته بثمانية وستين عاماً (١) .

---

(١) يحدد بيركهارت عمره بين الخامسة والاربعين والخمسين ، لكن هذا لا يتفق مع قوله ان أحد أبناء أصغر أبناء الامير قدم اليه أثناء احدى زيارته لمكه .

أعمال الوهابيين في غربي جزيرة العرب
١٨٠٣ ـ ١٨١٤

الوهابيون يسيطرون على المدينة ١٨٠٤ :

أكمل الوهابيون فتح الأقاليم التركية على البحر الإحمر بقيادة سعود بن عبدالعزيز ، فاستسلمت المدينة بعد حصارها في ربيع سنة ١٨٠٤ وعومل أهلها بقسوة شديدة لميلهم إلى الأتراك ، فرغم احترام ملكيات الناس الخاصة إلا أن الجزية فرضت عليهم ـ كما فرضت من قبل على أهل مكة يدفعونها لأمير الوهابيين . وطرد ممثل تركيا من المكان ، ووضع أحد شيوخ قبيلة حرب حاكماً بدله ، واستولى الوهابيون على الكنوز الموجودة في قبر النبي محمد أو على تلك التي لم يقتسمها أهل المدينة قبل استسلامهم ، بل وقاموا بمحاولة لهدم قباب القبر نفسه أيضاً(١) وقد كان نهب قبر النبي محمد عملا خاطئاً وقصير النظر ، لأنه ملأ العالم الإسلامي كله بالفزع .. ولأنه أيضاً قد باعد بين السنين وبين تبني قضية الوهابيين تماماً كما باعدت مذبحة كربلاء بينهم وبين الشيعة .

وفي نفس السنة قام ابو نقطة أكبر شيوخ عسير باجتياح منطقة اليمن باسم الوهابيين من قنفده إلى بيت القاضي ، ونهب مواني لاهية والحديدة وأعاد عمله هذا وبنفس الطريقة غير مرة واحدة خلال السنوات الثلاث أو الأربع التالية . ولكن لم تبذل أية محاومة للاستيلاء على صنعاء وربما كان ذلك لأن أمير الوهابيين كان يتلهف على تأجيل هذا العمل كي يشارك بنفسه في غنائمه وأسلابه .

---

(١) حسب ما يذكره الرائد روس فان محاولة هدم قباب القبر لم تحدث الا في سنة ١٨١٠ حين قام الامير نفسه بزيارة المدينة .

الوضع العام على الساحل الغربي للجزيرة ١٨٠٤ ــ ١٨٠٨ :

وتحت حكم الوهابيين ساد الهدوء الأقاليم التي فتحوها على البحر الأحمر ، ولما كان الاتصال بينها وبين نجد لا قيد عليه ، واتصالها بمصر أيضاًغير مقطوع ، فقد كانت السلع متوفرة بها بأسعار رخيصة . لكن التجارة الخارجية بقيت عموماً على ما هي عليه نتيجة التعرض للحجاج وتقلص تجارة الأجانب بالتالي . وقد بدأ نفوذ الشريف غالب شريف مكة الذي كان يحول دائماً بين الوهابيين وممارسة السلطة ممارسة كاملة يتقلص لكنه ظـــل قوياً في كل مكان خاصة في جده ، وكانت سمعته من القوة بحيث لم تتح للوهابيين أية فرصة ينتهزونها للتعرض له . وبنجاح الشريف غالب في إقناع سعود بأن يوقف الدعاء لسلطان تركيا في المساجد في صلاة الجمعة تفاقمت الخلافات العميقة القائمة بالفعل بين الباب العالي والوهابيين ، وقد كان الوهابيون ينظرون بامتعاض شديد إلى مواكب الحجاج المنظمة الكبيرة التي كان يشرف عليها المسئولون الأتراك في دمشق والقاهرة ، فضلاً عمّا يأتي من اليمن وإيران .

معاملة الوهابيين للحجاج ١٨٠٢ ــ ١٨١٠ :

وكان الوهابيون أنفسهم يؤدون فريضة الحج بخشوع، وكان أميرهم يؤديها في معظم السنوات ، ولم يكن لديهم اعتراض على الحج نفسه بطبيعة الحال ، ولا حتى اعتراض على زيارة المدينة لكنهم كانوا يسخطون وتتأذى مشاعرهم لكثير من الأعمال والبدع التي يقوم بها كثير من الحجـــاج ، كما أنهم كانوا يعترضون قطعاً على تدخـــل الحكومة التركية «الكافرة» في شئون الحج . وفي سنة ١٨٠٢ أصبح حجاج دمشق يجدون صعوبة كبيرة في الوصول إلى مكة ، وأرغموا في سنة ١٨٠٣ على أن يرجعوا قبل الوصول إلى المدينة(١) ، وتوقف حجاج

(١) يحدد كورانسيز في كتابه « تاريخ الوهابيين .. » سنة ١٨٠٦ (لا ١٨٠٣) على أنها هى التى أرجعت فيها قافلة الحجاج .

مصر وإيران أيضاً في سنة ١٨٠٢ أو ١٨٠٣ ، وفي هذه السنة الأخيرة لم يسمح الوهابيون بتقدم «المحمل» القادم من مصر عن طريق البحر إلى أكثر من جدة حيث أنزل هناك . وفي سنة ١٨١٠ سمح سعود لموكب حجاج من المغرب وشمال إفريقيا بزيارة مكة نظراً لما هو معروف عن المغاربة من تدين . لكن السلطات الوهابية في الحجاز لم تكن أبداً تمنع الأفراد الذين يريدون تأدية مناسك الحج كما يؤديها الوهابيون .

وفي سنة ١٨٠٥ أصبح محمد علي باشا والياً لمصر(١) ، فاتخذ إجراءات لاسترجاع الحجاز باسم سلطان تركيا ، وفي نفس السنة ارسل حوالي ٤٠٠ أو ٥٠٠ جندي يقودهم شريف باشا إلى جده ، حيث أقام هناك حاكماً لها غير أنه مات هناك ، وظلت وظيفته شاغرة .

---

(١) كان محمد علي جندنيا البانيا عصاميا حالفه الحظ .
وقد بدأ ابنه ابراهيم باشا ــ الذى تعتبر بعض الروايات أنه ليس ابنه حقيقة بل ابنه بالتبنى فقط بسلسلة ناجحة من الحروب في أوربا بعد حملته على نجد ، وفي سنة ١٨٤٨ أصبح ابراهيم حاكما لمصر بدل أبيه لمدة شهرين ، وقد مات قبله . والخديوى عباس حلمي الثاني خديوى مصر هو حفيد ابراهيم باشا الاكبر من ناحية الاب .

أما طوسون ــ ابن محمد على الثالث (أو الثانى) فقد مات بالطاعون في روزيتا سنة ١٨١٦ قبل أن تنقضى سنة واحدة على عودته من نجد ، وكان عباس الاول ــ الذى حكم مصر من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٤ ابنه ، لكننا لا نستطيع أن نجد في هذا الرجل الشهوانى الضيق الافق أى شبه بطوسون في جنديته وعسكريته .

ومنذ تولى محمد على حتى سنة ١٨٤١ كانت مصر عمليا مستقلة عن الباب العالى ، وكانت بالفعل أقوى ــ سواء في البر أو في البحر ــ من كل الاجزاء الباقية من الامبراطورية التى كان مفروضا أن تتبع لها ، ولهذا فضرورى أن نؤكد أن الحملات على وسط الجزيرة والاحتلال في ١٨١٥ ــ ١٨١٨ و ١٨٣٥ ــ ١٨٤١ كانت مصرية وليست تركية . ويجب أن تذكر أيضا أن ما كان يسمى بالقوات المصرية انما كان يضم خليطا من الالبان والليبيين والبدو .. الخ مع عدد من الترك بطبيعة الحال .

وسقطت السويس في يد محمد على سنة ١٨٠٥ ، والقصير في سنة ١٨٠٨ . وحين أعلن محمد علي إغلاق هذه الموانى في وجه تجارة الحجاز ، وكان أهل هذا الإقليم يعتمدون في غذائهم على ما يأتيهم من مصر ، فقد قام أهل الإقليم أنفسهم على الارجح بطرد الوهابيين من ارضهم . ربما احتراماً للأماكن المقدسة . وربما لكراهيتهم الإضرار بتجارة الصادرات المصرية . فتجاهل محمد علي هذه الفرصة وأجل استعادة الحجاز حتى يكون في مركز ييسر له استعادته بقوة السلاح . ولم تبدأ استعدادات الباشا لهذا العمل إلا في نهاية سنة ١٨٠٩ ، ومن الناحية الأخرى لم تكن المشاكل في الداخل قد انتهت إلا حين قُضِي على تمرد المماليك وانتهي من امرهم نهائياً في سنة ١٨١١ . وحين بدأ ، كانت استعداداته شاملة ومنظمة ودقيقة ، فقيل إنه يعد الحملة أعد اسطولا كبيراً لنقلها من السويس ، وأعد لها سلسلة من المواقع مجهزة بالحاميات على طول البحر الأحمر نزولا حتى ميناء الوجه ولم تكد تترامى إلى اسماع الشريف غالب نوايا محمد علي حتى بادر إلى الاتصال به .

احتلال القوات المصرية ينبع وصدها عن المدينة ١٨١١–١٨١٢ :

وعهد محمد علي بقيادة الحملة إلى إبنه طوسون بك الذي كان ما يزال شاباً في الثامنة عشرة لكنه أثبت شجاعته وكفاءاته في حروب المماليك . ووصل طابور المشاة الذي كان يضم عدداً يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ جندي الباني إلى ينبع عن طريق البحر في أكتوبر سنة ١٨١١ ، واستسلم هذا الموقع –الذي كان فيه حامية للشريف غالب باسم الوهابيين لا يزيد عددها عن مائة جندي – بعد مقاومة ضعيفة دامت يومين فقط . وبعدها باسبوعين وصل طوسون بك وطابور الفرسان الذي كان يضم حوالي ٨٠٠ فارس بعضهم من الأتراك وبعضهم من البدو ولم يجد أية مقاومة في طريقة براً . وحين كان الشريف غالب يبحث عن الاعذار التي يستطيع بها أن يؤيد أحد الطرفين

تقدمت القوات المصرية من ينبع عن طريق التلال الى المدينة .. لكنها حين كانت تعبر مضيقاً بالقرب من قرية جديد فاجأتها قوات ضخمة من الوهابيين كانت قد وصلت لتوها من نجد ، ولا تعرف القوات المصرية عن امرها شيئاً . واستطاعت أن تحتل الجبال المشرفة على هذا المضيق بهمة وسرعة . وكانت النتيجة كارثة محققة للقوات الغازية التي خسرت ٤ مدافع و ١٢٠٠ رجل و ٢٠٠ فرس ، وكل أمتعتها المحمولة على ظهور الجمال . لكن شجاعة طوسون بك شخصياً هو والأغا ابراهيم —وهو الاسم الجديد لتوماس كيث—(١) استطاعت أن توقف الوهابيين عن مطاردة فلول القوات المهزومة حين تصدّت لهم بفرقة من الفرسان المصريين . وحين عرف الشريف غالب بما حدث سار بنفسه لينضم إلى الوهابيين لكن هؤلاء كانوا قد عادوا إلى الداخل وتركوا قبيلة حرب مسئولة عن مراقبة ينبع .

القوات المصرية تستولي على المدينة ١٨١٢ :

وفي أكتوبرسنة ١٨١٢ ، وبعد أن وصلت إلى طوسون بك إمدادات ضخمة من مصر وبعد أن استطاع أن يضم اليه بعض قبيلة حرب ، وبعد أن اتصل به الشريف غالب ليعرض عليه ما سبق أن عرضه من استعداده لأن يسلم مكة وجده للقوات المصرية إذا تم استيلاؤها على المدينة قد تقدم طوسون بك مرة ثانية نحو المدينة ، ولم يلق هذه المرة أية مقاومة في طريقه لكن المدينة نفسها التي أخلاها الوهابيون من أهلها ليحتلوها استطاعت أن تقاومه مدة أربعة عشرة أو خمسة عشرة يوماً ، واخيراً. استطاع المحاصرون إحداث ثغرة في سور المدينة بواسطة زرع الالغام لأن مدفعيتهم كانت خفيفة لا تيسر مثل هذا العمل . واندفعوا يتقدمهم توماس كيث إلى الداخل حيث استطاعوا أن يقتلوا أكثر من الف رجل

---

(١) توماس كيت كان في الاصل مواطنا من أدنبرة وجنديا في الفرقة ٢٧ هاى لاندرز ، لكنه أسر في مصر ، فأسلم واستطاع — بعد مغامرات طويلة غريبة — أن يصبح كبير أغوات طوسون بك .

من الوهابيين الذين بوغتوا بهذه المفاجأة . ونهب الغزاة المدينة . وظل بالقلعة التي حوصرت لمدة ثلاثة أســـــابيع حوالي ١٥٠٠ وهابي اضطروا أخيراً بعد نفاذ المؤونة والذخيرة للاستسلام بموجب شروط مناسبة . لكن القوات المصرية خرقت هذا الاتفاق فقتلت منهم أكبر عدد استطاعت أن تقتله وأثارت بذلك موجة من العطف بين البدو على الوهابيين ، وجمعت القوات المصرية جماجم الوهابيين وأقامت منها برجاً على طريق ينبع كان ما يزال جزء منه باقياً سنة ١٨١٥ ورآه الرحالة بيركهارت .

القوات المصرية تحتل مكة وجدة والطائف ١٨١٣ :

وبعد سقوط المدينة تقدمت قوة من ١٥٠٠ رجل يقودها مصطفى بك صهر محمد علي من ينبع إلى مكة ، وكان الشريف غالب يؤيد هذا التقدم ، وكان القائد الوهابي المحلي وهو صهر الشريف غالب ، عثمان المضايفه أضعف من أن يعارضه . وفي يناير سنة ١٨١٣ دخلت القوات المصرية مكة واحتلت فرقة أخرى جدة في نفس الوقت ، وبعدها بأسبوعين سقطت الطائف التي تبعد حوالي ٢٦ ميلا شرقي مكة ـ بين أيدي مصطفى بك يعاونه الشريف غالب بعد مناوشات خفيفة مع عثمان . ومن الطائف تقدم مصطففى بك إلى «ترابه» شرقي الطائف لكنه هزم في الهضاب القريبة منها واضطر للرجوع بعد أن فقد ٤٠٠ أو ٥٠٠ من رجاله . ووصل طوسون بك الذي أصبح الآن باشا جده إلى مكة حاجاً في شتاء هذه السنة ، وفي سبتمبر ١٨١٣ أسر عثمان المضايفة بالقرب من الطائف وأرسل إلى القسطنطينية حيث ضرب عنقه .

وصول محمد علي إلى الحجاز وعزل الشريف غالب ١٨١٣ :

وفي ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٣ وصل لجده محمد علي بعد أن صدرت اليه أوامر صريحة من الباب العالي بالسير شخصياً إلى الحجاز فخشي أن يفقد باشوية مصر إن لم ينفـــــذ هذا الامر . وكانت تصحبه قوات قوامها ٢٠٠٠ جندي من المشاة ، و لحق به عن طريق البر طابور

فرسان أيضاً يضم ٢٠٠٠ فارس و ٨٠٠٠ جمل للنقـــــل . وكان أول ما فكر فيه محمد علي هو مشكلة توفير الإمدادات والتموين لقواته ، وكانت هذه قد أصبحت مشكلة حادة فقد كانت الحاميات التركية الموجودة في مكة والطائف تعتمد على ميناء جدة لإمدادها بحاجياتها ، وكان النقل قليلا وبطيئاً لا يستطيع إمدادها بما تريد بسرعة . ولكي يضع محمد علي حلا لهذه المشكلة استولى على كل السفن الموجودة في جدة وينبع واتخذ إجراءات لاستئجار عشرين سفينة من السيد سعيد سلطان مسقط لمدة سنة . وبسرعة ، ارتاب محمد علي في نوايا الشريف غالب ، وكان لذلك سببان : الأول فشله في أن يقدم لمحمد علي الجمال التي طلبها منه لاستخدامها في النقل ، والثاني أنه كان واضحاً أن العرب ينظرون إلى الشريف غالب على أنه الذي يحميهم من الوهابيين والمصريين على السواء . وأدت شكوك محمد عـــلي قبل مضي وقت طويل إلى القبض على الشريف غالب بحيلة ذكية فقام بنفيه إلى القسطنطينية حيث مات بالطاعون في سالونيك سنة ١٨١٦ لكن تأثير هذا العمل على المستوى المحلي كان سيئاً فقد أدى إلى انتقال كثير من الشخصيات العربية ذات النفوذ إلى معسكر الوهابيين ، ومن بين هؤلاء راجح قريب الشريف غالب الذي عينه أمير للوهابيين ممثلا له في الحجاز بدل عثمان .

حملة فاشلة لطوسون باشا على ترابه ١٨١٣ :

وكانت هذه هي الصورة العامة للأمور حين قرر محمد علي في أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر سنة ١٨١٣ إرسال حملة على «ترابة» حيث كان راجح قد جعل مقر قيادته وحيث التف كثير من أنصار الشريف غالب حوله . ونجح الباشا في أن يحصل على بعض الإمدادات من الطائف ، وأمر ابنه طوسون باشا بالتقدم من الطائف إلى ترابه ومعه قوة من ٢٠٠٠ رجل وإمدادات تكفي لثلاثين يوماً . لكن هذه القوة تعطلت في طريقها بعد اشتباك مرهق في منطقة جبلية مع قبيلة عتيبه ، وكادت امداداتهم أن تنفذ ولم يقتربوا من ترابة بعد . وفي ترابة كانت تعيش قبيلة البقوم

وتتزعمها امرأة مسنة تدعى غالية كان الأتراك يعتبرونها عرافة ساحرة . وبعد محاولة واحدة فاشلة للهجوم على ترابه صدرت الأوامر للقوات المصرية بالتراجع ، وخلال مطاردة العدو التي استمرت اربعة أيام في طريق الانسحاب إلى الطائف فقدت القوات المصرية حوالي ٧٠٠ رجل ، وفي هذه المرة كالسابق أيضاً انقذت القوات المصرية من الإبادة الكاملة بشجاعة طوسون نفسه ومساعده القائد الاسكتلندي .

ولما كانت الطائف هي الموقع الوحيد الذي يمكن اتخاذه قاعدة للقيام بعمليات أخرى كان لا بد بالتالي من جعلها أيضاً مركز تموين وامداد ، وكان هذا غاية في العسر . فمن بين الثمانية آلاف جمل التي ارسلت من مصر لم يبق أكثر من ٥٠٠ في الحجاز بعد ثلاثة أشهر ، ومن كل هذه البلاد الشاسعة لا يمكن جمع أكثر من ٥٠٠ جمل مرة واحدة ، وإلى جانب ذلك فالطريق بين جده والطائف طريق غير مأمون تتهدده دائماً غارات الوهابيين ومباغتاتهم ، والحرس والسائقون الذين يصحبون أية قافلة إمدادات لا بد سيستهلكون أكثر من ثلثها في الطريق . وهكذا ظلت القوات المصرية متوقفة تماماً عن عملياتها خلال شتاء ١٨١٣–١٨١٤

اعادة فتح طريق الحج ١٨١٢ – ١٨١٣ :

ويبدو أن قافلة منظمة من الحجاج المصريين وصلت مكة في نهاية سنة ١٨١٢ ، ولكن في نوفمبر سنة ١٨١٣ فقط جاءت للمرة الأولى منذ سنة ١٨٠٢ قافلة الحجاج من الشام وتقدمت في أمان إلى الأماكن المقدسة يترأسها سليمان باشا ، وفي الطريق أضطر الباشا أن يرضخ لطلبات البدو الملحة في أن يمنحهم اعطياتهم عن السنوات العشر التي توقف فيها الحج ، وجاء أيضاً حجاج كثيرون من آسيا الصغرى وتركيا الاوربية إلى الحجاز عن طريق السويس فجدة ، وفرح أهل مكة بالرخاء الذي عاد اليهم بعد انقطاع .

أعمال الوهابيين في شرق الجزيرة
١٨٠٣ ـ ١٨١٤

ترد تفاصيل أعمال الوهابيين في شرق الجزيرة على عهد الأمير سعود ضمن التواريخ المستقلة الخاصة بتلك الامارات وبشكل خاص البحرين وعمان المتصالحة وسلطنة عمان . وهنا يكفي أن نشير إشارة عامة إلى أعمالهم هناك .

أعمال الوهابيين في الكويت :

في سنة ١٨٠٨ رفض عتوب الكويت دفع الجزية وكان موقف أميرهم من الوهابيين هو التجاهل والإهمال فسارت اليهم حملة وهابية ضخمة لكنها رجعت عن مدينة الكويت وقد تكبدت خسارة كبيرة ورحب باشا بغداد بهذا العمل ولم يخف سروره فأرسل لشيخ الكويت خلعه تكريمية وهدايا أخرى ، وفي العام التالي أصدر أمير الوهابيين لتغطية هزيمته السابقة اوامره إلى العتوب ،في البحرين والقواسم في رأس الخيمة وسيد مسقط لإعداد حملة بحرية على الكويت والبصرة ، لكن القواسم فقط هم الذين أبدوا استعدادهم لإطاعة الأوامر ، وحتى هؤلاء لم يعملوا شيئاً .

نشاط الوهابيين في الكويت والاحساء وقطر :

وقد حاول سعود كثيراً في أوائل حكمه أن يؤكد السيطرة التي كانت للوهابيين في عهد أبيه على البحرين وقطر ، ولم تكن محاولاته في هذه الناحية تفشل ما دامت لا تشغله مهام في مناطق أخرى . وفي سنة ١٨٠٣ حدث صراع على الحكم في عمان ، فاستطاع أن يرسل اسطولا من العتوب في البحرين إلى عمان ليراقب الأحداث باسم الوهابيين ، وفي سنة ١٨٠٩ اكتسب الأمير إلى صفه القرصان المشهور رحمة بن جابر وبمعونته استطاع أن يؤكد سيطرته على قطر واستطاع في سنة ١٨١٠

أن يعين لها حاكماً وهابياً يحكم قطر والبحرين والأحساء ويكون مقره البحرين . وفي سنة ١٨١١ ، وبسبب الأخطار التي كانت تهدد الوهابيين من ناحية مصر والحجاز اضطر الأمير لأن يرخي قبضته عن تلك الأقاليم التي سيطر عليها مؤخراً في الشرق ، وقد قام حاكم مسقط بهجوم فاشل على الزبارة في قطر ، وانسحبت الحاميات الوهابية او طردت من هذا المكان ومن البحرين ، كما انسحبت أيضاً من القطيف والهفوف في الأحساء . وفي سنة ١٨١٤ كان نفوذ الوهابيين على شئون البحرين قد تقاص تماماً لكنه ظل قوياً في الأحساء حيث كانت تؤيدهم عناصر محلية ذات قوة .

نشاط الوهابيين في عمان المتصالحة :

ولم يكن إنشاء قاعدة للوهابيين في واحة البريمي منذ سنة ١٨٠٠ بلا تأثير في تلك المنطقة التي تعرف اليوم بامارات عمان المتصالحة ، وفي خلال ١٨٠٤—١٨٠٥ تعاظم نشاط القواسم في القرصنة ، وسواء كان هذا النشاط بتحريض مباشر من الوهابيين أو نتيجة غير مباشرة لتدخلهم في أمور السياسة المحلية ، فتلك قضية لم يقطع في حقيقتها . وفي نهاية سنة ١٨٠٨ عزل الوهابيون سلطان بن صقر عن مشيخة القبيلة ، وفي سنة ١٨٠٩ عينوا حسين بن علي شيخ الرمس الذي كان قد زار الدرعية مؤخراً حاكماً باسمهم على كل ساحل القراصنة . وفي سنة ١٨٠٨—١٨٠٩ تجددت حوادث القرصنة تجدداً خطيراً وبدت على مظاهرها أعراض التعصب ولكن ظل الدليل ناقصاً على تحريض الوهابيين . وقد قيل على أي حال إن حسين بن علي قد تعهد بأن يحمل إلى الأمير في الدرعية خمس الغنائم التي يحصل عليها رجاله من «الكفرة» في البحر . وفي سنة ١٨٠٩ عزز الوهابيون قبضتهم على ساحل عمان الجبلي بأن أحتلت حاميتهم قلاع الفجيرة والباطنة وخور فكان في الشميلية ، واستطاعوا في نفس السنة أن يلقوا القبض على الشيخ سلطان بن صقر ونقلوه إلى الدرعية حيث ألقي في السجن لكن الشيخ استطاع الهرب من سجنه قبل مضي وقت طويل ، وسار عبر اليمن إلى ميناء مخا ومنها عاد عن طريق البحر إلى مسقط .

وفي نهاية السنة حين هاجمت الحملة البحرية البريطانية ميناء القراصنة في رأس الخيمة قيل إن مطلق قائد الوهابيين في البريمي قد تحرك لنجدة القواسم لكنه وصل متأخراً . وفي سنة ١٨١٢ تجددت القرصنة مرة أخرى على الساحل الخاضع للقواسم ولكن لم يتضح أن لها علاقة بالوهابيين .

نشاط الوهابيين في سلطنة عمان :

وقد سبق أن اشرنا إلى تدخل الوهابيين في الصراع على الحكم في مسقط سنة ١٨٠٥ ، وكانت نتيجة هذا الصراع في صالح صنيعة الوهابيين السيد بدر الذي وصل إلى قمة السلطة وحكم مسقط من ١٨٠٥ إلى ١٨٠٧ ، ولكنه اغتيل في هذه السنة الاخيرة على يد ابن عمه السيد سعيد . وتلقى نفوذ الوهابيين بهذا العمل ضربة قاضية وهربت حامية من جنودهم كانت مقيمة في بركة . وقد أوضح الحاكم الجديد السيد سعيد عن موقفه الودي من ابن سعود الذي ظل يمثله في مسقط وكيل سياسي وبعض معلمي الدين ، لكن الوهابيين كانوا يعرفون تماماً كراهية السيد سعيد الخفية لهم ولنفوذهم . وفي سنة ١٨٠٩ ، وبعد أن راوغ السيد سعيد في تنفيذ أمر صدر اليه من أمير الوهابيين بالتحرك ضد إمارة الكويت أرسل القائد العام الوهابي مطلق المطيري إلى واحة البريمي كي يعد حملة على عمان . وهنا بالضبط حدثت العمليات البحرية البريطانية على قواسم رأس الخيمة ، أساساً لإيقاع العقاب بالقراصنة وأيضاً لإبعاد خطر الوهابيين عن السيد سعيد ، وانتهت الحملة في أوائل سنة ١٨١٠ ونتج عنها أن استعاد السيد مدينة شناص من قبضة الوهابيين الذين كانوا يسيطرون عليها ، لكن تأثير هذه الحملة كان موقتاً ولم يكن في صالح السيد سعيد على المستوى البعيد للأحداث . ففي سنة ١٨١١ تحرك مطلق حيث لا شيء الآن يعوقه لينفذ مهمته في إخضاع عمان ، وبعد حصار لم ينجح لبركة ومطرح احتل مطلق حصن السمايل في قلب عمان ، وانسحب إلى البريمي بعد أن جعل فيه حامية وهابية قوية . وفي سنة ١٨١٢ استطاع رعايا السيد سعيد بمعونة فرقة إيرانية أن

يستعيدوا حصن السمايل لكن هذا النصر أعقبه اشتباك حاسم بالقرب من إزكي هزم فيه العمانيون وحلفاؤهم هزيمة ساحقة . وفي نفس السنة أو ربما في سنة ١٨١٣ انتقل الوهابيون انتقـــاماً مروعاً من السيد سعيد ، فقامت قواتهم وعلى رأسها تركي وفيصل ولدا أمير الوهابيين باجتياح أقاليم مسقط وشرقي حجر وأقاموا عسكرهم وقتاً ما في جعلان وجعلوها قاعدة انطلاق غاراتهم المدمرة ، كذلك نجحوا في أن يحولوا أهل قبيلتي بني بو علي وبني راسب القبيلتين القويتين في تلك المنطقة إلى المذهب الوهابي . وبعدها انسحبوا دون خســائر إلى قاعدتهم الرئيسية في البريمي .

وفي اواخر سنة ١٨١٣ وبعد أن قام السيد سعيد بمراسلة طوسون باشا وتعهد له بأن يعيد شيخ القواسم المعزول ، قام مطلق بغزو الباطنة في قوات كاسحة ، وأرغم سيد مسقط على أن يدفع له مبلغ ٤٠ الف دولار وعاد بعدها إلى نجد . لكن ابن عذركه الذي جعله خليفة له هناك قتل فاضطر مطلق للرجوع ، لكنه رجع كي يلقى مصرعه على أيدي بني هاجر . وخلفه رجل اسمه ابن مزروع في البريمي .

★ ★ ★

الاتصال الاول للسياسة البريطانية بالوهابيين

أدت الأحداث التي سبق أن وصفناها في كل من عمان المتصالحة وسلطنة عمان إلى أول اتصال بين الوهابيين والدولة البريطانية . لكن هذا الاتصال لم يكن ودياً على الاطلاق . فالوهابيون كانوا متهمين من جانب بريطانيا بتحريض القواسم على ممارسة القرصنة فضلا عن تهديدهم استقلال سيد مسقط الذي كانت الحكومة البريطانية حريصة على المحافظة عليه .

تسوية بين بريطانيا والقواسم ١٨٠٠ :

وفي نفس الوقت اتخذت السلطات البريطانية جانب الحيطة لكي

لا تبدو على علاقة عداء بابن سعود . وفي سنة ١٨٠٥ حين أقدمت بريطانيا على العمل لاول مرة متعاونة مع السيد بدر ضد قراصنة القواسم أصدرت حكومة بومباي تعليمات صريحة لوكيلها بأن يتجنب ما أمكنه إغضاب أمير الوهابيين ، وفي المعاهدة التي عقدت مع القواسم في سنة ١٨٠٦ تجاهلت السلطات البريطانية تماماً أية علاقة لهذه القبيلة بالوهابيين .

بداية اتصال أمير الوهابيين بالحكومة البريطانية ١٨١٠ — ١٨١٢ :

وفي سنة ١٨٠٩ حين قامت الحملة البريطانية على رأس الخيمة ألتزمت نفس السياسة ، وصدرت التعليمات الصريحة للمقيم بأن يتجنب أي صدام مع ممثل ابن سعود ، ولكن يبدو أن الفوضى التي كانت ضاربة اطنابها في شناص أدت إلى عدم الالتزام بهذه التعليمات فأراق السلاح البريطاني بعض دماء الوهابيين في سبيل الاستيلاء على هذه القاعدة الحصينه(١) . وقد أفلت قرصان قطر المشهور رحمة بن جابر من العقاب على أيدي هذه الحملة لأسباب منها علاقته بالوهابيين .

وفي نهاية الحملة وجهت السلطات البريطانية فيما يبدو خطاباً إلى ابن سعود تطلب منه أن يمنع أفراد القبائل الخاضعة له من ارتكاب عمليات القرصنة ، وتلقت هذه السلطات رداً منه جاء فيه أنه رغم أنه لا يرهب هذه العمليات البريطانية في البحر إلا أنه لاعداء بينه وبين المسيحيين ، وسيعمل على منع الاعتداء على السفن البريطانية .

بداية اتصال أمير الوهابيين بالحكومة البريطانية ١٨١٠ — ١٨١٢ :

ولكن زيادة المشاكل التي كان يواجهها الوهابيون في غربي الجزيرة أدت فيما يبدو إلى تبادل الاتصالات والمراسلات الودية بينهم وبين الحكومة البريطانية . ففي سنة ١٨١١ أو ١٨١٢ وفي حركة مضادة

---

(١) بيركهارت .. (الجزء (٢) ص ٢٠٨) ، ويذكر هذا المرجع أن أحد أبناء عمومة الامير سعود كان بين هؤلاء القتلى .

لرحلة السيد سالم من مسقط إلى شيراز التماساً لعون إيران أرسل أمير الوهابيين مبعوثاً عنه يدعى إبراهيم بن عبدالكريم إلى حاكم فارس الذي أحسن استقباله ، وبعد أن أنهى مهمته في شيراز التقى بالمقيم البريطاني -الملازم بروس- في بوشهر حيث نقل اليه رغبة سيده ابن سعود في قيام علاقات ودية بينه وبين الحكومة البريطانية بحيث لا يتعرض أي من الطرفين لتجارة الطرف الآخر . ورفعت هذه الرغبة بطبيعة الحال إلى حكومة الهند التي قررت في سنة ١٨١٤ على الأرجح أنه من غير الضروري توقيع معاهدة أو اتفاقية مع امير الوهابيين أو الدخول معه في علاقة وثيقة بل يكفي إقامة علاقة ودية معه ، وحمّله بقدر الإمكان على أن يسلك الطريق المطلوب .

★ ★ ★

هجمات الوهابيين على العراق التركي
١٨٠٣ - ١٨١٤

وفي عهد سعود استمرت غارات الوهابيين على أطراف العراق التركي ، لكن أهل هذا الإقليم كانوا دائماً على أهبة الاستعداد لذلك لم يستطع المغيرون ان يحققوا نجاحاً كبيراً . لكن الوهابيين ظلوا يشنون مع ذلك غارات سنوية بل واحياناً كانوا يعبرون الفرات إلى ما بين النهرين .

مظاهرات وهابية سلمية ١٨٠٣ :

وفي نهاية سنة ١٨٠٣ وفي محاولات واضحة للثأر لاغتيال الأمير السابق عبدالعزيز الذي كانت الشكوك تحوم حول باشا بغداد بأنه حرض عليه قامت قوة من الوهابيين بالإغارة على تخوم النجف ونهبها ، ولكن حين تقدم الباشا لملاقاتهم وقد جعل بين مستشاريه شيخاً يدعى فارس من جنوبي نجد ، تراجعت قوة الوهابيين إلى اراضيها .

هجمات وهابية فاشلة على الزبير والبصرة ١٨٠٤ :

وفي سنة ١٨٠٤ اجتاحت القوات الوهابية أكناف مدينتي الزبير والبصرة لكنهم لم يحدثوا أي تأثير في أي من المدينتين رغم أنهم استطاعوا أسر أحد شيوخ المنتفق وهو شقيق حاكم الزبير . لكن البرج الذي يمد مدينة الزبير بالماء انفجر عرضاً فأدى إلى قتل الحامية الموجودة به بعد بسالتها في مقاومة الوهابيين وصدهم عدة أيام .

حملة تركية على الوهابيين من الحلة ١٨٠٤–١٨٠٥ :

وفي نوفمبر سنة ١٨٠٤ قرر علي باشا والي بغداد أن يحاول الاشتباك بالوهابيين فتقدم إلى مدينة الحلة في قوات كبيرة ، وكان يصحبه عبدالله باشا الذي قام بقيادة آخر فوج من حجاج الشام إلى المدينة في ١٨٠٣ كما صحبه أيضاً مستشاره العربي الشيخ فارس . وظلت القوات تنتظر في الحله حتى أوائل سنة ١٨٠٥ حين انفصلت عنها فرقة مختارة مكونة من ٤٠٠ رجل خرجوا إلى الصحراء يحاولون الاشتباك بالعدو ، ويبدو أن عملياتهم بدأت وانتهت بزيارتهم لعين سيد في سامراء وكان أهلها قد أعلنوا انضمامهم للوهابيين ، لكنهم سرعان ما تراجعوا واعترفوا بولائهم للأتراك . وبعد رحيل هذه الفرقة بعدة أيام وصل سعود إلى حيث كانت ، واوقع العقاب بأهل المكان الذي تخلى عن الوهابية ، ولكن يبدو أن هؤلاء لم يكونوا مستعدين لممارسة هذا الانتقال من جانب لجانب مرة أخرى فهاجر بعضهم متقدماً نحو بغداد ليتحاشى التعرض للوهابيين .

هجوم وهابي فاشل على النجف والسمارة والزبير ١٨٠٦ :

وفي إبريل سنة ١٨٠٦ وبعد غارة على قبائل البدو في ضفير وعنيزه هاجم عبد الله بن سعود انتقـــــاماً من عمل باشا بغداد في العام السابق مدينتى النجف والسماوة لكنه لم ينجح في هجومه هذا ، وفي الشهر التالي قرر الاغارة على مدينة الزبير . وفي النجف نجح الوهابيون

ولم يكن أحد يشك في وجودهم بالقرب من المكان في تسلق أسوار المدينة ليلا لكن أهلها سارعوا إلى السلاح وصدوهم عن المدينة بعد أن كبدوهم خسائر فادحـــــة ، أما السماوة فقد كانت مستعدة للقائهم ، وقام عبد الله بن سعود بعدة محاولات متردده للهجـــــوم عليها وأخيراً اضطر إلى الانسحاب بعد أن تكبد خسائر أكبر من خسارته في النجف . وبعد ذلك ظهرت قواته أمام الزبير والبصرة ، ورغم أن أهل الريف المجاور هرعوا إلى ما وراء أسوار المدينة نفسها فقد استطاع الوهابيون إحداث شيء من الفزع في البصرة ، لكن قوات الوهابيين فقدت الكثير من رجالها وخرجت مثخنة بالجراح . وإلى جانب ذلك استطاع رجال قبائل المنتفق وكعب أن يطردوا جماعاتهم التي انتشرت في القرى المجاورة وكبدوهم مزيداً من الخسائر .

وفي سنة ١٨٠٧ بات من المتوقع حدوث هجوم وهابي جديد ، ومضى باشا بغداد بقواته إلى الحلة ليكون قادراً على الحركة السريعة إلى كربلاء أو النجف اذا ما حدث هجوم على أي منهما . وفي يونيو سنة ١٨٠٧ بدأ المقيم البريطاني في البصرة –عقب حصوله على موافقة باشا بغداد بعد تردد طويل– تشييد مقيمية محصنة في جارديلان على الجانب الشرقي من شط العرب في مواجهة البصرة(١) .

صد الوهابيين من شيفاثة وهندية ١٨٠٨ :

وفي سنة ١٨٠٨ ظهرت قوات الوهابيين في إقليم كربلاء ، وقيل إن جيشاً كبيراً منهم يتحرك نحو بغداد نفسها التي سادها الفزع فترة طويلة ، فأغلقت الأسواق ، بل وأصدر الأتراك اوامرهم للتجار بتسليح أنفسهم وعززوا حاميات المدينة . لكن الضيف المنتظر لم يصل وقيل بعد ذلك ان اضطرابات داخليه في نجد هي التي أعاقت تقدمهم ،

---

(١) يبدو أن هذا يعتمد على ما ذكره كورانسيز (ص ١١١) ، فهو يحدد تاريخا دقيقا لهذا العمل .

لكنهم أقاموا لأنفسهم قاعدة على أية حال في كربلاء . في واحة شيفاثه غربي المدينة ، وحاصروا كربلاء وهندية وظهروا أيضاً في عين سيد بالقرب من السماوه لكن سليمان باشا أسرع لملاقاتهم بقوات كبيرة من بغداد واستطاع أن يجبرهم على التراجع من كل هذه المواقع ، ثم أعدم زعيم شفاثه لرفضه أن يتخلى عن المذهب الوهابي . وعاد منتصراً إلى بغداد فوصلها في ١٥ أغسطس .

غارة وهابية أخرى ١٨١٠ :

وحوالي سنة ١٨١٠ قام عبدالله بن سعود بحملة جديدة للسلب والنهب ووصل بقواته حتى مسافة قصيرة من بغداد .

النفوذ الوهابي بالقرب من كربلاء ١٨١٢ :

وفي سنة ١٨١٢ كان نفوذ الوهابيين على حدود العراق ما يزال قوياً بما مكّن جامعي الضرائب باسم سعود من جمع الزكاة من البدو حول هندية بالقرب من كربلاء .



نشاط الوهابيين في اتجاه الشام ١٨٠٣ ـ ١٨١٤

بدء غارات الوهابيين على الشام ١٨٠٦ :

استمرت غارات الوهابيين خلال هذه الفترة أيضاً على حدود الشام ، ويبدو انها بدأت بجولة قام بها حراك (١) وهو عبد أسود من عبيد الأمير سعود بين سنتي ١٨٠٦ و ١٨٠٨ .

(١) يبدو أن « حراك » هو نفسه حارق الذى أقام قاعدة للوهابيين في البوريمى بعمان سنة ١٨٠٠ .

غارة وهابية على حوران ١٨١٠ وتعزيز نفوذ الوهابيين ١٨١٢ :

وفي سنة ١٨١٠ أشاع الوهابيون الفزع في قلب الشام حين قامت قواتهم بغارة مفاجئة على إقليم حوران ، واستطاعت في ثلاثة أيام أن تنهب وتدمر ٣٥ قرية في هذا الاقليم ، ولو اهتم الوهابيون بالهجوم على العاصمة دمشق لسقطت بين أيديهم في غير عناء . وفي سنة ١٨١٠ كانت قبيلة عنيزه في الشمال ما تزال ترفض دفع الجزية لسعود ، وكان راغباً عن الدخول في صراع مع شيوخها ولكن يبدو أن نفوذه قد تدعم هناك في سنة ١٨١٢ لأنه تلقى في هذه السنة الزكاة عن مكان كثير المياه لا يبعد عن حلب نفسها أكثر من ١٢ ساعة .



عبد الله بن سعود ١٨١٤ ـ ١٨١٨

ولاية عبـــدالله :

وخلف سعود ابنه عبدالله وهو أكبر أبنائه من أولى زوجاته . وتذكر إحدى الروايات أن سعوداً قد جعل عبدالله ولي عهده منذ سنة ١٨٠٥ . وكانت آخر كلمات سعود نصيحة لابنه عبدالله بألا يشتبك مع القوات المصرية في معركة بسهل مكشوف ، وقد التزم الوهابيون بهذه النصيحة التزاماً كاملا ، وكان ينازع عبدالله في الإمارة عم له يدعى عبدالله أيضاً ، ورغم أن هذا الرجل كان له أنصار كثيرون بين علماء الدرعية إلا أنه لم يستطع الصمود في معارضته طويلا .

خلق عبدالله وامكانياته (١) :

وكان عبدالله في طفولته جريئاً مقداماً ، استطاع أن يروض فرسه وهو في الخامسة من عمره ، وأصبح فيما بعد محبوباً من البدو لصراحته

---

(١) ثمة صورة لعبد الله بن سعود نشرها بريدجس في كتاب « تاريخ مختصر للوهابيين .. » .

وبساطة مسلكه وقد تزوج بفتاة من عائلة باقليم الاحساء ، وقبل أن يتولى الإمارة كان الجميع يرون فيه تجسيداً لكل الفضائل ، لكن أعماله كحاكم فيما بعد رغم أنها أكّدت تلك السمعة القديمة من حيث جرأته ومهارته في فنون الحرب لكنها كشفت عن نقص خطير فيه كسياسي ورجل دولة . وربما كانت أهم أسباب فشله عجزه عن التوقيق بين القبائل المختلفة الخاضعة له ، وهكذا كان على الوهابيين في الجنوب بعد موت سعود أن يحاربوا القوات المصرية وحدهم بلا عون تقريباً من الوهابيين في الشمال .



أعمال المصريين في الحجاز واليمن ١٨١٤ ـ ١٨١٥

الحملة على قنفدة مارس ـ مايو ١٨١٤ :

ظلت القوات المصرية لمدة تزيد على سنة بعد وصول محمد علي نفسه إلى الحجاز لا تقوم بنشاط يذكر بسبب قلة عددها وندرة وسائل النقل والإمدادات . واتخذت أول خطوة لفتح اليمن بارسال حملة على قنفذه استولت عليها في مارس سنة ١٨١٤ قبل موت الأمير سعود ، لكن القوات المصرية اضطرت للتراجع عنها في مايو من نفس السنة وقد خسرت كل مدفعيتها و ٤٠٠ حصان وعدداً كبيراً من الجمال . وفي نفس الوقت في ربيع سنة ١٨١٤ عزز محمد علي قواعده في الطائف ، واثناء الصيف أرسل حسان باشا القائد المشهور الذى كان وصل في شهر يونيو وبصحبته ١٥٠٠ من أفضل جنود المشاة في مصر ليحتل موقعاً يبعد ٣٠ ميلا شرقي الطائف في الطريق إلى ترابة .

حالة القوات المصرية :

وكانت قوات الاحتلال التي لم تتجاوز خمسة آلاف رجل تكفي

لحماية الاماكن المقدسة من أي هجوم عليها لكنها لا تكفي للقضاء على الوهابيين كما أنها لم تكن في حالة مرضية في ذلك الوقت لذلك بدأت تتململ من طول إقامتها في ظروف مناخية قاسية وغير صحية ، وكانت تكاليف المعيشة باهظة تفوق مرتباتها كثيراً ، وكانت معنويات الجنود في هبوط للانتصارا ت التي يحققها العدو ، ولرفض القيادة دائماً منحهم اجازات . ويقول الرحالة بيركهارت الذي رأى الجنود في ذلك الوقت إنهم كانوا «جنداً ساخطين ، تتفشى بينهم المخاوف» .

علاقاتها بالبدو :

وكان لا بد لمحمد علي وهو يعرف يقيناً أن فشله في الحجاز سيؤدي إلى ابعاده عن باشوية مصر ويدمر مصيره كله من أن يتبع سياسة جديدة في التفاهم مع أهل البلاد وقبائل البدو على السواء ، لكنه ظل هو وضباطه جاهلين إلى حد كبير العلاقات المتشابكة والمتبادلة بين القبائل التي كانوا يتعاملون معها . وفي أغسطس ١٨١٣ بدأت بعض قبائل البدو المجاورة تميل إلى باشا مصر نتيجة لمسلكه المتساهل معهم ، وفي الشهر التالي وصل اليه الشريف راجح بنفسه ، فجعله محمد علي قائداً لفرقة البدو التي كونها في جيشه .

النقل والتموين :

لكن صعوبات التموين ظلت كما هي . فحتى ذلك الوقت بلغ عدد الجمال التي نفقت من قوات الجيش في الحجاز أكثر من ٣٠ الفاً ، حتى في مصر نفسها ندرت الجمال وما بقي منها كان ضرورياً لنقل الإمدادات إلى الساحل عن طريق قنا —القصيرة أو القاهرة— السويس . ورفضت قبيلة حارب التي كانت تقدم الجمال للقوات المصرية أن تتقدم جمالها أبعد من الطائف . وحتى في الطائف لم يكن لدى القوات الموجودة فيها أبداً أكثر من تموين عشرة ايام . كذلك كان الحال في كولاخ وفي المواقع المتقدمة التي أنشئت باتجاه الظهران .

هزيمة القوات المصرية في الظهران ١٨١٤ :

وظلت نتائج الاشتباكات أيضاً في غير صالح المصريين . ففي سبتمبر باغت الوهابيون بقيادة « بخروج » زعيم الوهابيين في الجنوب مفرزة من خيرة قوات المصريين يقودها واحد من أشهر قوادهم وأوقعت بها هزيمة شديدة في الظهران أفقدتها حوالي ٨٠ فارساً و ٨٠٠ من المشاة . لكنهم رجعوا إلى الطائف يحملون رؤوس ٦٠ وهابياً . وفي نفس الوقت ظلت الغارات متبادلة بين قبائل البدو الموالية للوهابيين والقبائل الموالية للمصريين .. وكان النصر غالباً في صف القبائل الأولى .

تعزيزات للقوات المصرية وتحسينات في وسائل النقل :

وبعد هذه الهزيمة بقليل بدأت الأمور تتحسن لصالح المصريين . فقد وصل إلى الحجاز ٨٠٠ فارس بدوى جاءوا من صحراء ليبيا ، فوضع نصفهم في الطائف ونصفهم في المدينة وبدأوا على التو يشنون الغارات على الوهابيين بطريقتهم البدوية . وفي نوفمبر جاءت قوافل الحجاج ، وجاء مع قافلة الشام أربعة آلاف جمل للقوات المصرية جعل الف جمل منها في المدينة . كذلك وصل من مصر مع المحمل الذي لم يصحبه سوى الجنود والرسميون فقط ٢٥٠٠ جمل وإمدادات جديدة قوامها ١٠٠٠ فارس من الأتراك واستخدمت القوات المصرية أيضاً ١٢ الف جملاً كانت مع قافلة الشام لنقل الإمدادات من جدة إلى مكة .

هزيمة الوهابيين الكبرى في بيسال ١٣ يناير ١٨١٥ :

وأخيراً ، بدأت الحركة إلى الأمام ففي ١٥ ديسمبر سنة ١٨١٤ تحركت معظم قوات المشاة التي كانت في مكة إلى كولاخ ، وفي يوم السبت ٧ يناير لحقت بها بقية القوات وفيها محمد علي وأكثر من ١٢٠٠ فارس بعد أن تأخرت يوماً واحداً لاشتباكها مع قوة وهابية بالقرب من قنفذة . ولم يتقدم محمد علي أبعد من ذلك حين جاءت أخبار بأن جيش الوهابيين قد احتل بيسال وهي مكان بين القطيف وكولاخ . وفي يوم

الثلاثاء ١٢ يناير تقدم محمد علي بمعاونة قوات كبيرة من البدو بقيادة الشريف راجح وبعض العتوب لملاقاة جيش الوهابيين . وكانت نتيجة القتال في اليوم الأول غير حاسمة ، وفي اليوم الثاني نجح المصريون في القيام بحركة تراجع خادعة جعلت الوهابيين يتخلون عن أماكنهم فوق التلال المحيطة وينزلون وراءهم للسهل المكشوف . وأوقع المصريون بهم هزيمة لم تترك في نفوسهم شيئاً يطلبونه بعد ذلك . وكان معظم القوات المدحورة التي ذكر أن ٥٠٠٠ رجل منها قد قتلوا في هذه المعركة خاصة في الأودية الضيقة حيث حوصروا أثناء فرارهم من الوهابيين الجنوبيين في اليمن ولكنها كانت تضم أيضاً فرقة من الشماليين يقـــودها فيصل شقيق أمير الوهابيين . وحمل من تبقى منها على قيد الحياة أخبار الهزيمة إلى نجد .

حملة ناجحة للقوات المصرية في الجنوب :

وكانت معركة بيسال هي نقطة التحول في الصراع الدائر بين القوات المصرية والوهابيين وقد انتقل ميدان العمليات الحربية بعدها إلى الشمال ، لكن هزيمة الجنوب عززها تقدم القوات المصرية المنتصرة واستيلاؤها على ترابة ثم مواصلتها السير واستيلاؤها على رنية وبيشة ومن هذه رجعت إلى الساحل بالقرب من قنفذه . لكن هذه الحملة في الجنوب رغم نجـــاحها تماماً من الوجهة العسكرية كبدت القوات المصرية خسارة كبيرة في الرجال والأموال . فمن ٤٠٠٠ جندي خرجوا في بداية الحملة رجع ١٥٠٠ هدهم الإجهاد ، ومن ١٠ آلاف جمل استولت القوات المصرية على نصفها تقريباً من الوهابيين ، لم يبق أكثر من ٣٠٠ جمل على قيد الحياة للوصول إلى مكة . ووجه محمد علي خطاباً إلى ابن سعود يطلب منه الاستسلام .

غزو القوات المصرية الاول للقصيم والمعاهدة التالية ١٨١٥

ارسال طوسون باشا إلى المدينة ١٨١٤ :

نعود الآن إلى الشمال حيث سيتقرر مصير الدولة الوهابية في النهاية . في يونيو ١٨١٤ أغلق أفراد قبيلة حرب الذين قتل الحاكم المصري في المدينة أحد شيوخهم الطريق بينا لمدينة والساحل ، فأرسل محمد علي ابنه طوسون باشا إلى هناك ليسوي الأمور . ونجح طوسون في هذا بعد شيء من الصعوبة وبعد أن استرضى العرب وصل إلى المدينة في ٥٠٠ فارس و ٣٠٠ جندي مشاة ثم أرسل فرسانه مباشرة إلى حنكية لمراقبة حركة الوهابيين في نجد والإغارة على أراضيهم . وفي خريف سنة ١٨١٤ وخاصة في موسم الحج تلقى طوسون باشا إمدادات كثيرة كما ذكرنا ، وفي بداية ربيع سنة ١٨١٤ وبعد أن بدأت أنباء الهزيمة في بيســـال توئتي آثارها في نجد وكان طوسون باشا مستعداً للاستفادة من الفرصة المتاحة في اقتراح لبعض زعماء وسط الجزيرة خاصة شيخ القصيم . وفي يناير ١٨١٥ كان امير الوهابيين في القصيم مستعداً لمواجهة تحركات طوسون لكنه حين عرف باخبار الهزيمة في بيسال تراجع بسرعة إلى الدرعية خشية أن تتقدم القوات المنتصرة نحو عاصمته في الجنوب .

تقدم طوسون باشا إلى القصيم مارس – مايو ١٨١٥ :

وقرب نهاية مارس سنة ١٨١٥ تقدم طوسون باشا إلى القصيم التي كان قد ارسل اليها حوالي ٤٠٠ فارس من قبل ، واصطحب معه ٢٠٠ او ٣٠٠ فارس آخر و٤٠٠ جندي من المشاة و حوالي ٤٠٠ بعير للنقل وكذلك بضع مئات من بدو قبائل حرب مطير ، وتوقف شهراً في طريقه عند حنكية ، وهناكجاءته الأوامر من محمد علي بالرجوع إلى المدينة لكن طوسون بسبب إعتقاده وقتذاك أنه ليس أقل في المكانة من أبيه

رفض أن يطيع الأمر . ويجب أن نلاحظ أن محمد علي نفسه كان في المدينة إذ جاء اليها على غير توقع في ١٤ إبريل لأن وقته كان مشغولا تماماً بالمشاكل المحلية . وفي أوائل مايو وصل طوسون باشا إلى القصيم ، وفي الرس لحق به حلفاؤه السياسيون من رجال القصيم ومنهم الفرسان الذين طلبوا منه التقدم . لكن حجيلان أقوى رجل في القصيم كان مخلصاً في ارتباطه بقضية الوهابيين فلم يشترك في هذا الأمر ، بل على العكس جمع أنصاره حوله واستعد للحرب في بريدة .

تحرج موقف القوات المصرية في القصيم مايو – يونيو ١٨١٥ :

وحين وصل الأمير عبدالله إلى شنانه في قوات كبيرة من البدو وغيرهم أصبح طوسون باشا في موقف حرج . فالوهابيون يستطيعون منع وصول الإمدادات اليه إلا من عدة قرى قريبة ، وفي نفس الوقت أباد الوهابيون قوة من ٢٥٠ فارساً كانت متقدمة من المدينة لنجدة طوسون ، وكانت هذه الجماعة سيئة الحظ يقودها إبراهيم أغا أو توماس كيث الذي كان طوسون باشا قد جعله حاكماً للمدينة والذي أثبت شجاعته حتى اللحظة الأخيرة حين قتل أربعة رجال من الأعداء بيديه قبل أن يسقط قتيلا . وفي نفس الوقت أسرع محمد علي باشا الذي بدا غير مهتم بنتائج عمليات ابنه في القصيم ، بل حتى داخلته الغيرة من أعماله– أسرع من ينبع عائداً إلى مصر ، وذكر في تبرير هذا الرحيل المباغت أن صحتة ساءت كثيراً لطول إقامته في جزيرة العرب وأنه كان يخشى هجوم الاسطول التركي على ميناء الاسكندرية .

المعاهدة ، وعودة طوسون باشا إلى المدينة يونيو ١٨١٥ :

ويبدو أن ضعف القوات المصرية لم يكن واضحاً تمام الوضوح للوهابيين ، وكان أميرهم لهذا يعتقد أن موارد مصر الكثيرة لا بد ستنتصر في النهاية على مصادره المحدودة .. وظن أن من المناسب أن يتراجع عن الاستمرار في هذا الصراع .. ومهما كان السبب فقد استجاب الامير

عبدالله لعقد تسوية اقترحها طوسون ، وتم التوصل إلى اتفاقية تخلى فيها الأمير عن مطالبته بالأماكن المقدسة في الحجاز واحتفظ بحقه في زيارتها لهدف الحج فقط ، كما اعترف أيضاً بسيادة سلطان تركيا عليه . وفي مقابل ذلك تعهد طوسون باشا بالانسحاب من القصيم ، وتم الاتفاق على أن تكون منطقة حنكية هي الحدود الفاصلة بين المناطق التابعة للوهابيين والتابعة للمصريين . وهكذا رجع طوسون باشا إلى المدينة في يونيو سنة ١٨١٥ بعد أن ظلت إقامته في القصيم أربعة أسابيع بالضبط (١) .

عدم التصديق على الاتفاقية :

وفي أغسطس وصل مبعوثان من الوهابيين إلى القاهرة للتصديق على هذه الاتفاقية لكن محمد علي ردهما رد أغير واضح بدا منه أنه كان لا يمانع في الصلح بشرط أن يضم إقليم الأحساء على ساحل الخليج . ورجع طوسون باشا نفسه إلى القاهرة يوم ٧ نوفمبر سنة ١٨١٥ فاستقبله ابوه استقبالا فاتراً .



القوات المصرية تغزو القصيم للمرة الثانية ١٨١٧ ـ ١٨١٨

الاستعدادات للحملة ١٨١٦ :

وظلت الامور كما هي عدة شهور بعدها . وكان معظم السبب في ذلك اقتناع محمد علي بأن الانجليز لا بد سيحاولون النزول إلى مصر ، وحين تبدد خوفه هذا استأنف مواصلة حربه في جزيرة العرب ، وقد

(١) وتذكر رواية أخرى أن عبد الله قد وافق أيضا على ان يقدم بعض الرهائن ويسلم الدرعية الى أى حاكم يعينه السلطان ، وان يعيد الكنوز التى نهبت من قبر النبى محمد (ص) بل وان يسافر بنفسه الى القسطنطينية اذا طلب اليه ذلك •

حدثت اضطرابات واسعة في جنوب الحجاز وارغمت الحاميات المصرية على التراجع من بيشه ورانية وترابة . وفي أغسطس ١٨١٦ خرج ابراهيم باشا ابن محمد علي الاكبر (أو ابنه بالتبني) من القاهرة ومعه قوات قوامها ٢٠٠٠ جندي من المشاة و ١٥٠٠ فارس من بدو الصحراء الليبية ، وقيل إن الأموامر صدرت اليه بالتقدم من المدينة إلى الدرعية عن طريق القصيم .

عمليات القوات المصرية في حنكية :

وانقضى وقت طويل على أية حال قبل أن يستطيع ابراهيم باشا تنفيذ التعليمات التي صدرت اليه ، فلم يصل حنكية إلا بعد انقضاء وقت طال عدة أشهر من سنة ١٨١٧ ، وجعلها مركز انطلاق غارات متعددة على القبائل المجاورة .. وكانت قبائل حرب وعتيبه من الذين عانوا من هذه الغارات وكان من نتائجها أن أعلنت قبائل كثيرة ولاءها للمصريين . وكان العمل التالي لابراهيم باشا هو حملته على منطقة جبل شمر ، مستعيناً أساساً يقبائل البدو الموالية له ، يتبعها طابور من الفرسان المصريين وراءهم . وأصيبت هذه القبائل بخسائر فادحة .. ونجا المصريون فلم يفقدوا أكثر من ٢٠ رجلا .

انتصار القوات المصرية في جبل ماوية ١٨١٧ :

وبناء على طلب قبائل البدو الموالية للقوات المصرية والتي بدأ الوهابيون يلحون في مضايقتها ارسل القائد المصري قوة من جنوده إلى جبل ماوية على الطريق بين حنكية ورأس .. وهناك اشتبكت هذه القوة بقوات العدو بقيادة الأمير عبدالله ، وكانت نتيجة المعركة في صالح المصريين ويستدل على ذلك من الهياكل العظمية البالية التي كانت ما تزال تغطي ساحة القتال عندما تفقدها الكابتن سادلر في سبتمبر ١٨١٩ . واضطر الأمير إلى الهرب عن طريق رأس عنيزة في القصيم . وفعل إبراهيم باشا الذي وصل إلى ميدان الحرب بعد انتهائها

تقريباً كفعل الوهابيين في مثل هذه الحالات ، فأمر بإعدام الأسرى جميعاً . وحين تجمعت قواته في ماوية ـــ ووصل عددها إلى ١٢٠٠ فارس و ٤٠٠٠ من جنود المشاه (١) تقدم نحو الرس ، ولحق به شيخ قبيلة مطير علناً فقد كان له ثأر عند الوهابيين ، وقام في الطريق بغارة على قبيلة عنيزة

القوات المصرية تضرب حصاراً فاشلا على رأس ١٨١٧ :

وحين وصل إبراهيم باشا إلى الرس أعد العدة للاستيلاء عليها مرة واحدة ، لكن أسوارها استطاعت أن تقاوم نيران مدفعيته لثلاثة أيام ، وحين أحدثت ثغرة في الأسوار وبدأت قواته في الاندفاع منها اضطرت إلى التراجع متكبدة خسائر جسيمة . واستمر الحصار بلا جدوى ثلاثة أشهر ونصفاً ثم رفع نهائياً . وخسرت القوات المصرية ٩٠٠ قتيل و ١٠٠٠ جريح في هذه العمليات ، كما استهلكت حمولة ٤٠٠ بعير من ذخيرة الأسلحة الخفيفة إلى جانب ٣٠ الف دانة للمدفعية . كل هذا في حين لم تتجاوز خسارة المحاصرين داخل المدينة أكثر من ٥٠ قتيلا و ٧٠ جريحاً . وحدث شبه اتفاق مع أهل الرس أصبح مصير هذه المدينة بموجبه مرتبطاً بمصير عنيزه عاصمة القصير .

القوات المصرية تستولي على ضرمة وعنيزة ١٨١٧ :

وعوض ابراهيم باشا عن فشله هذا بالاستيلاء على ضرمة التي لم تستطع مقاومة الحصار أكثر من يوم واحد ، وتقدم بعدها إلى عنيزة في نفس الوقت الذي انسحب فيه الأمير عبدالله إلى بريده ، وسقطت عنيزه بعد ضربها بالمدافع مدة ستة أيام ، وانسحب أمير الوهابيين غرباً إلى شقره حيث قضى فيها الشهرين التاليين ثم احتل إبراهيم باشا بريده بعد أن جلا عنها الأمير عبدالله وأصبح إقليم القصيم كله خاضعاً للمصريين (٢) .

---

(١) يقدر كابتن سادلر عدد القوات المصرية بأقل من هذا كثيرا ·

(٢) يورد سادلر رواية أخرى لهذا الجزء من الحملة ·

الاستيلاء على شقره ٢٢ يناير ١٨١٨ :

وفي ١٣ يناير ١٨١٨ وصلت القوات المصرية قريباً من شقره المركز الرئيسي في وشم ، وأرسل ابراهيم باشا دورية استطلاعية قوامها ٨٠٠ فارس لما حولها ، وفي اليوم التالي وبعد مسيرة مجهدة في الرمال الناعمة استطاع أن يجعل قواته شرقي المدينة وجنوبها ، وبدأ مهاجمتها مرة واحدة بعد أن وصلت تعزيزات جديدة جعلت قواته تبلغ أكثر من ٤٥٠٠ جندي نظامي .

وفي ١٦ يناير سقطت ضواحي المدينة بعد اشتباك بالسلاح الابيض وجهاً لوجه خسرت فيه القوات المصرية حوالي ١٥٠ رجلا ، وترك الوهابيون وراءهم ٦٨ جثة في مكان القتال . وأمر إبراهيم باشا بقتل بعض الوهابيين الذين وقعوا في الاسر ، وعاد لمواصلة الحصار . وفي ٢٢ يناير سقطت شقره بعد أن تم الاتفاق على أن يلقي أفراد الحامية سلاحهم ويغادروا . وفي هذا الجزء الأخير من العمليات خسرت القوات المصرية ١٣٠ قتيلا ، وقتل من الوهابيين ١٧٠ وجرح ٢٤٠ رجلا .

مذبحة في ضرمة :

وبعد إقامة قصيرة في شقره هطلت خلالها أمطار غزيرة ترك القائد المصري الجرحى والمرضى فيها وواصل تقدمه إلى الدرعية . ومر في طريقه بضرمة حيث اعترضت قواته بعض المقاومة غير النظامية فأمر بإعمال القتل في عدد كبير من أهلها . أما الحاكم الوهابي الذي كان قد تحصن في القلعة لا يبرحها فقد أعطى الأمان على أن يخرج إلى الدرعية تاركاً وراءه ممتلكاته وكان من بينها عدد كبير من الخيول الثمينة وألا يحمل السلاح مرة أخرى في وجه المصريين .

الوصول إلى الدرعية والاستعدادات الاولى مارس ١٨١٨ :

وفي ٢٢ مارس ١٨١٨ ومرة أخرى بعد تأخر سببه المناخ السيء إستطاع إبراهيم باشا بمشقة كبيرة عبور الهضاب الفاصلة بين ضرمة

ووادي حليفة ، وقد وصلت قواته الآن إلى خمسة آلاف ما بين راكب وراجل . وكانت مدفعيته تتكون من ١٢ قطعة قطعتى مورتر وقطعتى هويتزر (١) وغيرها وأقيم معسكر في العينين ، وارسلت دوريات الاستطلاع حتى أسوار الدرعية وفي ٦ إبريل اتخذ ابراهيم باشا مواقعه في مواجهة عاصمة الوهابيين التي اندفع أهلها للدفاع عنها ، وفي ١٤ إبريل بدأت القوات المصرية إطلاق النيران على أحد استحكامات الوهابيين الأمامية فدمروا مدفعين وأسروا بعض الوهابيين ، وقد أعدم هؤلاء مباشرة ، وبعدها بقليل سقط استحكام آخر بعد أن جاهد الوهابيون طويلا للاحتفاظ به ، وبهذا ارغم الوهابيون على التخلي عن خطة الدفاع المتقدم هذه ، وكان يقودهم فيصل شقيق الأمير .

خطورة موقف القوات المصرية مايو — يونيو ١٨١٨ :

وأدى وصول التعزيزات والإمدادات من مصر من ناحية والعراق التركي من ناحية أخرى إلى أن يتشجع قائد القوات المصرية الذي كان إبطاؤه سيسبب له أوخم العواقب فقام بعمل هجومي على منطقة غسيبة(٢) ، غير أن قواته رفضت أن تتقدم لمواجهة العاصفة بعد أن أحدثت نيران مدفعيتها ثغرة في السور المحيط بهذة المنطقة . و قد أدى هذا الفشل إلى الانتقاص من هيبة القوات المحاصرة ، وبدأ الوهابيون بسلسلة من الهجمات اليومية على معسكر المصريين موقعين بهم خسائر كبيرة . وفي نهاية شهر مايو بلغ موقف القوات المصرية غاية الحرج والخطورة ، وواصل الوهابيون مضايقتها بصورة دائمة وكانت نشاطاتهم بهذا الصدد تتزايد يوماً بعد يوم ، علماً بأن المصريين لم يكونوا قادرين على إحكام الحصار حول الدرعية ، فقد كانت الإمدادات تصل إليها عن

---

(١) يذكر كابتن سادلر عدد الفرسان على انه ١٩٥٠ فارسا ، والمشاة ٥٦٠٠ لكننا لا نعرف مصدره في الحصول على هذه المعلومات .

(٢) لا زال اسم غسيبة يطلق على احد المناطق يسار أو شمال الجانب الشمالى من وادى حنفية .

طريق الأحساء أن دون تستطيع القوات المصرية منعها . وفي يوم ١٢ يونيو حملت الرياح النيران إلى مستودع ذخيرة القوات المصرية ، وحدث انفجار مروع التهم الذخيرة كلها . وقد وقعت هذه الحادثة عقب اشتباك عنيف قتل فيه ١٦٠ رجلا من القوات المصرية بينهم كثير من الضباط ذوي الرتب الكبيرة . وهكذا أصبح الجيش المحاصر في مواجهة عدو رهيب ، وخطوط تموينه طويلة وبعيدة ، ولا ذخيرة إلا ما تبقى في بنادق الجنود وفي بطاريات المدافع ، وفي اليوم التالي ، حين ترامى إلى الوهابيين نبأ الكارثة التي حلت بالقوات المصرية قاموا بهجوم على القوات المصرية بجيش قوامه ١٥٠٠ رجل (١) ، لكن إبراهيم باشا الذي كانت شجاعته مضرب الأمثال استطاع أن يلهب حماسة قواته ويبث فيها روحاً عالية ، فاستطاعوا أن يصدوا هجوم الوهابيين مسببين خسارة فادحة بنيران مدفعيتهم ، وأفقدت هذه النتيجة الوهابيين عنصر المبادرة وجعلتهم يقتصرون على الدفاع مرة أخرى .

تحسن حالة القوات المصرية وتزايد نشاطها :

وبعد انقضاء فترة تزيد على الثلاثة أسابيع بدأت الإمدادات تصل من عنيزه وغيرها من المواقع المتقدمة إلى القوات المصرية التي استعادت سيطرتها على الموقف . وفي ١٨ أغسطس وفي أثناء غياب إبراهيم باشا في حملة تأديبية على بعض القرى المجاورة شن الوهابيون هجمة كبيرة على معسكر المصريين ولم يرجعوا إلا بعد جهــــــد شديد بذلته القوات المصرية . وأخيراً حين عرف المصريون بأن محمد علي قد ارسل خليل باشا ومعه قوات كبيرة لمساعدتهم بدأوا يواصلون الهجوم . ووقع فيصل شقيق أمير الوهابيين الذي قام بدور كبير في الدفاع قتيلا بإحدى

(١) كان ابراهيم ـ في ذلك الوقت ـ في السادسة والعشرين من عمره وثمة تشابه واضح بين موقف القوات المصرية أمام الدرعية ، وموقف القوات البريطانية أمام ريدج في المراحل الاولى من حصار دلهى سنة ١٨٥٧ .

القذائف . وتقدم المصريون بفرقة صغيرة مزودة بثلاثة مدافع وبعض الذخيرة إلى جوار منطقة غسيبة ، واستطاعوا ان محاصرة قلعة يقودها سعد أحد أبناء الأمير ، وبعد يومين سقطت القلعة لنفاذ الإمدادات والذخيرة . وأسر سعد لكنه عومل معاملة حسنة ، كذلك ضربت قلعتا غسيبة وسهيل(١) بالمدافع وسقطتا في أيدي المصرين وأسر الحاكم السابق في ضرمة الذي سبق أن وعد بعدم رفع السلاح أمام القوات المصرية محارباً وأعدم ، وألقى المدافعون عن قلعة طرفية أسلحتهم ، وبقيت قلعة طريف (٢) فقط التي يتحصن بها الامير عبد الله نفسه مستمرة في المقاومة .

استسلام الامير عبدالله ٩ سبتمبر ١٨١٨ :

وأخيراً في يوم ٩ سبتمبر ١٨١٨ استجاب الأمير لنصيحة مستشاريه جميعاً فرفع الراية البيضاء وبدأت المفاوضات ، وتم اللقاء في نفس اليوم بين الأمير عبدالله وإبراهيم باشا ، ولم يستطع الرجل العربي أن يخفي حقيقة مشاعره وان استطاع تغطيتها بالهدوء والوقار ، كذلك قام الرجل التركي من ناحيته بمنتهى اللياقة فاحترمه كعدو مهزوم بل إنه أمر باطلاق سراح ابنه سعد(٣) . وعرض ابراهيم الصلح على أن يستسلم الأمير ويرحل إلى القاهرة . وأمهله أربعاً وعشرين ساعة للتفكير في الأمر وكان ثمة خوف من ان ينتحر الأمير خلال هذه المهلة أو يفر إلى الصحراء ولكن أخيراً وافق الأمير بعد أن ضمن له إبراهيم باشا مطالبه وهي تأمين حياته والمحافظة على مدينة الدرعية وعدم إيقاع العقاب بمن كان يحارب ضد القوات المصرية ، وبدأ الأمير يتخذ الترتيبات اللازمة لرحلته .

---

(١) الدرعية الآن في المكان المسمى بصريحة في وادى حنيفة بالقرب من غسيبه .

(٢) تقع طريف الى الجانب الجنوبى أو الايمن من وادى حنيفة ، وما زالت حتى اليوم موجودة باسمها هذا .

(٣) مرة أخرى ، تختلف هنا رواية سادلر عن رواية منجن .

ونمر بسرعة على ما بقي من قصة عبدالله بن سعود . فقد صحبه الرجال المقربون اليه وبينهم المقيم على بيت المال ، وأمين سره وعبيده المخلصون وساروا بحراسة ٤٠٠ جندي مصري على طول الساحل . ووصل عبد الله إلى القاهرة في نوفمبر والتقى بمحمد علي الذي طمأنه ، وأعاد الأمير بعض الكنوز التي كانت في قبر النبي بالمدينة . غير أن المعاملة التي لقيها في القسطنطينية كانت شيئاً يناقض تماماً ما لقيه قبلها فبعد أن عرض في شوارع العاصمة ضرب عنقه في ميدان القديسة صوفيا مع عدد من المقربين اليه .



فترة خلو الحكم الوهابي من وجود الامير ١٨١٨ ـ ١٨١٩

القوات المصرية تحتل نجد والاحساء للمرة الاولى ١٨١٨ وارسال أشقاء الامير عبدالله إلى القاهرة :

تحطمت تماماً في ذاك الوقت الدولة الوهابية المنظمة في نجد ، وبدأت القوات المصرية تحكم البلاد حكماً مباشراً . وقد تم أسر أربعة من أشقاء الأمير وأرسلوا إلى القاهرة حيث سجنوا فيها ، وسبّب فرارُ أخ خامس لعله مشاري قلقاً عظيماً للقوات الغازية .

تدمير الدرعية وما إلى ذلك :

وقد نُهبت مدينة الدرعية في البداية ، واحتفظ إبراهيم باشا لنفسه ببيوت آل سعود التي لم يكن بقي فيها شيء يذكر ، وراح الجنود يضعون أيديهم على ما يستطيعون العثور عليه ، وبدأ تعذيب هؤلاء الذين كان يشك في أنهم يخفون ممتلكات أو أشياء ذات قيمة . أما التدمير

الكامل لمدينة الدرعية فلم يبدأ إلاّ بعد صدور الأوامر به من القسطنطينية ، وبعد أن خضع بعض أهل المدينة فدفعوا مبالغ ضخمة لاستثنائهم وبيوتهم من هذه العقوبة وبعدها بدأت عملية هدم وتدمير شاملة للمدينة حتى لم يبق فيها حجر على حجر ، وقطعت أشجار النخيل حتى آخر شجرة ، لكن القائد المصري لم يأمر بهدم المدينة إلا بعد أن أمر بنقل أهلها إلى الأحساء وبعد انتقال بعضهم للإقامة في بساتين النخيل القريبة من منفوحة .

وبعد ذلك قامت القوات المنتصرة بهدم كل التحصينات والقلاع في كل المدن والقرى بنجد وتسويتها بالأرض . وقد أشار الكابتن سادلر إلى دقة تنفيذ بها هذه العملية في كل من منفوحة والرياض وترمدا وشفرة وعنيزة وذلك بعد أن زار هذه المناطق سنة ١٨١٩ ، وقد أبقيت المنازل وأشجار النخيل كما هي إلا في أماكن خاصة كالدرعية وعنيزة .

احتلال الخرج والأحساء :

وجعلت القوات المصرية لها موقعاً في سليمية بالخرج ومنها تقدم إبراهيم باشا إلى إقليم الأحساء ، الذي كان يبدو أن الفاتحين سيجعلون عاصمتهم فيه . وبعد وصول إبراهيم باشا إلى الأحساء لحق به القرصان المشهور في قطر رحمة بن جابر وعاونه في الاستيلاء على مدينة القطيف بعد ضربها بالمدافع . وفي مقابل ذلك سمح له ابراهيم بالإقامة في قلعة الدمام في ساحل الأحساء . وكان ابراهيم باشا يفكر في أن يباشر مزيداً من العمل باتجاه الأحساء . لكن الصعوبات الطبيعية التي كانت تحيط بموقف القوات المصرية الزمته بالتخلي عن هذه المشروعات .

عقاب قبائل البدو :

وخرجت الحملات التأديبية في كل اتجاه ضد قبائل البدو التي كانت تساعد الوهابيين ، وقد لحقت معظم الخسائر ببني سبيع الذين كانوا مستقرين إلى جوار آبار رمة في عرمة .

علاقة الاتراك بالعرب عموماً :

ويبدو أن علاقة القوات المصرية بأهل البلاد أينما كانوا كانت على أسوأ حال ، فقد كان هؤلاء في حالة واضحة من العوز والبؤس وكانت القوات المصرية تنهك مصادرهم القليلة ، وبعد إقامة عامين في نجد ظل بعض كبار المسئولين في القوات المصرية على جهل واضح بجغرافية البلاد ، كأنهم لم يغادروا القاهرة قط .

★ ★ ★

انسحاب القوات المصرية انسحابا جزئيا ١٨١٩

وشيئاً فشيئاً بدأ يتضح أن القوات المصرية ليس بوسعها أن تحتل نجداً احتلالا كاملا ، وذلك أساساً لصعوبة الاتصال بين مواقعها المختلفة بسبب عداء قبائل البدو وتزايد مشاكساتها ولا سيما قبيلتي عجمان وسعده (١) .

الجلاء عن الاحساء يوليو ١٨١٩ :

وفي يونيو سنة ١٨١٩ تقريباً ارتأت قيادة القوات المصرية وضع ممثلين من البدو لها في كل البلاد شرقي وجنوبي القصيم ، وشهد الكابتن سادلر من فرقة صاحب الجلالة ٤٧ عملية الجلاء كما صحب القوات المنسحبة ؛ وكابتن سادلر هذا نفسه هو الذي أرسل إلى إبراهيم باشا موفداً من قبل حكومة الهند على نحو ما هو موضح في تاريخ عمان المتصالحة ، ولحق سادلر بكاشف الأحساء وقواته التي كانت تبلغ ٢٥٠ جندياً و ٦٠٠ بعير للنقل ، وقد بدأ الكاشف يعد العدة للرحيل فجمع من أهل الأحساء حوالي مليون قرش وترك وراءه شيخ بني خالد ممثلا للحكومة التركية في الأحساء . وكان شيوخ بني خالد هم الاعداء التقليديين للوهابيين ،

---

(١) رغم أن المؤرخين يشيرون الى قبيلة بنى سعدة كقبيلة مستقلة ، الا أنها على الارجح فرع من عجمان .

وقد سبق للوهابيين أن حطموا قوتهم من قبل . وكان مقرراً أن يحملوا الجزية السنوية من الأحساء إلى القصيم حيث كانت ستقيم حامية مصرية إقامة دائمة .

السير من الاحساء إلى منفوحه يوليو — اغسطس ١٨١٩ :

وكان الطريق الذي يسلكه الأتراك بين الأحساء والقصيم يمر بالسليمانية في الخرج ، وقال الكاشف إنه ينوي السير في هذا الطريق ، لكنه في اليوم الثاني من مسيرته خشي أن تهاجمه قوات بني سعدة التي كانت تثير الاضطرابات والقلاقل مؤخراً في السليمانية ، فغير طريقه إلى آبار روحه في عرمة ، وهناك كان مفروضاً أن تلحق به حامية السليمانية وكانت تتكون من عدد من الفرسان يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ فارس . لكن هذه الحامية لم تظهر في الطريق (١)بسبب حصار البدو لها في موقعها . واضطر الكاشف للسير إلى منفوحة حيث وصلها عن طريق بنبان في ٣ أغسطس ، وأرسل نصف قواته لفك الحصار عن حامية السليمانية .

السير من منفوحة إلى الرس أغسطس ١٨١٩ :

وفي ١٣ أغسطس وصلت حامية السليمانية سالمة إلى منفوحة ، وبدأ السير إلى القصيم ، وكانت كل البلاد المحيطة واقفة بسلاحها على أهبة الاستعداد ، وقد فشل الكاشف في تنفيذ خطة وضعها للقضاء على الشخصيات الهامة من الوهابيين في منفوحة قبل رحيله (٢) ومرت القوات المنسحبة في اليوم نفسه بخرائب الدرعية التي لم يكن بها كائن حي واحد ،

---

(١) وكان السبب في هذا تأديبيا . فقد جاء في أوامر ابراهيم باشا بالانسحاب من الاحساء أن تقضى القوات المصرية على مقاومة أربعة من الشيوخ المعاندين كانت القوات المصرية ما زالت تعاملهم معاملة طيبة . وحين فشل قائد الحامية في تحقيق ذلك بالقوة ، دعا المشايخ الى وليمة ، ثم أمر بهم فقتلوا ، وحوصرت الحامية بسبب هذا العمل .

(٢) ترك لنا كابتن سادلر وصفا تفصيليا للدرعية كما رآها .

وعسكرت القوات لقضاء ليلتها في العينيه . وفي اليوم التالي عبرت القوات مضيق حايسية الذي كان ما يزال يحمل آثار مدافع إبراهيم باشا(١) ، واجتازت القوات المنسحبة بعرة التي وجدت مهجورة تماماً في ١٥ أغسطس ، ووصلت ترمدا في ١٦ أغسطس وشقرة في ١٧ منه ، وكان وصولها لشقرة في الوقت المناسب لمطاردة جماعة من العتوب كانوا قد وصلوا إلى تلك المدينة ونهبوا ماشيتها ، واستطاعت الفرقة المصرية التي طاردتهم أن تقتل عشرين رجلا منهم وتأسر خمسة قطعت رؤوسهم مباشرة . وكان مفروضاً أن تستبدل جمال النقل التي قدمها بنو خالد للقوات المصرية في ذلك الحين بجمال أخرى لبني مطير . لكن مشكلة حدثت في ذلك الوقت أدت إلى مصادرة القوات المصرية هذه الجمال وطرد بني خالد دون ان يقبضوا أجوراً أو تعويضات . وطوال المسيرة لم تسمح القوات المصرية للعرب بأن يأخذوا جمالهم لترعى في أي مكان خارج حدود المعسكر ، فقد كانت تخشى هربهم ، ووصلت القوات إلى مذنب في ٢٣ أغسطس وعنيزة في ٢٤ ثم الرس في ٢٦ وكان إبراهيم باشا قد رحل من الرس إلى المدينة في ٢٤ أغسطس ، لكنه ترك معسكراً وراءه ، فيه خليط غريب من الجند الأتراك والألبان والفرسان الليبيين ، انضم اليهم كابتن سادلر ومن معه من الإيرانيين والهنود والبرتغاليين والأرمن .

السير من راس إلى حنكية اغسطس-سبتمبر ١٨١٩ :

ورفضت السلطات المصرية في الرس أن تسهل له العودة إلى الهند عن طريق البصرة ، فاضطر كابتن سادلر أن يواصل رحلته مع القوات المنسحبة إلى البحر الأحمر . ووصل في ٣١ أغسطس إلى وادي المياه ، واجتاز في ٢ سبتمبر المكان الذي دارت فيه معركة جبل ماوية ، وفي ٤

---

(١) في معظم العمليات .. كانت الجمال هى التى تسحب مدافع ابراهيم باشا .

سبتمبر وصل إلى موقع القوات المصرية في حنكية بعد سير مرهق مستمر طوال ٢٩,٥ ساعة دون ماء على الإطلاق (١) .

رحيل إبراهيم باشا إلى مصر نوفمبر ١٨١٩ :

أما باقي أعمال كابتن سادلر في الحجاز فهي خاصة بتاريخ عمان المتصالحة ويكفي هنا القول بأن ابراهيم باشا ظل معسكراً على الساحل حتى يوم ١٧ نوفمبر حيث أقلع من جدة نهائياً إلى القصير .

★ ★ ★

مشارى بن سعود ١٨١٩ ـ ١٨٢٣



وعقب رحيل الجزء الأكبر من القوات المصرية مباشرة قام مشاري شقيق الأمير السابق ولعله هو نفسه الذي استطاع الهرب من السجن قبل الجلاء فجمع مجموعة من أنصاره وتولى السلطة في نجد دون علم القوات المصرية التي كانت بعض حامياتها ما تزال موجودة . وفي سنة ١٨٢٢ أرسل ٧٠٠ فارس إلى عنيزة في القصيم ، وأصدر محمد علي أوامره بضرورة بناء قلعة في الدرعية لاستقبال الحامية المصرية ، وبعدها بقليل وضعت حامية من ١٠٠ فارس مصري في الرياض وكان واضحاً أنها ستصبح عاصمة نجد الجنوبية بدلا من الدرعية ؛ لكن البدو استطاعوا مباغتة هذه الحامية وإبادتها . ولا نعرف يقيناً كيف انتهت فترة حكم مشاري ؛ وربما كما يقول أحد المصادر أطاح به حاكم الأحساء من بني خالد ، أو كما يذكر مصدر آخر وقع بين أيدي القوات المصرية التي أعدمته .

(١) يصور لنا كابتن سادلر هذا الانسحاب بكل ما فيه من قسوة ونزاع في صفحات كثيرة من يوميات رحلته .

تركي بن عبد الله ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤
التاريخ العام والداخلى ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤

طرد القوات المصرية ١٨٢٤ :

وخلف مشاري قريب له يدعى تركي ينتمي إلى الفرع الأكبر من عائلة آل سعود ، وهو تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود أول أمير للوهابيين . ويبدو أن تركي تولى الحكم بعد أن طرد الحامية المصرية من الرياض ، وأنه حصل بعدها مباشرة على اعتراف أنصاره وأهل بلده به أميراً للوهابيين . ويبدو أنه بعد إحراز هذا النجاح الأوّلي راح يواصل عملياته الهجومية غرباً . وبما أننا لا نجد من هنا فصاعداً إشارة لأية حامية مصرية في أي موقع بالقصيم ، فاننا نستطيع أن نستنتج أن القوات المصرية قد طردت من نجد كلها ، ولا بد أن علاقات ودية قد قامت بعد ذلك لأن تركي بدأ حكمه بدفع جزية سنوية صغيرة لحاكم مصر لكنه كان من سائر النواحي الأخرى حاكماً مستقلا .

السياسة الداخلية لتركي :

وكانت سياسة تركي في الإدارة الداخلية بعد أن استتب له الامر تتفق والتراث الوهابي التقليدي ، لكنه كان في نفس الوقت أكثر تحرراً واستنارة ممن سبقوه . وفعل فعل الأمير الوهابي الاول في القضاء على الاضطرابات القبلية وإيقاع أقسى العقاب بمرتكبي حوادث السرقة والنهب ، لكنه على عكس أسلافه شجع مرور الحجاج السنية والشيعة بأرضه في طريقهم إلى الأماكن المقدسة ، بل وتعهد أيضاً بضمان سلامتهم . وفي عهد تركي لم تكن القيود الدينية التي يفرضها الوهابيون تسري على هؤلاء الذين لا يشاركونهم العقيدة إلا فيما يتعلق بالتدخين علناً وفي الأماكن العامة .

تمرد مشاري واغتيال تركي ١٨٣٤ :

وفي سنة ١٨٣١ قام أحد أبناء شقيق لتركي ويدعى مشاري

بالتمرد على عمه بعد أن أيدته قبيلة قحطان وسواها من القبائل ، لكن تمرده هذا رغم أنه أشاع شيئاً من الاضطراب وعدم الاستقرار في البلاد لم يستطع أن ينال شيئاً من تركي بالوسائل الشريفة الواضحة . وفي سنة ١٨٣٤ نجح على أية حال في أن يدبر عملية اغتيال تركي .

★ ★ ★

أعمال الامير تركي في شرق الجزيرة ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤

وفي عهد تركي استعاد الوهابيون لفترة محدودة المكانة التي كانت لنفوذهم في شرق الجزيرة ، وفي سنة ١٨٣٣ كان كل ساحل خليج عمان والخليج العربي شمالا حتى القطيف خاضعاً يدفع الجزية لهم .

فتح الوهابيين للاحساء ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤ :

وكان من أول الأهداف التي عمل تركي على تحقيقها استعادة إقليم الأحساء الذي كان بنو خالد قد عادوا إلى حكمه منذ ولتهم القوات المصرية عليه في سنة ١٨١٩ . وطوال المدة من ١٨٢٤ إلى ١٨٣٠ ظل الموقف هناك كما هو ، ولكن في سنة ١٨٣٠ اضطر بنو خالد أخيراً إلى الاستسلام لقوات الامير في المعركة الاخيرة التي خاضوها معه في وبره ، وكان يقود قوات الوهابيين تركي بنفسه ومعه ابنه فيصل . وفي سنة ١٨٣١ غامر بنو خالد متشجعين بتمرد مشاري فهاجموا الهفوف والقطيف لكنهم صدوا عن المدينتين .

وحين قوي مركز الأمير في الأحساء في سنة ١٨٣٠ بادر بطلب الجزية من شيخ البحرين ، وخشي هذا تحالف الأمير مع سيد عمان عليه فاضطر لدفعها .

علاقة الوهابين بالبحرين ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤ :

ولم تكن هذه الاتفاقية نهائية ، ولا كان أحد الطرفين مخلصاً في

عقدها أو الالتزام بها ، فظل الوهابيون على محاولتهم أن يجعلوا بشير ابن القرصان الشهير رحمة بن جابر في الدمام مصدر مضايقة للعتوب في البحرين ، كذلك فعل شيخ البحرين بمجرد أن تمكن من ذلك بعد رحيل بشير من الدمام سنة ١٨٣٣ فنقض اتفاقيته وحرض بني خالد في الأحساء على مناوشة الوهابيين . وهناك بعض الأسباب التي تحملنا على الظن بأن تدبير مشاري اغتيال الأمير تركي في سنة ١٨٣٤ كان بتحريض من شيخ البحرين أو على الأقل بإيحاء منه وكان هذا قد أعلن الحرب قبل هذه الحادثة مباشرة وحاصر مينائي القطيف والعقير من البحر .

النفوذ الوهابي في عمان المتصالحة ١٨٢٤–١٨٣٤ :

ولم يكد تركي يعزز من مكانته على عرش نجد حتى بدأ أكثر الشيوخ المثيرين للاضطراب فيما يعرف اليوم بعمان المتصالحة يهيجون أطماع الأمير خاصة شيوخ الشارجة وعجمان . وفي سنة ١٨٢٥ اعترف الشيخ القاسمي في الشارقة سراً بخوفه من أمير الوهابيين وطلب وعداً من السلطات البريطانية بتقديم العون له إذا ما رفض الرضوخ لما يطلبه منه الأمير ، ولم يقدم اليه هذا الوعد على أية حال لكن السلطات البريطانية قدمت اليه نصائح حازمة بعدم الاتصال بأية حركة معادية لسيد مسقط .

وأدى ظهور الوهابيين على ساحل الأحساء في سنة ١٨٣٠ إلى إثارة مزيد من القلاقل في عمان المتصالحة ، وأصبح تقدمهم نحوها مرتقباً يتطلع له شيوخ عجمان وأم القيوين بفرح لانه سيخلصهم من سيطرة شيخ القواسم ، وطبيعي أن هذا كان يترقب تقدم الوهابيين بفزع شديد . ومرة أخرى طلب شيخ الشارقة عون الحكومة البريطانية ، ولم يقدم اليه وعد بذلك ، وفي نفس الوقت طلب شيخ عجمان وهو يذكر الأيام التي كان حسين بن علي من الرمس يحكم فيها البلاد باسم الوهابيين طلب من الأمير تركي ارسال بعثة اليه تكون بمثابة تمثيل للوهابيين

في البلاد . ورفض الامير هذا الطلب على اعتبار أنه لا يعترّف بشيوخ في عمان إلا شيخ الشارقة وسيد مسقط فقط ، لكنه أخيراً استعان بشيخ عجمان في الوساطة لاتصال ودي بينه وبين الحكومة البريطانية .

علاقات الوهابيين بسلطنة عمان ١٨٢٤-١٨٣٤ :

أما العلاقات بين أمير الوهابيين وسيد مسقط فقد كانت من جرّاء بعد المسافة الفاصلة بين حدودهما مستمرة ولكن ببطء شديد .

ويبدو أن السيد هو الذي أخذ زمام المبادرة بهذا الصدد حين ارسل في سنة ١٨٣١ وفداً محملا بالهدايا إلى الرياض يطلب مساعدة الوهابيين في إخضاع البحرين .. واستغل الأمير هذا الطلب لصالحه كي يخضع شيخ البحرين ويفرض عليه الجزية . وفي سنة ١٨٣٣ وضح ضغط الوهابيين مرة أخرى في سلطنه عمان ، ففي هذه السنة ارغم حاكم مسقط على التفاهم مع القائد الوهابي سعد بن مطلق ، وكانت شروط الاتفاق بينهما تقضي بأن يدفع السيد ٥ آلاف روبية في السنة كزكاة أو جزية لأمير الوهابيين ، وأن يساعد كل من الطرفين الآخر في القضاء على الاضطرابات الداخلية والتمرد ، واعترضت السلطات البريطانية على هذا النص الاخير لكن السيد طمأنها مؤكداً أنه لن يلتزم بهذا الشرط إلا بقدر ما يتسق مع رغبات البريطانيين تماماً .



علاقة الامير تركي بالحكومة البريطانية ١٨٢٤ - ١٨٣٤

اقتصرت علاقة الأمير تركي خلال مدة حكمه بالسلطات البريطانية في الهند على حادثة واحدة ففى منتصف سنة ١٨٣١ تقريباً تلقى حاكم بومباي رسالة من أمير الوهابيين عن طريق شيخ عجمان جاء فيها رغبته في «تجديد المعاهدة التي عقدت بينكم ،الحكومة البريطانية ، وبين

الأمير سعود»(١) ، وعقب وصول هذه الرسالة دار البحث في وثائق حكومة الهند للعثور على معاهدة عقدت مع الوهابيين ، ولم يسفر البحث عن شيء . وأخيراً تلقى الامير رداً عاماً بروح ودية من السلطات البريطانية عن طريق المقيم البريطاني في الخليج .

★ ★ ★

فيصل بن تركي (الفترة الاولى من حكمه) ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨

التاريخ العام ، وعلاقات الامير بالمصريين ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨

تولي فيصل ١٨٣٤ :

حين وقع اغتيال الامير تركي كان ابنه فيصل منهمكاً في الدفاع عن إقليم الأحساء ضد عدوان شيخ البحرين لكنه عاد مباشرة إلى الرياض حيث حاصر مشاري القاتل الذي تولى الحكم في قلعة الرياض . ولم يمض وقت طويل حتى استطاع فيصل بمساعدة بعض حامية القلعة المحاصرة أن يدخلها في الليل ويعمل السيف في مشاري وعشرين رجلا من من أنصاره المقربين . وكان أحد الذين عاونوا فيصلا في هذا العمل ـ وتقول الروايات إنه هو الذي ذبح مشاري بيده ـ عبدالله بن علي بن رشيد الذي عينه الأمير الوهابي فيما بعد محافظاً أو وكيلا باسمه في جبل شمر . وأصبح من ذلك الوقت مؤسس الأسرة التي تحكم شمال نجد في الوقت الحالي . واستعاد فيصل الاعتراف الكامل به أميراً على الوهابيين وكان في ذلك الوقت في الأربعين من عمره .

(١) مما يدل على الجهل الذى كان سائدا في ذلك الوقت بالنسبة لما يجرى في وسط الجزيرة العربية ما جاء في خطاب حكومة بومباى اشارة الى سعود الذى مات منذ ١٧ عاما فقط والذى ينتمى الى نفس جيل فيصل بأنه « جدكم العظيم .. » .

المصريون يستعيدون سيطرتهم الفعلية على نجد ١٨٣٥–١٨٣٨ :

ولم يكن محمد علي باشا مصر قانعاً بهذه السيطرة الاسمية التي قللت الأحداث الاخيرة في نجد من قدرها ، فبدأ يعد العدة عقب تولي فيصل مباشرة لاستعادة سيطرته الفعلية . وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه هي تعيين تاجر بحريني جابياً للضرائب في ميناء القطيف التابع للوهابيين في الأحساء بأمر من أحمد باشا حاكم الحجاز ، لكن هذا العمل الذي يبدو أنه لم يكن إلا اختباراً وجساً للنبض قد أحبطته قوات فيصل بعمل حاسم كما هو مذكور في تاريخ الأحساء ، حين أرغمت الشيخ الذي عينه المصريون في القطيف على التماس الفرار . وفي سنة ١٨٣٦ كانت قوات مصرية كبيرة قد تمركزت في المدينة ، وطلب محمد علي من فيصل أن ينضم بقواته اليها في حملة على عسير . لكن فيصلاً تعلل بمرضه ، وأرسل شقيقه يعتذر عنه ومعه هدية من الخيول ، وكان من المعتقد على أية حالة أن فيصلاً قد ارسل معونته سراً إلى القبائل التي تعارض المصريين في الجنوب . وعمد محمد علي إلى إبدال الأمير فيصل بأمير آخر أكثر خضوعاً له ، فأطلق سراح الأمير خالد شقيق الأمير السابق عبد الله من سجنه بالقاهرة ، وارسله مع اسماعيل بك يقود قوة مصرية لتساعده في الحصول على السلطة . ويبدو أن الأمير خالداً كان له بعض الأنصار والمؤيدين في نجد ، وفزع فيصل من هذه الاعمال ، فسارع بارسال الرسل وخطابات الخضوع والولاء لباشا مصر ، لكن الوقت كان متأخراً جداً . وفي سنة ١٨٣٧ ، وبمعونة قوة مصرية قوامها من ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ فارس و ٥٠٠ جندي من المشاة مزودين باثني عشر مدفعاً و ٤ هاون، احتل خالد القصيم وهزم فيصلاً في معركة بالقرب من الرياض ، وحين ارتد الامير المهزوم إلى قلعته بالرياض وجد أن بعض أنصار خالد قد احتلوها في غيبته . ووصل خورشيد باشا على رأس قوات جديدة من مصر وأصبح هو القائد العسكري العام في نجد.

استسلام فيصل ونفيه ١٨٣٨ :

أما الأمير فيصل فقد تراجع إلى إقليم الخرج وعزز مواقعه في الديلم لكنه سرعان ما حوصر هناك بثلاث قوات الأولى يقودها خورشيد باشا والأخرى يقودها شريكه خالد ، والثالثة أحد شيوخ العرب من أعدائه . وحين وجد فيصل ألا جدوى من المقاومة استسلم بعد فترة قصيرة ونقل إلى القاهرة في ديسمبر ١٨٣٨ .



وضع الوهابيين في شرق الجزيرة
١٨٣٤ - ١٨٣٨

علاقة الوهابيين بالبحرين ١٨٣٤-١٨٣٨ :

وفي غمرة الاضطراب الذي أعقب قتل الأمير تركي في ١٨٣٤ انتهز شيخ البحرين الفرصة فضم اليه جزيرة تاروت التي كانت تابعة للوهابيين . وفي سنة ١٨٣٥ حاول فيصل استعادة الجزيرة بقوة ارسلها لكن محاولته فشلت وعاد شيخ البحرين يواصل حصاره البحري لميناء القطيف الذي كان قد رفع عنه الحصار . وفي سنة ١٨٣٦ بذل الوكيل الوهابي في البحرين بأوامر من سيده محاولات كثيرة لإغراء سيد مسقط وبعض القبائل العربية على الساحل العربي بمهاجمة البحرين من البحر باسم الوهابيين . لكن حاكم مسقط أجاب بأنه غير مستعد للمساهمة في مثل هذا العمل دون معرفة الحكومة البريطانية وموافقتها . وهكذا انتهى الأمر إلى لا شيء . وبعدها مباشرة تم الصلح بين الامير الوهابي وشيخ البحرين حين أصبح كلاهما في خطر : الأول من خطط القوات المصرية ، والثاني من محاولات الحكومة الايرانية . وتمت الهدنة بين الطرفين بمقتضى معاهدة نصّت على أن يدفع الشيخ جزية قدرها ٢٠٠٠ روبية للامير في كل سنة . وتعهد فيصل من ناحيته بحماية البحرين ضد أي عدوان خارجي ، وبألا يتطلب معاونة شيخ

البحرين إذا تقدم بنفسه لمهاجمة سيد عمان . وفي سنة ١٨٣٨ أعدم عمرو بن عفيصان والي الوهابيين في الأحساء ثلاثة شيوخ من عماير بني خالد ممن كانوا يؤيدون القوات المصرية فيما كانت تلك القوات تواصل تقدمها الآن بسرعة نحو الأحساء ثم التجأ الحاكم الوهابي إلى شيخ البحرين .

علاقة الوهابيين بسلطنة عمان ١٨٣٤-١٨٣٨ :

وقد سبق أن أشرنا إلى المحاولة التي قام بها الوهابيون في سنة ١٨٣٦ لجر سيد مسقط إلى القيام بعمل لحسابهم ضد البحرين ، وفي نفس السنة سقطت مدينة صحار في الباطنة بين يدي حمود المتمرد على سيد عمان ، واستعان هذا بسعد بن مطلق ممثل الوهابيين في عمان ، وتم الاتفاق بينهما على أن يقوم سعد بعملياته على صحار من جهة البر ، على حين يحاصرها السيد بحراً ، لكن فقدان الثقة الذي دب فجأة بين الحليفين جعل سيد عمان يتراجع عن هذا الاتفاق قبل القيام بأي عمل ضد صحار .

★ ★ ★

فترة خلو عرش الوهابيين ١٨٣٨ - ١٨٤٠
القوات المصرية تحتل نجدا والاحساء للمرة الثانية
١٨٣٨ - ١٨٤٠

الإدارة المصرية المباشرة :

بعد نفي الأمير فيصل ، اتخذ قائد القوات المصرية التي وصل عددها آنذاك ما بين نظاميين وغير نظاميين إلى حوالي ثلاثة آلاف رجل مقر قيادته في السليمية باقليم الخرج ، وأرسل ٣٠٠ رجل من قواته غير النظاميين إلى الأحساء حيث انقسمت حاميات صغيرة في موانى القطيف وسيهات والعقير . وكان وضع خالد الذي كان منذ البداية دمية في أيدي القوات المصرية قد أصبح الآن غير محدد ، فرغم أن المصريين كانوا في تعاملهم مع الدول المجاورة يزعمون أنهم موجودون فقط لتأكيد

الحقوق الشرعية للامير الوهابي ، ورغم أنهم أقاموا احتفالا كبيراً بتنصيب الأمير خالد وخلعوا عليه ثوب الشرف ، إلا أن خورشيد باشا كان مصراً على أن يجعل الامر كله بين يديه ، وعلى أن يعلن سيطرة سيده محمد علي المطلقة على كل نجد .

سياسة الحكومة المصرية وتعارضها مع المصالح البريطانية :

وكانت خطة الحكومة المصرية هذه المرة أبعد مدى مما كانت عليه في ١٨١٨-١٨١٩ ، ويبدو أن هدفها لم يكن أقل من إخضاع كل شرق الجزيرة ووسطها ثم وضع اليد لاحقاً على إقليم العراق التركي . وواضح أن التأكيد الذي قدمه محمد علي لممثل بريطانيا السياسي في القاهرة سنة ١٨٣٨ بألا يمد سلطته باتجاه الخليج لم يكن يلزم قواده ، مما أثار معارضة بريطانيا التي أدت في النهاية — وكما سنرى — إلى إفشال العمل كله .

وكانت السلطات البريطانية تنظر إلى ازدياد قوة محمد علي في اوربا بعدم الرضا (١) ، أما في منطقة الخليج فقد كانت هذه السلطات تعتقد

---

(١) من الضرورى هنا أن ننتقل الى استعراض سريع للموقف في أوربا ونواصل بذلك هامش ص ١٠٦١ .

لم يؤد تولى محمود الثاني عرش تركيا رغم اتجاهاته الاصلاحية التى قيضت للامبراطورية العثمانية أن تستمر حتى اليوم الى منع الكارثة تماما ففى سنة ١٨١٢ استولت الروسيا على اقليم بيساربيا الواقع بين اقليمى الدنيستر والدانوب . وفي سنة ١٨٢٠ حين كان الباب العالى منهمكا في القضاء على تمرد باشا جنينا في اليونان وقد طلب السلطان عون نائبه محمد على الذى كان قد استطاع تعزيز سيطرته على مصر خلال السنوات الحرجة التى أعقبت جلاء الفرنسيين عنها وقد أصبح له أسطول بحرى أقوى من اسطول السلطان نفسه الى جانب جيش قوى منظم تنظيما جيدا على النسق الاوروبى . وبسرعة تحرك ابراهيم باشا قائد القوات المصرية فأخضع كريت واليونان تماماكما أخضع القصيم ونجدا . فاستولى على كريت في سنة ١٨٢٤ ، ثم سقطت ساموس وتبعتها موريا ثم ميسلونى في سنة ١٨٢٦ ، وأخيرا الاكروبول وأثينا في سنة ١٨٢٧ . وهنا انقطعت انتصارات ابراهيم باشا في موقعة نافارينو التى دمر =

أن النفوذ البريطاني سيعاني من ضربة قوية اذا ما أقام المصريون لهم قاعدة دائمة في شرق الجزيرة . وفي فبراير ١٨٣٩ صدرت تعليمات صريحة للمقيم السياسي البريطاني في بوشهر بأن يستخدم كل نفوذه لوقف تقدم القوات المصرية .

= فيها أسطوله البحرى تدميرا تاما على يد أساطيل مشتركة من بريطانيا وفرنسا والروسيا ، وفي العام التالى ، وبعد أن انتهت الحرب بين روسيا وتركيا بمعاهدة أدريا نوبل ، حصلت اليونان على استقلالها ٠

وفي سنة ١٨٣١ أرسل محمد على ـ الذى كان مشغولا بتوسيع رقعة حكمه ـ جيشا الى الشام ، وتبعت ذلك الحرب بين مصر وتركيا وأوقع ابراهيم باشا هزيمة ساحقة بالقوات التركية عند قونيه بآسيا الصغرى ، وكانت نتيجتها ضم الشام الى مصر وطروء تقارب بين تركيا وروسيا بمعاهدة انكيار سكلسى في سنة ١٨٣٢ ٠ وفي سنة ١٨٣٩ ـ ورغم الاصلاحات التى أحدثها مولتكه وغيره من الضباط البروسين على الجيش التركى ـ استطاع ابراهيم باشا أن يوقع هزيمة ساحقة أخرى بالقوات التركية في موقعة نصيبين ، وانضم قائد الاسطول التركىبأسطوله كله الى محمد على ، غير أن هذا كان أكثر مما تستطيع أوربا ـ باستثناء فرنسا التى كانت تعطف على محمد على ـ أن تتحمله ٠ وهكذا استولت الاساطيل البريطانية والنمسوية والتركية على عكا وأرغم ابراهيم باشا على التراجع من الشام ٠ ونتج عن هذا التدخل الذى لعبت فيه بريطانيا أعظم الادوار أن أعيدت الشام الى حكم تركيا ، وخفض الجيش المصرى الى عدد لا يزيد على ١٨ ألفا ، وأصبح الاسطول المصرى موجودا في ميناء الاسكندرية فقط ٠ لكن محمد على ـ وهو يعلن خضوعه الرسمى للسلطان ـ أصبح حاكم مصر حكما وراثيا له ولعائلته ٠

من هذا الذى سبق يتضح لنا أن تقدم القوات المصرية في وسط الجزيرة سنة ١٨٣٧ انما كان جزءا من مخطط كبير ، وان انسحابهم منها في سنة ١٨٤٠ كان نتيجة فشل هذا المخطط نفسه ٠

مؤامرات(١) القوات المصرية في شرق الجزيرة وعلاقتها بالحكومة البريطانية ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠

علاقة القوات المصرية بالبحرين ١٨٣٨-١٨٤٠ :

والآن نستطيع الانتقال لمتابعة بعض الأعمال العدوانية التي بدأت القوات المصرية تشنها من قاعدتها في الاحساء على دول الخليج .

ففى أوائل سنة ١٨٣٩ أفصح خورشيد باشا عن هدفه فيما يتعلق بالبحرين حين طلب من شيخها أن يدفع اليه في كل سنة الجزية التي كان يدفعها للأمير فيصل ، وأن يتخلى له عن جزيرة تاروت وميناء الدمام ، كذلك أيضاً تسليمه عمرو بن عفيصان حاكم الاحساء الوهابي اللاجىء عنده . وطلب الشيخ مرة واحدة حماية بريطانيا ، لكن حكومة الهند التي كانت لا تعرف على وجه التحديد اتجاه الحكومة الأم بالنسبة لمحمد علي لم تستطع أن تقدم له الضمانات التي طلبها ، حينئذ حاول الشيخ المراوغة في إجابة مطالب الباشا باعلان تبعيته لإيران . وفي إبريل ١٨٣٩ قامت حكومة الهند على مسئوليتها الخاصة بتفويض الأميرال سير ف. ميتلاند الذي كان يطوف في الخليج على رأس اسطول بريطاني بأن يحاول منع قائد القوات المصرية من الهجوم على البحرين ، وبأن يقدم لشيخها من المعونات ما يستطيع تقديمه دون ان يتورط في اشتباك مباشر مع القوات المصرية . وكان الهدف من هذه التعليمات هو كسب الوقت وإبقاء الوضع على ما هو عليه ، وبعدها بأسبوعين او ثلاثة صدرت أوامر أكثر صراحة وحسماً تفوض الاميرال في ظروف معينة ، وبعد أن يقدم إنذاراً للقوات المصرية- بأن يدافع عن البحرين ضد قوات خورشيد باشا . وخلال زيارة متتلاند للبحرين قبل صدور هذه التعليمات المحددة وعد الشيخ رسمياً بألا يجعل من نفسه تابعاً لأية دولة أجنبية

---

(١) التعابير التى يستخدمها المؤلف مثل « المؤمرات » و « والقرصنة » و « التعصب » وغيرها ناشئة عن الشرعية التى يعطيها الانجليز لوجودهم دون سائر الامم في الخليج وغيره ، وكأنما بلاد الآخرين خلقت لتكون لهم . وقليلا ما يتصورون أن الحكم الحيادى بالحق على الامور يجعلهم أكثر المؤهلين لانطباق هذه التعابير عليهم .

قبل التشاور مع المقيم البريطاني . وفي نفس الوقت كتب خورشيد باشا إلى المقيم البريطاني بهدف استكشاف نوايا بريطانيا بالنسبة لهجومه على البحرين لكنه تلقى في الرد طلباً بألا يقوم بأية حركة قبل إبلاغ المقيم العام حتى يستطيع أن يتخذ إجراءات حماية الرعايا البريطانيين في البحرين . وبعدها صدرت تعليمات من الحكومة للمقيم بتحذير الباشا من أي عمل ضد البحرين . لكن شيخ البحرين رغم كل الإجراءات التي اتخذت لتدعيم سلطته دخل سراً في مفاوضات مع المصريين في يوليو ١٨٣٩ على الارجح ، وتعهد بموجبها بأن يدفع جزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية شريطة امتناع الباشا عن التدخل في شئون البحرين الداخلية ، وألا يقيم ممثل مصري في الإمارة . ويبدو أن دوافع الشيخ نحو هذا العمل الذي أسخط السلطات البريطانية سخطاً شديداً كانت الرغبة في الخلاص من هذا الموقف الدقيق من ناحية ، وعدم اطمئنانه إلى استطاعة الحكومة البريطانية أن تقدم له العون ضد الهجوم البري من القوات المصرية على البحرين . وقد وجه المقيم البريطاني احتجاجاً على هذه الاتفاقية لكل من شيخ البحرين وقائد القوات المصرية . لكن المسألة لم تتطور أكثر من ذلك وفي العام التالي حين جلت القوات المصرية عن الأحساء لم يعد للاتفاقية أية قيمة عملية على الاطلاق وترد هذه المسائل بتفصيل أشمل في تاريخ البحرين .

علاقة القوات المصرية بعمان المتصالحة ١٨٣٨–١٨٤٠ :

وفي عمان المتصالحة ايضاً ارغمت السلطات البريطانية على أن تتخذ إجراءات ضد تقدم القوات المصرية. فقد التحق سعد بن مطلق الذي عزله الامير فيصل عن البريمي قبل نهاية حكمه بخورشيد باشا في نجد منذ بداية احتلال القوات المصرية لها ، وفوضه الباشا بأن يسير إلى عمان المتصالحة ليحصل من الشيوخ المهمين بها على إعلان الخضوع لصنيعته الامير خالد . ووصل سعد إلى الشارقة في مارس ١٨٣٩ واستقبله الشيخ القاسمي فيها استقبالا حافلا وقدم له بيتاً يستقر فيه ، وقد جاءت معه

حامية من جنود الوهابيين اراد سعد أن يجعلها في البريمي لكن بني نعيم الذين كانوا يحتلون واحة البريمي في ذلك الوقت ويحظون بتأييد السيد حمود في صحار رفضوا السماح له بذلك ، ورغم نجاح سعد في إغراء شيخ أبو ظبي بتأييده ، إلا أنه كان أضعف من أن يستطيع فرض هذا الامر بالقوة . وفي هذا الوقت نفسه قام مسئول سياسي بريطاني بزيارة للساحل في صحبة الاميرال سير ف. ميتلاند ووعده شيوخ مواني ساحل عمان بمقاومة ، ناهيك عن عدم مساعدة . عميل القوات المصرية ، ولكن بمجرد رحيل الاسطول مباشرة تسابق شيوخ الشارقة وابو ظبي إلى كسب رضاه . وفي عمان المتصالحة ــ كما في البحرين تماماً ــ ساد الاحساس بأن القوات المصرية بسبيلها إلى التقدم نحوها . وفي يوليو ١٨٣٩ زار المقيم البريطاني الساحل وحصل على ضمانات كتابية من الشيوخ المهمين بتأييد السياسة البريطانية والوقوف ضد السياسة المصرية ، وقام باجراءات ــ عن طريق شيخ الشارقة ــ لطرد سعد بن مطلق من البلاد ، كما شجع بني نعيم في البريمي وحضهم على الثبات في موقفهم ، وفي نفس الوقت أبلغ وكيل القوات المصرية أن بني نعيم قد أصبحوا تحت الحماية البريطانية . وحين أدت هذه الاجراءات إلى إحباط خطة سعد بن مطلق اضطر للرحيل من الشارقة إلى العقير بعد أن حمل من جزيرة قيس حوالي ٤٠٠ رأس من الغنم وأشياء أخرى ، ولكن يبدو أنه لم يستطع الاحتفاظ بثقة المصريين الذين يعمل لاجلهم لانه القى في السجن فور عودته ثم نقل إلى الرياض . ونتيجة هذه الاحداث أصدرت السلطات البريطانية تحذيراً لأهل القطيف بأن أية حملة من الاحساء على أي ميناء من موانى ساحل عمان ستقاومها القوات البحرية البريطانية في الخليج .. وفي يناير سنة ١٨٤٠ زار المقيم ساحل عمان المتصالحة مرة أخرى ورتب في عجمان حلفاً دفاعياً ضد كل الأعداء بين بني نعيم والدواسر في واحة البريمي . كما زار ضابط بريطاني أيضاً البريمي . ومعظم هذه الإجراءات واردة بتفصيل أكثر في تاريخ ساحل عمان المتصالحة .

علاقة القوات المصرية بالشعب في عمان :

وواصلت القوات المصرية أعمال الشعب التي كان يقوم بها اسلافهم الوهابيون ضد سيد مسقط ، بل إنهم استخدموا لذلك أيضاً بعض العملاء الذين سبق أن عملوا للوهابيين مثل سعد بن مطلق ورجل آخر يعرف باسم بن بطال . وكان السيد يود في البداية أن يرتبط بالمصريين مؤملا أن يستولي من خلالهم على حكم البحرين لكنه أخيراً رضي لوجهة نظر حكومة الهند فجعل مراسلاته مع المصريين حسب ما تشير به هذه الحكومة . وقد كان للصلح الذي توسط البريطانيون في عقدة بين السيد وقريبه حمود في سنة ١٨٣٩ علاقة بخطر القوات المصرية ، وفي هذه المعاهدة ارتبط حاكم عمان بمساعدة حمود الذي كان عدواً عنيداً لمحمد علي ضد كل اعدائه .

علاقة القوات المصرية بالكويت :

وكانت الكويت من أبعد الاماكن التي ارسلت اليها القوات المصرية بعثات منها بعد وصولها إلى شواطيء الخليج . ويبدو أن الهدف من تعيين ممثل مصري في الكويت كان هدفاً سياسياً له علاقة ما بخطة غزو العراق ، ولم يكن الرجل مجرد رجل مسئول عن توفير المؤن للقوات المصرية كما كان في الظاهر . وكان شيخ الكويت يعطي مكان الصداره لهذا الممثل المصري في كل مجالسه ، وربما كان وجود هذا الممثل هو السبب في شيء من سوء معـــاملة من شيخ الكويت لمساعد المقيم البريطاني في سنة ١٨٣٩ ، وهذه حادثة مذكورة بتفاصيلها في تاريخ الكويت .

★ ★ ★

جلاء القوات المصرية عن نجد والاحساء ١٨٤٠

وإلى جانب المعارضة القوية من جانب الحكومة البريطانية لخطط الحكومة المصرية وطموحاتها التوسعية ، لقي المصريون صعوبات كثيرة من أهل البلاد التي احتلوها بالفعل ، وفي أوائل سنة ١٨٤٠ بدأت قواتهم

حركة تراجع . وأطلق بعض العرب في الهفوف النار على الحاكم المصري في الاحساء فقتلوه ، وأصبح من الضروري استدعاء قوة صغيرة كانت قد ارسلت ضد بني نعيم في قطر . وكانت قبيلة عجمان ،بي سجن المصريون شيوخها لكنهم كثيراً ما كانوا يستطيعون الهرب تعادي القوات المصرية عداءً عنيفاً ، وبدأت خطوط المواصلات تصبح مهددة بالأخطار .. بل وحتى ثرمدا التي نقل اليها الباشا مقره لم تكن تصلها الإمدادات إلا بحراسة ثقيلة .

وأضيف إلى هذه الصعوبات المحلية التي كان يواجهها الباشا سوء علاقته بمحمد(١) نتيجة غيرة هذا الأخير منه ، فلم تعد تصله الإمدادات عن طريق البحر كثيراً . ووصلت سفينة واحدة فقط إلى القطيف في نوفمبر ١٨٣٩ بدل أربع سفن كان الباشا ينتظرها منذ وقت غير قليل . وفي مايو سنة ١٨٤٠ حين كانت البحرية البريطانية تحاصر مواني القوات المصرية في القطيف وسيهات وعقير جاءت الاخبار بانسحاب الجزء الاكبر من القوات المصرية في نجد . وقد سبق انسحاب القوة جولة قام بها خالد مصحوباً بفرقة من الجنود المصريين في أقاليم الداخل ليحصل على تأييد الشيوخ الذين سيحكمهم وحده بعد ذلك . وقوبل أمر الانسحاب في الاحساء كما قوبل من قبل سنة ١٨١٩ بمظاهرة من الضراوة والجشع من جانب الضباط المنسحبين ، وقتل برغش ، أحد شيوخ بني خالد انتقاماً لقتل محمد أفندي . وكان من المفروض أن تظل نجد بعد ذلك خاضعة عن طريق خالد للحكم المصري في المدينة ، ولتمكين الموظف المصري من تعزيز سيطرته تركت له قوة قوامها ٨٠٠ رجل ثلثاها من المشاة .

---

(١) المقصود طبعا هو محمد على باشا .

خالد بن سعود ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢
التاريخ العام والداخلى

ضعف مكانة خالد :

كانت فترة حكم خالد الذي كان مكروهاً عموماً لأنه صنيعة المصريين ولأنه ايضاً لم يكن في كفاءة الحكم فترةً قصيرةً مليئةً بالاضطراب ، وقد اهتزت سلطته في البداية بسبب الشائعات التي ذكرت أن الامير السابق فيصل بن عبدالله قد هرب من مصر أو انه قد أطلق سراحة عندما وصلت أخبار التراجع الذي ارغمت عليه القوات المصرية في الشام . كذلك قدم الباب العالي مطالبه بالسيادة على نجد ، وأعلن خالد الذي كان يعمل بنصيحة خورشيد باشا ولاءه للسلطان وارسل إليه الهدايا . لكن السلطان الذي كان يعرف أن هذه كلها مناورات من جانب المصريين سرعان ما سيتخلون عنها في أقرب فرصة ـ بادر بتعيين وال تركي لوسط الجزيرة . ولم تتلق القوات المصرية التي يعتمد عليها خالد رواتبها لمدة طويلة فسادها السخط إلى جانب أن أعراب البلاد كانوا يغارون منهم ويعتقدون أن الامير الوهابي يجب أن يعتمد حكمه على رجال بلده فقط .

زيارة الامير للاحساء ١٨٤١ :

وفي أكتوبر ١٨٤١ وبرغم هذه الصعوبات سار الامير خالد إلى الأحساء وبدا انه يعد الحملة على عمان ، وأنذرته السلطات البريطانية بعدم القيام بمثل هذا العمل وبادرت بارسال ضابط بريطاني إلى الهفوف كما سيلي .

تمرد عبدالله بن ثنيان سبتمبر ١٨٤١ـ ابريل ١٨٤٢ :

لكن تفكير الأمير في هذا التوسع الخارجي إن كان قد فكر فيه فعلا سرعان ما بدّد التمرد في الداخل الذي تزعمه أحد أقربائه البعيدين

وهو عبدالله بن ثنيان يعضده تركي آل جيزاني أحد الشيوخ المتنفّذين في إقليم الخرج بنجد . وكان هذا الغريم قد فر إلى الكويت حين أحس بأن خالداً يشك فيه ، لكنه عاد في سبتمبر سنة ١٨٤١ إلى وسط الجزيرة واستولى فيما يبدو على ضرمة وحائل ومنفحة في عريضة ؛ وحصل على الاموال اللازمة للحرب بمصادرة ضياع شيخين من أثرياء المنطقة كانا يعارضانه فأمر باعدامهما ، وانضمت اليه قبيلة السهول وغيرها من القبائل ، واستطاع أن يضمن الحياد إن لم يكن التأييد من قبائل عجمان وآل مرة وسبيع ، لكن ظلت قبائل عنيزة ومطير وبنو هاجر مؤيدة للامير خالد . وفي ديسمبر سنة ١٨٤١ وجد عبدالله نفسه في وضع جعله يهدد الرياض لكنه تراجع عنها عقب اشتباك خفيف ، وكان له أنصار كثيرون في المدينة نفسها فتحوا له أبوابها الجنوبية في نفس اليوم بعد هبوط الظلام فدخلها وأعلن نفسه أميراً على نجد . وسقط قواد جيش خالد بين يديه فأعدم ثلاثة منهم ، لكنه استبقى أحدهم ويدعى عمرو بن عفيصان لعله هو الذي كان يحكم الأحساء في عهد الامير السابق فيصل ، وفر الامير خالد إلى الأحساء ، وأعلن كما سبق أن فَعَلَ من قبل بأنه سيجلي القوات المصرية التي تجعل كبار أنصاره ساخطين عليه ، لكنه تخلى عن وعده مرة أخرى فتحول أهل الهفوف بولائهم إلى عبدالله بن ثنيان . ووجد خالد نفسه مرغماً على الفرار إلى القطيف حيث لحقت به قواته . ولكن طارده فيها أيضاً الشعور الشعبي المعبأ ضده بشكل عام فتخلى عنه كثيرون من أنصاره —وبعد أن طرد خالد جنوده من المرتزقة لجأ إلى الدمام عند مبارك ابن شيخ البحرين . ومن الدمام قام خالد بزيارة لخور حسان في قطر حيث أعد له شيخ البحرين استقبالا هائلا ، لكن المحاولات التي جرت باسمه في الهفوف وعقير باءت بالفشل ، وأخيراً اضطر للانسحاب إلى الكويت بهدف مواصلة صراعه ناحية القصيم حيث كان له بعض الأنصار .

علاقات الامير خالد بالمشيخات العربية
١٨٤٠ - ١٨٤٢

علاقته بعمان المتصالحة :

كانت علاقات الامير خالد بالدول العربية الاخرى في شبه الجزيرة علاقات بسيطة وقاصرة بالفعل على عمان المتصالحة . ولاشك في أن بعض مشايخ هذه الإمارات بدأوا مراسلته والاتصال به ومنهم شيخ الشارقة . فقد استطاع بنو نعيم في البريمي أن يحصلوا على خطاب منه للامير خالد بشأن خطة عمل ضدهم هناك سنة ١٨٤١ . وفي أكتوبر من نفس السنة يبدو أن خالداً كان يعد حملة على البريمي ، ولكن لو صحّ هذا فان التمرد الذي حدث هو الذي منعه من القيام بها وهو الذي أدى به في النهاية إلى الطرد من ارضه كلها .



علاقة الامير خالد ببريطانيا العظمى
١٨٤٠ - ١٨٤٢

وجه خالد في أوائل حكمه خطاباً إلى مساعد المقيم البريطاني في البحرين يشير فيه إلى رغبته القوية في أن تتجدد «علاقات الود والصداقة التي كانت قائمة بين أبيه سعود والحكومة البريطانية» ، وأشار إلى أنه كان يود أن يتخذ هذه الخطوة من قبل لكن محمد علي كان يمنعه منها .

مهمة الملازم جوب ١٨٤١ :

أما فيما يتعلق بعمان المتصالحة فقد كان موقف خالد منها غامضاً كما ذكرنا من قبل ، وانتهز المقيم فرصة التعليمات الصادرة اليه من حكومته بأن يراقب حركة الامير جيداً وان يحذره اذا اقتضت الضرورة من أن أي عمل لغزو عمان سيلقى مقاومة السلطات البريطانية ، فأرسل

ضابطاً هو الملازم جوب لمقابلة الأمير في الهفوف وشرح الموقف له . أما حكومة الهند التي كانت ترى ألا يعامل خالد بالشدة نفسها التي تعامل بها القوات المصرية فكانت تميل إلى الشك في أن هذا المبعوث سيستطيع أن يحقق شيئاً ، لكنه استطاع أن يرجع بتأكيد صريح من الأمير بأنه لا خطط لديه ضد عمان على الاطلاق ، كذلك رجع الملازم جوب أيضاً ببعض المعلومات الجغرافية الهامة التي سجلها في رحلته من العقير إلى الهفوف ومن الهفوف إلى القطيف في نوفمبر ١٨٤١ (١) .

★ ★ ★

عبد الله بن ثنيان ١٨٤٢ ــ ١٨٤٣

الحالة الداخلية ١٨٤٢ ــ ١٨٤٣ :

كانت فترة حكم عبدالله بن ثنيان الذي نجح في تمرده فترة قصيرة وعاصفة أيضاً . ففي الأحساء سرعان ما أثارت شدة الضرائب حفيظة الاهالي الذين كانو في البداية يؤيدونه بشكل عام ، وظلت قبائل من البدو في هذه الناحية على موقفها العدائي منه . أما الامير السابق خالد فقد هدد بهجوم من ناحية القصيم . وفي مارس سنة ١٨٤٣ ظهر الامير السابق فيصل أيضاً وكان قد استعاد حريته بالفعل في ذلك الإقليم وأصبح مصدر خطورة أكثر من خالد . وفي يونيو سنة ١٨٤٣ سار فيصل جنوباً دون ان يلقى أية مقاومة حتى حاصر عبدالله في عاصمته الرياض التي ارغم على التراجع اليها مع حفنة قليلة من أنصاره ، وسرعان ما ارغم عبدالله على الاستسلام له . وقد عرض فيصل في البداية على خالد أن يشترك معه في عملياته لكن هذا الرجل الواحد الذي لا حول له رفض العرض وتراجع إلى المدينة . وبعدها لم يعد التاريخ يعرف عنه شيئاً . وفي هذه العمليات لقي الامير فيصل مساعدة ذات قيمة كبيرة من واليه المخلص له في جبل شمر : عبدالله بن علي .

---

(١) مختارات بومباى • مجلد ٢٤ • ص ١١١ ــ ١١٥ • وواضح أن الملازم جوب كان أول أوربى يسافر من العقير الى الهفوف على الاطلاق ، وأول من سافر بين الهفوف والقطيف بالطريق العادى •

علاقاته بالبحرين ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣

حدث في ١٨٤٢ خلاف بين الشيخين المشتركين في حكم البحرين ، وقام أكبرهما بطرد الاصغر محمد بن خليفة من البحرين فسار إلى الرياض حيث نجح في أن يستثير اهتمام أمير الوهابيين بقضيته ، فقام الشيخ عبدالله شيخ البحرين بحصار الساحل الوهابي ، واستولى موقتاً على العقير وسمح للمهاجرين الساخطين من سيهات باللجوء إلى واحة القطيف . وفي إبريل ١٨٤٣ استطاع محمد بدوره أن يطرد الشيخ عبدالله من البحرين فأقام هذا في الدمام على ساحل الاحساء . ولم يكن أمير الوهابيين في وضع يمكنه من التدخل تدخلاً فعالاً في هذا الأمر .



خططه في عمان المتصالحة ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣

وعلى الرغم من ضعف الامير الوهابي في ذلك الحين ، فلم يكن يليق بشرفه ألا يزعم سيادته المطلقة على إقليم عمان البعيد . وقد حقق عبدالله هذا الالتزام بأن أبلغ شيوخ الساحل المتصالح أن في نيته جعل سعد ابن مطلق ممثلا له في البريمي ، لكن شيوخ البريمي ـوكانوا ممن وجه اليه هذا التبليغـ أعلنوا مباشرة أنهم في حماية الحكومة البريطانية أملا منهم في أن هذا الإعلان سيبعده عن التدخل في شئونهم ، غير أنهم انقسموا على أنفسهم ، وكانت مراسلات بعضهم السرية مع أمير الوهابيين كما يقال تكتب بلهجات ومضامين مختلفة .



علاقاته بالحكومة البريطانية ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣

استطاع المقيم البريطاني في الخليج أن يضع يده على كل الخطابات التي ارسلها الأمير عبدالله إلى شيوخ عمان المتصالحة عدا خطاب واحد كان الامير قد ارسله إلى شيخ ابو ظبي ، وكانت هذه الخطابات موضوع احتجاج من المقيم على عمل الوهابيين ، وكانت حجة المقيم في ذلك هي أن نفوذ الوهابيين على هذه المنطقة فيما سبق أدى إلى انتشار القرصنة على شواطئها مما أدى بدوره إلى ضرورة قيام السلطات البريطانية باجراءات تأديبية تجاهها . وأجاب عبدالله رداً على ذلك بتأكيد رغبته في التعاون مع الحكومة البريطانية لقمع القرصنة ، وذكر أيضاً أنه اتصل بأهل عمان المتصالحة بهدف كفهم عن الاشتباك في أعمال عدائية بحرية ؛ غير أنه لوحظ انه أشار في خطابه لأهل عمان المتصالحة على أنهم من رعاياه .



فيصل بن تركي (فترة الحكم الثانية)
التاريخ العام والداخلي
١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

حياة فيصل وخلقه :

أشرنا الى الطريقة التي تولى بها فيصل الحكم مرة ثانية ، وكانت فترة حكمه هذه في الداخل عادية بغير حوادث ذات بال .

لقد كان فيصل يتميز بالوقار والقدرة على ضبط النفس ، وكان يلقى الاحترام لعدالة الأحكام التي يصدرها ، لكنه كان مرهوباً أيضاً إلى أقصى حد خاصة من البدو لقسوته التي لا حدود لها . وكانت مشاعر رعاياه نحوه كما كانت من قبل نحو سعود أشهر أسلافه مزيجاً مختلطاً من الكراهية والإعجاب . وقد فقد فيصل في أواخر عمره

بصره وكثيراً من صلابته لكن امكاناته العقلية ظلت كما هي ، وظل هو لفترة طويلة يمسك بكل شيء بين يديه . وفي يونيو ١٨٦٥ هاجم الشلل الامير فيصل ومات في يونيو ٢ ديسمبر التالي بالرياض ، وقيل إن الكوليرا كانت السبب المباشر في وفاته .

الادارة الداخلية في نجد ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

ويبدو أن فيصلاً كان يسيطر على الارض الخاضعة له سيطرة تامة ، وقد أوضح منذ السنة الاولى لحكمه تصميمه الحاسم على حماية الحجاج الذين يذهبون كل سنة لزيارة الاماكن المقدسة من اعتداءات البدو في الطريق . وكان في سجنه بالرياض دائماً عدد ليس قليلا من معارضيه السياسيين ذوي السلطة والنفوذ ، وكان يحكم على كبار معارضيه بالإعدام أحياناً وأحياناً يحكم بعقوبات أقل وطأة مثل النفي إلى القطيف ، وكانت هذه العقوبة تعد عند أهل وسط الجزيرة قاسية لانها قد تعني الموت بالحمى . وفي سنة ١٨٤٨ ، أو خلال السنوات القليلة التالية استعاد الامير معظم إقليم القصيم الذي خرج على جبل شمر لكنه لم يستطع الاستيلاء على مدينة عنيزة . وقام الامير بمحاولات أخرى لإخضاع هذه المدينة في سنتي ١٨٥٣ و ١٨٦٢ بلا جدوى .

حكم الاحساء ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وفي الاحساء حيث كان الاهالي بعيدين عن تقبل العقيدة الوهابية اعتمد حكم الوهابيين أساساً على التخويف والارهاب . وفي هذا الاقليم حيث كانت حركات التذمر تندلع بين الحين والحين لم تكن أخلاق المسئولين الوهابيين فوق مستوى الشبهات ، وكانت اساليبهم تتسم بالتعسف . وفي سنة ١٨٥١ قام فيصل نفسه بزيارة لواحة الاحساء والصحراء الممتدة جنوبها ، وأوقع العقاب بقبائل البدو التي كانت تقطع طريق التجار والحجاج ، وما يزال اسمه يذكر حتى اليوم على أنه الامير الوحيد الذي استطاع أن يقهر قبيلة آل مرة في أرضهم بنجاح . وقد قيل

إن حالة الجنود الوهابيين حين استطاعوا أخيراً أن يرغموا آل مرة على الاستسلام في صحراء الجافورة كانت لا تسمح للامير إلا بمجرد الاستقرار الشكلي فيها .

الـــدخـــل :

وبلغ الدخل السنوي الكامل للدولة الوهابية بما فيها الاحساء في سنة ١٨٦٥ مثلا ٨٠٠ الف روبية كان ستة أسباعها من السكان المستقرين في المدن .

★ ★ ★

علاقات الحكومة الوهابية مع الدول المجاورة في الجزيرة العربية ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

كان طبيعياً مع استتباب الامن والنظام في الداخل ووجود مصادر كافية للحكومة أن تنطلق طاقات الوهابيين نحو الخارج ، وأن تصبح تحركاتهم في هذا الاتجاه أكثر عدوانية مما كانت عليه خلال السنوات السالفة .

العلاقات مع تركيا ومصر ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وثمة ظلال تخفي العلاقات التي كانت قائمة بين حكومة الامير فيصل في اوائل حكمه وحكومتي تركيا ومصر . ففي سنة ١٨٥١ كان مفهوماً أن الامير يدفع جزية سنوية للباب العالي ، لكن مبعوثي باشا مصر كانوا دائماً في معسكره وكان وكيل الوهابيين في الكويت يقوم برعاية المصالح المصرية العليا . وفي سنة ١٨٥٥ أعلن الأمير في مراسلات بينه وبين المقيم السياسي البريطاني في الخليج أنه «تابع للحكومة التركية المعظمة» ، وأكد أن خلافه مع باشا مصر إنما يرجع إلى تعارض سياسة هذا الباشا مع سياسة الباب العالي . وحوالي سنة ١٨٦٠ وأثناء مناقشة مشكلة الأمور في البحرين عاد امير الوهابيين ليؤكد مرة أخرى ولكن بطريقة أقرب للغموض هذه المرة أنه «حسب المعاهدات التي

ارتبطت بها مع السلطان عبد المجيد هناك امور لا يحق لاي طرف أن يتدخل فيها إلا على أسس خاصة» . هذه الإعلانات الدورية من جانب الأمير أثبتت أنه لم يكن يمانع في إعلان تبعيته لتركيا إذا لم تتعارض مع مصالحه ، أما الاتراك فكانوا يؤكدون دائماً من ناحيتهم سيادتهم الكاملة على الدولة الوهابية ، مثال ذلك هذا الاحتجاج الذي قدمته الحكومة التركية عن طريق باشا بغداد سنة ١٨٦٢ ضد ضرب البحرية البريطانية لميناء الدمام في العام السابق ، فقد وصف هذا الميناء بأنه « تابع لفيصل بك قائمقام نجد» التي هي بدورها «جزء من الاملاك الموروثة لسلطان تركيا» . أما في أواخر حكم فيصل ، فقد كانت الجزية التي يدفعها الامير الوهابي للباب العالي شيئاً اسمياً فقط ، والغالب أنه كان يدفعها عن طريق شريف مكة .

علاقته بجبل شمر ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وطوال فترة حكم عبدالله الحاكم الأول لجبل شمر ظل ولاء هذا الاقليم لامير الوهابيين أمراً غير قابل للمناقشة . ويبدو أن فيصلا قد لقي بعد رجوعه من مصر عوناً كبيراً من تابعه المخلص هذا في استرداد مكانته بنجد . وتزوج طلال بن عبد الله بابنة الامير فيصل وظل حتى وفاته في سنة ١٨٦٧ يقوم بزيارة سنوية للرياض حيث يدفع بنفسه الجزية من الخيل . وحوالي سنه ١٨٤٨ أصبح القصيم الذي كان حتى ذلك الحين خاضعاً خضوعاً مباشراً للامير الوهابي خاضعاً لحماية شيخ جبل شمر كوسيط بينه وبين الوهابيين .

علاقته بالكويت ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وحوالي سنة ١٨٥١ جعل الامير فيصل له وكيلا في الكويت كما أشرنا ، وتأكد في سنة ١٨٦٣ طابع العلاقة الودية التي تربطه بالكويت على الرغم من ان شيخها لم يكن يدفع له الجزية .

وحين تولى فيصل عرش نجد كان الخلاف على أشده بين الشيخين

عبدالله ومحمد في البحرين وقد أفاد فيصل من خلافهما معاً ليحاول تأكيد سيطرته على البحرين . ولولا جهود السلطات البريطانية التي عملت دائماً على أن يبقى نفوذ الوهابيين مقتصراً على ارضهم فقط لكان من المحتمل أن يستطيع فيصل النجاح في إرغام شيخ البحرين على قبول شروط تجعلها خاضعة له تماماً .

وقد وقف الامير اولا في هذا الصراع إلى جانب الشيخ الشاب محمد بن خليفه الذي طرده فيما بعد عبدالله بن احمد من البحرين ، ثم كان معظم السبب في طرد هذا الاخير حتى الدمام راجعاً لجهود الوهابيين ، وكانت الدمام مقره الوحيد الذي بقي له وقد كان الامير يعتقد أنه هو صاحب الحق الشرعي فيه .

١٨٤٥ — ١٨٤٧ :

وبعدها بفترة قليلة ، وبعد أن نجح الوهابيون في تحقيق هدفهم الاساسي وهو استيلاؤهم على الدمام ظلوا هادئين . ولكن في سنة ١٨٤٥ ، وحين ازداد عناد محمد بن خليفة ورفض أن يدفع الجزية السنوية او العوائد المتأخرة والتي كان وافق على دفعها قبل سقوط الدمام ، بدأ عبدالله بن سعيد الحاكم الوهابي للقطيف بعد عودته الهجوم على البحرين. وقام محمد ، وكان يتوقع هذه الخطوة . بفرض الحصار على ساحل الوهابيين . وأعد الشيخ السابق عبد الله بالاشتراك مع حاكم القطيف الوهابي حملة هجوم مباغتة على البحرين من الاحساء ، لكنها اوقفت لحظة تنفيذها نظراً لتسرب خطتها وتفاصيلها إلى البحرين .

وفي سنة ١٨٤٦ حدث اشتباكان بريان بين قوات الوهابيين وقوات البحرين استطاع كل من الطرفين أن يحوز الانتصار في أحدهما . وأخيراً، في أغسطس ١٨٤٧ وبعد أن ضعف شيخ البحرين بسبب انسحاب بعض بني خالد من جانبه تمت التسوية بينه وبين أمير الوهابيين على أن يكف هذا الأخير عن تقديم العون للشيخ عبدالله في مقابل أن يدفع له شيخ البحرين مبلغ ٤٠٠٠ دولار في كل سنة كزكاة .

١٨٥٠ – ١٨٥١ :

وفي سنة ١٨٥٠ توترت العلاقات مرة أخرى بين الشيخ محمد والامير فيصل بسبب العقاب الذي اوقعه الامير على أحد مبعوثيه لانه نافق شيخ البحرين نفاقاً واضحاً ، وللاستقبال الفاتر الذي استقبل به الشيخ محمد سعد بن مطلق وكيل الوهابيين في عمان . وفي سنة ١٨٥١ وصل الامير بنفسه إلى جوار قطر ، وراح يغري أهل المناطق الهامة في هذا الإقليم بالتخلي عن ولأهم لشيخ البحرين ، وطلب زيادة باهظة في الجزية التي كان مفروضاً ان تدفعها البحرين والتي كانت توقفت تماماً ، حينذاك قام محمد بمحاصرة ساحل الأحساء لكن استعدادات الوهابيين الذين تحالفوا الآن مع ابناء الشيخ السابق كانت أخطر مما يتصور ، ونستطيع القول بأن البحرين لم تسلم من هذا الخطر الا عندما ظهر ، فجأة سرب من القطع البحرية البريطانية كان المقيم ارسله ليقوم بدوره في حماية الجزر. وفي يوليو ١٨٥١ عاد السلم مرة أخرى بفضل جهود شيخ ابو ظبي في الوساطة ، لكن التوتر ظل في الخفاء كما هو ، وسمح الأمير لابناء شيخ البحرين السابق بالإقامة في الدمام .

١٨٥٥ – ١٨٥٦ :

بعد هذه الاحداث وخاصة في سنتي ١٨٥٥ و ١٨٥٦ جرت بعض المراسلات حول البحرين بين امير الوهابيين والمقيمية السياسية في بوشهر ، وزعم الامير لنفسه الحق في أن يوقع العقاب كما يشاء بتابعه شيخ البحرين ، وصدر رداً على ذلك انذار من ممثل بريطانيا بتفويض له من حكومة الهند بأن الحكومة البريطانية لا تسمح بأي تدخل في شئون البحرين . وامتلأ صدر الامير غيظاً وانزعاجاً من هذا الرد .

١٨٥٩ :

وفي ١٨٥٩ تجاهل الامير فيصل الإنذار البريطاني ووجود سفينة حربية بريطانية صغيرة على الساحل ، وزعم وربما كان مصيباً في زعمه هذا أن شيخ البحرين يحرض قبائل الاحساء على القيام بأعمال عدائية

ضد رعاياه ، وأصدر أمره لحاكم القطيف بأن يبدأ استعداده بمعاونة أحد ابناء الشيخ السابق لحملة كبيرة تغزو البحرين . وارسل اسطولا بريطانياً آنذاك لتهديد الدمام ، وكانت نتيجته أن فشلت الحملة ، بل واعتذر المسئول الوهابي لقائد الاسطول البريطاني عن الاستعدادات التي قام بها . وأدى هذا التدخل الناجح إلى استثارة مزيد من غضب الامير فيصل وحنقه على بريطانيا .

١٨٦١ :

وفي سنة ١٨٦١ بدأ شيخ البحرين بالهجوم على أمير الوهابيين دون استشارة المقيم البريطاني مسبقاً ، فقام بمحاصرة موانئ الوهابيين وارسل ست سفن حربية للطواف حول الدمام . ولم يتمكن المقيم البريطاني من حمل شيخ البحرين على الكف عن هذا العمل غير المرغوب فيه إلا بجهد جهيد وصل حد الإرغام . وأصبح الآن واضحاً أن الأمن في مياه البحرين لن يعود إلا باستعادة ابناء الشيخ السابق من الدمام ، وهذا ما قامت البحرية البريطانية بتنفيذه في نوفمبر ١٨٦١ . بل وقيل أيضاً إن طرد هؤلاء الذين كانوا يثيرون الفوضى في مياه البحرين لم يكن مغضباً لبعض المسئولين الوهابيين في القطيف ممن كانوا لا يستطيعون أن يأخذوا حريتهم كاملة في العمل ضدهم دون خرق لتقاليد الضيافة العربية .

ونشير هنا عرَضاً إلى أنه لولا اليقظة التي كانت تبذلها السلطات البريطانية في المحافظة على أمن البحرين خلال هذه الفترة لكان محتملا تماماً أن ترتبط هذه الإمارة بالأحسا. ومنها تنتقل إلى حكم الأتراك بطبيعة الحال .

علاقاته بعمان المتصالحة ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وفي عمان المتصالحة وخلال هذه الفترة نفسها كان النشاط الوهابي على أشده . ففي يوليو ١٨٤٣ وصلت خطابات ورسائل من الامير الى كبار الشيوخ في المنطقة يبلغهم في نهايتها بأنه حين ينتهي موسم

الحرارة الشديدة سيعود سعد بن مطلق ومعه قوات ضخمة لإخضاع البلاد كلها . ويبدو أن معظم هؤلاء الشيوخ باستثناء شيوخ دبي والبريمي قد ردوا على هذه الرسائل مبدين اغتباطهم بما جاء فيها .

١٨٤٥ :

وفي أوائل سنة ١٨٤٦ ظهر سعد بن مطلق في البريمي ومعه قوة صغيرة ، ولم يكن واثقاً فيما يبدو كل الثقة في النجاح ، لكن القبائل المحيطة افصحت في البداية عن حماسة لقضية الوهابيين ، ولهذا تشجع على وضع خطط لاحتلال ضنك وذياد بل وايضاً منطقة ورزا على الساحل لكن قسوة الامير وعنجهيته ابعدا عنه الكثير من الانصار ، وانقطع اتصاله المباشر آنذاك بنجد ، وأصبح رسله يُضربون او يُهانون ، وبدأت الشكاوى في حقه ترفع لأمير الوهابيين ، وأصبح من المتوقع أن يسخط الامير على قائده سعد ، لكن هذا استطاع بطريقة ما أن يبرز مسلكه هذا وان بستعيد مكانته ، ولا شك في أن تسليم الاموال التي أخذها من الاحساء أثناء مروره بها بحراً كان من العوامل التي جعلت الامير يرضى عنه .

١٨٤٨ :

وفي مايو سنة ١٨٤٨ استولى شيخ أبو ظبي على قلاع البريمي يعاونه في ذلك حاكم إقليم صحار وقبائل بني نعيم والدواسر ، ولجأ سعد بن مطلق الذي لم يكن موجوداً ساعة هذا الهجوم إلى شيخ الشارقة . وظهرت الخلافات والمشاحنات القبيلة ، وتحول شيوخ عمان المتصالحة جميعا ضد شيخ ابو ظبي ، ولكن هذا استهان بتحالفهم ضده وظل يسيطر على هذه القلاع حتى فبراير ١٨٤٩ حين سلمها طواعية إلى الوهابيين عقب أن وصل اليه رسول من شريف مكة .

١٨٥٠ — ١٨٥١ :

وفي مارس ١٨٥٠ أعاد شيخ ابو ظبي بعد اتصال أجراه مع نائب سلطنة عمان هجومه على الوهابيين في البريمي لكنه فشل في تحقيق أي

شيء هذه المرة ، كذلك فشل أيضاً هجوم على نفس المكان في نوفمبر التالي على أثر تحالف من بني ياس والقواسم وبني نعيم . وفي ١٨٥١ تحالف شيوخ ابو ظبي والشارقة ضد الوهابيين لكنهم لم يستطيعوا شيئاً .

١٨٥٢ — ١٨٥٣ :

وفي نهاية ١٨٥٢ وصل عبدالله ابن امير الوهابيين الى البريمي ، لكن أعماله هناك كما سنرى في القسم التالي تتعلق أساساً بسلطنة عمان وقد زاره شيوخ عمان المتصالحة جميعاً باستثناء شيخ الشارقة وشيخ ابوظبي الذي بذل كل جهده للحيلولة بينه وبين العدوان تجاه الغرب وكانت الزيارة في البريمي لتقديم آيات الولاء له .

١٨٥٤ — ١٨٥٥ :

وعين رجل اسمه احمد السديري حوالي هذا الوقت وكيلا للوهابيين في البريمي خلفاً لسعد بن مطلق . وفي ١٨٥٤ بدا أن هذا الرجل مهتم بمنع شيوخ عمان المتصالحة من العدوان بعضهم على بعض ، وبتقييد حرية قبائل البدو بهذا الصدد ايضاً ، لكن نشاطه اتخذ مسلكاً سيئاً في سنة ١٨٥٥ حين تبين أنه كان يضع خطة للاستيلاء على قرية المحمرة التي تقع على البحر . وفي سنة ١٨٥٦ أصبح ممثل الوهابيين في البريمي هو تركي بن احمد —ربما ابن احمد السديري هذا — لكن اهتمامه كان موجهاً بشكل أساسي لشئون سلطنة عمان .

وفي ١٨٥٥ وصف الامير فيصل في رسالة منه للمقيم البريطاني في بوشهر بعثته في عمان المتصالحة بأنها بعثة خير تهدف إلى كبح جماح القبائل الهمجية في الداخل والحيلولة بينها وبين ذبح المواطنين العزل على الساحل .

علاقاته بسلطنة عمان ١٨٤٣ — ١٨٦٥ :

وكانت قاعدة الوهابيين في البريمي تستخدم بشكل أساسي لاعمال العدوان على سلطنة عمان في ١٨٤٥ و ١٨٥٣ ثم في ١٨٦٥ .

: ١٨٤٥

وعند وصول سعد بن مطلق إلى عمان المتصالحة في سنة ١٨٤٥ طلب الجزية من حكام صحار ومسقط : خمسة آلاف دولار عن الاولى و٢٠ ألف دولار عن الثانية ، ولكي يعزز مطالبه اجتاح إقليم الباطنة واستولى على ماجيس بعد أن قتل الحامية المقيمة فيها ، وبعد ذلك دفع حاكم صحار مبلغ الجزية المطلوبة منه ، وتم الاتفاق على أن البت بشأن ما تدفعه مسقط يظل بيد السيد سعيد الذي كان غائباً حينذاك في شرق إفريقيا . وسرعان ما خرق الوهابيون هذا الاتفاق ، لكن السلطات البريطانية التي كانت تعضد السيد ثويني نائب الحاكم في مسقط أرغمت الامير في النهاية على أن يرضى بجزية سنوية قدرها ٥ آلاف دولار فقط . ودفع السيد ثويني مبلغ ٢٠٠٠ دولار كمنحة لسعد بن مطلق عقب الاتفاق ، وأعيدت ماجيس إلى أصحابها .

: ١٨٥٣

وفي سنة ١٨٥٣ طلب عبدالله ولى عهد أمير الوهابيين أثناء إقامته القصيرة في البريمى إلى سيد مسقط أن يسلمه مدينة وإقليم صحار ، وأن يدفع جزية ضخمة عن باقي سلطنته ، وكان مفهوماً بالنظر إلى هذا الطلب المبالغ فيه أن الوهابيين يبحثون عن ذريعة لإعلان الحرب ، وبتشجيع من السلطات البريطانية بدأ السيد ثويني يتخذ إجراءات الدفاع عن صحار فتخلى الوهابيون عن نيتهم في غزو إقليم الباطنة .. لكن النتيجة النهائية كانت قبول السيد أن يستعيد صحار في مقابل رفع الجزية إلى مبلغ ١٢ ألف دولار كل سنة عن سلطنة عمان كلها ، وتم الاتفاق أيضاً على أن يتم تبادل المعونة بين سيد عمان وممثل الوهابيين ضد أي عدوان على أحدهما ، وحسب هذا الاتفاق قدم الوهابيون عونهم للسيد ثويني في العام التالى لاخضاع بعض القبائل المتمردة في الباطنة . وقام الأمير الوهابي عقب هذه الاجراءات بزيارة لإقليم عمان نفسه في الداخل ، ربما كجامع للضرائب .

١٨٦٤ — ١٨٦٥ :

وفي ١٨٦٤ لجأ الوهابيون إلى طريقة غير مباشرة للضغط على سلطان عمان —السيد ثويني الذي خلف أباه السيد سعيد— وذلك بتأييدهم لثائر على سلطته هو السيد عزان بن قيس في رستاق ، غير أن السلطان طلب مباشرة عون الحكومة البريطانية ، وابرق الرائد بيللي المقيم السياسي إلى حكومته بالأمر . وفي مارس ١٨٦٢ قام الرائد بيللي بزيارة شخصية سنشير اليها فيما بعد لأمير الوهابيين في عاصمتة الرياض ، وهناك تأكد أن الامير بنفسه هو الذي أمر بمحاولة بث الفزع في قلب السلطان الذي قال عنه صراحة إنه يحتقره أعظم الاحتقار ، وإنه مصمم على ان يرفع الجزية من ١٢ الفاً إلى ٤٠ الف دولار .

وفي إبريل ١٨٦٥ سار الرائد بيللي أثناء عودته إلى الخليج إلى مسقط حيث علم هناك بأن السيد عزان قد وضع نفسه تحت حماية الوهابيين تماماً وأن هؤلاء يطالبون بزيادة الجزية ويهددون بغزو عمان . وفي هذه الظروف قام الرائد بيللي الذي سبق للسلطان بالفعل في سنة ١٨٦٤ أن عرض اسمه على الامير كوسيط بينهما دون تفويض منه— بالكتابة إلى مضيفه السابق الامير فيصل يعرض عليه وساطته للوصول إلى تسوية الخلاف ، لكن الامير الوهابي لم يرد بشيء على هذا العرض . وفي أغسطس ١٨٦٥ زار مسقط وفد وهابي غير عادي ، وطلب هذه المرة أربعة اضعاف الجزية التي كانت تدفع في الماضي ، لكن السلطان بنصيحة من السلطات البريطانية دفع المبلغ المتفق عليه فقط ، وذكر أنه فيما يتعلق بتسوية الامور نهائياً فهو كان ما يزال ينتظر نتيجة عرض الوساطة من جانب الرائد بيللي . وفي نفس الشهر ارسل الوكيل الوهابي في البريمي استجابة لطلب بني جنابه المتمردين في صور قوة وهابية إلى ذلك المكان ، استولت على قلعة كانت تحتلها حامية باسم السلطان بعد أن قاومتهم يومين ، ونهب الوهابيون سوق صور وقتل واحد من رعايا الهند البريطانية وجرح آخر ، حينذاك رضخ

السيد ثويني ودفع ضعف الجزية ، أي مبلغ ١٦ الف دولار للوهابيين ثمناً للسلام لكن الحكومة البريطانية لم توافق كما سنرى على تسوية الامور بهذه الطريقة .

★ ★ ★

العلاقات بين أمير الوهابيين والحكومة البريطانية ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

السياسة البريطانية بعدم التدخل على طول الساحل العربي ١٨٤٣ :

ما يزال علينا أن نحلل سياسة الحكومة البريطانية تجاه هذه الاعتداءات المنظمة الوهابية على طول خط مواز للساحل ، ونستطيع أن نصف هذه السياسة بأنها تقوم على غض الطرف في عمان المتصالحة ، والمقاومة المعتدلة في سلطنة عمان ، والمقاومة التي لا مهادنة فيها بالنسبة للبحرين .

وخلال احتلال القوات المصرية لنجد في ١٨٣٨ـ١٨٤٠ كان الممثل السياسي البريطاني في الخليج مفوضاً بأن يستخدم كل نفوذه لمنعهم من التوسع في أي اتجاه . وحين حاول الامير الوهابي بعد أن خلف القوات المصرية في الاحساء أن يواصل نفس السياسة العدوانية كان هناك اقتراح بأن يواجه بالمعارضة نفسها ، لكن حكومة الهند رأت أن مطامع الامير فيصل في التوسع إنما هي أقل خطورة من مطامع محمد علي ، فقررت التريث وانتظار تطور الاحداث ، وانتهاج سياسة متحفظة بعيدة عن التدخل المباشر قدر الامكان . ورفضت على هذا الاساس اقتراحاً مقدماً لها من حكومة بومباي بأن تضع سياسة ثانية للعمل وأن ترغم الامير الوهابي على ان يكون بين الشيوخ المرتبطين بالحكومة البريطانية باتفاقيات السلم البحري ، ونتيجة هذا القرار أبلغ شيوخ البريمي الذين كان شجعهم اتجاه السلطات البريطانية إلى مساعدتهم في مواجهة القوات المصرية أن يطلبوا هذه المساعدة ضد الوهابيين ،

بأن الحكومة البريطانية لن تتدخل في صالحهم بعد أن قطعت كل علاقاتها بالأمور الداخلية في الجزيرة العربية . وحين كتب الامير الوهابي خطاباً إلى الممثل البريطاني يعبر فيه عن رغبته في «تجديد العلاقات الودية التي كانت قائمة بين أبيه الامير تركي والحكومة البريطانية» تلقى رداً ودياً يؤكد له أن الحكومة البريطانية لا أهداف لها سوى المحافظة على السلام في البحر الذي قال في خطابه إنه هو أيضاً مهتم بالمحافظة عليه . وكان يُرى أن العلاقات الودية لو أمكن أن تقوم وتستمر بين السلطات البريطانية والامير فان أثر ذلك لا شك سيكون طيباً جداً على أهل السواحل .

تعديل السياسة البريطانية بعدم التدخل ابتداء من سنة ١٨٤٥ الا بالنسبة لعمان المتصالحة :

وعلى أية حال ، فسرعان ما وضح أن مطامع أمير الوهابيين لن تقف دون الاستيلاء على سلطنة عمان وإمارة البحرين ، وخشيت جكومة الهند أن تتطور الامو وتسير الحوادث بأسرع مما تستطيع ملاحقتها ، فقررت العدول عن سياستها هذه في عدم التدخل .

عون بريطانيا لسيد مسقط ١٨٤٥ :

وفي سنة ١٨٤٥ وازاء تهديد الوهابيين لمسقط صدر تفويض للمقيم السياسي بأن ينقل رأي الحكومة البريطانية في هذا الامر لامير الوهابيين وأن ينظم مظاهرة بحرية ، ولكن أن يكون حريصاً فيتجنب التهديد بما لا يمكن تنفيذه إلا بارسال قوات برية من الهند ، وكتب على ضوء هذه التعليمات لكل من أمير الوهابيين ووكيلهم في البريمي ، وأعد في نفس الوقت أسطولا قوياً على ساحل الباطنة ، وقد رأينا أن هذه الاعمال قد حققت نتائج مرضية ، فرضي الامير الوهابي ، وانسحبت قواته من ماجيس وهبطت الجزية إلى الحدود المعقولة .

حماية بريطانيا للبحرين ١٨٥١ :

وفي ١٨٥١ حين كانت جزر البحرين مهددة بالغزو من قبل

الوهابيين الذين وصل اميرهم نفسه إلى مقربة من الجزر في الارض المجاورة أمكن تلافي هذا الخطر حين أمر المقيم العام على مسئوليته الخاصة كل القوة البحرية البريطانية في الخليج بأن تكون على مقربة من الجزر . وقد لوحظ بعد هذه الحادثة مباشرة أن موقف الامير فيصل من الحكومة البريطانية ولفترة على الاقل أكثر ميلا إلى التهادن . وقد كان من الضروري قبل هذا في سنة ١٨٤٦ توجيه انذار حاسم للحاكم الوهابي في القطيف الذي كان يعطي لنفسه حق التهديد بالقيام بأعمال القرصنة .

العون البريطاني لسيد عمان ١٨٥٣ :

ومرة أخرى في سنة ١٨٥٣ وحين كان ابن أمير الوهابيين يهدد عمان بالغزو استدعى المقيم العام شيوخ عمان المتصالحة من البريمي إلى الساحل حيث عقد معهم معاهدة السلم الشاملة ، ووجه إنذاراً لعبدالله نظراً لاحتجازه شيوخ البريمي ، وأرسل سفينة حربية لتقوم بجولة على الساحل ، ووعد بمساعدة سلطان عمان اذا احتاج هذه المساعدة في الدفاع عن عاصمته . وبهذه الإجراءات كلها أمكن انسحاب الوهابيين من صحار وقبولهم الصلح مع السلطان بشروط أقل إجحافاً له من حيث الجزية ، وما كان الحصول على هذه النتيجة ممكناً دون كل تلك الإجراءات .

حماية بريطانيا للبحرين ١٨٥٩ — ١٨٦١ :

وفي سنة ١٨٥٩ انقذت البحرية البريطانية البحرين مرة أخرى من نزول الوهابيين اليها نزولا كان محتملا أن يكون خطيراً ودائماً . وقد أثار هذا العمل بالإضافة لطلب إبعاد أبناء شيخ البحرين السابق من الدمام غضب أمير الوهابيين وسخطه على السياسة البريطانية .

وبالنسبة للهياج الذي حدث في صور سنة ١٨٦٥ فقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن تحصل من المعتدين على تعويض عنها ، وهذا أمر لم يكن حتى في مقدور سلطان عمان أن يحققه .

السياسة البريطانية بعدم التدخل في عمان المتصالحة :

ومما هو جدير بالذكر عن الامير فيصل تأكيده أنه لم يحاول أبداً على عكس ما اذيع عنه أن يعبّر عن معارضته للحكومة البريطانية بالقيام بأعمال القرصنة ، بل إن الأمر كما اشار كان على العكس تماماً .. فهناك فترة من التفاهم دامت أكثر من مائة عام مع الحكومة البريطانية من أجل التعاون على تأمين التجار والمسافرين في البحار .

رحلة الرائد بيللي إلى الرياض فبراير – مارس ١٨٦٥ :

وقد أشرنا من قبل إلى الرحلة المشهورة التي قام بها الرائد بيللي المقيم السياسي البريطاني من بوشهر إلى الرياض سنة ١٨٦٥ ، وكان هدفه من هذه الرحلة هو القضاء على العداوة التي سببتها أعمال البريطانيين في قمع تجارة الرقيق وفي إحباط السياسة الوهابية على الساحل العربي . وكان الرائد بيللي يهدف أيضاً إلى إثبات أن وسط جزيرة العرب ليس منطقة يصعب اقتحامها على ضابط بريطاني يؤدي وظيفته ، وكان يأمل أن يلقي بعض الضوء على جغرافية هذه البلاد وشيء من تاريخها الطبيعي .

وكانت الكويت هي نقطة البدء في رحلته ، فوصلها في يناير ١٨٦٥ وقضى فيها عدة أسابيع ينتظر إذن الامير بالسير ، وأخيراً جاء هذا الإذن مقتضباً مختصراً ، ولم يرسل دليلا . وكان يصحب الرائد بيللي دكتور و. هـ. كولفيل طبيب المقيمية الذي جعله بيللي مسئولا عن بعثته من الناحية الصحية ، ومسئولا أيضاً عن القيام ببعض الأبحاث المتعلقة بالجيولوجيا وعلم النبات ، والملازم إي. دافيس من البحرية الهندية الذي كان قبطان سفينة المقيمية « بيرنيس » وقد جعل الرائد مهمته مراقبة خطوط الطول والعرض ، ثم المترجم ج . لوكاس وهو مسيحي من أهل الموصل ادعى الإسلام وتسمى باسم عبدالله . وكانت قافلة المقيم كلها تضم حوالي ٣٠ بعيراً ، وكانت جماعته بما فيها الحرس الهندي

والخدم والحمّالون لا تزيد عن ٣٣ رجلا . ولم يأخذ المقيم معه سوى خيمة صغيرة واحدة . وبدأت القافلة سيرها من الكويت في ١٧ فبراير ، وظلت سفينة المقيمية بانتظارها في ميناء العقير ، وسارت عن طريق وفرة ووبرة ورميحية إلى سدوس في عريضة ، ومنها عادت لتأخذ طريقها هبوطاً في وادي حنيفة إلى الرياض فوصلتها في ٥ مارس .

وفي يوم ٦ مارس قام الرائد بيللي ومعه مساعدوه جميعاً بزيارة مجاملة للأمير فيصل في قلعته بوسط المدينة ، وفي اليوم التالي تم عقد اجتماع خاص بينهما لم يصحب المقيم فيه سوى مترجمه فقط . وكان الامير في ذلك الوقت قد تقدم به السن كثيراً وفقد بصرة تماماً لكنه كان يبدو بموضع الاحترام والتوقير من أقاربه الادنين ، ومن رعاياه جميعاً ممن كانوا ينادونه غالباً باللقب الديني «الإمام» . وفي كلتا المقابلتين كان حديث المقيم العام مع الامير حديثاً عاماً شاملا ، ورغم ان الموضوعات السياسية كانت تشكل معظمه بطبيعة الحال ، إلا أن المقيم كان حريصاً على ألا يتطرق النقاش إلى مشكلات محددة مثل جزية مسقط او ما اليها . وفي خلال الحديث أشار الامير إشارة عارضة إلى أن له السيطرة المطلقة على كل شرق الجزيرة من الكويت إلى رأس الحد وما وراءها . وكان مسلك فيصل يتسم بالأنفة ، وبالصداقة ، وأحياناً بالمودة ، وكان على العموم سعيداً بزيارة المقيم العام له ، وتم اتخاذ الترتيبات اللازمة لمرور المقيم العام في طريق عودته من الرياض إلى الساحل بصايح في الخرج كي يشاهد اسطبلات الخيول التي يملكها الامير . وهنا(١) بدأت النزعات العدائية عند حاشية الامير من الرجال المتعصبين ضيقي الافق تلعب دورها . وانتهج سكرتير الامير المقرب وهو « رجل حقود ومتعصب وضيق الأفق » اسمه محبوب مسلكاً مهيناً ، فأحرق أوراق ورسومات الملازم دوس من باب الحذر والاحتياط ، وفي يوم ٨ حدثت

---

(١) أورد الشيخ على من سبيع وهو دليل فاسد استخدمه الرائد بيللى رواية محرفة لما قامت بـه الجماعة في رحلتها الى الرياض .

محاولة لاحتجاز الجماعة الانجليزية في الرياض عن طريق الاستيلاء على جمالها . ولم تتخذ الترتيبات لعقد مقابلة أخيرة مع الامير في هذه الظروف . وبعد الظهر ظن المقيم أن من الضروري أن يرحل دون انتظار موعد من القلعة ، لكنه التقى بالامير على أية حال لقاء أخيراً لم يكن أقلّ مودة من سابقيه . وطلب الأمير في هذه المناسبة أن يبلغ فيما بعد بأحداث القرصنة أو حرق السفن التي تقع على شاطىء الاحساء لإيقاع العقاب الرادع بمرتكبيها ، كما طلب أيضاً أن تتولى المقيمية رعاية مصالحه البحرية على الساحل الإيراني ، وأكد الرائد بيللي صداقته المخلصة ، وأخيراً أفصح عن رغبته في أن تنتظم المراسلات بينهما . وفي الساعة التاسعة من بعد ظهر يوم ٨ مارس تركت قافلة الرائد بيللي مدينة الرياض ، وبدأت السير إلى الساحل مبكرة في الصباح التالي . وفي ١٧ مارس اجتاز المسافرون الهفوف ووصلوا في ١٨ منه إلى مرسى سفينة المقيمية في العقير .^

ولم تحقق هذه الرحلة التي كان لها طابع المغامرة كما سنرى نتائج سياسية ذات قيمة وربما لحالة العجز التام التي تردى فيها الامير بعد ذلك بثلاثة أشهر فقط ، لكن ملاحظات الملازم دوس قدمت بيانات ومعلومات هامة لم تضف اليها أية تفصيلات فيما بعد لرسم خريطة دقيقة لإقليم جنوبي نجد الهام . وقد أصيب الملازم دوس بضربة شمس قاسية في الرياض ، وعانى كثيراً من الحمى في طريق العودة .



علاقات الامير الوهابي بفرنسا ١٨٤٣ ـ ١٨٦٥

بعثة مستر بالجريف ١٨٦٢ :

سبق الرائد بيللي إلى الرياض الرحالة و. ج . بالجريف الذي مر بعاصمة الوهابيين أثناء مروره عبر الجزيرة في سنة ١٨٦٢ . ولم تكن بعثة مستر بالجريف رغم أنه من رعايا بريطانيا باسم الحكومة البريطانية ،

وقد قيل إنه كان يمثل نابليون الثالث الذي كان مهتماً اهتماماً خاصاً بمصر والشام ، وربما كان قد وجه اهتمامه إلى نجد لعلاقتها بموضوع قناة السويس الذي كان قد تم اقتراحه آنذاك بالفعل .

مراسلات مع فرنسا :

وقد اعترف الامير فيصل في محادثاته مع الرائد بيللي في الرياض أنه تلقى مرتين عروضاً سخية من الحكومة الفرنسية بالمعونة . وفي الثانية منهما وكان وقتها يتفق تماماً وبعثة مستر بالجريف طلب من الامير أن يبلغ رده للقنصل الفرنسي في دمشق ، وأبلغه الامير فعلا شكره وأوضح له أنه ليس في حاجة إلى مساعدة في الوقت الحالي .

★ ★ ★

عبد الله بن فيصل (فترة حكمه الاولى) ١٨٦٥ - ١٨٧١

الحالة الداخلية عند تولي عبدالله ١٨٦٥ :

وخلف الامير فيصل بعد موته أكبر ابنائه عبدالله الذي كان قد اكتسب سمعة طيبة كقائد ناجح ، وقد استخدمه أبوه سنة ١٨٥٢ - ١٨٥٣ ممثلا للوهابيين في البريمي ليتفق مع سيد مسقط على زيادة الجزية . وكان عبدالله موجوداً بالرياض أثناء زيارة الرائد بيللي في مارس ١٨٦٥ ، لكنه استطاع أن يكبح فضوله ويتجنب اللقاء بالمقيم خشية أن يطلع الأخير على بعض جوانب ضعفه مما قد يؤثرعليه في المستقبل . وكانت إحدى النتائج المباشرة لتولي عبدالله هي إبعاد محبوب سكرتير فيصل المقرب الذي أشرنا اليه . وكان مركز الامير الجديد ضعيفاً منذ البداية نظراً لمنافسته وعدائه الشخصي لأخيه التالي عليه سعود ، الذي كان يعتبر أثناء زيارة الرائد بيللي للرياض شخصية أقرب إلى الاعتدال من عبدالله ، كما كانت صراحته وتحرره وجرأته أسباباً جعلت البدو يتعلقون به أكثر من شقيقه الاكبر . وكان عبدالله وشقيقه محمد مولودين

لوالدتين من آل سعود ، فكانا وهابيين متعصبين . أما سعود وشقيقه عبدالرحمن فكانت والداتهما من البدو ولذا كانا أكثر استعداداً للكرم . ومرة واحدة اندفع سعود الذي كان مقره الخرج معلناً التمرد على شقيقه عبدالله بمعاونة قبيلة الدواسر لكنه هزم في بداية الامر .

★ ★ ★

قطع علاقات الحكومة البريطانية بأمير الوهابيين ١٨٦٥ ـ ١٨٦٦

قرار من حكومة الهند بمساعدة سلطان عمان :

من جملة الميراث المحزن الذي انتقل من الامير فيصل إلى ابنه كانت تسوية مشكلة صور التي وقعت فيها اعتداءات على اثنين من رعايا الهند البريطانية على يد رجال من قبائل البدو الذين حرضهم وكيل الوهابيين في البريمي . وقبل موت الامير فيصل كانت حكومة الهند قد اتخذت قراراً بتشجيع سلطان عمان على بذل مزيد من الجهود في مقاومة الوهابيين ، فصدرت اوامرها بتقديم العون على شكل ذخائر حربية ، بل وأموال ايضاً اذا اقتضت الضرورة ، كما كفل له تأييد القوات البحرية ايضاً بشرط ألا يقوم بعمليات على البر .

خطاب من الامير ، وعزم حكومة الهند على أن تطلب من الوهابيين تعويضاً عن الاضرار التي اوقعت بالرعايا البريطانيين في صور :

وفي نوفمبر سنة ١٨٦٥ وفيما كان الرائد بيللي آنذاك في طريقه إلى بومباي عقب إجازة قضاها في اوربا وصل إلى السلطات البريطانية في بوشهر خطاب كان رداً مرسلا من الامير فيصل على الطلبات التي قدمتها اليه هذه السلطات بشأن مسلك الوهابيين في صور . وجاء في هذا الرد ان الامير قد أطلق سراح رعايا الهند البريطانية الذين أسروا في صور ، وأمر أيضاً برد ممتلكاتهم اليهم . لكنه أهمل تماماً

مسألة التعويضات وأشار إلى اتفاقية مع الحكومة البريطانية عقدت لاول مرة في عهد المرحوم الامير سعود ، وصدق عليها مرة أخرى في عهد هذا الحاكم » . وبعد دراسة الخطاب قررت حكومة الهند عقب إجراء تحريات كثيرة ضرورة إبلاغ الامير الوهابي أن سلطان عمان صديق للحكومة البريطانية وحليف لها ، وأن هذه الحكومة يسعدها أن تسوي الامور بينه وبين الامير ، وهي لا تستطيع إلا أن تنظر باهتمام شديد إلى أية محاولة للانتقاص من ارضه ، كما أبلغ الامير أيضاً أن حكومة الهند مصرة على أن يدفع الوهابيون التعويض للرعايا البريطانيين الذين وقع عليهم الاعتداء في صور .

انذار من المقيم البريطاني إلى أمير الوهابيين يناير ١٨٦٦ :

وفي نفس هذا الوقت حدثت حادثة أدت إلى قطع العلاقات بين الحكومة البريطانية والوهابيين وذلك حين قامت السلطات البريطانية المحلية بتنفيذ التعليمات الصادرة لها بمساعدة سلطان عمان . فأبلغت شيوخ عمان المتصالحة أن لهم مطلق الحرية في أن يقدموا المعونة للسلطان ضد الوهابيين . واتخذت الإجراءات لإرسال اسطول لمسقط يقوده السيد تركي شقيق السلطان لمحاصرة موانى الوهابيين في القطيف والعقير ، وبدا موقف شيخ البحرين نحو هذه القضية مريباً وغامضاً فقامت السلطات البريطانية بالاستيلاء على إحدى سفنه الحربية وهي «دينار» لمنعه من مساعدة الوهابيين وللقضاء على الشكوك المثارة ضده أيضاً . وفي ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٦٥ خرجت سفينة صاحب الجلالة «هاي فلاير» يقودها الكابتن بازلي من بومباي تحمل ١٨ مدفعاً مع ذخيرتها لسلطان عمان ، ونزلت في صحار ثم عقد اجتماع في هذا المكان نفسه في يناير ١٨٦٦ بين الرائد بيللي وقائد البحرية . وفي هذا الوقت قامت قوات الوهابيين بالهجوم على منطقة سحام في الباطنة ، ودفع التجار من رعايا الهند البريطانية الذين كانوا مقيمين فيها الى البحر فغرق واحد منهم .

وكان من نتيجة المداولات التي أجراها الرائد بيللي والكابتن

بازلي أن وجها خطاب إنذار إلى أمير الوهابيين يطلبان فيه اعتذاراً كتابياً عما حدث في صور ، وتأكيداً خطياً بأن هذه الاحداث لن تتكرر في المستقبل ، ودفع تعويض قدره ٢٧ الف دولار عن الممتلكات التي ضاعت أو دمرت ، وأضاف الإنذار أنه اذا لم تتم إجابة هذه المطالب خلال فترة قدرها سبعة عشر يوماً من تاريخ وصول الخطاب إلى الحاكم الوهابي في القطيف ، فستدمر قلاع الوهابيين المقامة على ساحل الأحساء ، وستصادر سفنهم الموجودة في موانيه .

ولم يستطع الرائد بيللي أن يصحب بنفسه الكابتن بازلي ، فقد كان وجود المقيم في عمان ضرورياً لتشجيع سلطانها الذي كان يعد الترتيبات للقيام بهجوم على موقع الوهابيين في البريمي ، فأرسل مع بازلي وكيل المقيمية في الشارقة الذي أنزل في البحرين في ١٣ يناير سنة ١٨٦٦ بصفته حامل خطاب لامير الوهابيين . وغادرت السفينة «هاي فلاير» البحرين في نفس اليوم إلى أبو ظبي ومنها سارت على طول ساحل القراصنة ودمرت برجاً أقامه القواسم باسم الوهابيين في مضيق زورا . وفي ٢٣ يناير التقى الرائد بيللي بالكابتن بازلي في خليج الفينستون ، وكان موعدهما مضروباً في المركز البريطاني للبرق والتلغراف الموجود هناك .

العمليات البحرية البريطانية على ساحل الاحساء وفشلها في الدمام فبراير ١٨٦٦ :

وسارت «هاي فلاير» مرة أخرى إلى القطيف يوم ٢٨ يناير فوصلتها في ٣٠ منه ، وهناك عرف كابتن بازلي من وكيل المقيمية أنه لم يصل بعد رد من الامير وان الحاكم الوهابي في القطيف طلب مهلة اثني عشر يوماً لإبلاغ الرسالة إلى الرياض . وظل كابتن بازلي ينتظر حتى يوم ٢ فبراير وهو اليوم المحدد لانتهاء المهلة ، ثم بدأ تنفيذ ما جاء بالإنذار ، فارسل عدة قوارب مسلحة إلى القطيف يقودها الملازم فيلوز فهدمت القلعة القائمة في جزيرة ابو الليف ودمرت سفينة وهابية واحدة وجدت في

الميناء ولم تكن تستحق أن تنقل . وفي ٣ فبراير ارسلت جماعة يقودها الملازم لونج إلى قلعة الدمام التي ذكرت معلومات وكيل المقيمية أن بها حامية قوامها ١٢ رجلا . لكن القوارب المسلحة لم تستطع بالنظر إلى ضحالة الماء أن تتقدم أبعد من ٢٠٠ متر عن الخليج ، فنزلت القوات من القوارب إلى البر واستطاعت الاستيلاء على الساحة الخارجية للقلعة ، وبدأت الحامية الموجودة فيها تصد هجومهم . وقد تبين أنها أكبر بكثير مما أشار اليه وكيل المقيمية ، وكانت النتيجة تراجع المهاجمين بعد أن أوقعت بهم خسائر تمثلت في مقتل ثلاثة جنود ، وإصابة ضابطين وثلاثة جنود آخرين بجراح .

وفي ٤ فبراير ، وقت ارتفاع المد ، جدد الملازم يونج هجومه على قلعة الدمام واستخدم في ضربها الرصاص والقنابل والقذائف لكن المدى كان بعيداً ولم يمكن إحداث أي صدع بها . وفي ٩ فبراير لحقت السفينة «هاي فلاير» بالرائد بيللي في مسقط ، وتمت عمليات عسكرية ناجحة ضد قبيلة جنابه في صور يومي ١١ و ١٢ فبراير . وأخيراً تلقى الرائد بيللي اوامر من حكومة الهند بالكف عن طلب التعويض من أمير الوهابيين وعادت السفينة «هاي فلاير» من الخليج إلى بومباي .

رد الأمير الوهابي على الانذار البريطاني فبراير ١٨٦٦ :

ومضى بعدها الرائد بيللي إلى خليج الفينستون وظل هناك ينتظر خبر استيلاء سلطان عمان على البريمي حين تلقى فجأة يوم ٢٠ أو ٢١ فبراير نبأ مقتل السيد ثويني قتلة بشعة على يد خدمه مما جعل عمليات القوات العمانية في البريمي تتوقف توقفاً تاماً . وفي نفس هذا الوقت تقريباً وصل إلى المقيم خطابان من أمير الوهابيين ، وفي أحدهما وهو مؤرخ في ٢٨ يناير يوافق الامير عبدالله على الاقتراح الذي سبق أن قدم لابيه فيصل قبل عدة شهور بأن يتوسط الرائد بيللي في الخلافات القائمة بينه وبين سلطان عمان . أما الخطاب الثاني الذي كان رداً على

الإنذار البريطاني- فقد ذكر فيه الامير عبدالله أنه راغب في التشاور وأنه على استعداد لارسال وكيل عنه لهذا الغرض ، وأضاف يقول إن قبيلة جنّابة كانت هي المسئولة عن ارتكاب تلك الاعمال في صور لكنه أي الامير لا يستطيع الحصول على تعويضات منها .

عقد الصلح مع مبعوث للوهابيين في بوشهر ٢١ ابريل ١٨٦٦ :

وبعدها مباشرة وصل بوشهر مندوب للوهابيين وهو رجل يدعى محمد بن عبد الله بن مانع ومعه طلب محدد للصلح ، والتقى به الرائد بيللي بعد عودته إلى بوشهر في ٢١ إبريل حيث حصل منه باسم أمير الوهابيين عبدالله بن فيصل على إعلان بانسلام ، وتطمين للمقيم إلى أن الرعايا البريطانيين سيجدون كل الحماية في الأرض الوهابية ، ووعد بأن الوهابيين لن يتدخلوا في شئون الإمارات العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية مستقبلا بأكثر من جمع الجزية كما كان يحدث من قبل . مع تأكيد خاص لسلطنة عمان . ورفعت هذه النصوص إلى حكومة الهند ، وبأوامر منها أبلغ المقيم مندوب الوهابيين في رسالة للأمير سلمها اليه بأن الحكومة البريطانية لا تود في الوقت الحاضر أن تتوسط أو تضمن أية اتفاقية تعقد بين الامير والسلطان لكنها تفوض المقيم في أن يبذل وساطة حميده لصياغة الاتفاق .

وقد أوضح المقيم لمندوب الوهابيين أثناء المحادثات التي جرت بينهما في بوشهر أن «الاتفاقية» الموقعة مع الحكومة البريطانية والتي أشار اليها أمير الوهابيين فيما سبق لا وجود لها في الواقع ، وان الامير يشير بهذا إلى الخطابات الودية التي كانت الحكومة البريطانية تتلقاها من الامير بين الحين والحين والتي كان الامير يعتقد أنها اتفاقيات . واتضح أيضاً أن للأمير عبدالله أعداء كثيرين وأن وضعه في بلاده دقيق وحرج . واعتبرت حكومة الهند ، بشكل عام ، أن نتاج عمليات فبراير ١٨٦٦ كان مرضياً على وجه إجمالي ، لكنها اعتبرت الأعمال التي تلتها ، في الدمام وفي صور ، أعمالا طائشة وغير لازمة .

علاقات الامير الوهابي بتركيا ١٨٦٦

بعثة وهابية إلى بغداد ابريل ١٨٦٦ :

وحوالي نفس الوقت الذي ارسل فيه عبدالله بن فيصل مندوباً عنه إلى بوشهر ارسل مندوباً آخر هو عبدالعزيز السويلم إلى الوالي التركي في بغداد ، ليشكو اليه ، فيما يبدو ، أعمال البريطانيين ضد السفن والموانئ الوهابية وليطلب تدخل الباب العالي من أجل عدم تكرار حدوثها . وكان نامق باشا في البداية مستعداً لان يطلب عن طريق المقيم البريطاني في بغداد أو مباشرة عن طريق اتصال تلغرافي بنائب الملك في الهند ايقاف أي عمل آخر حتى تتم مناقشة المسألة بين الحكومتين البريطانية والتركية ، لكن مشكلة ما لا نعرف طبيعتها على وجه التحديد ثارت بين والي بغداد ومندوب الوهابيين وانتهت بأن غادر الاخير بغداد في ٣ مايو ، وهو يستشعر بالإهانة .

غارة الوهابيين على حدود العراق التركي ابريل ١٨٦٦ :

وربما كان أحد أسباب تعثر هذه المفاوضات غارة شنها الوهابيون بقيادة الامير عبد الله بنفسه على القبائل العربية المقيمة على حدود العراق التركي . ويبدو ان الامير عبدالله قد سلك لحملته طريق جبل شمر عند منازل قبيلة ظافر وجانب من قبيلة عنيزة . وحين كان يطارد بني ظافر نحو الفرات اشتبك بقبيلة المنتفق ، وحدث بين الجانبين قتال عنيف لم تعرف نتيجته على وجه التحديد ، وعاد الامير بقواته ، بعد توقف قليل قرب الكويت إلى الرياض . وقد أبلغ المسئولون الاتراك في بداية الأمر بأن رعاياهم قد هزموا في هذا الاشتباك ، وفي الوقت الذي ساد فيه هذا الاعتقاد كتب والي بغداد لمساعديه في البصرة يأمرهم «بالإغارة على القبائل الموالية للوهابيين ، ويوصي باتباع هذه الطريقة نفسها للانتقام» ، لكن هذا المسئول نفسه ارتضى فيما بعد أن يقبل عشر خيول وعشرة جمال اعترف زعيم المنتفق بأنه استولى عليها من الوهابيين .

علاقة الوهابيين بالكويت ١٨٦٥ ـ ١٨٧١

أشرنا من قبل إلى استخدام أمير الوهابيين للكويت كخط للرجعة بعد الغارة التي قام بها على حدود العراق التركي سنة ١٨٦٦ ، ويبدو أن الامير عبدالله بن فيصل قد عرض على شيخ الكويت في نفس السنة أن ينضم اليه في القيام بهجوم على مدينة الزبير إذا اتخذ الوالي التركي في العراق قراراً ضد الشيخ في نزاع كان قائماً وقتذاك بينه وبين بعض أقارب له مقيمين في العراق التركي .

★ ★ ★

علاقات الوهابيين بالبحرين وقطر ١٨٦٥ ـ ١٨٧١

شيخ البحرين يدفع الجزية للوهابيين ١٨٦٦ :

أثبت البحث الذي أجراه الرائد بيللي ـ بأوامر من حكومة الهند ـ عقب ازمة سنة ١٨٦٥–١٨٦٦ أن شيخ البحرين كان مستقلا تمام الاستقلال عن النفوذ الوهابي فيما يتعلق بالجزر التي يحكمها ، لكنه كان يدفع جزية سنوية قدرها اربعة آلاف دولار لأمير الوهابيين في مقابل توفير الحماية لرعاياه في إقليم قطر ضد هجمات القبائل الموالية للنفوذ الوهابي . وفي نفس الوقت كان لأمير الوهابيين في الفترة من ١٨٥٢ إلى ١٨٦٦ ممثل في الدوحة بقطر ، ولكن يحتمل أن يكون هذا الممثل مجرد شيخ من الشيوخ المحليين هناك .

غزو البحرين من ساحل الوهابيين ١٨٦٩ :

وقد تمت عن طريق الساحل الوهابي عملية غزو البحرين سنة ١٨٦٩ ، ولقي فيها علي بن خليفة الشيخ الحاكم آنذاك مصرعه . لكن ليس ثمة دليل قاطع على اشتراك الوهابيين فيها ، وقد كتب الامير يعلن ألا علاقة له بالأمر كله ، فاكتفت حكومة الهند بأن تطلب منه دون تهديد أن يعمل على منع تكرار هذا العمل في المستقبل .

علاقات الوهابيين بسلطنة عمان وبعمان المتصالحة ١٨٦٥ - ١٨٧١

البحرية البريطانية تدمر حصناً في منطقة زورا يناير ١٨٦٦ :

أشرنا من قبل خلال حديثنا عن العمليات العسكرية البريطانية التي تمت سنة ١٨٦٦ إلى هدم قلعة كان شيخ الشارقة الذي كان ممثلا للوهابيين في ذلك الحين قد أقامها في منطقة زورا . وبهدم هذه القلعة عاد السلم الذي كان مهدداً إلى الساحل المتصالح .

قتل وكيل الوهابيين في البريمي ابريل ١٨٦٩ :

وفي ٧ إبريل سنة ١٨٦٩ كان السديري ممثل الوهابيين في البريمي موجوداً في الشارقة ومنهمكاً في التآمر والتدخل في الخلافات الداخلية القائمة بين أفراد القواسم حين أطلق عليه الرصاص وقتل مع بعض رجاله في اشتباك وقع في المدينة يومذاك .

استيلاء سلطان عمان على واحة البريمي من ايدي الوهابيين ١٨ يونيو ١٨٦٩ :

وتبع هذا الحادث اختفاء الوهابيين من البريمي التي ظلوا من قبل مواظبين على احتلالها بصورة دائمة مدة تقارب السبعين عاماً . وربما قبل مصرع وكيل الوهابيين في الشارقة كان الوهابيون قد طلبوا من السيد عزان بن قيس الذي تولى مؤخراً صلاحيات سلطان عمان أن يدفع لهم الجزية وقاموا بغزوة لصحار . وبعد أن ذاع نبأ مصرع الوكيل الوهابي طلب بنو نعيم في البريمي من السيد عزان الانضمام اليهم لطرد الوهابيين من الواحة ، ولم يتردد السيد عزان وكان قوي الإرادة حاسماً ، في الاستجابة لهم . وفي يوم ١٨ يونيو سنة ١٨٦٩ على وجه التقريب استسلمت الحامية الوهابية الموجودة في البريمي بعد مقاومة هينة لقوات عزان التي كانت تضم حوالي ١٥٠٠ رجل . وبعد أن وضع السيد في البريمي حامية من جنده ، وعقد تحالفاً مع شيخ أبي ظبي عاد ظافراً إلى مسقط .

ولم يكن عبدالله بن فيصل مستعداً لأن يتقبل ببساطة انتهاء قاعدته في البريمي ونفوذه في سلطنة عمان وعمان المتصالحة بالتالي ، لكن ظروفاً قاهرة هي التي حالت بينه وبين القيام بعمل حاسم لاستعادتها .

استعدادات لم تكتمل من قِبَل الامير الوهابي لاستعادة البريمي ١٨٦٩ — ١٨٧٠ :

ففي أوائل سنة ١٨٧٠ هبط الامير عبدالله إلى الأحساء وبدأ هناك يجمع القوات ويعبئها ، وكان من المعتقد أن وكلاءه يقومون بجمع عدد كبير من القوارب من سواحل قطر والإحساء لأعداد حملة على عمان المتصالحة ومنها على البريمي . وقيل بعدها مباشرة إن الأمير بنفسه قد انتقل إلى العقير . وقد تم على أية حال تذكير الامير بالوعد الذي قطعه على نفسه في سنة ١٨٦٦ بعدم القيام بعمل عدائي ضد أي من الدول العربية المرتبطة برباط العلاقة الودية بالحكومة البريطانية ، ثم ان قيام القوات البحرية البريطانية بالقضاء على بعض الزعماء المتمردين الذين كانوا قد استولوا على البحرين اوضح للامير أخطار الدخول في صراع مع بريطانيا ، فضلا عن يقينه بأن الحكومة البريطانية ستعتبره مسئولا في حالة ما إذا حدث غزو للبحرين من ساحل الأحساء ، ثم ان تحالفاً قام بين شيخ ابي ظبي وسعود شقيق الامير المتمرد عليه والسيد عزان في مسقط زاد من صعوبة مهمة الامير الوهابي في عمان ، هذا ايضاً بالإضافة إلى حرارة الجو اللاهبة وندرة مصادر الماء بين الأحساء والبريمي . وفي إبريل سنة ١٨٦٦ عاد الامير بعد أن أيأسته هذه الصعوبات إلى عاصمته حيث كانت المؤامرات من جانب أقاربه الادنين قد أصبحت تمثل خطراً كبيراً .

وقد كان ضياع البريمي تأكيداً لحقيقة ظهرت في اوضح صورها من احتلال القوات المصرية لنجد سنة ١٨١٨—١٨١٩ ، و ١٨٣٨—١٨٤٠ واحتلال الاتراك للقصيم سنة ١٩٠٥—١٩٠٧ ، وهي أن السيطرة السياسية

حتى في جزيرة العرب ، لا يمكن أن تكتمل الا بوجود القوة المادية الكافية في عدد من المواقع المحددة ، وبفقد بعض هذه المواقع لا يمكن استمرار السيادة السياسية .

★ ★ ★

تمرد سعود بن فيصل ١٨٧٠ ـ ١٨٧١

نجاح سعود في تمرده :

وبعد أن قام سعود الاخ الاصغر غير الشقيق للامير عبد الله بزيارة لسلطنة عمان رجع فأعلن التمرد وبدأ يتلمس الحلفاء والأنصار في كل مكان . وقد استطاع المقيم السياسي البريطاني أن يُرجع شيخ البحرين عن نواياه في تقديم المعونة لسعود ، غير ان عدداً كبيراً من قبائل البدو في الاحساء سرعان ما انضموا تحت رايته ، وأعلن سعود سيطرته على واحتي الأحساء والقطيف ، وهزم عبدالله هزيمة ساحقة عند آبار جدة في تاف وأسر محمد ، شقيق عبدالله ، وحبس في قلعة الدمام .

فرار الامير عبدالله :

وهنا يمكننا أن نعتبر فترة الحكم الأولى لعبدالله بن فيصل قد بلغت نهايتها ، لأنه قد هرب إلى جبل شمر الذي كان اميره مرتبطاً به برباط المصاهرة ، وحاول عن طريق شيخ الكويت طلب المعونة من الاتراك واعداً بأن يدفع لهم الجزية ، وكان دفع الجزية للأتراك غير منتظم بل ربما كان منقطعاً تماماً منذ عهد الامير فيصل .



سعود بن فيصل ١٨٧١ ـ ١٨٧٥
غزو الاتراك للاحساء ١٨٧١

وقبل الأتراك دعوة عبدالله دون تردد ، وبادروا فأعلنوه قائمقاماً لهم في نجد ، وأرسلوا ـ عن طريق شيخ الكويت كما هو مذكور بالتفصيل في مكان آخر ـ قوات لفتح الأحساء والتقدم منها إلى وسط الجزيرة . وتفاصيل هذه الحملة والأعمال التي تلتها من جانب الأتراك موجودة بالتفصيل في تاريخ الأحساء . فقد نزلوا في رأس تنورة يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ ، وسقطت القطيف في أيديهم يوم ٣ يونيو ، ثم الدمام في ٥ منه ، وفي الدمام استطاع عبدالعزيز ابن الأمير سعود الهرب لكنه ترك وراءه الاسير محمد بن فيصل الذي أطلق الأتراك سراحه ، وأعلن نافذ باشا قائد القوات التركية في القطيف أن الهدف من هذه الحملة هو إعادة سلطة «القائمقام» عبدالله في نجد ، وأن سعوداً وأنصاره سيتم العفو عنهم إذا أعلنوا استسلامهم . وفي يوليو احتلت القوات التركية واحة الأحساء دون ان تلقى أية مقاومة ولكن اتضحت لهم الآن صعوبات عبر الصحاري واجتيازها إلى الرياض فبقيت الهفوف مقراً لقوات الاحتلال .

تحرك قواد الوهابيين ١٨٧١ :

ولا بد أن عبدالله قد عاد إلى نجد بعد وصول عون الأتراك الذي طلبه ، فقد ذكر أن القوات التركية حين كانت تجتاح الأحساء كان الامير سعود يحاصر عبد الله في قلعة باقليم الخرج ، وأرغم عبدالله الذي كانت قبيلة قحطان ماتزال تناصره ، على الهرب من الخرج ، وحين التقى بسعود مرة أخرى غربي الرياض لم تكن النتيجة في صفه ، وبعدها استولى الامير على العاصمة وتعلل عبدالله بعدم أمن الطرق في الداخل ، ولحق بنافذ باشا في الأحساء . لكنه سرعان ما تبين أن للاتراك هدفاً آخر مختلفاً كل الاختلاف عن إعادته إلى السلطة . وفي أكتوبر ـ وبعد أن القي

عبدالله زمناً في الحبس وأرغم على الاستقالة استطاع الفرار من المعسكر العثماني متراجعاً إلى نجد مع ابنه تركي حيث كان قد سبقه شقيقه محمد . أما الامير سعود ، ربما لانه كان يأمل أن يخلف عبدالله نائباً للاتراك ، فقد تجنب بحذر وحرص القيام بأية عمليات عدوانية على القوات التركية في الأحساء .

وقد عم التذمر في الرياض نتيجة أعمال قوات البدو الموالية لسعود ، وتملص عمه عبدالله بن تركي من تلك المهمة الثقيلة وهي السيطرة على العاصمة ، فكتب محمد عند ذلك إلى القائد التركي في الهفوف ، وتلقى منه الرد وبعض المال والمؤن وتكريمه بتعيينه مديراً للرياض تحت القائمقام عبدالله . ورداً على هذه الإجراءات قام سعود بالاشتباك مع القوات التركية في الأحساء بقوات جمعها من قبائل عجمان وآل مرة والدواسر ، ولكن لم يقدر له النجاح . وبعد فشله أقام سعود في جوار قطر ، وارغم أهل هذا الساحل على أن يكتتبوا لإعانته هو وأنصاره ، وظل يقوم من حين لحين بإغارات على خطوط المواصلات التركية .



الاتراك يضمون اليهم الاحساء نهائيا
١٨٧١ ــ ١٨٧٢

وبعد فرار عبدالله وهجوم سعود على الأحساء أعلن مدحت باشا والي بغداد خلال قيامه بجولة زار فيها الهفوف في نهاية نوفمبر سنة ١٨٧١ أن الحكم الوهابي في نجد قد انتهى ، وأن الاتراك سيحكمون البلاد حكماً مباشراً ، وعين نافذ باشا اول متصرف تركي . وقد أعلن أن هذه الخطوات تم اتخاذها بناء على التماس قدمه أهل الأحساء ، ولكن يبدو أن هذا الالتماس قد أسيء فهمه ، أو أسيء تقديمه . وعلى أية حال .. ففي مثل تلك المرحلة المبكرة ربما كانت حكم الأتراك مفضلا عند أهل الأحساء بالنظر إلى مرونته في بعض النواحي ولأن أهل الأحساء لم يكونوا يرتاحون إلى حكم الوهابيين على الإطلاق .

النتائج السياسية لضم الاحساء لتركيا :

وقد تأثر التاريخ التالي لنجد تأثراً كبيراً بضم الأتراك للإحساء ، لأنه وضع كل الطرق المؤدية من البحر إلى بلاد الوهابيين تحت سيطرة العثمانيين . والحقيقة إن كل السبل المطروقة المؤدية إلى وسط الجزيرة عدا طريق الكويت كانت تمر بأرض تركية . وهكذا تحكمت قبضة الباب العالي في نجد . ويجب أن نلاحظ هنا أن احتلال الاتراك للأحساء بسبب عدم إمكان تدعيمه إلا عن طريق البحر قد جعل وضع تركيا في الخليج أكثر تعرضاً للخطر في مواجهة الدول البحرية عما كانت عليه من قبل .

مسلك قادة الوهابيين ١٨٧٢ :

وكتب الامير عبدالله بعد ذلك يلوم الأتراك لمسلكهم هذا المزدوج ، وفي غير مرة واحدة تم ترتيب تسوية صورية للامور بينه وبين أخيه سعود ، لكن هذه التسوية كانت تنهار دائماً نتيجة غدر عبدالله ومهاجمته القبائل المخلصة لاخيه سعود مثل شمر وعجمان ، كما أن الامير سعود أيضاً قد بدد جانباً كبيراً من قواه التي كان يجب أن يحتفظ بها لحرب الأتراك في منازعات ومناوشات مع قبائل صغيرة مجاورة .



الاعمال التالية لزعماء الوهـابيين وعلاقتهم بالاتراك ١٨٧٢ ـ ١٨٧٤

هزيمة الامير سعود قرب الكويت ١٨٧٩ :

في أوائل سنة ١٨٧٢ ظهر الامير سعود إلى جوار الكويت بقوات سادها الانقسام والتمزق ، وهدد بنهب المدينة إن لم تجب طلباته فيها ، واستطاع شيخ الكويت بعد أن أغرى معظم أنصاره بالابتعاد عنه أن يهاجمه ويرغمه على الفرار بصحبة خمسة عشر رجلاً من أنصاره فقط .

بعثة حاجي أحمد خان ، وقبض الاتراك غدراً على شقيق الامير ووكيله ١٨٧٢ – ١٨٧٣ :

وكان الاتراك في ذلك الوقت قد قطعوا شوطاً في مفاوضاتهم مع سعود ، وعرضوا عليه الاعتراف بسلطته شرط أن يعترف هو بتبعيته للباب العالي ، وأن يتخلى عن منطقة الساحل ، ويدفع الجزية السنوية كما كان ابوه الامير فيصل يفعل وأن يدفع تعويضاً للأتراك عن عملياتهم في الاحساء ، ويرسل اثنين من أبنائه ليقيما رهينتين في بغداد . وعقب عودة سعود من الكويت ، وحين وجد أنه يواجه ظروفاً بالغة القسوة ، كتب الامير إلى حاجي أحمد خان في بوشهر –الذي أصبح فيما بعد نائب الحاكم في بندر عباس والذي كان سابقاً وزيراً لسلطان عمان– يفوضه في قبول الشروط باسمه . وبعد زيارة قام بها حاجي لرءوف باشا والي بغداد وصل إلى الأحساء في سبتمبر سنة ١٨٧٢ . لكن الامير سعود –الذي كان لا يثق على الإطلاق في نوايا أخيه عبدالله ولا نوايا الأتراك– رفض أن يغادر إقليم الخرج الذي كان مقيماً به وقتذاك ، وتعذر عقد لقاء شخصي ، فأرسل لتمثيله شقيقه عبدالرحمن ورجلا يدعى فهد بن سويدان كان قد جعله وكيلا له في الأحساء ، واستطاع أحمد خان استدراج عبدالرحمن إلى بغداد حيث القى في السجن كرهينة ، ولم يلق فهد معاملة أفضل فقد القى القبض عليه في فبراير سنة ١٨٧٣ بتهمة التآمر وكبل بالأغلال ثم ارسل بدوره إلى سجن بغداد .

طرد عبدالله من جنوبي نجد ١٨٧٣ :

وأخيراً بدا أن وضع سعود آخذ في التحسن ، فقد أدى قبض الأتراك على أحد شيوخ عجمان الكبار إلى وقوف كثيرين منهم في صفه ، فاستطاع أن يوقع الهزيمة بعبدالله في الخرج وأن يحاصره في الرياض ، وأخيراً استطاع الاستيلاء على العاصمة وفر عبدالله إلى جوار الكويت ، أو أنه كما تقول رواية أخرى ، قد وجد له ملجأ بين قبائل

البدو في إمارة جبل شمر(١) . وكان عبدالله وثيق الصلة ببيت رشيد فقد تزوج أولا نوره(٢) ابنة أمير شمر المعروفة ، وتزوج بعد موتها شقيقة حميد بن عبيد ، لكن الامير محمداً لم يكن يسمح له بالاقتراب من حائل ، ولم يفعل له شيئاً أكثر من إمداده ببعض الخيول والجمال والأغنام التي طلبها لمؤونته .

مفاوضات عبدالله مع الاتراك :

وقد نصح محمد شقيقه عبدالله في ذلك الوقت بالاستسلام لسعود ، لكنه لم يقبل مجرد مناقشة الفكرة ، وقام بدل ذلك بمحاولة للاتصال بناصر باشا زعيم المنتفق وممثل الأتراك ، ولم يكن هو يستطيع أن يغامر بالسير إلى بغداد أو حتى إلى الكويت ، فأرسل سكرتيره الموثوق به ، محبوب ، وكان رجع الآن يتصدر رجاله كما سبق لعبد الله أن جعله على البريمي لكنه طرد منها وذلك لنقل مقترحاته إلى الأتراك . وكانت هذه المقترحات تتمثل في أن يحتفظ لنفسه بالقطيف والأحساء ، على أن يدفع عنهما الجزية ، بشرط ألا يضع نفسه تحت سيطرة تركيا .

تمرد غير ناجح يقوده شقيق الامير عبدالرحمن ضد ممثل تركيا في الأحساء ١٨٧٤ :

وفي مارس ١٨٧٤ استجاب الاتراك لنصح ناصر باشا زعيم المنتفق فسحبوا قواتهم العسكرية من الأحساء ، وجعلوا عليها براك بن عرير شيخ بني خالد ممثلا لهم كحاكم ، وتركوا له حامية صغيرة من رجال الشرطة . وفي أغسطس من نفس السنة أطلق الأتراك سراح عبدالرحمن ، شقيق سعود ، ثم تبعه فهد بن سويدان ، ووصل عبدالرحمن بعدها إلى البحرين حيث بدأ في مراسلة قبائل الأرض المجاورة ، وبعدها بأسابيع

---

(١) ربما كانت هذه الرواية تشير الى فراره الاول الى جبل شمر سنة ١٨٧٠ .

(٢) كان شقيقها محمد ، امير شمر ، معتادا على القسم باسمها دائما لتأكيد ما يقول .

نزل إلى العقير حيث لحق به آلاف من العجمان وآل مرة وسواهما من القبائل ، وقتل بعض أفراد من الشرطة وحاصر براك في قلعة الهفوف، لكن الانقسامات سرعان ما دبت بين أنصار عبدالرحمن من قبيلة عجمان . وحين وصل ناصر باشا زعيم المنتفق وهو الذي كان قد رتب هذه الاتفاقية بالنسبة لبراك ومعه قوات تركية كبيرة اختفى جيش الوهابيين تماماً ، وسار عبدالرحمن ليلحق بشقيقه أمير الرياض ، وقد أوقع الأتراك بعد رحيله عقاباً قاسياً بالقبائل التي ناصرته في الأحساء .

موت سعود :

وفي ٢٥ يناير سنة ١٨٧٥ مات الامير سعود بالجدري .



علاقة الامير سعود بالحكومة البريطانية
١٨٧١ ــ ١٨٧٥

السياسة العامة للحكومة البريطانية :

كان سعود أثناء فترة حكمه القصيرة المضطربة يتراسل مع المقيم البريطاني في بوشهر بحرية كاملة لكنه لم يتلق العون الذي كان يهدف اليه من هذا التراسل . وفي تاريخ الأحساء تحليل تفصيلي لسياسة الحكومة البريطانية تجاه احتلال تركيا لهذا الاقليم وكانت هذه السياسة ــباختصارــ تقوم على طمأنة حكام الإمارات العربية المجاورة للاحساء ، ومنعهم من الاشتباك مع الاتراك،وتحديد مدى العمليات العسكرية التركية قدر الامكان

المراسلات مع سعود ١٨٧١ ــ ١٨٧٣ :

ففي بداية الحرب طلب سعود من السلطات البريطانية إما أن تمنع شيخ الكويت عن تقديم العون للأتراك ممثلا في السفن الحربية أو تسمح له ــأي لسعودــ بالقيام بعمل بحري ضد هذا الشيخ ، لكنه لم يتلق رداً على رسالته تلك . وفي سبتمبر ١٨٧١ ذكر سعود في رسالة له أن العمليات

التي ينفذها الأتراك ضده إنما تدخل في نطاق الاعتداءات البحرية التي اعتادت الحكومة البريطانية أن تمنعها . واقترح أن تقوم بريطانيا بدور الوسيط بينه وبين الأتراك . وفي يونيو ١٨٧٢ وفي مارس ومايو ١٨٧٣ كرر سعود المطالبة بمعونة السلطات البريطانية على عدة أسس ، وخاصة تلك الصداقة القديمة بين أمير نجد والحكومة البريطانية والسياسة التقليدية لهذه الحكومة نفسها في منع النزول إلى شواطىء الخليج والتي بسببها أهمل سعود ، أو هكذا زعم، الدفاع عن إقليم الأحساء . وأخيراً تخلى الامير عن نغمة المحاجّة هذه ، وطلب ببساطة وصراحة عون السلطات البريطانية مستنداً إلى نواياها الحسنة . وبعدها صدرت التعليمات للمقيم العام ـالذي كان قد رفع مشكلة طلب سعود العون البريطاني كحق من حقوقهـ بابلاغ الامير سعود أنه ليس طرفاً في أية معاهدة بحرية مع بريطانيا ، وأنه لم يتلق منها أي وعد بالحماية ، وليس له بالتالي أي حق في طلب وساطة بريطانيا او عونها .

اطلاق سراح شقيق الامير ووكيله :

أما عن وكيله في الأحساء ، فهد بن سويدان ، فقد شكا الامير سعود إلى المقيم البريطاني في الخليج غدر الاتراك به وإلقاءهم القبض على وكيله هذا ، ورد عليه المقيم بأن الحكومة البريطانية ليس بوسعها أن تتدخل في مثل هذه المشكلة ، لكنه رفع الامر إلى المقيم البريطاني في بغداد والسفير البريطاني في القسطنطينية ، وربما جاء إطلاق سراح عبدالرحمن وفهد فيما بعد نتيجة مساعي هذا السفير .



عبد الله بن فيصل (فترة حكمه الثانية)
١٨٧٥ ـ ١٨٨١
التاريخ العام لنجد ١٨٧٥ ـ ١٨٨١

الانقسامات بين آل سعود يناير – يوليو ١٨٧٥ :

ترك موت سعود بن فيصل حكم الوهابيين نهباً للخلاف الشديد بين مختلف الاقارب . وكان عبدالرحمن بن فيصل ميالا إلى التفاهم مع أخيه غير الشقيق عبدالله ، لكن الدعاة الوهابيين لم يكونوا يوافقون على ذلك نظراً لعلاقات عبدالله بالأتراك . ويبدو أن قوة ارسلت ضده فعلا من الرياض في إبريل سنة ١٨٧٥ على وجه التقريب ، وانضم أكبر أبناء الامير السابق سعود إلى جماعة عبدالرحمن في العاصمة ، على حين أرغم عبدالله على البقاء خارجها والعسكرة بجنده خارج أسوارها .

وفي يوليو ، تلقى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ووكيل المقيمية في البحرين رسائل من عبدالرحمن يعلن فيها أنه الآن أمير نجد وانه مسيطر على العاصمة وأن عبدالله قد أصبح شريداً في الصحراء غير أنه لم يتلق رداً على رسائله تلك .

الصلح بين أفراد اسرة آل سعود أغسطس ١٨٧٥ :

وفي أغسطس على وجه التقريب استطاع عبدالله أن يهزم عبدالرحمن ويعود ليدخل مدينة الرياض وليقيم من نفسه ـ في ظاهر الامر على الاقل ـ حكماً في النزاعات السائدة بين آل سعود . وأصبح عبدالرحمن وزيراً لعبدالله وناصحاً اميناً له . وتصالح محمد وعبدالعزيز ـ أكبر أبناء الامير الراحل سعود ، وكانا ما يزالان صغيرين وبلا نفوذ ـ مع عمهما عبدالله . وقد أدى هذا الصلح بين آل سعود إلى أن يتراجع متصرف الأحساء عما جاء في رسالة منه كان كتبها إلى عبدالله يغريه فيها بالحرب حين كان عبدالرحمن على عرش الرياض . وظلت قبيلة عجمان هي القبيلة الوحيدة التي لم تعلن خضوعها فوراً لسلطة الامير عبدالله .

التمرد على الاتراك في الاحساء ١٨٧٨ :

ومن نهاية سنة ١٨٧٥ حتى نهاية سنة ١٨٧٨ ساد الهدوء في ظاهر الأمر وسط الجزيرة ، ولكن في صيف سنة ١٨٧٨ اندلع تمرد في الأحساء ضد الادارة التركية يتزعمه محمد وعبدالرحمن ولدا الامير الوهابي الراحل سعود . غير أن هذا التمرد لم ينجح على نحو ما هو مذكور في تاريخ الأحساء رغم الانتصارات الأولية التي أحرزها . وفي ديسمبر سنة ١٨٧٨ وصل الزعيمان الوهابيان مهزومين إلى البحرين ومعهما حوالي ٦٠ رجلا من أنصارهما ، وهناك استقبلهما شيخ البحرين الذي بذلت السلطات البريطانية جهداً كبيراً لمنعه من المبالغة في إعلان مظاهر الحفاوة بهما .

الانقسام ثم الصلح بين آل سعود ١٨٧٩ – ١٨٨٠ :

وفي سنة ١٨٧٩ اختلف الأمير عبدالله مرة أخرى مع ولدَيْ أخيه سعود فطردهم في أول إبريل من هذه السنة من الخرج واستطاع محمد أكبر الاثنين أن يستعيد الخرج في أكتوبر أو نوفمبر التالي ، لكن نجاحه لم يعمر طويلا ، لأن عمه كان عائداً لتوه من غارة ناجحة على بني مرير فقام بهجوم مفاجىء على الخرج واستطاع أن يأسر محمد بن سعود . ويبدو أن الامير لم يسجن محمداً طويلا لأنه قد ذكر في سنة ١٨٨٠ أنه على حين كان عبدالله بن فيصل مع أخويه محمد وعبدالرحمن يعيشون في الرياض ويحكمون أقاليم عريضة وسدير ووشيم كان ولدا سعود يحكمان بموافقته الخرج والحوطة وحريق والأفلاج ، ويتوليان شئون قبائل عجمان والدواسر وآل مرة . وفي نفس السنة أصبح من المتوقع حدوث هجوم جديد للوهابيين على العراق ، وانتشرت شائعات كثيرة أثارت الفزع والرعب ، ربما كان يروجها أنصار قبيلة المنتفق التي كانت متمردة في العراق آنذاك ، غير أن شيئاً يبرر هذا النزاع الشامل لم يقع .

رحلة عبدالله بن عبدالله إلى القسطنطينية ١٨٧٩ — ١٨٨٠ :

وفي سنة ١٨٧٩ ظهر مطالب جديد بامارة الوهابيين هو عبدالله ابن الامير الوهابي السابق عبدالله بن ثنيان . فقد قام هذا الرجل ، الذي كان مستقراً في البصرة منذ سنة ١٨٧٦ ، برحلة إلى القسطنطينية للسعي لاستصدار فرمان من الباب العالي بالوكالة عنه في نجد والاحساء ، بحيث يتولى دفع جزية الاقليمين ويدين للسلطان بالولاء . فإن لم يتحقق له ذلك فلا أقل من أن يؤمن لنفسه نصيباً من أملاك آل سعود في الاحساء التي صادرتها السلطات التركية . وفي طريق عودته إلى الخليج قام عبدالله ابن عبد الله بزيارة للرائد روس المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ، وحاول إقناعه بالمزايا التي ستتحقق للأتراك لو عينوه ، وطلب اليه أن يحصل له على دعم من السفير البريطاني في القسطنطينية لمطالبه تلك . ومن جده —حيث التقى بمستر زهراب القنصل البريطاني هناك كتب عبدالله بن عبدالله مرة أخرى للرائد روس مؤكداً الفوائد التي ستعود على المصالح البريطانية والتركية جميعاً من خطته . ومشيراً إلى الفائدة التي ستحقق في حالة اقراضه أموالا انجليزية . وقام عبدالله بعد ذلك بزيارة للقاهرة حيث التقى بمستر ماليت القنصل البريطاني فيها ، ثم سار إلى دمشق في يوليو حيث التقى هناك أيضاً بنائب القنصل البريطاني . غير أن الحكومة البريطانية اتخذت قراراً على أية حال بألا علاقة لها بالطلب الذي قدمه عبدالله للقسطنطينية ، ولم يسمع أحد عن مشروعات عبدالله هذا منذ وصوله إلى القسطنطينية مرة أخرى في آب أغسطس سنة ١٨٨٠.

الوضع في سنة ١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٨١ كان الامير عبدالله ما يزال يسيطر على الرياض ، وكان يزوره هناك من وقت لآخر ابن أخيه محمد وزعماء قبائل عجمان الذين كانوا ساخطين على الحكم التركي .. رافضين الإقامة في الاحساء ، وأصبحت لهم علاقات شخصية وثيقة بالأمير عبدالله .

بداية الاعمال العدائية بين أمير جبل شمر والوهابيين ١٨٧٧ ـ ١٨٨٤

وفي نفس هذا الوقت حدث اضطراب لم يكن أحد آنذاك قادراً على التكهن بتأثيره على الدولة الوهابية . وكان ذلك في العلاقات القائمة بين عائلة آل رشيد الحاكمة في جبل شمر بالشمال وحكام الرياض . ويبدو أن أول الأعمال العدائية في هذا الصدد كانت تلك الحملة التي قام بها أمير جبل شمر سنة ١٨٧١ على قبيلة عتيبة الموالية للوهابيين ، وبعدها بدأ أمير الشمال يهاجم أرض الوهابيين حيث لهم سيادة اسمية على الاقل هجوماً سافراً استولى به على إقليمي القصيم وسدير واحتل مدينتي بريده ومجمع لكن عنيزه في القصيم ظلت ممتنعة عليه .

وفي فبراير سنة ١٨٨٠ كان من المعتقد أن تفاهماً قد تم بين ابن رشيد وابن سعود ولكن لو صح هذا فان هذا التفاهم لم يعمر طويلا . ففي سنة ١٨٨٢ حاول أمير الوهابيين استعادة القصيم وسدير بالقوة المسلحة لكن قوات ابن رشيد كانت أكثر من قواته عدداً فاضطر للتراجع إلى الرياض ، واكتشف بعد ذلك أن ابن رشيد كان يتآمر مع ابناء أخيه سعود لينضموا اليه او ليظلوا على الاقل محايدين . وحتى يزيد عبدالله من تماسك القضية الوهابية استعاد في مارس سنة ١٨٨٣ لقب الإمام إلى جانب السلطة الزمنية بطبيعة الحال . وظل كل جانب يقوم باغارات على أنصار الجانب الآخر ، وفي سنة ١٨٨٥ استطاع محمد بن سعود أن يحرز انتصاراً على أمير شمر في القصيم وارغمه على الجلاء موقتاً عن بريدة ، لكنه عرف من خطابات وقعت في يده أن عمه يتآمر لإيقاع الهزيمة به وقتله ، فأوقف عملياته العسكرية وعاد إلى مستقره في الخرج . بعد ذلك أصبح الانتصار بشكل عام من نصيب ابن رشيد الذي كان لديه أربعة مدافع متنقلة وعددٌ كبيرٌ من بنادق المارتيني . وكان تنظيمه العسكري أكثر كفاءة من تنظيم قوات الوهابيين ، وقيل أيضاً إنه كان يستفيد كثيراً من صداقته لشيخ الكويت .

استمرار الانقسام بين آل سعود وعزل الامير عبد الله ١٨٨٤ ـ ١٨٨٧

ووضح أن الخلافات بين الامير عبدالله وأبناء أخيه لم تنته ، لكن قلة معلوماتنا عن هذا الخلافات تجعل أسبابها عندنا مكتنفة بشيء من الغموض . فنحن نعرف أن ابناء سعود كانت لهم علاقة ما بالبحرين لأن محمد بن سعود وصل هناك في فبراير سنة ١٨٨٦ وظل بها قرابة الشهر ، وكذلك زارها أخوه عبدالله في أغسطس من نفس السنة ، وقيل عن زيارته إنها كانت للحصول على بعض المعونة والهدايا .

وفي نفس الوقت كانت سلطة الامير عبدالله في نجد ما تزال قائمة ، وان تكن مهتزة غير ثابته ، لكنه ظل يسيطر على العاصمة حتى خريف سنة ١٨٨٧ حين أسره أبناء أخية بغتة وسجنوه . وكتب محمد بن سعود عقب ذلك إلى شيخ البحرين وشيوخ عمان المتصالحة يعلن اليهم توليه إمارة نجد ، غير أن هذا الانتصار لم يدم طويلا كما سنرى .

★ ★ ★

علاقة الاتراك بوسط الجزيرة خلال هذه الفترة ١٨٧٥ ـ ١٨٨٧

مما تقدم يتضح لنا أن علاقة الأتراك بالوهابيين خلال الفترة الثانية من حكم عبدالله بن فيصل علاقة هينه ، ولانكاد نعرف عنهم شيئاً اللهم الا التمرد الذي حدث ضدهم في الأحساء سنة ١٨٧٨ ، لكن النفوذ التركي ـ في حين أنه لم يكن موجوداً على وجه التقريب في نجد الجنوبية ـ إلا أنه كان يزداد يوماً بعد يوم في جبل شمر . فقد حدث احتكاك بين أمير شمر والأتراك ، كما هو مذكور في تاريخ جبل شمر ، وذلك على الحدود السورية سنة ١٨٧٢ وربما أيضاً في سنة ١٨٨٠ ، لكن في سنة ١٨٨٦ استقبل الامير بحفاوة كبيرة وفداً تركياً كان الهدف من إرساله

الحصول على إذن بتشييد مسجد ومدرسة تابعين للسلطات العثمانية في حائل ، وحملهم الامير بالهدايا قبل رحيلهم وإن لم يجب مطلبهم . وخلال هذه الفترة التي نتعرض لها أفصح الاتراك عن غيرتهم الشديدة من النفوذ الذي توهموا أن بريطانيا كانت تتمتع به في وسط الجزيرة .

★ ★ ★

علاقة بريطانيا بوسط الجزيرة خلال نفس الفترة ١٨٧٥ ـ ١٨٨٧

وفي حقيقة الأمر لم يكن للسلطات البريطانية كما رأينا أية علاقة بنجد على الإطلاق ، بل وحتى معلوماتها عن الأحداث التي كانت دائرة فيها معلومات ناقصة إلى أبعد الحدود . فاهمال الحكومة البريطانية الرد على خطاب من عبدالرحمن في سنة ١٨٧٥ ، ونصيحتها لشيخ البحرين بألا يقحم نفسه في شئون الوهابيين سنة ١٨٧٨ ، ثم لا مبالاتها التامة باقتراحات عبدالله بن ثنيان في سنة ١٨٨٠ تعزز جميعها موقف بريطانيا المشار اليه .



فترة خلو العرش الوهابي من أمير ١٨٨٧ ـ ١٩٠٢

أمير جبل شمر يغزو جنوبي نجد ١٨٨٧ ـ ١٨٩٢

ابن رشيد يغتصب حكم نجد الجنوبية ١٨٨٧ـ١٨٨٨ :

حين نمى إلى علم أمير جبل شمر ، وهو آنذاك محمد بن عبدالله بن رشيد خبر أسر الأمير عبد الله على يدي أبناء أخيه بادر إلى السير بقواته نحو الرياض التي استسلمت له وفتحت ابوابها عقب دفاع قصير . وحين رحيل ابن رشيد اصطحب معه الامير المعزول وجعل على الرياض وكيلا

عنه يشرف على حكم أقاليم الوهابيين بالتعاون مع محمد بن فيصل شقيق الامير السابق ، ثم أبلغ الاتراك بنبأ انتصاره الذي زعم أنه قد أحرزه باسمهم . وفي أغسطس ١٨٨٨ — ربما باقتراح من الامير السابق عبدالله أمر وكيل ابن رشيد في الرياض بأن يقتل محمد وعبدالله في الخرج ، وهما الابنان الباقيان من أبناء الامير الوهابي السابق سعود بن فيصل ، باستثناء عبدالعزيز الذي التحق بمقر أعمامه في حائل . ولقد أثبتت هذه المذبحة التي نفذها وكيل ابن رشيد في الرياض مع قوة قوامها ١٨ رجلا فقط قوة النفوذ الطاغي الذي أصبح لامير الشمال في نجد الجنوبية . ومرت شهور طويلة وأنصار محمد بن سعود الذي كان الناس يحبونه حباً جماً عاجزون عن تصديق أنه مات ، مؤملون أن يعود اليهم يوماً بعد هربه واختفائه .

بعض النجاح يحرزه آل سعود ضد ابن رشيد ١٨٩٠ :

أما الامير السابق عبدالله الذى أصبح الآن قليل الخطر فقد سمح له في خريف سنة ١٨٨٩ بالعودة من حائل إلى الرياض حيث مات بعد وصوله مباشرة ، لكن عبدالرحمن — أخاه ومستشاره السابق — استطاع في العام التالي أن يستولي على الرياض وأن يأسر ابن الصبان وكيل أمير شمر الذي أعدم ابني سعود . وكان من المعتقد أن عبد الرحمن قد قام بعمله هذا استجابة لنصيحة العاطفين عليه في القصيم الذين قالوا له إن ابن الرشيد يعد خطة لإبادة كل من بقي على قيد الحياة من نسل فيصل أمير الوهابيين الأسبق . واستسلم وكيل أمير شمر في الخرج ، دون مقاومة ، كما تذكر إحدى الروايات . وأعلن زعماء عنيزة وبريدة —وأهل القصيم بشكل عام— ولاءهم لعبدالرحمن .

وسار أمير شمر الغاضب إلى الرياض مع قوات من قبائل شمر وحرب وغيرها ، غير أن حصاره للرياض لم يكن فعالا ، ولم يكن ضربه لها بالمدافع ذا جدوى ، وبدأت الاغتيالات والمذابح تحدث بين قواته ،

وراح أنصاره من البدو يتخلون عنه ، فاضطر للدخول في صلح أضحت بمقتضاه أقاليم الخرج وسدير ووشيم تابعة له ، على أن يترك الرياض وبقية نجد الجنوبية ككل . وتجمعت قبائل البدو من مطير وعتيبه للقضاء على سلطة ابن رشيد ، وتوقفت الخلافات الدامية ، وتناسى الناس الانشقاقات العائلية في مواجهة طغيان ابن رشيد ، وكانت هذه الجبهة الموحدة بزعامة زامل أمير بريده .. ومن بيته أعلنت الحرب .

معركة بريدة وانتصار ساحق لابن رشيد ١٨٩١ :

وفي فبراير ١٨٩١ كانت قوات هؤلاء الحلفاء قد وصلت القصيم وتجمعت هناك معتمدة على مدينتي عنيزة وبريده ، وقيل إن عدد الرجال الذين كانوا في الميدان آنذاك لم يعرفه وسط الجزيزة في تاريخها كله . وانضم حسان بن مهنا ، زعيم بريده الذي كان امير شمر يعتمد اعتماداً كبيراً على مساعدته ، إلى الحلفاء بمجرد بدء الاشتباكات . وظل القتال دائراً طوال شهر كامل دون الوصول إلى نتائج حاسمة . ورغم استخدام أعداد كبيرة من الجمال لنقل المياه والمؤن إلا أن امدادات قوات ابن رشيد بدأت في التناقص . وقرب نهاية مارس حاول ابن رشيد عدة مرات أن يقوم بهجوم يائس لصدع جبهة الحلفاء لكن رجاله كانوا يصدون في كل مرة رغم تفوق سلاحهم على سلاح الوهابيين ويتكبدون في هجماتهم خسائردامية . وأخيراً جهز ابن رشيد قواته كلها وعبأها للقيام بهجوم حاسم وجعل أمام قواته عدة آلاف من الجمال ستاراً للتغطية ، ورغم أن الخسارة في الجمال كانت فادحة إلا أن قوات ابن رشيد استطاعت ان تجلي قوات القصيم عن مواقعها . وقيل إنه مئة رجل قد قتلوا في هده المعركة التي تعرف باسم معركة بريده او معركة موليده(١) ، وكان بين القتلى القائد زامل ونائبه علي ، كما قتل في المعركة

---

(١) في نجد تعرف هذه المعركة باسم معركة مليدة نسبة الى مكان بهذا الاسم قريب من شيحيه . والرواية التى سقناها هنا اعتمدنا فيها على كتاب البارون نولد « الحرب في وسط الجزيرة .. » (بالالمانية) .

أيضاً اثنان من أقاربهما وقبض على آخرين سُجنا في حائل ، وفر حسن بن مهنا أمير بريده لكنه قبض عليه في الصحراء وسجن في حائل واستسلمت مدينتا عنيزة وبريده ، وأرسلت مدينتا الرس وشقره بل وحتّى الرياض تطلب الصلح من الامير المنتصر ، ولجأ عبدالرحمن بن سعود إلى البحرين ،ووضع امير شمر حاكماً باسمه ينوب عنه في القصيم .

محاولة فاشلة لتجديد الحرب ضد ابن رشيد يقوم بها عبدالرحمن ابن سعود :

وبعدها بقليل لقي نائب ابن رشيد في الخرج مصرعه في اشتباكات مع قبيلة عجمان ، بعد أن نهبت قافلة من قوافل الحجاج ، وانتهز عبد الرحمن هذه الفرصة ليعود إلى احتلال الخرج والرياض ، غير أن أمير شمر باغته وهزمه هزيمة ساحقة ، ثم أمر بقلاع الرياض فسويت بالأرض . وأحرق نصف أشجار النخيل المثمرة ، وحول قلعة القصر في الرياض إلى خرائب . وانتهت الحرب عندئذ . وأصبحت قبضة ابن رشيد محكمة على وسط الجزيرة كلها ، ولم يعد من آل سعود إلا عدة أفراد مشردين هائمين .

الحركة التالية لعبد الرحمن ١٨٩١ — ١٨٩٢ :

ولحق عبد الرحمن أولا ببدو الاحساء ، وظل مقيماً بينهم فترة قصيرة يخاف في كل يوم أن يقبض عليه أنصار أمير شمر ، وعاش من أغسطس إلى نوفمبر ١٨٩٢ في حماية شيخ الدوحة بقطر ، ولحقت به عائلته التي كانت في البحرين . وأخيراً في نوفمبر سنة ١٨٩٢ وبدعوة من الوالي التركي في البصرة استقر عبد الرحمن في الأحساء وجعل له راتب شهري قدره ٣٣ ليرة عثمانية ضمنها له الباب العالي .

علاقة أمير شمر بالاتراك أثناء حكمه نجد الجنوبية ١٨٩١ ـ ١٩٠٠

في سنة ١٨٨٨ ، وعقب النصر الأول على آل سعود ، اتصل ابن رشيد بالأتراك ، واعترف بتبعيته للباب العالي ، وأعلن أنه قام بهذه الفتوحات باسمه . وتلقت الحكومة التركية هذا الاعتراف بالرضا والارتياح .

توقع حملة على عمان المتصالحة وسياسة الباب العالي في نجد ١٨٨٨ ــ ١٨٨٩ :

وفي نفس السنة دارت شائعات ملحة بأن ثمة حملة يعدها ابن رشيد باسم الاتراك لغزو عمان المتصالحة ، بالتعاون مع شيوخ آل ثاني في الدوحة بقطر ، وتفاصيل الجوانب المحلية لهذه الحادثة واردة في تاريخ عمان المتصالحة . ولنا أن نشك في أن مثل هذا المشروع كان حقيقياً بالفعل ، اللهم إلا بالنسبة لشيوخ آل ثاني فقط ، لكن الذي حدث أن هذه الشائعات كانت ملحة إلحاحاً جعل الحكومة البريطانية تتصل بالحكومة التركية بشأنها ، وردت هذه بأنه لا علاقة بين السلطان وأمير شمر أكثر من تبادل الهدايا في المناسبات فقط . وفي سنة ١٨٨٩ تأكد السفير البريطاني في القسطنطينية من وجود تصارع في السياسات بين هذين الجانبين ، فابن رشيد يود أن يوسع سيطرته لتشمل الأحساء وأن يظل مستقلا عن تركيا ــ اللهم إلا تبعية اسمية فقط ــ على حين كان الباب العالي يود بطبيعة الحال أن يسيطر سيطرة مباشرة على جزيرة العرب والأحساء جميعاً .

الطرفان المتصارعان في نجد يراسلان السلطات التركية ١٨٩٠ :

وفي سنة ١٨٩٠ حين عقدت هدنة موقتة بين آل سعود وآل رشيد في نجد طلب كل من الطرفين عون الأتراك ، فاتهم ابن رشيد أعداءه

بتنفيذ خطط مضادة في الأحساء ، وشكا زعيم الوهابيين وكانت السلطات التركية أميل إلى تجاهله ، اعتداءات ابن رشيد وأعلن عن رغبته في الخضوع للأتراك . وقد ذكرنا من قبل أن الأتراك قد سمحوا لزعيم آل سعود بالإقامة في الأحساء وأجروا عليه راتباً شهرياً في سنة ١٨٩٢ .

اشتباكات بين ابن رشيد والاتراك ١٨٩٥ :

وفي ١٨٩٥ كما هو مذكور في تاريخ الأحساء حدث اشتباك بسبب بعض المنازعات القبلية بين امير شمر والسلطات التركية المحلية على حدود هذا الإقليم غير أنه لم يسفر عن نتائج ذات بال . وفي نفس السنة تلقى ابن رشيد من شيخ آل ثاني في قطر خطاباً يطلب فيه اللقاء معه لكنه خشي أن يجيبه إلى طلبه كي لا يعتدي على السلطات التركية .



آل سعود يجددون نضالهم للاستيلاء على نجد الجنوبية ١٩٠٠ ـ ١٩٠٢

استقرار عبدالرحمن في الكويت ١٨٩٧ ـ ١٩٠٠ :

في سنة ١٩٠٠ ، أي بعد ثلاث سنوات من موت محمد بن عبدالله أمير شمر الذي فتح نجد الجنوبية ، بدأ عبدالرحمن زعيم آل سعود اللاجىء يتحرك من جديد . ومن المحتمل أن يكون قد شجعه على ذلك أمارات التفكك التي بدأت تتضح في دولة جبل شمر على عهد عبدالعزيز ابن متعب ، خليفة الامير محمد وابن شقيقه . فحوالي سنة ١٨٩٧ ترك عبدالرحمن ملجأه في الأحساء واستقر في الكويت يحظى بعون شيخها وعون الحكومة التركية ، وكان شيخ الكويت بالنظر لما كان ابن رشيد يقدمه من معونات كثيرة لابناء إخوته المتمردين عليه ، قد أصبح أكثر اهتماماً وحماسةً للمشاركة في قضية الوهابيين .

بداية الاشتباكات ١٩٠٠ :

وفي أغسطس سنة ١٩٠٠ غادر عبدالرحمن الكويت فجأةبعد أن تلقى تشجيعاً من بعض الأنصار في نجد وسار إلى داخل الجزيرة حيث أحرز بعض النجاح على البدو المؤيدين لابن رشيد . وفي سبتمبر من نفس السنة دعا الشيخ مبارك للحاق به ومعه تعزيز لقواته . وليس ما عمله شيخ الكويت للوهلة الأولى واضحاً بالنسبة لنا ، غير أنه كان متغيباً عن عاصمته طوال معظم شهر أكتوبر . وفي نوفمبر كانت الدلائل تشير إلى وقوع اشتباك وشيك على حدود العراق التركي بين قوات ابن رشيد من ناحية وقوات الشيخ مبارك وسعدون باشا زعيم المنتفق المتمرد من الناحية الأخرى . غير ان السلطات التركية في البصرة استطاعت أن تتفادى هذا الاشتباك على نحو ما هو مذكور في تاريخ الكويت .

حملة شيخ الكويت على القصيم ومعركة صريف ١٩٠١ :

ولم يعلن شيخ الكويت ، رغم تدخل تركيا ، نيته تقديم عون فعال لابن سعود . وفي ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٠ قاد الشيخ مبارك قوات كبيرة مختلطة من البدو وأهل المدن وسار بها إلى القصيم ، وأعماله هناك مذكورة في تاريخ الكويت . وبعد تطهير صحارى السمان والدهانه من الاعداء بدأ اعلان الولاء لابن سعود ينهال من مختلف البقاع في نجد الجنوبية والقصيم ، وعين عبدالعزيز أكبر أبناء عبدالرحمن الذين بقوا على قيد الحياة ليحكم عاصمة الوهابيين التي كانت ما تزال في أيدي العدو . وبعد وصول سعدون باشا الذي كان ينتظر فيما يبدو في الصحراء على حدود القصيم واصل الحلفاء تقدمهم . غير أن أمير شمر كان في ذلك الحين إلى جوارهم . وحين وصلت قوات الحلفاء إلى طرفيه في القصيم كان أمير شمر قد اتخذ مواقعه في صريف على مسافة عدة أميال فقط . وفي ١٧ مارس سنة ١٩٠١ دارت المعركة الحاسمة المعروفة بمعركة صريف في قلب وادي الرماح في منتصف المسافة بين المعسكرين ، وانتهت بتشتيت قوات الشيخ مبارك وابن سعدون . ومن جانب

ابن رشيد قتل سالم ومهنا ولدا حمود عم الامير ، لكن خسائر الحلفاء كانت جسيمة فقد كانت تضم على الأقل ثلاثة من أقارب شيخ الكويت الادنين إلى جانب ستة من أعضاء اسرة أبو الخيل الحاكمة في بريده . وحسب ما تذكره رواية أهل شمر فان جيش الحلفاء لم يثبت في المعركة وإنما اوقعت به كل هذه الخسائر أثناء فراره ، وقد استخرج كثير من المختبئين من مكامنهم وسط الحقول المزروعة وأكوام القش ، وقتل العبيد بعضهم بأوامر من ابن رشيد . وخلال أسبوعين وصل الشيخ مبارك وابن سعود وسعدون باشا إلى الكويت سالمين وجيشهم المشتت ما يزال يحاول شق طريق العودة .

نتائج هذه الحملة ١٩٠١ – ١٩٠٢ :

وكان فشل هذه الحملة يعني كارثة خطيرة لبعض المشتركين فيها خاصة شيخ الكويت وسكان القصيم الذين انضموا اليها ، فقد انتقم ابن رشيد من هؤلاء انتقاماً مروعاً ، لكن النجاح الجزئي الذي أحرزه الحلفاء قد افزعه فزعاً شديداً ، فحاول في أوائل مايو عن طريق وكيل له في البصرة طلب حماية بريطانيا دون جدوى .

وكان الطرف الوحيد من الخارج الذي يهتم بهذا الموقف هو الحكومة التركية التي كانت حريصة على كسب النفوذ عند شيخ الكويت فأرسلت فوراً مشير الجيش السادس من بغداد إلى البصرة فوصلها في أوائل مايو وظل بها عدة شهور . وكانت مهمة هذا القائد الكبير تسوية الصلح بين الاطراف الرئيسية في الخلاف ، وقد بدأ عمله بمراسلة كل من هذه الأطراف ، ولكن لا يتضح لنا أنه لقي استجابة وتأييداً اللهم إلا من ابن رشيد . وفي اغسطس بدأ الاتراك حين وضح انحيازهم التام إلى ابن رشيد يعبئون القوات في منطقة الفرات ، وفي سبتمبر ١٩٠١ قام ابن رشيد بغارة على الكويت نشرت الفزع في المدينة وضواحيها حتى جعلت السلطات البحرية البريطانية تتخذ الاجراءات الكفيلة بحماية هذا المكان ومساعدة الشيخ مبارك اذا دعا الأمر . وفي نوفمبر وديسمبر سنة

١٩٠١ ، وكان ابن رشيد آنذاك في صفوان ' وهو مكان يتوسط المسافة بين البصرة وحدود الكويت ، بذلت السلطات التركية في البصرة جهوداً مضنية لاغراء الشيخ باعلان خضوعه للباب العالي وقبول حامية تركية في عاصمته ، لكن هذه الجهود كلها قد أحبطها الموقف الحاسم الذي وقفه الضابط البحري البريطاني في الكويت . وأعقبت ذلك ازمة طارئة ذكرناها بالتفصيل في تاريخ الكويت لكنها لم تترك أية نتائج ، ربما بسبب الاستعدادات البحرية البريطانية للدفاع عن الكويت ، وتحرك أمير شمر ببطء وعلى مضض حتى اسوار لينه على الحدود الشرقية لإمارته .

وهنا بدأت قضية ابن سعود تحرز تقدماً واضحاً في الجنوب . ففي ١٥ يناير سنة ١٩٠٢ قام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بهجوم مفاجىء من ناحية الأحساء التي كان قد أقام بها زمناً ما يجمع حوله الأنصار ، واستطاع عبدالعزيز أن يفتح الرياض باسم أبيه عبدالرحمن فدخل المدينة ليلا ومعه ثمانية من خيرة رجاله ، ثم لحق به بقية أنصاره داخل الاسوار ولم يكونوا جميعاً يتجاوزون ثمانين رجلا استطاع بهم أن يباغت حاكم الرياض من قبل أمير شمر ويقتله ويستولي على المدينة وسط ابتهاج أهلها . وتبع ذلك طرد حاميات ابن رشيد من الأقاليم المجاورة في الخرج وحريق ، وأعلن ابن سعود للباب العالي أنه سيحكم هذه البلاد التي حررها كواحد من رعايا السلطان المخلصين له .



عبد الرحمن بن فيصل • ابتداء من ١٩٠٢

وباستعادة الرياض انتهت فترة خلو العرش في نجد الجنوبية ، وبدأ عهد الامير الوهابي عبدالرحمن بن فيصل .

الحرب بين ابن سعود وابن رشيد
١٩٠٢ ـ ١٩٠٤

مصاعب ابن رشيد ١٩٠٢ :

وأصبح ابن رشيد يدرك تماماً الآن حرج موقفه . فان ميناء الكويت لم يعد في أيد صديقه ، وهو بالتالي لا يستطيع أن يحصل منه كما كان معتاداً على المؤن والأسلحة والذخائر الضرورية لاستمرار سيطرته في نجد . وكان يعرف أيضاً أن كثيرين حتى من رعاياه التقليديين قد ضاقوا بما ساد حكمه من قسوة وجشع وسوء إدارة . وهكذا ارسل في منتصف مارس سنة ١٩٠٢ مبعوثاً إلى الوالي التركي في البصرة يلح في طلب العون من تركيا لإخضاع هذا «التمرد» الذي اعترف بأنه لا يستطيع مواجهته وحده ، وذكر في خطاب أرسله إلى الصدر الاعظم في القسطنطينية حوالي هذا الوقت نفسه أن للحكومة البريطانية خططها في إقامة علاقات وثيقة بوسط الجزيرة عن طريق ابن سعود وشيخ الكويت .

تقدم قوات الوهابيين ١٩٠٢ :

وفي نجد ، كان ميدان الحرب يتسع تدريجياً نحو الشمال . ففي ٨ إبريل من هذه السنة اوقع عبدالعزيز بن عبدالرحمن هزيمة شهيرة بقوات كبيرة من قبيلة قحطان التي كانت تناصر ابن رشيد ، في مكان بالقرب من مجمع ، وفي ذلك الوقت كانت قبائل عتيبة والدواسر والسباع وعجمان وآل مرة ومطير في الجنوب والشرق قد أعلنت جميعاً ولاءها لابن سعود ، ولم يبق لابن رشيد سوى قبائل قحطان وحرب وظافر إلى جانب قبيلة شمر التي ينتسب اليها . وبدأ كثيرون من زعماء آل سعود ممن كانوا اختاروا المنفى أثناء حكم ابن رشيد في نجد الجنوبية يعودون من البصرة وسواها من الأماكن في الخارج ، وكان الناس حتى في القصيم والاقاليم المجاورة لها مؤيدين لقضية الوهابيين على

وجه العموم ، وساد شعور عام في وقت من الاوقات بأن حائل يجب أن تؤول سريعاً إلى حكم الرياض . وفي ١١ مايو سنة ١٩٠٢ غادر الامير عبدالرحمن الكويت إلى الرياض ليتولى عرش أجداده بعد أن أوقع بعض الخسائر ببدو شمر وظافر في طريقه . وفي ٢٧ مايو استطاع ابنه عبدالعزيز أن يأسر بعض أقارب ابن رشيد الادنين . ووضح بذلك أنه قد اكتمل فتح نجد الجنوبية تماماً .

هزيمة خطيرة لابن رشيد في الخرج :

على أن ابن رشيد بذل جهداً مضنياً في محاولة استعادة الأقاليم الجنوبية التي كان فقدُها يهدده بفقد القصيم أيضاً في وقت قريب . وفي نهاية يوليو سنة ١٩٠٢ اندفع بعض أنصاره إلى إقليم الكويت حتى وصلوا آبار الصبيحية لكنهم ارغموا على التراجع . وبعدها بقليل بدأ أمير شمر نفسه يتحرك نحو الجنوب ، فاحتل بريده في القصيم وشقين في وشم أثناء مروره ، وأرسل بعض قواته لمهاجمة الرياض ، وألح عليها بكل الوسائل في طلب عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي كان وقتذاك في الخرج . ثم استولى على السليمانية وعسكر بقواته في دِلِم عاصمة الخرج حيث بقي أياماً قليلة دون نشاط كان أثناءها أهل أقاليم الحوطة وحريق ، وقبيلة الدواسر أيضاً ، قد انضموا إلى عبدالعزيز في المحمدي وهو مكان ذو زرع على بعد ثلاثة أميال فقط إلى الشمال . وفي أول نوفمبر سنة ١٩٠٢ ــ وعقب ثلاثة أيام من الاشتباكات غير الحاسمة ــ حدث اشتباك حاسم ظل القتال العنيف دائراً فيه خمس ساعات متواصلة هزم بعدها ابن رشيد هزيمة ساحقة وارغم على الفرار تاركاً وراءه عسكره وكثيراً من الخيول والجمال وأحد ألويته فوقعت كلها في يد العدو . وتابع عبدالعزيز نجاحه فواصل التقدم نحو القصيم حتى وصل شاوره ، على حين اتخذ ابن رشيد موقعه بعد تمكنه من الفرار في زلفى عند أقصى شمال سدير .

وفي نهاية ديسمبر سنة ١٩٠٢ حدثت غارة قيل إنها كانت بقيادة

ابن رشيد نفسه- على رعايا الكويت في جوار الجهرة وأحدثت بعض الخسارة لكن أمكن صد المغيرين في النهاية وإيقاع الهزيمة بهم . وتراجع ابن رشيد بعدها إلى القصيم وانقضت فترة دون اشتباكات قام عبدالعزيز خلالها بزيارة للكويت .

لقاء بين امير الوهابيين ومسئول روسي في الكويت ١٩٠٣ :

وتلقى ابن سعود في ذلك الوقت بعض التشجيع من دولة اوربية ، فقد كان معروفاً في البصرة منذ المراحل الأولى من الصراع في وسط الجزيرة العربية أن عملاء الحكومة الروسية مهتمون اهتماماً خاصاً بهذا الصراع ، والآن تم اللقاء أثناء وجود عبدالعزيز في الكويت بينه وبين القنصل الروسي العام في بوشهر الذي جاء إلى الكويت على ظهر الطراد الروسي «بويارين» وكان يصحبه الطراد الفرنسي «انفرنيت» في زيارة للكويت . وقد جاء من الكويت في ذلك الوقت أن القنصل الروسي عرض أن يمد عبدالعزيز بالمال والسلاح ، وأكد هذه الاقوال مصدر مستقل . وقد حدث هذا اللقاء في أوائل مارس سنة ١٩٠٣ .

الوهابيون يستعيدون اقليم سدير - ١٩٠٣ :

وشغل ابن رشيد نفسه بمطاردة قبائل البدو المناصرة لابن سعود ، وحاول أن يستميل إلى صفه سعدون باشا زعيم المنتفق المتمرد . وفي ليلة ٣ إبريل سنة ١٩٠٣ قام بمحاولة لاستعادة الرياض حيث كان الامير عبدالرحمن قد عزز إقامته فيها ، وتكبد ابن رشيد خسارة فادحة قبل أن يُرغم على التراجع . وبعدها بعدة أيام استطاع عبدالعزيز الذي عاد مؤخراً من الكويت أن يشن هجوماً معاكساً على قبائل البدو المؤيدة لابن رشيد وأوقع بها خسائر فادحة . وانتهت سنة ١٩٠٣ بالاستيلاء على زلفى واستعادة الوهابيين إقليم سدير استعادة كاملة .

الباب العالي يقدم العون الذي التمسه ابن رشيد ١٩٠٤ :

وضاعف ابن رشيد جهوده للحصول على معونة الأتراك ، فاتصل

برقياً بالصدر الاعظم في القسطنطينية يوم ٧ يناير سنة ١٩٠٤ يطلب أوامر الباب العالي ، وقد ذكر الصدر الاعظم أن ابن سعود يحاول أن يقيم علاقات وثيقة ببريطانيا العظمى ، ومن المحتمل ان تقدم له هذه الدولة الأسلحة والذخائر . ولا بد أن الباب العالي قد استجاب لطلبه هذا فقد ارسلت اليه في شهر إبريل من نفس السنة كمية من الاسلحة والذخائر من بغداد ، وصدرت الاوامر بتجميع القوات التركية في السماوه على نهر الفرات .

الوهابيون يستعيدون وشم والقصيم : ١٩٠٤ :

وفي هذه الفترة تعاظم نجاح عبدالعزيز بن عبدالرحمن وتزايد تزايداً أسرع وأكثر حسماً . ففي ٧ فبراير سنة ١٩٠٤ هاجم قوة يقودها حسين جراد حاكم ابن رشيد على القصيم في مكان يسمى فيضة في وادي ياسر ، وهزم القوة وقتل الحاكم نفسه وأرسل علمه وخاتمه إلى الكويت بشارة بالنصر ، وقد فقد عدد كبير من وجهاء شمر حياتهم في هذا الاشتباك ، وبخضوع إقليم وشم تمت استعادة نجد الجنوبية بكل أقاليمها وسار عبد العزيز بن سعود بعد ذلك إلى القصيم وهو إقليم كان اعتاد على الاستقلال عن حائل والرياض معاً . ودخلت قواته مدينة عنيزة في ٢٢ مارس بمساعدة أهلها وتعاطفهم ، وهزم ماجد أحد ابناء حمود ابن عم ابن رشيد وقد كان معسكراً خارج المدينة للدفاع عنها ، وقتل من قواته كثيرون كان من بينهم عبيد أحد أبناء حمود نفسه . وقد أخضع هذا الاشتباك الحاسم كل إقليم القصيم بما فيه مدينة بريده لنفوذ الوهابيين دون إبطاء . وربما كانت هذه الاحداث التي ذكرناها مؤخراً هي التي جعلت الحكومة العثمانية تقرر أخيراً أن تتدخل تدخلا فعالا لنجدة عميلها ابن رشيد الذي بدا أنه قد وصل نهاية الطريق ، وأن استسلامه الكامل لابن سعود بات وشيك الحدوث .

الحملة العسكرية التركية على القصيم ١٩٠٤

حين سارت الحملة التركية من السماوه على شاطىء الفرات في الايام الاخيرة من مايو سنة ١٩٠٤ كانت تضم حوالي ٢٠٠٠ جندي من جنود المشاة ، و ٦ مدافع خفيفة حمل كل منها على عارضة بين بغلين بالإضافة لحشد كثيف من بدو شمر وعنيزة . غير أن عدد هذه القوات تناقص كثيراً نتيجة المرض والهرب قبل أن تصل مسرح الأحداث . وكان من المتعذر انقاذ بريده فقد فات الوقت ، لكن وصول هذه الحملة أخر زحف الوهابيين الذي كان يهدد حائل ، وبدأت الحرب على أرض العدو تمتد جنوباً نحو القصيم .

معركة البكيرية ١٥ يوليو ١٩٠٤ :

وبدأ الاشتباك الأول في بكيرية ، بعد ظهر يوم ١٥ يوليو ويبدو أن هذه المعركة قد سادتها الفوضى كثيرا . فقد حدث أول هجوم على ابن رشيد وحلفائه الأتراك من قبل رجال قبيلة عريضة يقودهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، لكن هذا الهجوم فشل ، واستطاع الفرسان من رجال ابن رشيد أن يردوهم إلى الصحراء بعد أن أوقعوا بهم خسارة كبيرة . وفي نفس الوقت كان رجال القصيم الذين لا يعرفون شيئاً عن مصير رفاقهم لأن تلالا منخفضة تفصل بينهم قد تقدموا نحو المعسكر التركي واستطاعوا في المساء أن يستولوا عليه ، وقد قتل في هذه المعركة القائد التركي وحوالي اثني عشر من ضباطه وعدد كبير من الجنود كما استولى رجال القصيم على كل المدافع التي كانت مع القوات التركية واسروا كثيرين من رجالها ، وكان ماجد أكبر أبناء حمود ابن عم ابن رشيد بين القتلى في هذه المعركة إثر منازلة فروسية عند نهاية الاشتباك ، وهكذا سقط الرجل الرابع من عائلة واحدة في يوم واحد في محاولة يائسة لانقاذ جبل شمر من مصيره المحتوم . بعد هذا الانتصار انسحب رجال القصيم إلى عنيزة ، وحاول ما بقي من القوات التركية استعادة مدافعهم ،

فاستطاعوا العثور على خمسة . وكان العدو قد حمل واحداً منها ونقله إلى الرياض لكن ثلاثة من هذه المدافع الخمسة كانت مدمرة لا جدوى منها .

العمليات التالية وتراجع الاتراك إلى قحافة يوليو–أكتوبر ١٩٠٤ :

ولتحسين هذا الموقف أو ربما للظهور بمظهر المهاجم قام الأتراك وحلفاؤهم حوالي منتصف أغسطس بالسير عدة أميال إلى الجنوب الغربي واحتلوا شنانه إحدى القرى المنفصلة التي تضمها جميعاً مدينة الرس ، وظلوا بها دون حركة مدة ستة أسابيع يجلبون مؤنهم من قرية نبهانية على مسافة بعيدة إلى الغرب على حين كان العدو يسيطر على بقية البلاد شرقاً ، بل وربما أيضاً على بقية مدينة الرس . وأخيراً ، حوالي يوم ٢١ سبتمبر سار الاتراك وابن رشيد من شنانه وحاولوا ضرب معقل محصن في مكان يعرف باسم قصر ابن عقيل ، على بعد عدة أميال غربي الرس التي كان يحتلها زعيم بريده وصديق ابن سعود .

وحين عرف العدو بهذا التحرك قام بهجوم من الرس انهزمت فيه القوات التركية وفر ابن رشيد مختفياً . واستولى الوهابيون وأهل القصيم على مدفع آخر ومزيد من الغنائم لكن هذه المعركة كانت خسائرها في الأرواح ضئيلة . وبعدها اتخذ ما بقي من القوات التركية التي لم تكن تتجاوز ٧٠٠ رجل مواقعهم في قحافة في منتصف الطريق بين بريده وحائل لأن ابن رشيد قد رفض رغم مجيء هذه القوات لنجدته أن تقترب أية خطوة أخرى نحو عاصمته . وهكذا انتهت الحملة التركية إلى فشل تام . لكن السلطات العثمانية حتى ولو كانت تعرف هذه الحقائق فقد كانت أبعد ما تكون عن الاعتراف بها ، فقد ظلت بعض الأعلام التي قيل إنه تم الاستيلاء عليها من ابن سعود تعرض وسط مظاهر الابتهاج بالنصر في شوارع كربلاء طوال شهر كامل بعد الهزيمة التركية الأولى .

المفاوضات ، ثم الاتفاقية الودية بين ابن سعود والباب العالي ١٩٠٤ – ١٩٠٥ :

ويبدو أن ابن سعود قد أصابه بعض الفزع من النجاح الكاسح الذي أحرزه على القوات العثمانية . ففي نهاية أكتوبر سنة ١٩٠٤ ارسل خطاب اعتذار إلى فخري باشا الوالي التركي النشيط في البصرة ، وهو رجل مستنير مدرب على قيادة الجيوش والعمليات العسكرية(١) . وفي هذا الخطاب حاول أمير الوهابيين تبرئة نفسه مما يتعلق بهجماته على القوات التركية في القصيم ، وسأل عما إذا كان بالوسع قبول إعلان الخضوع من جانبه ، وطلب استمرار المرتب الذي كان يتقاضاه ، من الحكومة التركية . ورفعت اقتراحاته إلى القسطنطينية . ولقيت قبولا هناك في الظاهر إلا أن الاستعدادات التي كانت قد بدأت في النجف لارسال حملة تركية جديدة إلى وسط الجزيرة لم تتوقف ، ولكن في ذلك الوقت كان من المفهوم عموماً أن أهداف هذه الحملة سلمية وليست تأديبية ، وهذا يشير إلى أن الوعد الذي قدمه ابن سعود بحسن السلوك في المستقبل قد اعتبر مرضياً وموثوقاً به على الرغم من ان ابن سعود لم يذهب بنفسه لتأكيده .

ولم يستمر انتظار هذا التأكيد طويلا . فلم تكد القوة التركية تبدأ سيرها من النجف حتى كان الامير عبد الرحمن قد وصل بنفسه ومعه الشيخ مبارك شيخ الكويت إلى قرية صنوان الصغيرة على حدود العراق والكويت . وهناك التقى بهما مخلص باشا الذي كان قد تولى ولاية البصرة مؤخراً ، وتبع اللقاء الاول الذي تم في صفوان بتاريخ ٨ فبراير إتصالات ومناقشات تلغرافية بين البصرة والقسطنطينية . وفي اللقاء الثاني الذي حدث عند آبار القشعانية يبدو أن ابن سعود قد أبلغ ان السلطان

---

(١) وتذكر رواية أخرى أن الخطوة الاولى في هذا السبيل قد خطاها فخرى باشا لا ابن سعود .

عينه قائمقاماً او حاكماً انجد الجنوبية في ظل الباب العالي . وأبلغ أيضاً أن ابن رشيد لن يتدخل بأية صورة من الصور في شئون أقاليمه تلك . ويبدو ان ابن سعود من جانبه قد وافق على وضع مجموعة من المسئولين المدنيين وحاميات عسكرية تركية في القصيم .

★ ★ ★

احتلال الاتراك السلمى للقصيم ١٩٠٥

في هذا الوقت نفسه ، اواخر يناير سنة ١٩٠٥ ، سارت القوات التركية التي تجمعت في النجف في نهاية ١٩٠٤ إلى القصيم ، وكانت تضم حوالي ثلاثة آلاف رجل معهم ٦ مدافع بقيادة أحمد فيضي باشا مشير قوات الجيش السادس في بغداد ، وهو «رجل عجوزٌ محنّك» ، تجاوز السبعين من عمره لكنه ذو طاقة حيوية كبيرة .

دخول القوات العسكرية التركية الى القصيم ابريل ١٩٠٥ :

وقد أدت الاتفاقية التي عقدت مع ابن سعود بعد رحيله مهمة هذه الحملة التي التقت بطابور ارسل من المدينة يضم ٧٥٠ رجلا معهم بطارية من مدافع الميدان ، ولكن التقارير التي بين ايدينا لا تخبرنا بصورة مؤكدة عن نقطة اللقاء أوعن خط سير الحملة . ولم تواجه القوات مقاومة ما ، فأهل نجد قد ارهقتهم الحروب ، ورحبوا في ذلك الوقت بالسلم حتى لو جاء في ظل القوات التركية . واحتلت القوات مدينة بريده في القصيم يوم ١٥ إبريل سنة ١٩٠٥ وعنيزة بعدها بثلاثة أيام ، ووضعت في كل حامية مئة جندي أو أقل ، ورفع العلم العثماني ، وعزف السلام الحميدي ، ودعي لسلطان تركيا من فوق المنابر في الصلوات الجامعة . وقد لوحظ ان ابن رشيد لم يكن موجوداً وقتذاك حتى كمجرد مشاهد في هذه الاحتفالات ، والنتيجة التي استخلصت من ذلك هي أن أهل القصيم قد اشترطوا لخضوعهم للباب العالي ألا يكون لامير شمر أي تدخل

في امورهم . وهذه نقطة أكدها ابن سعود غير مرة واحدة أثناء مفاوضاته مع الاتراك . ثم قسمت نجد بعد ذلك أقساماً إدارية على الطريقة التركية المعتادة ، فجعلت بريده قضاءً يتولاه القائمقام صالح بن حسان ، وجعلت عنيزة مديرية ، مديرها عبدالعزيز . لكن العلاقات بين هذين المسئولين لم تكن محددة في ظاهر الأمر على الأقل . فلم يكن بوسع العرب أن يعرفوا ما إذا كانت هذه الأقسام الإدارية تابعة للبصرة أو للمدينة ، غير أن المسئولين الأتراك كانوا يعتقدون أنها تابعة لولاية البصرة . وكان مفهوماً أن نجد الجنوبية قد أصبحت قضاء تابعاً لولاية البصرة وابن سعود وأصبح لها قائمقام مقره الرياض . ولم تكد هذه الاقسام التي كان من السهل تنفيذها بطبيعتها الاسمية تكتمل حتى أسرع أحمد فيضي باشا ، بمجرد وصول الأوامر اليه بالسير لقمع تمرد حدث في اليمن ، فامتطى ظهر بعيره وهرع عن طريق المدينة إلى ميناء ينبع على البحر الاحمر .



التاريخ العام لوسط الجزيرة أثناء احتلال الاتراك للقصيم ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦

زيارة عبدالعزيز ابن سعود لقطر ٥ يوليو—أغسطس ١٩٠٥ :

وربما تكون هذه الإجزاءات في القصيم قد ضايقت الامير الوهابي بعض الشيء لأنها ارغمته على عدم مواصلة عملياته العسكرية ضد ابن رشيد وحولت انتباهه كله إلى منطقة ساحل الخليج . وفي يوليو وأغسطس سنة ١٩٠٥ خرج عبدالعزيز ابن امير الوهابيين إلى جولة في صحراء الجافورة وحدود قطر ، وكانت زيارته غير المتوقعة هذه مصدر مضايقة للسلطات التركية في الأحساء . وارتبكت في البداية ولم تعرف ماذا تفعل لكنها أخيراً أرسلت طابور شرف لاستقباله عند آبار دعيلج في صحراء الجافورة ، وكان اللصوص وقطاع الطريق قد اوقفوا قافلته على الطريق بين الأحساء والعقير ، فانتهز عبدالعزيز هذه الفرصة ، وأمر باعدام

بعض البدو من هؤلاء ، ليظهر بمظهر حامي القانون والنظام ، ثم زعم أيضاً أنه قد سوى الخلافات الدموية التي كانت قائمة بين قبائل عجمان وبني هاجر وآل مره . وتوقف عبدالعزيز غير مرة عند آبار المياه إلى جوار خليج سلوى والتقى بجاسم شيخ آل ثاني بالدوحة في عريق . وكان يعتقد أن جاسماً قد قدم لابيه عبد الرحمن بن سعود معونات قيمة في سنة ١٩٠٤ . وأخيراً حين وجد عبدالعزيز أن حراره الجو لم تعد تطاق ، رجع إلى بلاده عن طريق آبار زرنوقة في حزمة لكنه كتب قبل رحيله خطابات لشيوخ عمان المتصالحة يعلن لهم نيته في زيارة عمان في الربيع التالي . واوجدت هذه الرسائل شيئاً من الحماسة كما هو مذكور في تاريخ عمان المتصالحة خاصة بين الشيوخ الذين ارسلت اليهم ، واضطرت السلطات البريطانية إلى متابعة هذا الامر متابعة دقيقة .

تجدد الاشتباكات بين ابن [سعود] وابن رشيد ثم موت هذا الاخير ١٩٠٥ — ١٩٠٦ :

وأما العمليات العدوانية بين أمير الوهابيين وأمير شمر التي توقفت فترة قصيرة احتراماً للقوات التركية فقد عادت من جديد . فقد كان الغريمان المتنافسان كما وصفهما فيما بعد باشا تركي تعامل معهما على طرفي نقيض من حيث شخصياتهما . فعلى حين كان ابن رشيد «مقاتلا من الصحراء» خالصاً وبسيطاً ، كان ابن سعود أقرب لان يكون «ديبلوماسياً من الصحراء» ، لكن هذا النقص في أمير الوهابيين قد عوضه ابنه عبدالعزيز بمقدرته العسكرية الفائقة . وهكذا بدأ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بمعاونه شقيقه محمد في أواخر سنة ١٩٠٥ يغير على قبيلة حرب وفرع بني عبدالله من قبيلة مطير إلى الغرب ، وقد اتخذ عبدالعزيز قاعدته في القصيم ، واتخذ ابن رشيد قاعدته في قحافة على أقصى الحدود الشمالية الغربية لنفس الإقليم . وفي نهاية سنة ١٩٠٦ كانت القوات الوهابية معسكرة في عين ابن فهيد في القصيم ، وكانت قوات ابن رشيد معسكرة في ثمامي وهو مكان ذو ماء في باطن على مسافة سبعين ميلا شمال

شرقي موقع الوهابيين . وكان ابن رشيد قد طلب في ذلك الوقت وساطة الشيخ مبارك شيخ الكويت والتمس منه أن يعتبره ابناً من أبنائه ، وبدأ هذا السياسي المحنك يضع خطة لإعادة السلم في نجد على أساس أن يجعل بين الأميرين المتحاربين إقليماً محايداً يكون تحت سيطرته هو نفسه ويضم أقاليم القصيم ووشم وسدير . وفي هذا الوقت نجح الوهابيون في مباغتة قوات ابن رشيد التي كانت آمنة في معسكرها بمكان يسمى رويضة على بعد عشرين او ثلاثين ميلا شرقي بريده في ليلة ١١ إبريل سنة ١٩٠٦ . وكانت عاصفة رملية تهب في هذه الليلة ، وكان بوسع ابن رشيد أن يهرب اذا شاء . لكنه خرج وأعلن عن نفسه بكل جرأة وخرّ صريعاً بالرصاص المنهمر من بنادق أعدائه وهو يرتجز شعره الحماسي ، وقتل مع الامير عدد من أنصاره المقربين ، وقطعت رأسه ووضعت على رمح طاف البلاد كلها وسط مظاهر الانتصار ، لكن هذا العمل لقي استنكاراً واضحاً من الرأي العام العربي ، وساد نوع من الأسى لموت ابن رشيد حتى عند شيخ الكويت نفسه الذي ارسل اليه ابن سعود خاتم الامير القتيل إشارة للانتصار .

ابتهاج ابن سعود ابريل — يونيو ١٩٠٦ :

وأرسل الأمير الوهابي الرسائل والرسل لإعلان انتصاره هذا لسلطان تركيا ، وللواليين التركيين في بغداد والبصرة ، ولشيوخ العرب وزعمائهم في الأحساء وقطر والبحرين . وقيل إن الوفد الذي ارسل إلى البصرة لقي من الحاكم استقبالا حسناً ، كذلك رجعت الوفود من عند معظم الشيوخ الذين ارسلوا اليهم يحملون التهنئة وبعض الهدايا . وأعلن ابن سعود نفسه حاكم «الشرق» ولعله كان يعني بهذه الكلمة شرقي جزيرة العرب كلها ، وساد فتور موقت في العلاقة بين أمير الوهابيين وشيخ الكويت بسبب خلاف حول ولاء بعض قبائل البدو والزامها بأن تدفع الجزية ، وهذا هو السبب الشائع غالباً للخلافات التي قد تقوم بين الزعماء في وسط الجزيرة ، وقيل إن ابن سعود قد تكلم عن الشيخ مبارك بطريقة لا تليق وهو في

نشوة انتصاره ، ولكن عون شيخ الكويت كان ضرورياً لأمن الامير الوهابي ، ولذا لم تدم القطيعة بينهما طويلا .

نفي قائمقام بريدة وبعض أعمال الوهابيين العدوانية ابريل – يونيو ١٩٠٦ :

وسار عبدالعزيز بعد أن قضى على ابن رشيد مصمماً على أن يستفيد من نجاحه إلى أقصى حد . ففي إبريل أو مايو من السنة نفسها استطاع بالخدعة أن يأسر صالح بن حسان قائمقام الأتراك في بريده ، ولم يقف دونه في ذلك منصبه الرسمي أو وجود قوات تركية في القصيم ، ونفاه إلى الرياض هو وأخويه مهنا وعبدالعزيز ، ويبدو أن السبب في ذلك أن صالحاً كان يبذل في عمله كقائمقام للأتراك كل ما وسعه من جهد لتحقيق مصالح الباب العالي والدفاع عنها ، لكن هذا الاسلوب مضافاً إليه شعبية صالح الشخصية في القصيم أثارا شكوكا خطيرة لدى الوهابيين ، وواصل عبدالعزيز بعد ذلك غاراته نحو الشمال ، وفي مايو تقريباً بدأ يتحرش بقبائل البدو إلى جوار حائل ويطالبهم بمتأخر الجزية التي كان يدفعها أمير شمر للرياض من قبل ، لكن أبواب المدينة نفسها أغلقت أمامه ، وأرغمه نقص المؤن والعتاد على التراجع . وأطلق سراح بعض آل سعود الذين كانوا معتقلين في حائل ، ومن بين هؤلاء شاب يدعى عبدالعزيز بن محمد ، وهو حفيد الامير الوهابي سعود بن فيصل ، وقد وصل الكويت في أوائل يونيو وتلقى علاجاً طبياً في مستوصف بريطاني هناك ، وفي هذا الوقت نفسه أطلق أيضاً سراح اشخاص ينتمون إلى عائلات في عنيزه وبريده كانوا محتجزين كرهائن سياسية .

اعلان السلم بين ابن سعود وابن رشيد يوليو ١٩٠٦ :

وفي نفس الوقت ظل متعب ابن الامير الوهابي الراحل وخليفته على اتصال بشيخ الكويت وطلب منه أن يبدأ المفاوضات باسم أبيه ،

ويبدو أن الشيخ مبارك كان بالفعل يبذل كل جهوده من أجل التوصل إلى اتفاقية للسلم . وفي يوليو تم عقد الصلح في القصيم ، وتوقفت الأعمال العدوانية من الجانبين ، لكن مبعوثاً ارسله ابن سعود إلى شيخ الكويت لإبلاغه بهذه الظروف لقي مصرعه في الصحراء على يد بعض رجال شمر ، إما انتقاماً لمقتل أميرهم عبدالعزيز أو لأن القتلة لم يكونوا يعرفون بعد أن الصلح قد عقد . ولا يبدو أن أمير الوهابيين قد بارح عاصمته الرياض خلال هذه الاعمال كلها .

مواقف الاتراك وتصرفاتهم ازاء نجاح ابن سعود يوليو — سبتمبر ١٩٠٦ :

يمكننا الآن ان نتساءل ، كيف تقبلت الحكومة التركية هذه الأعمال التي كانت تدل على اللامبالاة التامة والازدراء من ابن سعود لسلطة العثمانيين في وسط الجزيرة . لقد ارسل ابن سعود وفداً إلى البصرة ولقي استقبالا حسناً من واليها كما ذكرنا ، لكن مشاعر الباب العالي كانت طبعا مع عائلة ابن رشيد ، الذي ظل معترفاً بولائه للسلطان زمناً طويلا ، والذي أدى سقوطه دون شك إلى انهيار نفوذ تركيا في نجد . وقد عزا والي البصرة النهاية الفاجعة التي لقيها ابن رشيد إلى تدخل شيخ الكويت متنكراً في هيئة صانع السلام فيما بين الطرفين المتحاربين ، لكن الباب العالي كان يميل إلى الاعتقاد بأن تدخلا غير ضروري قد حدث من جانب العسكريين في أمور الموظفين المدنيين وبتعبير آخر فان قادة القوات التركية كانوا يحاولون فرض سيطرتهم كثيراً على مشايخ العرب المحليين .

وقبل نهاية إبريل وصلت إلى البصرة برقية من امين سر السلطان تقضي بإبلاغ الامير الجديد متعب أسف السلطان لمقتل أبيه الامير عبدالعزيز ، وبعزم الباب العالي على إيقاع العقاب بقتلته ، والتصديق على أن يكون متعب خلفاً لأبيه براتبه الذي كان مخصصاً له . وقد ذكر أن

المعونة التي كان يتلقاها ابن رشيد من الأتراك في ذلك الحين كان قوامها ٢٠٠ ليرة عثمانية في الشهر و ٢٠٠ كيس من الأرز في السنة ترسل الاولى من بغداد عن طريق كربلاء ، والأخرى من البصرة عن طريق الكويت .

وفي بداية يوليو سار سامي باشا –الذي كان قد عين قائداً عسكرياً ومتصرفاً مدنياً في نجد قبل سنة لكنه كان يرجىء رحيله الفعلي حتى ذلك الحين– سار من المدينة في ٥٠٠ جندي من المشاة ومدفع واحد إلى القصيم فوصلها بعد شهر . وجعل مقره في شيحيه على بعد ٣٠ ميلا إلى الجنوب الغربي من بريده . وارسل سامي باشا يستدعي عبدالعزيز بن سعود للمثول بحضرته ، لكن القائد الوهابي رفض أن يدخل معسكره ، وتم أخيراً تدبير اللقاء بينهما في الصحراء المكشوفة بين الشيحية وبريده ، وكانت أهم الموضوعات التي نوقشت في هذا اللقاء على ما يبدو ضرورة إقامة قلاع في عنيزة وبريده لاستقبال حاميات تركية دائميه ، ثم إطلاق سراح القائمقام صالح بن حسان . وفيما يتعلق بالمطلب الأول فقد نجح ابن سعود –ومن ورائه أهل القصيم– في أن يذكر لسامي باشا الوعد الذي سبق أن قطعه الأتراك على أنفسهم بألا تزيد الحامية المقيمة في أي من المدينتين على مئة جندي ، أما الطلب الاخير فقد أهمل نظراً لتأكيد ابن سعود تأكيداً ثبت زيفه فيما بعد بأن صالحاً قد هرب من سجنه في الرياض وقتله بعض بدو آل مره في الصحراء .

ورحل الفريق صديق أو (صدقي) باشا الذي كان قائد القوات التركية في نجد قبل وصول سامي باشا إلى الكويت عن طريق زلفى فآبار الصفاة في سمان فصبيحية في ٢١ أغسطس . وكان معه طابور من الجند يتكون من ١٤٢ رجلا لم يفقد منه رجل واحد في الطريق .

وقرب نهاية سبتمبر ارسل المتصرف الجديد جماعة من رجاله لابتياع موٌن في عنيزة ، لكن كبار الرجال في المدينة رفضوا أن يبيعوا

الأتراك شيئاً متعللين بنقص المواد ، وحين كانت الجمال التركية عائدة إلى معسكرها في الليل هاجمها بعض الرجال وقتلوا عدداً من جنودها .

وفي نفس الوقت كان طالب باشا وهو ياوري السلطان وربما كان هو المتصرف السابق للاحساء مسافراً من بغداد إلى حائل يحمل شارة تعيين الامير الشاب متعب بن عبدالعزيز . وذكر أنه وصل سالماً إلى حائل في نهاية سبتمبر ، ولم يكن الامير متعب يتلقى راتبه الذي كان يدفع له من خزينة كربلاء بانتظام ، ولعل ذلك يعود إلى أنه رفض أن يدفع بعض الرشاوى التي طلبها منه المسئولون الأتراك .



الانسحاب الفعلي للاتراك من نجد نوفمبر ١٩٠٦

صعوبات امام جيش الاحتلال :

وأتضح للحكومة التركية أن احتلالها القصيم الذي لم يعد يتقبله الناس هناك قد أصبح خطراً وغير مفيد في الوقت نفسه ، فقد بات من الصعب توفير المؤن للقوات التي كانت كما يقول رجال الصحراء لا تحصل على نصيب من التبغ على الإطلاق ، والتي اضطرت غير مرة لأن تأكل خوص النخيل لنقص المؤن والطعام ، كما كانت القوات مهلهلة الثياب رثة الهيئة ، وكثيراً ما كان العرب يغيرون على الجنود ويهاجمونهم ، واذا حاول بعض الجنود الانتقام لانفسهم كان ضباطهم يسلمونهم إلى الشيوخ الذين كانوا يأمرون باعدامهم .

لهذه الاسباب كان جنود جيش الاحتلال جميعاً ، ومعظمهم من العرب يعتبرون هذه البلاد بلاداً ملعونة أو « بنت ابليس » كما كانوا يدعونها ، فتفشى بينهم الفرار والمرض ، وباع كثيرون منهم سلاحهم وذخيرتهم لاهل البلاد ليحصلوا فقط على ضرورات الحياة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انسحاب القوات التركية انسحاباً شبه كامل نوفمبر ١٩٠٦ :

في هذه الظروف يبدو أن الحكومة التركية قد اتخذت قرارها(١) في خريف سنة ١٩٠٦ بتخفيض جيش الاحتلال في القصيم من ٢٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ رجل وذلك بعد أن انضمت اليه القوة التي رافقت سامي باشا عند توجهه إلى المدينة . وبدأ الانسحاب في نوفمبر ، وكانت الوحدات التي بدأت الانسحاب هي وحدات الجيش الغربي في ٣ نوفمبر (٢) ، وبعدها بثلاثة أسابيع بدأت قوات بغداد سيرها نحو الساحل ، وكانت هذه القوات الاخيرة تضم ٨٠٠ جندي مزودين بمدفعين من مدافع الميدان وأربعة مدافع خفيفة ، وزودت بألفي بعير مملوكة لاشخاص من بريده وعنيزه وزلفى لاستخدامها في النقل . وفي ٢٥ يوماً وصلت القوات من بريده إلى الكويت التي لم يسمح شيخها للجنود بدخولها . وأخيراً وصلت إلى البصرة في سلام . ولا شك في أن الانسحاب من القصيم بسبب إصرار أهلها على تخفيض الحاميات التركية كان أشمل مما اراده الباب العالي ، فواضح أنه لم يعد باقياً في القصيم إلا عدد لا يتجاوز خمسين رجلا ، بل إن بعض الروايات تنقصه إلى ستة وعشرين فقط .

النتائج العسكرية والسياسية المترتبة على الاحتلال ثم الجلاء :

ولما كان العدد الكلي للقوات التي ارسلت من العراق إلى القصيم في ١٩٠٤ و ١٩٠٥ قد قدر بحوالي ٤٥٠٠ جندي على الأقل وكان عدد هؤلاء الذين بقوا منهم في القصيم او عادوا إلى العراق قد قدر بحوالي

---

(١) تذكر رواية أخرى أن سامى باشا ـ الذى تراجع الى المدينة ـ هو الذى أمر بالجلاء على مسئوليته الخاصة ، وكان سبب ذلك هو عدم وصول الامدادات أو التعليمات اليه من القسطنطينية .

(٢) يقول نفس المصدر السابق ان سامى باشا لم يعد الى المدينة الا في فبراير ١٩٠٧ ، وقد كانت معظم القوات التى انسحبت في هذا الاتجاه تعتمد على الجراد في طعامها .

١٠٠٠ جندي فسيتضح لنا أن الخسارة التي منيت بها هذه القوات في نجد ـــسواء بالفرار أو الموت ـــ كانت ثقيلة وفادحة جداً . وقد بدأ فرار هذه القوات الى الكويت في سنة ١٩٠٥ وقدر عدد الجنود الاتراك الذين مروا بها من نجد حتى مارس ١٩٠٦ بحوالي ٥٠٠ جندي ، وذكر أن معظم الذين ماتوا في القصيم انما سقطوا ضحايا الأوبئة .

وأضرّ الجلاء عن القصيم بهيبة تركيا في جزيرة العرب كلها . فقد كان سبب الاضطرابات التي حدثت في الاحساء هو تلك الثقة التي بعثها الانسحاب في نفوس العرب . وفي ربيع سنة ١٩٠٧ ساد القلق الدوائر التركية التي كانت تخشى أن يهاجم ابن سعود القوات التركية التي تعمل في مد الخط الحديدي في الحجاز . ولم يكن من المؤكد على أية حال أن هذا الانسحاب التركي كان نهائياً ، خاصة وأن إكمال سكة حديد الحجاز التي كانت الآن تقترب من المدينة بسرعة كان لا شك سيعزز السياسة التركية ويدعمها في وسط الجزيرة .



التاريخ العام لوسط الجزيرة بعد جلاء الاتراك عن القصيم ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧

علاقة ابن سعود وابن رشيد بشيخ الكويت ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ :

عقب رحيل القوات التركية من القصيم سادت هدنة ثقيلة . وفي نجد كانت تقطعها الشائعات دائماً عن تجدد الاشتباكات بين قوات ابن سعود وابن رشيد . في يناير ١٩٠٧ ، وكما هو مذكور في تاريخ نجد الشمالية ، قتل متعب أمير شمر الجديد على يد قريبه سلطان بن حمود الذي كان يعارض سلطته في ذلك الحين . وكان اتجاه ابن رشيد الجديد الناتج عن حرج موقفه الذي لا شك فيه اتجاهاً متهادناً مع ابن سعود ، وكان موقف شيخ الكويت كموقف أهل القصيم بل حتى كموقف الاتراك

أنفسهم كارهاً لقيام سيطرة كاملة ودائمة في نجد لا لحاكم الرياض ولا لحاكم حائل ، وكان بالتالي يميل لان يمنع مساعداته عن ابن سعود ويقدمها لابن رشيد الذي كانت سلطته قد وصلت مرحلة من الضعف لا شك فيها . وكان الشيخ مبارك قد سبق أن أعلن أن حكومة ابن سعود ينقصها التنظيم ، ثم زاد الآن على ذلك بأن انتقد شخصية ابن سعود نفسه فذكر أنه «سريع الغضب سريع الرضا» . وربما كان الشيخ مبارك لا يعني بملاحظته هذه الامير الوهابي عبدالرحمن بن فيصل بقدر ما يعني ابنه عبدالعزيز الذي أصبح الآن يطلق عليه عادة اسم «ابن سعود» نظراً لنشاطه وجرأته وشهرته .

امور سياسية أخرى ١٩٠٧ :

أما في نجد الجنوبية فقد ظلت مدينة مجمع في سدير تقاوم سلطة أمير الوهابيين بشكل أو بآخر ، فهي ترضى بدفع الجزية التي كانت تدفعها لامير شمر ، لكنها لا توافق على زيادتها ، ولا على الدخول في علاقة وثيقة بالوهابيين . وأخيراً تأكد دون أي شك أن صالح بن حسان أمير بريده السابق كان ما يزال حياً في سجنه بالرياض ، وقيل إن أخويه سليمان وعبدالرحمن قد لحقا بابن رشيد .



علاقات الحكومة البريطانية بوسط الجزيرة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٧

ظلّ وسط الجزيرة يعتبر دائماً بسبب من صعوبة الوصول اليه وقلة موارده الاقتصادية خارج مدى اهتمام الحكومة البريطانية وحكومة الهند . ولكن بعد عودة الدولة الوهابية إلى القوة في نجد سنة ١٩٠٠ تعدل الموقف قليلا بالنظر إلى تحالف شيخ الكويت مع ابن سعود ، ومساعي الحكومة التركية لاستمالة ابن رشيد .

حكومة الهند تقرر ارسال وكلاء مسلمين إلى نجد ١٩٠١ :

في بداية سنة ١٩٠١ فكرت حكومة الهند في إرسال وكلاء مسلمين لجمع معلومات موثوق بها عن الحياة السياسية والدينية في وسط الجزيرة، وكان غموض هذه الجوانب سبب تردد السياسة البريطانية، ولكن أرجىء تنفيذ الخطة نظراً لاضطراب الوضع في المناطق الداخلية آنذاك .

محاولات ابن سعود الاولى للتقرب إلى الحكومة البريطانية ١٩٠٢ :

وحين بدأ ابن سعود محاولاته من الكويت في مايو سنة ١٩٠٢ لإعادة الاستيلاء على عاصمة أسلافه أرسل خطاباً إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج التمس فيه النظر اليه «كرجل تربطه بالحكومة البريطانية علاقة وثيقة» وأن «تهتم الحكومة البريطانية المحبة للخير بالنظر اليه» ، وذكر أنه قد رفض أثناء وجوده في الكويت عروضاً بالمساعدة من جانب مسئول روسي كبير لأنه يعتقد أن مثل هذه العلاقة يجب أن تكون مع الحكومة البريطانية لا غيرها . وقد وافقت حكومة الهند على إهمال المقيم البريطاني الرد على هذا الخطاب ، وصدرت اليه التعليمات بألا يقدم إلى ابن سعود أي نوع من أنواع التشجيع لأن سياسة الحكومة البريطانية تقضي بالابتعاد عن التدخل في شئون نجد خاصة وأنها لم تكن مستقرة .

موقف الحكومة البريطانية من الحملة التركية على نجد ، وطلب ابن سعود حماية بريطانيا ١٩٠٤ :

وفي ١٩٠٤ حين كان الباب العالي على وشك ارسال قوات عسكرية لمعاونة ابن رشيد في نجد رأت الحكومة البريطانية أنها لا تستطيع أن تظل على لا مبالاتها تلك زمناً طويلا لأن لها مصالح هامة في بقاء الوضع القائم في الكويت ، وكانت تخشى أن ترغم القوات التركية التي وصلت لمناصرة ابن رشيد الشيخ مبارك على النزول بنفسه إلى الميدان دفاعاً عن حليفه ابن سعود . وهكذا صدرت التعليمات لسفير بريطانيا في القسطنطينية

في فبراير سنة ١٩٠٤ بأن يطلب تنفيذ الوعد الذي قطعته الحكومة التركية على نفسها في أكتوبر سنة ١٩٠١ بأن تكبح جماح ابن رشيد على أن تقوم الحكومة البريطانية من ناحيتها بتقييد شيخ الكويت .

ومرة أخرى ، حين جاءت الأخبار بأن الاوامر قد صدرت للقوات التركية بالتقدم من المدينة إلى القصيم قدم السفير البريطاني تحذيراً بهذا الصدد إلى الباب العالي ، غير أنه أحس بأن اعتداءات الوهابيين أضعفت من حجته كثيراً حتى حملته على الشك فيما إذا كان قيام الامبراطورية الوهابية برمتها في نجد يمكن اعتباره مفيداً على أي نحو من الانحاء . وأشارت حكومة الهند إلى أن الدولة الوهابية قد أصبحت الآن دولة إقليمية غير متعصبة ، وأن النفوذ البريطاني في الكويت قد يعاني الكثير لو حيل بين الشيخ مبارك ومناصرة حليفه ، فابتلاع الأتراك لنجد أمر أسوأ بكثير من قيام دولة وهابية فيها ، فقد يستطيع الأتراك مهاجمة الكويت من ناحية ليست محصنة فيها ولا مزودة بامكانات الدفاع عنها . وقدم إنذار آخر في القسطنطينية لكنه كان بلا جدوى ، ومضت الحملة التركية في سبيلها . وكانت النتيجة الوحيدة للمناقشة التي دارت بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند هي تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت بعدها بشهرين أو ثلاثة .

وكتب ابن سعود وقد أفزعه احتمال التدخل التركي إلى المقيم السياسي في الخليج طالباً حماية الحكومة البريطانية . لكنه لم يتلق رداً على خطابه ذلك .

التفكير في ارسال موفد بريطاني إلى الرياض ١٩٠٤ :

وفي بداية سنة ١٩٠٤ كانت حكومة الهند ما تزال تفكر في مزايا ارسال ضابط بريطاني مسئول إلى الرياض(١) لدراسة الوضع القائم هناك

---

(١) في سنة ١٩٠٣ كان كاتب هذه السطور في اجازته بأوربا ، ودار الحديث حول احتمال اختياره للسفر الى وسط الجزيرة ، وهو اقتراح كان يبحث بالفعل في ذلك الوقت .

والدخول إذا أمكن في علاقات أوثق مع ابن سعود . وتبين من البحث أن هذه البعثة يمكن تدبير أمرها بسهولة عن طريق شيخ الكويت ، وأبدت حكومة صاحبة الجلالة في تلك الظروف القائمة بعض الاقتناع بهذا الاقتراح لكنها أصدرت تعليماتها بعدم الدخول في علاقة بنجد أو إرسال وكلاء إلى هناك دون اذن سابق منها . وأخيراً أبلغت حكومة الهند الحكومة الأم أنها رغم اعتقادها أنها ستضطر في القريب إلى إبداء اهتمام أكبر بشئون وسط الجزيرة إلا أنها لن تبدأ عملها مباشرة بهذا الصدد . ووافقت حكومة صاحبة الجلالة على ذلك ، لكنها أفصحت عن رغبتها في ضرورة الحصول على مزيد من المعلومات عن نجد ، ولم تهمل هذا الموضوع لكنها أملت العودة اليه مستقبلا في ظروف أكثر ملاءمة . وفي نهاية تلك السنة عادت حكومة صاحبة الجلالة فافصحت عن رغبتها في أن يكون مفهوماً أن الحد الساحلي لشرق الجزيرة هو الحد الذي تنحصر داخله مصالح بريطانيا ونفوذها ، وألا شيء يربط هذه الحكومة ولو بطريقة غير مباشرة بالحرب الدائرة داخل وسط الجزيرة ، وليت الحكومة التركية اقتدت ببريطانيا في ضبط النفس هذا .

موقف الحكومة البريطانية من خطط ابن سعود في الخليج ١٩٠٥-١٩٠٦

ولم تكد الحكومة التركية تضع مخططاتها في القصيم موضع التنفيذ حتى بدأت تحركات الامير الوهابي نفسه باتجاه الخليج تصبح مصدر قلق للحكومة البريطانية . فالحقائق المتعلقة بزيارة ابنه عبدالعزيز لصحراء الجافورة وقطر في سنة ١٩٠٥ ومراسلاته مع شيوخ عمان المتصالحة سبق أن أشرنا اليها في فقرة سابقة ، كذلك ذكر بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة . وقد اعتذر الامير الوهابي عن أية ملاحظة عرضية ربما تكون قد صدرت عنه وسببت هذا القلق . وقبل تلقي هذا التأكيد كانت حكومة الهند قد أشارت على حكومة صاحبة الجلالة أنها ترى من الضروري الحصول على تأكيد من ابن سعود عن طريق شيخ الكويت أو سلطان مسقط لنيته الالتزام بالاتفاقية التي سبق أن التزم بهـــا سلفه

عبدالله بن فيصل في سنة ١٨٦٦ والتي كانت تقضي بألا يضايق الرعايا البريطانيين المقيمين في بلاده ، وألا يعتدي على الإمارات العربية المجاورة لبريطانيا . وكانت حكومة الهند ترى أيضاً أن الامير لو رد على ذلك رداً غير مقنع ، فيجب إبلاغه رسمياً بأن الحكومة البريطانية ستعتبر أية محاولة من جانبه للتدخل في شئون عمان عملا معادياً للحكومة البريطانية ، وأن هذه الحكومة ستتخذ ضده من الإجراءات ما تراه مناسباً . وأخيراً قررت حكومة صاحب الجلالة ألا حاجة لاتخاذ هذه الإجراءات التي تقترحها حكومة الهند إلا اذا قام أمير الوهابيين بتحركات باتجاه الساحل لتنفيذ خططه ، وفي هذه الحالة يجب إبلاغه الإنذار مباشرة دون وسيط .

تجدد محاولات ابن سعود مع الحكومة البريطانية ١٩٠٦ :

وطول سنة ١٩٠٦ ظل الامير الوهابي يواصل محاولاته للحصول على عون من الحكومة البريطانية ، والأقرب إلى الدقة أن تقول إن إبنه عبدالعزيز هو الذي ظل يوالي بذل هذه الجهود عن طريق عدة وسطاء .

وقد عرض هذا الموضوع لأول مرة على كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين عن طريق مسعد بن سويلم مبعوث ابن سعود الذي جاء من قطر واقترح أنه في حالة نجاح الامير في طرد الأتراك من الأحساء توقع اتفاقية بينه وبين الحكومة البريطانية تتعهد فيها هذه بحمايته من الاتراك إذا عادوا مرة أخرى للهجوم عليه من البحر ، على أن يسمح لهذه الحكومة بأن تعين لها ممثلا سياسياً في واحة الأحساء والقطيف . ولم يشجع كابتن بريدو هذا الاقتراح ، ثم سافر المبعوث مباشرة من البحرين إلى بوشهر ، وتحاشى مقابلة المقيم البريطاني ، وأرسل من هناك برقية طويلة من الشيخ جاسم شيخ آل ثاني في الدوحة بقطر يوصي فيها السلطان خيراً بابن سعود . وقام ابن سعود بمبادرته الثانية عن طريق الشيخ جاسم ، الذي اقترح ، في لقاء جرى في قطر بينه وبين المقيم

السياسي الميجور كوكس ، أن يجتمع الأمير الوهابي مع مسئول بريطاني في أي مكان على الساحل العربي . وفي أغسطس ١٩٠٦ بذل الشيخ مبارك شيخ الكويت جهده غير مرة لمحاولة إقناع الوكيل السياسي هناك -كابتن كوكس- بمزايا وضع ابن سعود تحت الحماية البريطانية خاصة بالنسبة لتجارة بريطانيا . وفي أكتوبر تلقى كابتن بريدو في البحرين من الشيخ جاسم خطاباً عاجلا يطلب فيه مقابلته شخصياً بالحاح ، وأرسل هذا الضابط الذي لم يكن يستطيع الذهاب بنفسه إلى قطر مترجمة الخاص السيد إنعام الحق ، وقال الشيخ جاسم في تفسيره لهذا الخطاب إن عبدالعزيز ابن سعود قد عاد للاتصال به ، وذكر أنه يخشى ألا يكون الشيخ مبارك قد عرض قضيته على المسئولين البريطانيين بالحماسة الكافية ، وأنه يود أن يلتقي بالكابتن بريدو -في أي مكان يحدد بالصحراء- هو شخصياً أو ينيب عنه شقيقه . ويبدو أن عبدالعزيز الذي كان مصمماً على إستعادة إقليم الأحساء لأنه أهم أقاليم الوهابيين من الناحية الاقتصادية كان متلهفاً على الاطمئنان إلى التمتع بحماية البحرية البريطانية في حالة نجاحه ، وأنه أيضاً يود أن يرتبط بالحكومة البريطانية باتفاقيات كتلك التي ارتبط بها شيوخ عمان المتصالحة ، وهو يوافق على أن يقيم في بلاطه مسئول سياسي بريطاني . وأرسلت هذه الاقتراحات مباشرة إلى السلطات العليا . وفي نوفمبر عاد شيخ الكويت إلى إثارة الموضوع من جديد . وسنلاحظ أن ابن سعود كان قدم مقترحاته في سنة ١٩٠٦ قبل انسحاب القوات التركية من القصيم ، وكانت ملحة وعاجلة بالنظر لوصول سامي باشا بقواته من المدينة .

أوامر حكومة صاحب الجلالة بصدد مقترحات ابن سعود ١٩٠٧ :

وفي فبراير سنة ١٩٠٧ رفعت حكومة الهند مشكلة الرد الذي يجب تقديمه لمبعوثي ابن سعود إلى حكومة صاحب الجلالة بشكل رسمي ، وردت هذه الحكومة في أواخر مايو التالي بأنه من المستحسن أن يتفادى ميجور كوكس هذه المشكلة ، وإلا فعليه أن يبلغ وكلاء الامير أن مقترحاته هذه تنطوي على اعتبارات لا يمكن للحكومة البريطانية أن تتدخل فيها ، وبالتالي فليس له أن يتوقع رداً عليها .

ملحق رقم (١)
تاريخ مستقل لامارة جبل شمر أو شمال نجد

التاريخ الخارجي لشمال نجد موجود بالتفصيل في الفصل السابق .. ولكن من المفيد أن نورد هنا بعض الملاحظات الإضافية التي تتناول أساساً الشئون الداخلية لهذه الإمارة —:

★ ★ ★

التاريخ المبكر لجبل شمر

علاقاتها بالوهابيين ١٨٠٩ :

لا نعرف إلا معلومات قليلة جداً عن الأحداث في جبل شمر قبل أن تتولى حكمه أسرة آل رشيد . وربما اجتاح الوهابيون هذا الاقليم فاتحين قرب نهاية القرن الثامن عشر في مرحلة مبكرة من انتصاراتهم الاولى في وسط الجزيرة لأن سلطتهم كانت راسخة منذ سنة ١٨٠٩ على الأقل في الواحة الشمالية المعروفة باسم جوف الأمير حتى ان الباشا التركي في دمشق فشل في أن يجمع القوات بهدف إجلائهم عنها .

علاقاتها بالقوات المصرية ١٨١٧ :

وفي سنة ١٨١٧ قام إبراهيم باشا فيما كان في طريقة للقضاء على عاصمة الوهابيين بهجوم من جنحية على جبل شمر ، ولكن يبدو ان حملته هذه لم تحقق النجاح ، وأنها منيت بخسارة فادحة بين القبائل العربية التي كانت تقاتل في صفوفها .

قيام آل رشيد :

وكانت العائلة ذات السيادة في جبل شمر وقتذاك هي «بيت علي» من من فخذ جعفر من بطن عبده من قبيلة شمر ، وكان مقرها حائل . وحوالي سنة ١٨١٨ حين قضت القوات المصرية موقتاً على سلطة

الوهابيين استطاع شاب من فخذ جعفر من بطن خليل أن يطيح بشدة بيت علي ، وكان هذا الشيخ الشاب هو عبدالله بن علي بن رشيد موسس حكم آل رشيد الذى نجح في أن يكسب إلى صفه معظم أهل حائل، لكن أها. مدينة قفار المجاورة التي لم تكن في ذلك الوقت تقل عن حائل من حيث مصادرها وعدد سكانها ظلت مناصرة لأعدائه ومعارضيه .

مغامرات عبدالله بن علي ١٨١٩ – ١٨٣٤ :

وارغم عبد الله بن علي إثر خـلاف دب في حائل على الهـرب من البلاد متخذاً طريق جوف الأمير إلى الشام ، لكن جماعة من قبيلة عنيزة هاجمته هو وأصحابه وراء جوف الامير ، وجرح هو جراحاً خطيرة حتى إن المهاجمين اعتقدوا أنه من القتلى ، لكن تاجراً مر بالطريق بعد ذلك حمله إلى دمشق حيث عولج بها وشفي من جراحاته .

وبعدها وضع عبدالله نفسه في خدمة الوهابيين . ويبدو أنه قام بدور هام في حملتهم الناجحة على بني خالد في الأحساء سنة ١٨٣٠ . وفي سنة ١٨٣٤ كان عبدالله ما يزال في الأحساء يعاون فيصل بن تركي أمير الوهابيين في صد هجمات شيخ البحرين على هذا الإقليم . وحين اغتيل امير الوهابيين في الرياض في نفس السنة كان أحد الذين عاونوا فيصل في استعادة الرياض وتولي إمارة الوهابيين ، بل إن عبدالله بنفسه هو الذي قتل المتمرد مشاري في الرياض .



عبد الله بن علي ١٨٣٥ ـ ١٨٤٧

الامير الوهابي يعين عبدالله بن علي محافظاً لجبل شمر ١٨٣٥ :

ولم يكد فيصل يتولى عرش أسلافهفي الرياض حتى بادر إلى مكافأة مساعده المخلص عبدالله بأن جعله حاكماً على جبل شمر ، وجعل لقبه

محفيظ(١) ، وفوضه في إخضاع تلك الفرق الجنوبية من قبيلة عنيزه الكبيرة ، وأمده في نفس الوقت بالمال والرجال . وكانت المهمة الأولى لعبد الله على أية حال هي التغلب على بيت علي ، وبسرعة طردهم من حائل إلى قفار ، ومن هذه تولى شقيقه عبيد طردهم أيضاً .

عبدالله يفتح حيات وجوف الامير في القصيم :

وأخيراً لجأ أهل بيت علي إلى القصيم ، حيث كان لهم كثير من الانصار بين الأهالي . وطلب عبدالله مزيداً من عون امير الوهابيين ، فقدم له العون بشرط أن تصبح أية أرض جديدة يفتحها تابعة لولايته هو ، بل تابعة مباشرة لحكم الرياض . وبهذه المعونة استطاع عبدالله أن يجتاح القصيم ويستولي على قراه واحدة بعد الأخرى ، وكاد أن يبيد خصومه من بيت علي ، وأخيراً سلم هذه الأرض الجديدة حسب شروط تعاهدية لامير الوهابيين(٢) . وقد أصاب عبد الله بعض النجاح في مهمته المتعلقة بقبيلة عنيزة حين حرمهم من واحة حيات في الغرب ، وهي أكثر الاماكن غنىً بالمياه . كما أنه بدهاء شقيقه عبدالله الذي أرسله إلى الواحة الشمالية في جوف الامير كي يوجد بها الانقسام استطاع فرض سيطرته على المنطقة .

سياسة عبدالله في الداخل :

وكانت سياسة عبدالله الداخلية توصف بأنها لم تكن محبوبة من معظم رعاياه ، فقد أعلن أن الوهابية هي مذهب دولته ، وشجع الدعاة والمعلمين من الوهابيين . كما كان أيضاً يميل إلى محاباة قبائل البدو واستغلالها في

---

(١) ربما كانت الكلمة الحقيقة هنا « محافظ .. » لا « محفوظ .. » لانها هي التى تعنى المعنى المراد بها .. لكنها هكذا وردت في الاصل .

(٢) ربما استطعنا أن نستبعد هذه التفاصيل التى سبقت ونصفها بأنها غير تاريخية ، لكنها تعتمد فقط على روايات جمعها بالجريف بعد حدوثها بخمسة وعشرين عاما،وهى لا تتفق مع الرواية التى يذكرها واليه وهو أكثر دقة وأقدم عهدا . ويؤكد واليه على أى حال ، خدمات عبد الله في الاحساء ودوره في القضاء على مشارى .

كسر شوكة المدن والقرى ، وهو اسلوب اضطر ابناؤه من بعده بالضرورة إلى انتهاج عكسه تماماً . وقد بدأ قبل نهاية حكمه يبني مقراً جديداً في حائل خصصه لإقامته هو وذوي قرباه .

علاقة عبدالله بالوهابيين :

ويبدو أن عبدالله قد ظل حتى نهاية أيامه مخلصاً وقانعاً بأن يكون تابعاً للامير الوهابي فيصل ، فقدم له المساعدة سنة ١٨٤٣ ـبعد عودته من مصرـ ليستعيد سلطته في نجد . ويبدو أن الأمير لم يكن يأخذ منه جزية سوى هدية سنوية من الخيول .

علاقته بالقوات المصرية :

وربما لم يكن عبدالله على علاقة ودية بالمصريين فقد قيل إن حادثة الفرقة المصرية التي ضاعت في صحراء النفوذ حتى مات أفرادها جميعاً من الجوع والعطش ـومحتمل أنها إحدى الفرق التي كانت منسحبة من نجد سنة ١٨٤٠ـ قيل إن هذه الحادثة لم تكن عارضة لكنها كانت مدبرة بإحكام من جانب المحافظ بواسطة شقيقه عبيد . ومن المعتقد أن السويدي المدعو جورج اوغسطس ويليم الذي زار حائل سنة ١٨٤٥ ثم سنة ١٨٤٨ بعد وفاة عبدالله بسنة واحدة ، انما كان موفداً من قبل محمد علي باشا مصر ليتعرف على القوة السياسية الناشئة في جبل شمر ، بل ربما كان مكلفاً بهدف سياسي أكثر تحديداً .



طلال بن عبد الله ١٨٤٧ ـ ١٨٦٨

توسع إمارة جبل شمر في عهد طلال ١٨٤٧ـ١٨٥٥ :

وترك عبداالله أبناء ثلاثة هم طلال ومتعب ومحمد ، وكان أكبرهم طلال في العشرين من عمره حين مات أبوه . ولم يعارض أحد تولي طلال الإمارة وقد أفاد كثيراً من تأييد عمه المخلص عبيد وشقيقه متعب ،

وعلى عهده استمرت حدود جبل شمر في الامتداد والتوسع ، وقام بحملة من حملاته الأولى عبر خيبر فخضعت له وأرسل حاكماً لها من حائل . وحوالي سنة ١٨٤٨ انتهت مفاوضات سرية بإعلان من أهل القصيم ولاءهم المباشر لحائل بدلا من الرياض ، ففي حائل اعتاد أهل القصيم الفارون من طغيان الوهابيين أن يجدوا ملجأهم ، واضطر الأمير الوهابي إلى القبول بهذا الوضع على مضض بعض الوقت ، ونجحت عملياته العسكرية على تيماء أيضاً —وكان يقودها بنفسه— واستطاع بالتالي أن يوسع حدود إمارته من ناحية الغرب . وأكمل في سنة ١٨٥٥ العمل الذي بدأ على عهد أبيه في جوف الامير فاخضع هذه الواحة له وجعل عليها حاكماً من حائل يساعده ثلاثة حكام محليين عينهم بنفسه .

سياسة طلال في الداخل :

وكانت السياسة الداخلية التي انتهجها طلال سياسة تقدمية وسلمية . وكان معظم اعتماده على أهل المدن ، ووضع نصب عينيه أن يقلص نفوذ البدو الذين رفع أبوه من شأنهم كثيراً . وكان الناس في عهده آمنين على أرواحهم وممتلكاتهم في الطرق وفي القرى . وكانت سعادته القصوى تتمثل في بناء القصور والاسواق والمتاجر وشق الطرق وإقامة الحصون والقلاع ، كما فتح طلال أبواب إمارته للتجار الأغراب ، فاجتلب بعض التجار الشيعه —ولم يكن طلال وهابياً مخلصاً— من البصرة ومشهد علي ، وجاء أيضاً بتجار من المدينة واليمن ، ويقال أيضاً إنه حاول إغراء بعض اليهود والمسيحيين للإقامة في حائل لكنه فشل .

علاقات طلال بكل من الوهابيين والمصريين وتركيا وايران :

ورغم الحماية التي كان طلال يسبغها على اللاجئين والمتمردين على الوهابيين من أهل القصيم ، ورغم أن عاداته المنافية للدين كارتداء الحرير وتدخين التبغ كانت تثير حفيظة الوهابيين ، فان علاقته بسادته في الرياض ظلت ودية كما هي ، وكان طلال قد تزوج مؤخراً بابنة الامير

فيصل صديق أبيه ، وظل يقوم بزيارته السنوية للرياض حيث يقدم الهدايا المعتادة من الخيول بنفسه للأمير ، واعترف طلال في نفس الوقت بسيادة الباب العالي ، وأمر بالدعاء للسلطان في صلوات الجمع بمساجد حائل ، وزعم أن فتوحاته كلها باسم السلطان ولأجل المصالح العثمانية ، وهذا الموقف الذي كان طلال مرغماً عليه إلى حد ما نتيجة زيادة الاحتكاك بالأتراك في الغرب والشمال كان إشارة هامة إلى المصير الذي ستلقاه أسرة آل رشيد فيما بعد . فعلى حين أنه كان حريصاً على عدم توريط نفسه في مخطط عباس الأول والي مصر الذي كان يظن أن بوسعه ، اذا تحالف مع البدو في الشمال وتفاهم من الوهابيين في الجنوب ، أن يعلن استقلاله عن الباب العالي وسيادته على شبه جزيرة العرب ، فقد ظل طلال على علاقة ودية بهذا الباشا وبخلفه سعيد . لكنه كان يعرف من الوهلة الأولى أن أياً منهما أضعف من أن يقدم له أية حماية ضد اعتداءات الوهابيين أو الأتراك . كما كان لطلال علاقة وثيقة بعض الشيء بإيران ، وذلك أساساً على أمل أن يتحقق مشروع من أهم مشروعاته وهو تحويل طريق الحج والتجارة الذي يمر ببريده في القصيم إلى المرور بحائل .

موت طلال ١٨٦٧ :

وأثناء عودته من إحدى زياراته السنوية للرياض ، سقط طلال مريضاً بعلة خطيرة ، وخشي أن يفقد قواه العقلية ، ولعله قد فقدها بالفعل ، فانتحر بأن أطلق على نفسه الرصاص سنة ١٨٦٧ .



متعب بن عبد الله ١٨٦٧ ـ ١٨٧١

موت عبيد ١٨٦٩ :

وترك طلال عمه عبيد وإخوته متعباً ومحمداً وعدداً من الابناء أكبرهم بندر سنة ١٨٥٠ . ووقع الاختيار على متعب الذي تميزت فترة حكمه القصير وهي أربع سنوات فقط بنهايتها المؤسية وبموت العم العجوز عبيد بعد أن تقدمت به السن كثيراً في سنة ١٨٦٩ . وكان عبيد وهابياً مخلصاً ، ولكنه رغم ذلك ، ورغم طبعه الحاد فقد كان محبوباً إلى أبعد الحدود ، كما كان مشهوداً له بالقدرة والنفوذ حتى إن أحد المصادر يذكر أنه كان الحاكم الفعلي لإمارة جبل شمر منذ موت شقيقه عبدالله . وترك عبيد بعده ستة أبناء ، وخلف لهم ارثاً ضخماً من الاراضي بحائل ، والنخيل في جوف الامير ، ونصف العائد من حيات . لكن أكبر أبنائه أصيب بالجنون ـ وهو المرض الوراثي في العائلة ـ كذلك ظهرت إمارات مختلفة في الشذوذ والانحلال على أبنائه الباقين جميعاً عدا حمود الذي سيتردد اسمه كثيراً فيما بعد .

اغتيال متعب ١٨٧١ :

وكان متعب رجلا معتدلا وذكياً ، لكن دماثة خلقه لم تنجه من مطامح بندر وبدار ابني شقيقه طلال ، فاغتالاه في سنة ١٨٧١ على وجه التقريب ، وربما في خلال حكم متعب وجد الامير الوهابي عبدالله بن فيصل الذي طرده أخوه سعود من الرياض ملجأ في جبل شمر لأول مرة .



بندر بن طلال ١٨٧١ ـ ١٨٧٢

وبعد أن اغتصب بندر إمارة جبل شمر ، وتزوج بالأرملة الصغيرة التي تركها عمه القتيل ، وولدت له ابناً هو عسار يبدو أن غضب السماء كان يلاحقه لذلك ، فعصفت الكوليرا بالبلاد في ذلك اليوم ثم فقد عرشه وحياته أيضاً قبل أن تنقضي على ذلك سنة واحدة . ولجأ محمد ـ الأخ الوحيد الباقي على قيد الحياة لمتعب ـ إلى الرياض حيث عاش هناك زمناً قصيراً في حماية ابن سعود ، لكنه عاد أخيراً إلى حائل بعد وساطة الوهابيين ، وظل هناك يؤدي العمل الذي كان يؤديه وهو الاشراف على طريق الحج من بغداد لمكة تحت حكم ابن اخيه الامير . ولم يتأخر الصدام بين هذين الغريمين طويلا . وفي مشاجرة وقعت خارج أبواب حائل كان واضحاً أنهم لم تكن مدبرة من قِبَل محمد . وفي وجود بدار وحمود اللذين صحبا بندر إلى هذا اللقاء طعن محمد بندراً طعنة قاتلة ، وفر بدار وانحاز حمود إلى جانب محمد الذي كان من الواضح أنه يناصره من البداية ، أما أهل حائل فقد ظلوا سلبيين كأن الأمر لا يعنيهم في شيء .



محمد بن عبد الله ١٨٧٢ ـ ١٨٩٧
التاريخ العام لجبل شمر أثناء حكم محمد بن عبد الله ١٨٧٢ ـ ١٨٩٧

تولي محمد ومقتل أبناء طلال ١٨٧٢ :

وهكذا انتقلت السلطة إلى محمد الابن الثالث الباقي على قيد الحياة من أبناء عبدالله أول محافظ لجبل شمر ، وكأن القدر شاء ألا تنتقل السلطة إلى جيل قبل أن يفنى الجيل الذي قبله . وكان اول ما عمله محمد فعلاً يدل على تعطشه للدم ، فباستثناء عسار الطفل الصغير ابن بندر ونايف ابن طلال

أمر بقتل جميع أبناء طلال من الذكور بمن فيهم بدار الذي ألقى القبض عليه ، كما قتل عبيدهم الذين كانوا معهم وعدداً كبيراً آخر من الرجال الذين يخشى منهم ، وبينهم حسبما تقول الروايات أربعة ابناء لأخت محمد من زوجها جبار أمر بقتلهم جميعاً يوم توليه الإمارة .

استقبال الامير الوهابي السابق ١٨٧٣ :

وفي سنة ١٨٧٥ طرد الامير الوهابي عبدالله بن فيصل مرة أخرى من الرياض على يد شقيقه سعود فالتمس اللجوء في إقليم شمر ، لكن محمداً ـ رغم أنه أجاب كل مطالبه وأمن له كل احتياجاته ـ رفض السماح له بالاقتراب من حائل . وتزوج عبدالله بنورا أخت محمد المحببة اليه ، وبعد موتها تزوج بابنة من بنات عبيد ، وهكذا ارتبط بأسرة آل رشيد برباط مضاعف من المصاهرة .

★ ★ ★

فتح نجد الجنوبية على يد أمير شمر
١٨٧٧ ـ ١٨٩١

انتهى في هذه الفترة الصراع الذي بدأ منذ مدة للسيطرة المطلقة على نجد ، والذي ذكرناه بالتفصيل في الفصل السابق بانتصار محمد ، وسنذكر فقط الحقائق التي تجعل روايتنا للاحداث هنا متماسكة دون ثغرات .

الانتقاص الاول من املاك الوهابيين ١٨٧٧ ـ ١٨٨٤ :

في ١٨٧٧ أغار ابن رشيد على قبيلة عتيبة التي يفترض أنها كانت خاضعة للرياض ، وبعدها اقتطع إقليم سدير وجزءاً من القصيم من أملاك الوهابيين ، وتأكد استيلاؤه على هذه الأقاليم التي فتحها باتفاقية قصيرة الأجل عقدت مع الوهابيين في سنة ١٨٨٢ . وفي سنة ١٨٨٨ فشلت محاولة للوهابيين لاستعادة إقليم سدير ، وكان استرجاعهم لبريدة على

يد القائد الوهابي محمد بن سعود في سنة ١٨٨٥ موقتاً فقط . ومنذ سنة ١٨٨٤ فصاعداً أصبحت الغلبة في ميدان القتال من نصيب أمير جبل شمر.

القضاء الكامل على الدولة الوهابية واخضاع القصيم ١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٨٧ انتهز محمد فرصة وجود انقسام عائلي في الرياض ليستولي على عاصمة الوهابيين وليحمل معه الأمير عبدالله حيث أبقاه مدة عامين سجيناً في حائل ، وجعل على الرياض حاكماً من شمر . وفي سنة ١٨٨٨ لقي محمد بن سعود ، أكثر أعضاء اسرة آل سعود عملا ونشاطاً مصرعه في الخرج مع شقيقين له . وفي سنة ١٨٩٠ نجح عبدالرحمن -الأخ الأصغر للامير الوهابي السابق- في استعادة الرياض ، وحاول محمد استرجاع المدينة بضربها بالمدافع لكنه فشل . وفي نهاية نفس السنة تقريباً تكونت جبهة متحالفة ضد ابن رشيد من الوهابيين وأهل القصيم وعدد من قبائل البدو ، وفي مارس او إبريل سنة ١٨٩١ استطاع أمير شمر أن يقضي على هذا التحالف بعد المعركة الشهيرة التي تعرف بمعركة بريده أو ميلده ، ثم وقعت عنيزه -التي ظلت حتى ذلك الحين تقاوم عمليات ابن رشيد ضدها صامدة لقصفها بنيران المدافع- بين يدي الامير المنتصر ، ودمرت مدينة الرياض ، وسادت سلطة محمد بن عبدالله مطلقة على وسط الجزيرة كلها وظلت هكذا حتى نهاية حياته .

★ ★ ★

علاقة محمد بن عبد الله بالاتراك ١٨٧٢ - ١٨٩٧



محاولة تركية لاقامة موقع تركي في جوف الامير ١٨٧٢ - ١٨٧٤ :

في سنة ١٨٧٢ وعقب تولي محمد إمارة شمر مباشرة ، هاجمت قوة تركية صغيرة تضم عدداً من الجنود السوريين والمغاربة غير النظاميين مدينة جوف الأمير في أقصى الشمال من معان ، واستطاعت الاستيلاء عليها

دون مقاومة ، وسارع الامير إلى المدينة ودخل في مفاوضات مع قائد القوة التركية ، وتم الاتفاق أخيراً على أن تبقى جوف الامير تابعة لإقليم شمر بشرط أن يدفع ابن رشيد عنها جزية سنوية قدرها ١٥٠٠ مجيدي للسلطان ، وأن يقبل وجود قائمقام تركي وحامية عسكرية فيها .

وفي سنة ١٨٧٤ تمرد الجنود المغاربة الذين يشكلون الحامية في جوف الأمير لعدم تسلم رواتبهم فسلموا المكان لابن رشيد الذي ضمه مرة أخرى إلى حكمه المباشر ، وجعل معظم جنود الحامية من رجال حرسه الخاص ، وكان محمد يهتم بمدينة جوف الامير اهتماماً خاصاً فقد جرحت قدمه أثناء محاولة الاستيلاء عليها للمرة الأولى خلال حكم أخيه طلال .

الامير يغزو حدود سوريا ١٨٨٠ :

وفي سنة ١٨٨٠ اقتحم محمد إقليم حوران متوغلا حتى بصرى على بعد سبعين ميلا فقط من دمشق ، وكانت نتيجة هذه الغزوة إعادة الاتفاق مع القبائل الجنوبية واحتفل محمد بتوقيع هذه الاتفاقية احتفالا كبيراً .

علاقات وثيقة بتركيا ، واحتكاك متقطع على حدود الاحساء . ١٨٨٥ — ١٨٩٧ :

ويبدو أن علاقة الامير محمد قرب نهاية حكمه قد أصبحت أكثر تقارباً وأكثر مباشرة بجيرانه الأتراك ، وربما كان هذا نتيجة الاهتمام المتزايد به من جانب الاتراك الذين حاولوا دون شك الاستفادة من قوة ابن رشيد المتزايدة وتوسعه المطرد في وسط الجزيرة . وفي سنة ١٨٨٦ وبعد أن تم تمهيد الطريق بارسال الهدايا في العام الاسبق جاءت بعثة تركية لزيارة حائل ، ولتحصل على موافقة الامير باقامة مسجد ومدرسة تابعين للحكومة العثمانية فيها . وقد رد الامير أفراد البعثة محملين بالهدايا لكنه لم يجبهم إلى ما طلبوه منه . وفي ١٨٨٨ حين بدأ نجاح ابن رشيد في نجد الجنوبية يلفت النظر حرص على أن يبلغ انتصاراته للسلطان اولا بأول ،

مع زعمه أنه يقوم بهذه الفتوحات باسم المصالح التركية ، وفي نفس السنة وردت أخبار بأن ابن رشيد يعتزم غزو عمان المتصالحة بتأييد من الحكومة التركية ولكن ثبت أنها شائعات لا تقوم على أساس ، وقد أنكر الباب العالي وجود أية خطط على هذا المستوى .

وكما ذكرنا في تاريخ الأحساء ، كانت تقع احتكاكات أحياناً نتيجة المشكلات القبلية والإغارات المتبادلة بين أمين شمر والسلطات التركية في الأحساء .

★ ★ ★

حكومة محمد بن عبد الله وشخصيته ، ثم موته

قمع مقاومة قبائل البدو على يد الامير محمد :

في كل سنة تقريباً طوال حكم الأمير محمد كان لا بد أن يقوم بغزوة لإحدى قبائل البدو المتمردة ، وقد عانت من سطوته قبائل عنيزة وعتيبه ومطير كل بدورها . وفي إبريل ١٨٨٥ –وانتقاماً لبعض المظالم التي اوقعت بعدد من رعاياه– أغار ابن رشيد بالفعل على عسكر لقبيلة عجمان ونهبه بعيداً عن عاصمته هناك قريباً من الخليج عند عودته في وادي الميه ، غير ان عجمان نجحت –بمطاردتها لحملة ابن رشيد– أن تسترد بعض الخيول التي استولى عليها . وقد أشرنا بالفعل إلى المشكلات والمصاعب التي واجهت الأمير في ١٨٩٤ و ١٨٩٥ من القبائل العربية على حدود الأحساء .

خلق الامير محمد وشخصيته :

ويبدو أن تاريخ أعمال محمد بن رشيد يثبت أنه كان رجلا ذا طاقة وقدرة غير عاديتين ، لكن كثيراً من الفضل يرجع دون شك إلى التأييد والتعضيد اللذين كان يلقاهما من ابن عمه حمود بن عبيد . وقد تركت شخصية هذا الرجل في الزوار الاوربيين الذين زاروا حائل انطباعاً أعمق

من شخصية الأمير نفسه ، فخلال حكم محمد زار نجد الشمالية كل من السيد و. س. والسيدة آن بلنت كذلك الفرنسي س. هيوبر و س. م. دوتي الذي كان بلا شك أعظم مكتشفي وسط الجزيرة وأكثرهم دقة وتفهماً .

وكان محمد أقرب إلى القصر منه إلى الطول ، لكنه كان قوياً متين البنيان ، وكانت لحيته مهذبة على الطريقة التي نسميها الأسبانية .

تاريخه الشخصي وموته في ١٨٩٧ :

وقد تزوج الامير محمد مرات كثيرة ، لكن أكثر ذلك كان لاعتبارات سياسية فقد ارتبط مثلاً بالأسرة الحاكمة في بريدة بزواجه بشقيقة حسان بن مهنا لكن هدفه الأول بلا شك كان تكوين أسرة كبيرة له ، غير أنه لم يستطع تحقيق هذا الامل ومات بلا ابناء في سنة ١٨٩٧ وهو مصير ربطت الخرافة الشعبية بينه وبين تلك القسوة التي ذبح بها أبناء أخيه طلال .



عبد العزيز بن متعب ١٨٩٧ ـ ١٩٠٦
وضع عبد العزيز في بداية حكمه

كان عبدالعزيز هو أقرب الشبان إلى قلب الامير السابق ، وهو ابن أخيه القتيل متعب ، فتولى امارة شمر عقب وفاة عمه ، ولا نعرف شيئاً عن موقف حمود وابنائه من هذا الحدث ، وكان عسار بن بندر قد لقي حتفه من قبل . وكان وضع عبدالعزيز صعباً في البداية بالنظر إلى إتساع الأقاليم التي كان عليه أن يحكمها وقلة مواردها المالية في نفس الوقت ، ويبدو أنه قد زاد هذه الصعوبات بظلم الرعايا البعيدين الذين كان يشك في ولائهم ، ويتجاهل ابن عم أبيه الرجل ذي النفوذ حمود ، وبمعاداة الشيخ مبارك شيخ الكويت . وكان النزاع مع الكويت قد بدأ بخلاف

حول ولاء بعض القبائل ، وزادت من حدته المعونات التي قدمها أمير شمر لبعض أبناء إخوة شيخ الكويت المتمردين عليه والمقيمين في حائل . وكان هذا النزاع يلحق الضرر بشكل خاص بمصالح عبد العزيز الذي كان يعوّل كثيراً على شخصية الشيخ مبارك المرموقة ونفوذه الواسع وخدماته . كما ان اغلاق ميناء الكويت في وجه ابن رشيد جعل اعتماده كله قائماً على جيرانه الأتراك ، غير الموثوق بهم للحصول على السلاح والعتاد والذخائر . وكانت نتيجة ذلك أن ضاعت خلال عدة سنوات كل نجد الجنوبية والقصيم ، وخضع ابن رشيد نفسه مرغماً للاعتماد المطلق على الباب العالي .



انحلال سلطة أمير شمر تدريجيا على يد الوهابيين ١٨٩٩ ـ ١٩٠٦

وفي ١٨٩٩ ، وبتحريض على ما يبدو من جانب الأتراك ، نهج ابن رشيد منهج التهديد ازاء شيخ الكويت . وفي العام التالي بدأت الحرب السافرة بين أمير شمر وعبدالرحمن زعيم الاسرة الوهابية الحاكمة الذي ظل فترة طويلة لاجئاً عند شيخ الكويت ، وغدا الآن يحصل منه على المساعدات بصورة علنية .

شيخ الكويت يغزو القصيم والوهابيون يعيدون فتح نجد الجنوبية . ١٩٠٠ ـ ١٩٠٣ :

ان سير حملة الوهابيين ضد جنوب نجد موجود بالتفصيل في الفصل الخاص بتاريخ تلك البلاد . وهنا يكفي فقط أن نشير إلى أهم أحداثها . في أغسطس ١٩٠٠ ترك الزعيم الوهابي الكويت إلى الداخل وأصاب شيئاً من النجاح ، وبعدها بشهرين أو ثلاثة استطاع الأتراك بجهد شديد بعد أن كان ابن رشيد قد طلب عونهم أن يحولوا دون حدوث المعركة بين

قوات ابن رشيد وقوات شيخ الكويت على حدود العراق . وفي أوائل سنة ١٩٠١ تقدم شيخ الكويت داخل القصيم يصحبه عبدالرحمن بن سعود ، ووضح ان وضع ابن رشيد أصبح غاية في الدقة والحرج ، لكنه استطاع في ١٧ مارس أن يوقع هزيمة ساحقة بالغزاة في معركة صريف . وقُتل من قوات ابن رشيد سالم ومهنا ابنا حمود بن عبيد . وفي خريف السنة نفسها بادر ابن رشيد إلى مهاجمة الكويت التي سادها الفزع في شهر سبتمبر لإغارة أنصاره على ضواحيها . ومن نوفمبر ١٩٠١ إلى يناير ١٩٠٢ ثار القلق بعد تحرك ابن رشيد إلى صفوان بالقرب من البصرة حيث ظل بها على تراسل منتظم مع المسئولين الأتراك وقد توقع الجميع هجوماً على الكويت . واتخذت السلطات البحرية البريطانية كل الإجراءات الممكنة للدفاع عن شيخ الكويت ضد أي عدوان يتعرض له ، وفي النهاية رجع ابن رشيد إلى بلده مرة أخرى عن طريق آبار لينه .

وفي الوقت الذي تقدم فيه ابن رشيد إلى صفوان استعاد ابن سعود الرياض وإقليمي الخرج وحريق ، واستنجد ابن رشيد بالوالي التركي في البصرة وبالصدر الأعظم في القسطنطينية ، وارغمهما على معاونته زاعماً أن الحكومة البريطانية تؤيد المعارضين وتقدم لهم المساعدات . وقد أصبح إقليم القصيم الآن مؤيداً للوهابيين بشكل عام ، وفي نوفمبر سنة ١٩٠٢ —وبعد أن قام ابن رشيد بمحاولة لغزو نجد الجنوبية— مني أمير شمر بخسارة كبيرة ، فقد ضاع منه إقليم الخرج كله ، باستثناء سدير ووشم ووادي السير . وفي بداية ١٩٠٣ كان أمير شمر ما زال يسيطر على زلفى في سدير ، ولكن في نهاية نفس السنة كان الوهابيون قد استردوا المدينة ، وفي فبراير سنة ١٩٠٤ —وبعد هزيمة قوات شمر في وادي السير— كان الوهابيون قد استرجعوا نجداً الجنوبية كلها .

الوهابيون يستعيدون القصيم ١٩٠٤ :

وواصل الوهابيون انتصاراتهم بالتقدم مباشرة إلى القصيم ، وفي ٢٢ مارس سنة ١٩٠٤ حدثت معركة حاسمة خارج اسوار عنيزه هزمت

فيها قوات شمر التي كان يقودها ماجد بن حمود ، وتكبدت خسائر كثيرة من بينها عبيد بن حمود شقيق القائد . وبهذه الهزيمة ضاع القصيم كله من ابن رشيد .

هزيمة الاتراك وابن رشيد في القصيم ١٩٠٤ :

وأرسل الأتراك بعدئذ قوات من العراق لمساعدة ابن رشيد في استعادة القصيم ، لكن القوات المتحالفة هزمت في موقعتين حاسمتين : الأولى في بكيرية بتاريخ ١٥ يوليو ، والثانية في قصر ابن عقيل في ٢٧ سبتمبر . وتراجع ما بقي من القوات التركية إلى قحافة .

الاحتلال التركي للقصيم والتمرد في الداخل على ابن رشيد . ١٩٠٥ – ١٩٠٦ :

وفي إبريل سنة ١٩٠٥ ومن جرّاء التسوية التي عقدها الباب العالي مع ابن سعود ، قامت قوات تركية بعضها جاء من العراق وبعضها من الحجاز باحتلال القصيم دون مقاومة . وتمت المهزلة حين وضعت القصيم تحت إدارة اسمية تابعة لتركيا . وفي يونيو ١٩٠٥ تمرد سلطان بن حمود بن عبيد على سلطة قريبه أمير شمر ، وواضح أنه استطاع الاستقلال بجوف الامير في أقصى الشمال بموافقة أهلها وأهل القبائل المجاورة لها ، كما شكا من ابن رشيد إلى سلطان تركيا دون جدوى .

موت الامير عبد العزيز بن متعب ١١ ابريل ١٩٠٦ :

وبعد هدنة قصيرة ، بدأ الوهابيون ، بعد أن شجعهم ضعف الحامية التركية في القصيم ، يعدون عدتهم لمواصلة الهجوم على ابن رشيد . وكان أمير شمر في ذلك الوقت مرابطاً على حدود القصيم ربما ليحقق هدفاً مزدوجاً ليمنع التحرك شمالا ضد حائل ولكي يوقع بالعدو إذا لاحت له فرصة مواتية . وفي ديسمبر سنة ١٩٠٥ كان ابن رشيد في قحافة ، وفي مارس ١٩٠٦ كان ثمامي في إقليم الباطنة ، وفي ١١ إبريل ١٩٠٦ باغته الوهابيون وقتلوه في الرويضه وهي مكان لا يبعد عن الموقع التركي أكثر

من ثلاثين ميلا . وقبل مصرعه بزمن قليل كان الامير عبدالعزيز قد طلب وساطة شيخ الكويت والتمس منه أن يعتبره ابناً من أبنائه ، وأن يتوسط باسمه عند الوهابيين في طلب الصلح .

★ ★ ★

شخصية الامير عبد العزيز بن متعب

اكتنف الغموض شخصية عبدالعزيز الحقيقية ، ويعود بعض السبب في ذلك إلى العداء الذي كان قائماً بينه وبين شيخ الكويت ، مما أدى إلى عدم وصول أخبار صحيحة فيما بعد عن أحوال جبل شمر وأحداثه إلى السلطات السياسية البريطانية في الخليج . أما الانطباع الأول الذي خرج به مسئولو بريطانيا السياسيون من لقائهم بالأمير فهو أنه كان متهوراً ومندفعاً وحاد الطباع ، ويفتقر إلى التبصر ورجاحة الرأي ، وكانت إدارته شديدة القسوة تشجع الناس على الخروج عن طاعته والولاء له . لكن نتيجة التحريات التالية عدلت عن هذا الاعتقاد وكشفت عن أنه كان في النهاية ضحية سوء الحظ لا الحماقة . أما شجاعته وكفاءته العسكرية كقائد رغم قلة انتصاراته في ساحات القتال ، فلم تكن قط موضع سؤال.

★ ★ ★

علاقة عبد العزيز بن متعب بالحكومة البريطانية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٦

محاولات امير شمر الاتصال بالحكومة البريطانية ١٩٠١ :

قام عبدالعزيز بمبادرة للاتصال بالحكومة البريطانية في مايو سنة ١٩٠١ وذلك بعد غزو شيخ الكويت وابن سعود للقصيم وإثر إحساسه بخيبة الأمل لسلبية الأتراك وعدم قيامهم بدور فعال في مناصرته . واستهوته المزايا التي يتمتع بها شيخ الكويت في ظل الحماية البريطانية .

وكانت المناسبة التي أتاحت له ذلك رسالة تلقاها من السلطات السياسية البريطانية تطلب فيها أن يعمل على تسوية خلافه مع الشيخ مبارك ، ورد الأمير على الرسالة بخطاب فيه بعض الغطرسة ، لكنل أبلغ وكيله في البصرة في الوقت نفسه بأن هذا الرد لا يمثل رأيه تمثيلا صحيحاً ، وأنه يود أن يبلغ مستر راتيسلو القنصل البريطاني هناك رغبته في تنمية علاقة ودية مع الحكومة البريطانية ، واقترح أن تتولى الحكومة البريطانية إمداده بالاسلحة والذخائر على نفقته ، وان تعزل عدوه شيخ الكويت وتجعل ابن شقيقه بدلا منه . وسيتعهد الأمير من جانبه بعدم التدخل في أمور الكويت ويضمن أيضاً سلامة المنشآت البريطانية المتمثلة في الخط الحديدي عبر جزيرة العرب .

أوامر حكومة صاحب الجلالة بالنسبة لهذا الموضوع ونتائجها :

وكانت حكومة الهند رغم اعتقادها بأن مطالب الأمير هذه لا يمكن إجابتها حريصة على الإبقاء على الصلات الودية معه . فاقترحت ارسال ضابط بريطاني إلى العقبة للالتقاء بالأمير والتأكد بشكل خاص من آرائه وطبيعة شخصيته ، وكان من المرغوب فيه وقتذاك أن تقوم السلطات البريطانية مستقبلا بتقييد شيخ الكويت عن مواصلة هجماته على أمير شمر . واستخدام وساطتها لمنع اعتداءات الأتراك على نجد . غير أن حكومة صاحبة الجلالة خشيت أن يؤدي إرسال هذا الضابط إلى إثارة مشكلات مع الحكومة التركية ، فان أي شكل من أشكال الحماية لا بد أن يعني التزاماً باستخدام القوة ، وهذا شيء لم تكن السلطات البريطانية تود أن تلجأ اليه . وهكذا لم يتخذ أي عمل ، وبعدها بعدة شهور ازداد أمير شمر كما رأينا خضوعاً لمشيئة الأتراك بل انضم اليهم مهدداً بغزو الكويت ، وبعدها لم يتم أي اتصال بين الأمير عبدالعزيز والحكومة البريطانية .

متعب بن عبد العزيز ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧

مكانة متعب عند توليه الامارة ابريل ١٩٠٣ :

وخلف الأمير عبدالعزيز أكبر أبنائه متعب ، وكان شاباً في الثامنة عشرة من عمره ، لكن جرأته وكرمه والغاءه الضريبة عن سنة كاملة ، وإعادة الرواتب التي كان أبوه قد قطعها ، أو أنقصها ، كل هذه الأعمال حببت فيه رعاياه منذ أول عهده بالحكم ، لكن إمارة جبل شمر كانت قد أصبحت فقيرة فقراً أعجز الامير الشاب عن أن يجد الجزية السنوية التي جرت العادة على تقديمها لسلطان تركيا وهي ثمانون حصاناً .

علاقته بابن سعود وشيخ الكويت :

وعقب موت عبدالعزيز ، ظل الوهابيون يواصلون انتصاراتهم على من خلفه ، وفي يونيو سنة ١٩٠٦ وصل ابن سعود بقواته خارج أسوار حائل نفسها يطلب الجزية ، لكنه لم يستطع أن يستولي على العاصمة ، وأرغمته قلة المؤن على الانسحاب من الإقليم كله . أما شيخ الكويت الذي كان قد وافق على ان يتوسط لدى الامير الوهابي باسم أمير شمر الراحل عبدالعزيز ، فقد استجاب للرجاء الملح من جانب أمير شمر الجديد وقريبه المسن حمود وعدد كبير من رجالات العائلة نفسها ليواصل مسعاه ، وأخيراً وفي يوليو سنة ١٩٠٦ ، وبعد محادثات طويلة بين الاطراف المعنية أو وكلائهم في القصيم ، تم التوصل إلى اتفاقية دائمة للسلام على أن يحتفظ كل أمير بما في يده وقت ذاك .

علاقته بالباب العالي :

كان الاتراك يعطفون على الأمير متعب حين توليه الإمارة ، لكن وضعهم في القصيم كان أضعف من ان يتيح لهم تقديم العون الفعال اليه ، واكتفى السلطان بتعزية الامير الشاب بموت والده ، والاعتراف به خلفاً له ، ووعده بعقاب قتلة أبيه واستمرار دفع الراتب الذي كان مخصصاً

له . وفي سبتمبر سنة ١٩٤٦ وصل طالب باشا أحد رجال السلطان إلى حائل ومعه حامية تركية انسحبت من القصيم ، وانتهى وجود النفوذ التركي في نجد تماماً .

قتل متعب بن عبدالعزيز يناير ١٩٠٧ :

وفي الاسبوع الأول من يناير سنة ١٩٠٧ أضيفت جريمة جديدة إلى السجل الدموي لعائلة آل رشيد . فقد عاد إلى حائل سلطان بن حمود الذي كان قد تراجع إلى جوف الامير في سنة ١٩٠٥ ، واستطاع إقناع الامير متعب بأن يشترك معه في رحلة صيد ، وخلال هذه الرحلة غدر به سلطان وأطلق عليه الرصاص بنفسه فأرداه قتيلا . وفي نفس الوقت قام أخوا سلطان سعود وفيصل وابن عمه ضاري بقتل مشعل ومحمد أخوي الأمير وقتل طلال بن نايف ابن عم الأمير . ولدى عودتهم من هذا المعسكر ذكر القتلة أن طلال قتل ابناء عبدالعزيز وأنهم انتقموا لهم . لكن أحداً لم يصدق روايتهم . كما قتل أيضاً طفل لطلال بن نايف . وبهذه الجرائم لم يبق من خلف عبدالله بن علي أول محافظ لجبل شمر رجل على قيد الحياة إلا طفل لعبدالعزيز بن متعب استطاعت أمه أن تخرج به إلى المدينة للحج . كذلك فعلت بالإناث من عقب عبد الله ، فهاجرن جميعاً أو طردن إلى المدينة ، ولحق بهن أيضاً حمود بن عبيد أكبر أعضاء أسرة آل رشيد سناً فوصل المدينة في يوم ٧ إبريل . وكان حمود قد عاش متقاعداً في حائل طوال حياة عبدالعزيز الذي لم يكن يوافق على سياسته ، ولم يكن هو بدوره يلتمس مشورته ، لكن إحدى بناته تزوجت بعبدالعزيز وأنجبت الامير متعباً وإخوته ، ويبدو أن الرجل المسن قد أثقل قلبه الحزن لمقتل أحفاده بأيدي أبنائه .

سلطان بن حمود ـ ابتداء من ١٩٠٧

كان موقف سلطان بعد توليه الإمارة متسماً بالخضوع لابن سعود الذي حاول غير مرة أن يقيم معه علاقات طيبة . ويبدو أن الحكومة التركية لم تعترف به خلفاً لمتعب ، لأنها قطعت الإعانة التي كانت تدفعها لأسلافه ، وقد قام سلطان بمحاولتين للاتصال بالحكومة البريطانية عن طريق شيخ الكويت لكن أحداً لم يعن بالرد عليه (١٩٠٧) .



ملحق رقم (٢)
تاريخ مستقل لاقليم القصيم
التاريخ المبكر للقصيم

ان روايتنا للاحداث في وسط الجزيرة في الفصل السابق والملحق الخاص به لا تترك الا القليل فقط إلى جانب التفاصيل الداخلية في العرض الحالي المستقل لتاريخ القصيم .

ويبدو أن القصيم كان من اوائل الاقاليم التي فتحتها الدولة الوهابية الناشئة في نهاية القرن الثامن عشر ، لكننا لا نعرف تفاصيل الطريقة التي تم بها احتلال هذا الاقليم أو ضمه إلى أملاك الوهابيين .



القوات المصرية تدخل القصيم ، ١٨١٥ ثم تحتله ١٨١٧ ـ ١٨٢٤

أشرنا من قبل في مكان آخر إلى دخول طوسون باشا وقواته المصرية إلى القصيم في سنة ١٨١٥ ، والصلح الذي عقد بعد ذلك بينها وبين الوهابيين ، كما ذكرنا بالتفصيل أيضاً احتلال القوات المصرية لهذا الإقليم في سنة ١٨١٧ إلى سنة ١٨٢٤ . ويستدل من مظاهر التأييد التي قوبلت بها قوات طوسون باشا من قبل بعض وجهاء القصيم في سنة ١٨١٥ إلى أن جانباً من الاهالي كان ساخطاً على الحكم الوهابي آنذاك ، لكن حجيلان أقوى زعماء القصيم ظل مخلصاً لابن سعود ولم يكن على اتصال بالمصريين . وكانت أهم العمليات التي قامت بها حملة إبراهيم باشا في القصيم هي حصارها الفاشل للرسّ ، واستيلاءها على خبرة وعنيزة واحتلال بريدة دون ان تقيم فيها . ويبدو ان معظم القوات المصرية قد انسحبت من القصيم في سنة ١٨١٩ ، وهي السنة التي مر فيها الكابتن سادلير بعنيزة والرسّ كمبعوث سياسي من حكومة الهند لمقابلة إبراهيم باشا . لكن بعض هذه القوات بقي كما يبدو حتى سنة ١٨٢٤ حين طردها الاميرالوهابي فيصل بن تركي عقب توليه الإمارة .

الوهابيون يعيدون فتح القصيم عن طريق محافظ جبل شمر حوالى سنة ١٨٣٥

لا نعرف شيئاً عن الوضع في القصيم خلال السنوات التي أعقبت انسحاب القوات المصرية منه مباشرة ، ولكن من المحتمل أن الإقليم كان مستقلا تماماً آنذاك . وحين جعل الامير الوهابي فيصل عبد الله بن علي أول حاكم من آل رشيد في جبل شمر وعلى حكم القصيم أيضاً في سنة ١٨٣٥ ، كان أهل القصيم يناصرون بيت علي ، وهم خصومه الألداء الذين كانت لهم السيادة في الإمارة الشمالية حتى ذلك الحين . وكانت النتيجة النهائية لهذا الصراع هي إخضاع القصيم على يد عبدالله بن علي الذي سلمه لسيده أمير الوهابيين . ويبدو أنه خلال هذه الفترة خرجت تلك الحملة المشئومة من عنيكسة لمهاجمة أمير حائل ، ومنيت بهزيمة قاسية على يد شقيقه علي .

★ ★ ★

احتلال القوات المصرية للقصيم ١٨٣٧ ـ ١٨٤٢

لقد ذكرنا الاحتلال الثاني من جانب القوات المصرية للقصيم كما ذكرنا الاحتلال الأول ، في مكان آخر . وقد بدأ سنة ١٨٣٧ على وجه التقريب حين ارسل المصريون بعض قواتهم إلى نجد لمعاونة خالد بن سعود الذي ابرزوه كمطالب بامارة الوهابيين منافساً لفيصل بن تركي . ومن القصيم بذل خالد محاولة فاشلة ـ بعد أن كان عبدالله بن ثنيان قد عزله هو أيضاً عن السلطة ـ لاستعادة نجد الجنوبية في سنة ١٨٤٢ . ومن القصيم أيضاً بدأ الأمير السابق فيصل بعد أن عاد من سجنه في مصر مسيرته الظافرة إلى الرياض سنة ١٨٤٣ . ولا يمكننا أن نحدد على وجه الدقة تاريخاً مضبوطاً لانسحاب آخر حامية مصرية من القصيم ، ولكن لا بد أن هذا قد حدث بعد ربيع سنة ١٨٤٢ لأن بعض الجنود المصريين كانوا موجودين برفقة الأمير خالد في الأحساء وقتذاك .

الفترة من ١٨٤٢ الى ١٨٦٢

وخلال السنوات القليلة الاولى التي أعقبت انسحاب القوات المصرية ، يبدو أن أهل القصيم تعاونوا مع الوهابيين لإعادة النظام إلى نجد ، وكونوا منهم فرقاً عسكرية وواظبوا على دفع الجزية السنوية بانتظام لحكومة الوهابيين .

تمرد القصيم على الوهابيين ١٨٤٨ ثم إخضاعه :

وفي ١٨٤٨ أقدم أهل القصيم الذين جبلوا على معارضة كل سلطة جديدة على تحويل ولائهم في أعقاب مفاوضات سرية من الرياض إلى حائل . وقد قبل الأمير الوهابي هذا التحول في البداية ، وتقبل التبرير الذي قدمه نائبه في حائل ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى عمد الأمير إلى سياسة الإخضاع بالقوة التي كان أهل القصيم قد ساعدوه على تنفيذها في نجد الجنوبية من قبل . وكانت بريدة وهي أصغر من عنيزه وأقل شأناً هي أول مكان تعرض للإخضاع . وبعد أن قطع الوهابيون طريق تجارتها تلهفت المدينة على الصلح ، عند ذلك دعا أمير الوهابيين بعض أعضاء الاسرة ذات السيادة فيها —وهي أسرة بني عليان— لمناقشة شروط الصلح في الرياض ، لكنه أمر باعدامهم بمجرد وصولهم وارسل ابنه عبدالله مباشرة بجيش إلى القصيم ، واستسلمت بريدة التي بوغتت بهذا العمل ، وتم تعيين رجل وهابي متعصب من الرياض يدعى مهنا حاكماً عليها .

نجاح ثورة عنيزة على الوهابيين ١٨٥٣ :

وليس في وسعنا تحديد تاريخ دقيق لهذه الأحداث أو لضم عنيزة التي كان يحكمها في سنة ١٨٥٢ جلوى شقيق الأمير ، ولكن في سنة ١٨٥٣ ثار أهل عنيزة على طغيان الوهابيين الذي لم يكن محتملا ، وكان يقودهم يحيى الذي كان ابنه عبدالله شيخاً في ذلك الوقت ، وبهدوء تام ، ودون

إراقة الدماء نقل الثائرون جلوى إلى بريدة . وسار أمير الوهابيين مباشرة من الرياض إلى عنيزه ، ولحق به عند أسوارها محافظ جبل شمر لكن قواتهما المشتركة لم تستطع أن تنال شيئاً من المدينة العنيدة التي كانت قادرة على الاكتفاء الذاتي بمحصول حقولها ونخيلها داخل أسوارها . وتقول إحدى الروايات إن شريف مكة استطاع إقناع الوهابيين برفع حصارهم عنها ، فقد كانت مصالح الشريف تتفق مع بقاء عنيزة مستقلة عن نفوذ الوهابيين ، وكان شيخ عنيزة هو الذي طلب وساطته .

ادارة الوهابيين للقصيم ١٨٥٢ – ١٨٦٢ :

ولعدة سنوات بعد هذه الحملة الفاشلة انشغل الوهابيون بمطاردة بدو قبائل حارب وعتيبة المناصرة لعنيزة ، وبمد حدود بريدة ، قاعدتهم في القصيم ، وتوسيعها بهدف عزل عنيزة ومحاصرتها . وكان مهنا الحاكم الوهابي في بريدة طاغية قاسياً ، وكان يعمل على تدمير روح أهل القصيم بارسالهم في حملات عسكرية عديدة لمصلحة الوهابيين . وقد هاجم سنة ١٨٥٦ قافلة حجاج إيرانيين هجوماً جعل الحج من إيران عبر الجزيرة يتوقف تماماً سنتين متواليتين . ونتيجة أعماله هذه فر رجل من بريدة هو عبد الله بن عبدالعزيز أحد أعضاء الأسرة الحاكمة في الماضي . وقد تلقى أهل عنيزة هذا اللاجيء اليهم بالترحاب لكن الوهابيين استطاعوا قتله بعد ذلك في بعض أطراف الصحراء .

محاولة فاشلة للوهابيين لاخضاع عنيزة ١٨٦٢ :

وقد تكون الحرب التي أعلنها ابن سعود على عنيزة بعد ذلك نتيجة لهذه الحادثة ، لأن أهل عنيزة اعتبروا أن لهم ثأراً عند الوهابيين الذين قتلوا ضيفهم . ولكن قيل أيضاً إن الأمير أعلن الحرب لرفض شيخ عنيزة المثول أمامه بنفسه ورفضه دفع الجزية التي طلب اليه دفعها .

وكانت عنيزة في هذا الوقت تحت حكم زامل الذي رأيناه في شبابه يقود فرقة عنيزة في حملة الوهابيين على عمان ، والذي سيشتهر اسمه

كثيراً خلال الجزء اللاحق من تاريخ القصيم ، وقد خلف زامل ابن عمه عبدالله الذي كان شيخ عنيزة في سنة ١٨٥٣ لكن أباه أيضاً كان شيخاً لها في وقت من الأوقات . وبدأ الوهابيون عملياتهم على عنيزة بحصار مفككك نظمه مهنا من مدينة بريدة المجاورة ، وانتقم أهل عنيزة لأنفسهم انتقاماً رهيباً بتخريب الأراضي والبساتين في بريدة . وكان أهل القطيف جميعاً يتعاطفون سراً مع أهل عنيزة ، بل إن بريدة نفسها التي كان بينها وبين عنيزة عداوة دائمة أصبحت على وشك التمرد على الوهابيين . وكان ابن رشيد وشريف مكة يرغبان في الوساطة ، لكنهما خشيا القطيعة مع ابن سعود وترك الجميع عنيزة وحدها(١) .

وشيئاً فشيئاً ، تجمعت قوات كبيرة من الوهابيين في مواجهة عنيزة ، يقودها قريب لأمير الوهابيين استطاع جمع القوات من إقليم الأحساء ومن عمان البعيدة أيضاً . وانضم طلال أمير جبل شمر وعمه عبيد إلى معسكر الوهابيين الذي كان يضم ، فيمن يضم ، مهنا حاكم بريدة ووهابيي القصيم . وضرب حصار منتظم حول عنيزة ، لكن مدفعية الوهابيين لم تستطع أن تؤثر في أسوار المدينة بشيء ، وكان وسط الجيش من أهل القصيم يتمنى له الفشل ، والبدو الذين جاءوا من بعيد لا يرون لهم مصلحة في نجاح هذا الحصار . وفي إحدى المرات استطاع بعض المحاصرين أن يوقعوا الهزيمة بجانب من القوات المحاصرة وأن يستولوا على علم من أعلام الوهابيين . اكن زامل الذي كانت إنسانيته لا تقل عن شجاعته عرض نفسه للخطر حتى لا تحدث مذبحة بين اللاجئين . وفي هذا الوقت هبت عاصفة مطيرة أفسدت ذخيرة الفرسان من عنيزة ، فاجتاحهم الوهابيون وأوقعوا بهم أشد هزيمة عرفوها طوال الحصار . وبعدها لم يحدث غير اشتباكين صغيرين ثم تراجع الوهابيون وتركوا عنيزة كما جاءوا اليها مدينة حرة .

---

(١) في هذه الفترة اجتاز بالجريف ــ الذى يشك في أنه كان مبعوثا من امبراطور فرنسا الى أمير الوهابيين كما أشرنا في تاريخ نجد ــ القصيم في طريقة من حائل الى الرياض .

الفترة من ١٨٦٢ الى ١٨٩١

القصيم مستقل وبعيد عن الاضطرابات ١٨٦٢ – ١٨٨٩ :

ويبدو أن القصيم ظل لمدة الثلاثين سنة التالية بعيدة عن الاضطرابات بعداً واضحاً باستثناء فترة تميزت بعدوان متبادل بين قبائل البدو ، وباستثناء الحملات التاديبية التي كان يقوم بها أهل المدن على البدو الذين يعكرون صفو السلم فيها . وفي ١٨٧٨ لحقت هزيمة مشهورة بقبيلة قطحان بالقرب من آبار دخنة على يد قبيلة مطير يعاونها بعض أهل مدينة عنيزة . وفي سنة ١٨٨٠ كانت بريدة عملياً قد أصبحت مدينة مستقلة ، ولم تعد تبالي بأمير الوهابيين على الإطلاق ، لكنها ظلت على احترامها لامير جبل شمر الذي كانت قوته آخذه في الازدياد يوماً بعد يوم . وفي هذا الوقت تجول في القصيم رسام الخرائط الفرنسي المشهور مستر س. هيوبر وبصحبته الرحالة الانجليزي المشهور وأعظم معاصريه مستر تشارلز دوتي. الذي يعتبر هو ونيوبوز أبرز من عملوا في المجال العربي على الإطلاق .

ابن رشيد يفتح القصيم ١٨٨٠ – ١٨٩١ :

وبعدها بقليل عزز ابن رشيد مركزه في بريدة وما حولها لكن جهوده لإخضاع عنيزة لم تؤد إلى أكثر مما أدت جهود الوهابيين . وفي سنة ١٨٨٥ استطاع القائد الوهابي محمد بن سعود أن يوقع الهزيمة بقوات أمير شمر في القصيم وأن يسترجع بريدة موقتاً ، وكان هذا آخر نجاح أحرزه الوهابيون في القصيم . وفي ١٨٩٠ تكونت جبهة لمقاومة تقدم ابن رشيد تضم كل القصيم ونجد الجنوبية إلى جانب قبائل البدو عتيبة ومطير ، لكنها هزمت هزيمة ساحقة في معركة بريدة أو موليده التي دارت رحاها في مارس أو إبريل سنة ١٨٩١ . أما زامل شيخ عنيزة الذي كان على ما يبدو محور هذا التحالف فقد كان من بين القتلى وسقط معه ثاني أبنائه علي وقريباه خالد بن عبدالله وعبدالعزيز بن إبراهيم ، كما أسر عدد من أعضاء أسرة السالمي الحاكمة في بريدة .

القصيم اقليم تابع لامارة جبل شمر
١٨٩١ ـ ١٩٠٤

ووضع أمير شمر على القصيم حاكماً من قبله ، وظل الوضع السياسي لهذا الإقليم عشر سنين على حاله . وفي سنة ١٩٠١ شجع غزو شيخ الكويت للقصيم باسم الوهابيين أهل البلاد على الخلاص من طغيان حكم أمير شمر ، لكن آمالهم خابت عندما اندحر الغزاة في معركة صريف ، وأوقع عقاب شديد بالذين تجاسروا منهم وأظهروا تعاطفاً سابقاً لاوانه مع قضية ابن سعود . ومن بين الذين قتلوا في هذه المعركة صالح بن عبدالله ومحمد بن عبدالله ومحمد بن حسان وصالح بن عبدالله وعلى بن عبدالله ومحمد بن ابراهيم وجميعهم من أسرة ابو الخيل الحاكمة في البريدة ، كما نفى ابن رشيد أعضاء آخرين من نفس الأسرة إلى حائل أو أرغمهم على الفرار إلى المنفى طلباً للنجاة . وأخيراً في مارس سنة ١٩٠٤ ، فقد ابن رشيد القصيم كلها ، وضاعت منه على أثر معركة دارت بين قواته وقوات الوهابيين بالقرب من عنيزة .



غزو الاتراك للقصيم (سنة ١٩٠٤) واحتلالهم للاقليم (١٩٠٥ ـ ١٩٠٦)

أما سير الأحداث تاليا في القصيم فقد ذكرناه تفصيلا في الفصل السابق الخاص بتاريخ نجد ، وليس لدينا ما نضيفه الآن اليه .

وفي سنة ١٩٠٤ غزا الاتراك القصيم متحالفين مع ابن رشيد ، لكن هذه القوات المتحالفة لقيت هزيمتين خطيرتين على أيدي أهل القصيم وابن سعود وأجبرت على التراجع إلى قرية قحافة في جبل شمر . وفي إبريل سنة ١٩٠٥ ـ وبتدبير مع ابن سعود ـ استطاعت القوات التركية أن تحتل القصيم احتلالا سلمياً استمر حتى نوفمبر سنة ١٩٠٦ ، لكنه لم

يكن احتلالا عملياً على الاطلاق ، وقد عجزت القوات التركية عن الحيلولة بين ابن سعود والاشتباك مع ابن رشيد ثم قتله على حدود الإقليم وعجزت أيضاً عن الحصول من ابن سعود على أية ترضية لخطفه صالح بن حسان الأمير الذي عينوه قائمقاماً في بريده . وفي سنة ١٩٠٧ لم يكن عدد القوات التركية الباقية في القصيم يتعدى ٥٠ جندياً . وعقب موت ابن رشيد أطلق سراح عدد من الأسرى الذين ينتمون إلى الأسر الحاكمة في عنيزة وبريدة والذين أسروا بعد معركة بريدة (١٨٩١) ، وصريف (١٩٠١) . وآخرون كانوا مقيمين بالخارج عادوا إلى ديارهم من المنفى .

تم الجزء الثالث بحمد الله



فهرس دليل الخليج الجزء الثالث

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

تم بعون الله هذا الجزء الثالث

من دليل الخليج

الدوحه ـ رمضان ٩٥ سبتمبر ٧٥



مطابع علي بن علي







